

# لطائف الإشارات

تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم

للإمام القشيري

المجلد الأول

الطبعة الثالثة

قدم له وحققه وعلق عليه

الدكتور / إبراهيم بسيوني

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٠

الهيئة المصرية العامة للكتاب

## إدارة التراث

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

المشرف على إدارة التراث ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

سكرتير التحرير

أهيمه على أحمد

الغلاف

جمال قطب

## مدخل

ترجع أهمية نشر هذا الكتاب إلى ثلاثة عوامل رئيسية :

أولاً : أنه من الناحية الموضوعية يعالج قضية هامة وهي تفسير القرآن الكريم على طريقة أرباب المجاهدات والأحوال ، وهذا منهج في التفسير نادر في المكتبة العربية ، فأنت تستطيع أن تجد عدداً غير قليل من التفسيرات التي تتناول النص القرآني في ضوء اللغة العربية أو الإعراب أو البلاغة أو الفقه أو أسباب النزول أو التشريع أو القصص والأخبار أو نحو ذلك مما هو مألوف ومعروف منذ نزل القرآن ومنذ ظهرت الاتجاهات المختلفة في دراسته ، ويمكن أن تجد عدة مصنفات لعدة شخصيات في كل لون من هذه الألوان بحيث يفتيك واحد أو اثنان منها عما سواهما .

فإذا بحثت عن التفسير الصوفي ألفيته — على العكس من ذلك — نادراً ، وألفت الإنتاج فيه غير شافٍ ، فإمّا أن يكون مقتضباً « كتفسير القرآن العظيم » لسهل بن عبد الله الشَّشْرِي ( المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ) وقد طبعته السعادة في عام ١٩٠٨ م فيما لا يزيد على مائتي صفحة ، ويستطيع القارىء أن يتصور كيف يمكن لمائتي صفحة أن تعنى بدراسة القرآن على نحو مرضٍ .

وإمّا أن يكون مطعوناً فيه كما هو الشأن في « حقائق التفسير » لأبي عبد الرحمن السُّلَمِي ( المتوفى سنة ٤١٢ هـ ) الذي يقول في وصفه — ونحن نقطف منه هذه الفقرة لنوضح ما قلناه آنفاً عن ندرة التفسير الصوفي : « لما رأيت التوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن من قراءات وتفسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجل ومفضل ، وناسخ ، ومنسوخ ، ولم يشتغل أحدٌ منهم بفهم الخطاب على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي » [ حقائق التفسير للسلمي مخطوطة ١٥٠ تفسير دار الكتب ص ٢٢١ ] .

وعندما ظهر حقائق التفسير ، أحدث ضجة كبرى ، فقد لقي معارضة شديدة من معاصريه  
ومن أتوا بعده ، فاتهم بالابتداع والتحريف والقرمطة والتشيع ووضع الأحاديث على الصوفية  
يقول ابن الصلاح : ( وجدت عن الإمام الواحدى أنه قد صنّف أبو عبد الرحمن السلى  
حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر )

وقال الذهبي في « تذكرته » : أتى السلى في « حقائقه » بمصائب وتأويلات للباطنية  
نسأل الله العافية تذكراً للحفاظ ج ٣ ص ٢٤٩ .

ووصفه ابن تيمية بالكذب : ( منهاج السنة ج ٤ ص ١٥٥ ) .

وعد السيوطي تفسيره ضمن التفاسير المبتدعة معللاً لذلك بقوله : « . . . . » وإنما أوردته  
في هذا القسم لأنه غير محمود ( طبقات المفسرين للسيوطي ط ليدن سنة ١٨٣٩ ص ٣١ ) .

أما إخوان الصفا الذين يحشرهم جولد تسير ضمن مفسري الصوفية في كتابه ( مذاهب  
التفسير الإسلامى ) ، فهم أولاً غير صوفية وإنما هم جماعة من المشتغلين بالفلسفة ذوى أغراض  
بعيدة خبيثة ، ضمت صفوفهم لفيقاً من الناس مختلفى النزعات والثقافات حتى كان من بينهم  
ملاحدة ، فأحالتهم على الصوفية تبحر على الحقيقة وعلى التاريخ وعلى التصوف ، ولنا نبرىء  
جولد تسير من ذلك — مع تقديرنا لكتابته القيم .

وحتى القرن الخامس الهجرى لا نجد كما يقول صاحب ( تاريخ أدبيات در ايران ) : « أم  
من حقائق السلى ولطائف الإشارات للقشيري وتفسير سورة الإخلاص للغزالي » [ تاريخ  
أدبيات در ايران للدكتور ذبيح الله صفا ( مكتوب بالفارسية ) فصل التفسير  
صفحة ٢٥٦ ، ٢٥٧ ] .

وبعد ذلك بنحو قرن نلتقى بتفسير ابن عربى الذى هو قبل كل شيء مطعون فى سبته  
إليه ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد عبده ( اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية ،  
وينسبونه للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، وإنما هو للقاشانى الباطنى الشهير ) ويضيف  
الأسناذ الإمام ( وفيه من التزعات ما يبرأ منه دين الله وكتابه العزيز ) تفسير المنار  
ج ١ ص ١٨ ) .



نعم صدق الأستاذ الإمام ، فالكتاب مملوء بدعاوى وحدة الوجود ، وما جرّه هذا المذهب من ويلات ، ولسنا هنا بصدد دراسة تفصيلية له ، ولكننا نشعر بالحاجة إلى أن نسوق شواهد قليلة تثبت مجانبة هذا التفسير للحق ، وكيف أنه لا يصح أن يكون نموذجاً للاتجاه الصوفي السديد — كما حلا لجولد تسبهر أن يظهره ويتحمس له ، ليخرج من ذلك بأحكام عامة يصدرها عن التصوف الإسلامى — كما نرى يروى غليله .

ففى سورة الزمل عند قوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ، يقول : (واذكر اسم ربك الذى هو أنت . . .) ١١ = ٢ ص ٣٥٢ .

وفى سورة الواقعة عند قوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) ، يقول : نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا ، وظهورنا فى صوركم) ج ٢ ص ٢٩١ وليس هذا التصور بمستغرب على من يقول إن عجل بنى إسرائيل أحد المظاهر التى اتخذها الله وحلاً فيها ١١

وليس من الإنصاف أن يقال للناس هذا هو رأى الصوفية المسلمين ولا رأى بعده ، بل يجب أن نضع فى اعتبارنا أن مذهب وحدة الوجود مذهب فلسفى ينبثق عن المنهج القلبي العرفاني الذى اختطه أرباب المجاهدات والأحوال للوصول إلى وجهة الشهود ، وفى وحدة الشهود — ومهما قيل عنها من كلام ظاهره مستشنع وباطنه سليم على حدّ تعريف أبي نصر السراج الطوسى للشطح — يبقى دائماً شىء هام قوى ناصع أن العبد عبد والرب رب ولا تداخل ولا امتزاج ولا حلول ولا اتحاد ، بل بمقدار ما يصل العبد إلى تحقيق عبوديته يصل إلى التحقق من ربوبيته الرب وتنزيهه عن كل إفك وباطل . . . تعالى الله علواً كبيراً .

ولا ينبغي لنا أن نغض الطرف عن قيمة التفاسير المبعثرة فى المراجع الصوفية الكبرى لآيات بعضها من القرآن الكريم ، فإن تبعثر هذه التفاسير لا يحول دون تقديرها حق قدرها ، ذلك لأنها غالباً ما سبقت لتدعيم موقف أو لتشهد على استمداد فكرة أو لفظة ، فهى من هذه الناحية لا تخرج عن كونها تفسيراً صوفياً غير مجموع .

وفى بعد ذلك يمكن القول إن أبرز التفاسير الصوفية التى نعرفها كتابان أولهما « عرائس البيان فى حقائق القرآن » لأبي محمد روزبهان بن أبي النصر البقلى الشيرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ [كشف الظنون ج ٢ ص ٢١]

وثانيهما التأويلات النجمية « لنجم الدين داية المتوفى سنة ٦٥٤ هـ وقد مات قبل أن يكمله فأكمله علاء الدولة السمناني المتوفى ٧٣٦ هـ (كشف الظنون ج ١ ص ٢٣٨) .

\* \* \*

لأجل هذا كله نحتفل « بلطائف الإشارات » فأغلب ما سقناه من تفاسير صوفية لا يسلم من النقد ، ولا يصح أن يكون نموذجاً صالحاً لتمثيل الصوفية والتصوف بأمانة وصدق . « لطائف الإشارات » سفر نفيس كتبه صاحبه محاولاً أن يوفق بين علوم الحقيقة وعلوم الشريعة ، وقاصداً إلى هدف بعيد أنه لا تعارض بين هذه وتلك ، وأن أى كلام يناقض ذلك خروج على أى منهما وعلى كليهما ( فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول ، الشريعة أن تعبد والحقيقة أن تشهد ) الرسالة القشيرية ص ٤٦ .

وهذا ما حدث فعلاً . . . فأنت خلال قراءة « اللطائف » تشعر أن كل صغيرة وكبيرة في علوم الصوفية لها أصل من القرآن ، ويتجلى ذلك بصفة خاصة حيناً ورد المصطلح الصوفي صريحاً في النص القرآني كالذكر والتوكل والرضا ، والولى والولاية والحق والظاهر والباطن ، والقبض والبسط . . . الخ فلا تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله الكريم ، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة كما يحلو لبعض الباحثين حين يتهمون التصوف الإسلامى بالتأثر بالتيارات الأجنبية : اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية ونحوها .

كذلك تلحظ عبقرية القشيري إزاء اللفظة أو الآية حيناً لا يكون فيها اصطلاح صوفى ، فإنه يستخرج لك من آيات الطلاق إشارات في الصلوة والصاحب ، ومن علاقة النبي بأصحابه إشارات عن الشيخ ومريديه ، ومن مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والمطر والجبال إشارات رائعة تتصل اتصالاً وثيقاً بالرياضيات والمجاهدات أو بالمواصلات والكشوفات .

وربما قيل إن صنيع القشيري مسبوق وملحوق ، ولكن هانحن منذ قليل أوضحنا مقدار ما أصاب التفاسير الصوفية من سهام النقد ، وبقي أن نتعرف الأسباب التي جعلتنا نحكم بأن لطائف الإشارات ، خير مناضل عن التفسير الصوفى بعامة ، بل بأنه من أفضل الأعمال

التي أنتجتها قرائح الصوفية في شتى العصور ، وربما يبدو في ذلك بعض التعميم مع أن الأحكام العلمية ينبغي ألا تخضع للتعميم لأننا لا نستطيع أن ندعى المعرفة الشاملة بكل التراث الصوفي ، ونعترف أن عشرتنا مع الكتاب وصاحبه عشر سنوات كاملة أثناء إعداد بحثي الماجستير والدكتوراه في الموضوعات الصوفية ، ونعترف أن حماسنا لما نلاحظه من الاعتدال عند القشيري دون سائر الباحثين ، ونعترف أن ما كنا نشعر به من وجوه النقص في سائر المصنفات التي نهض بها غيره في هذا الخصوص — كل ذلك ربما كان الدافع إلى لجوئنا إلى هذا الحكم الذي سقناه .

ومن أعجب الأمور أن القشيري يشتهر « بالرسالة » التي لا تخرج عن كونها مجموعة من الأسانيد المنسوبة إلى الشيوخ في موضوعات معينة ، ومجموعة من التراجم لأبرز الشيوخ الذين ظهوروا منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى بداية القرن الخامس في صفحات قليلة ربما أغنت عنها الكتب المطولة التي وضعت خصيصاً لهذا الغرض مثل تذكرة العطار أو طبقات السلي أو طبقات الشعرائي ونحوها . ومع تقديرنا « للرسالة » إلا أننا لا نعتبرها بحال من الأحوال أفضل أعمال القشيري ، وأنها ظلمته حين شهرته ، وحين أوقفت اسمه عليها ، وأصبح حتماً منذ الآن أن يقول الناس « القشيري صاحب اللطائف » لا صاحب « الرسالة » . فاللطائف هي أبلغ أعماله التي تزيد على العشرين — في نقل صورة واضحة لشخصيته ، ولست أدري لماذا لم يجد هذا الكتاب ما هو جدير به من الاهتمام في العصور الماضية ؟ لماذا حكم عليه دائماً أن يبقى في منطقة الظل ؟ حتى صار ما نعرفه عن نسخته كما نفهم من « تذكرة النوادر » وكما يقول بروكلمان — محدوداً ومبعثراً بين روما وبرلين واسطنبول وتونس والهند والقاهرة ، ومعظمها كما سندكر بعد قليل غير كامل .

ولكي ندرك أهمية هذا الكتاب في تصحيح كثير من المقاييس العلمية عن التصوف والتفسير الصوفي لا بُدُّ لنا أن نلم بشيء من سيرة صاحبه ، ونكتفي من معالم هذه السيرة بما يمكن أن يتبرر به وصول هذا العمل الجليل بتلك الأوصاف وإلى تلك النتائج . وذلك هو العامل الثاني لأهمية نشر هذا الكتاب :

ثانياً : صاحب هذا الكتاب هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري ، ولقبه زين الإسلام ، وشهرته القشيري .

ولد في ربيع الأول عام ٣٧٦ هـ الموافق يوليو ٩٨٦ م .

وتوفي في يوم الأحد السادس عشر من ربيع الآخر عام ٤٦٥ هـ وهو عربي النسب من جهة أبيه فهو من قبيلة قشير العدنانية المتصلة بهوازن ، ويذكر ابن حزم أن سلالات من قشير اتجهت إلى المغرب نحو الأندلس إبان الفتح الإسلامي زمن الأمويين ، واتجه بعضها إلى المشرق وكان منها ولاية وقواد على خراسان ونيسابور . ( جهرة الأنساب ٢٧٣ و ٤٥٩ ) كذلك فإن القشيري عربي النسب من جهة أمه فهي سلمية وأخوها أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين أستورا ، واستوا هي الناحية التي ولد فيها القشيري وتلقى بها تعليمه الأولي .

وحدث أن اجتاحت المنطقة ضائقة اقتصادية ، ففكر الأهالي في إرسال ليف من أبنائهم إلى نيسابور لكي يتلقوا من دروس الحساب ما يمكنهم — بعد عودتهم — من المشاركة في تنظيم الأمور الاقتصادية ، وكان القشيري أحد هؤلاء الأبناء .

وبدأ القشيري في نيسابور يتفهم لهذا اللون من الدراسة ، ولكنه ما لبث أن انصرف عنها عندما اجتذبه مجالس الفقه والكلام والحديث والتفسير والأدب ، ولم تبخل نيسابور عليه يزاد ، فلقد كانت في ذلك الوقت تعج بالنشاط الفكري ، وتحفل بكبار الشيوخ أمثال ابن فورك ، ومحمد بن أبي بكر الطوسي ، وأبي إسحق الاسفراييني ، وقد ظفر القشيري في كنف هؤلاء الأئمة برعاية خاصة حينما أتيح له الاتصال بهم ، وأتيح لهم معرفته عن قرب ، ووضح لهم فيه حسن الاستعداد ، والدأب ، واستقامة الخلق .

ولم يكن القشيري يضيع فترة ما بعد الدرس هباء ، بل كان ينكب على القراءة والاستذكار وكان شديد الوأج بالعلوم العقلية ، وبخاصة تلك التي تتناول المسائل التي طالما اشتجر الخلاف حولها بين الأشاعرة وأهل الاعتزال ، واستوعب في هذه الفترة معظم ما صنف الباقلاني .

وجاء يوم سأل فيه الإمام الاسفراييني تلميذه القشيري — حين وجده لا يكتب كما يكتب سائر الطلاب : أمّا عيّلت يا بني أن هذا العلم لا يحصل بالسماع ؟

( ولكن القشيري أعاد عليه كل ما سمعه ، وقرره أحسن تقرير ، من غير إخلال بشيء فتعجب منه وأكرمه ، وقال له ما كنت أدري يا بني أنك بلغت هذا المحل ، فلست تحتاج إلى درس يكفيك أن تطالع مصنفاً ، وتنظر في طريقي ، وإن أشكل عليك شيء طالعني به .

فعل ذلك ، وجمع بين طريقة الاسفرايينى وطريقة ابن فورك ( طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ٢٤٣ وما بعدها .

وبينا كان القشيري منصرفاً بكل همه إلى هذا اللون من الدراسة ، دائب الاتصال بهذا الطراز من الشيوخ ساقه القَدَرُ ذات يوم إلى مجلس من لون آخر يتصدره شيخ من طراز آخر . استمع القشيري إلى أبي على الدقاق وهو يعظ على طريقة الصوفية ؛ ويتحدث في الرياضات والمجاهدات ، والأحوال والكشوفات ، والأذواق والمواجيد ، والمعارف العليا التى تنال من الحق على عباده الذين اصطفاهم ، وإذا بالرجل والحديث يستوليان عليه ، ويملكان فيه كل ذرة ، وإذا القشيري يحادث نفسه صامتاً : إني لهذا خلقت !

وعندما كان ينهياً ليغشى ما اعتاد من مجالس كانت أقدامه تسوقه نحو الدقاق ومجلسه ، فكان أول من يجلس وآخر من ينهض .

ولمحه الشيخ ، ورأى فيه إصغاء ملفتاً للنظر ، فقربه منه ، وحباه بمعطفه .

و ذات يوم تقدم الطالب — فى استحياء — من شيخه ، فشكا إليه أمراً حَزَبَهُ ، إنه لا يستطيع أن يجمع بين المواظبة على ما اعتاد من مجالس وبين مجلس الدقاق ، وهو يؤثر أن ينصرف بكل همه وعزيمته إلى علم القلوب ، وابتمس الشيخ للشاب ، وتطلع إلى وجهه ، وربت على كتفه قائلاً :

— إنما ينبغي لك أولاً أن تتقن دراستك بقدر طاقتك !

ومضى الشاب الطموح يجمع بين الدراستين ، وساعده ذلك على أن يكون تكويناً عقلياً ووجدانياً فى مرحلة من أدق مراحل العمر ، كما ساعده على أن يتجنب كثيراً من المشاكل النفسية التى تلم بأمثاله نتيجة الاغتراب عن بلده ، ونتيجة للذل .

وأعجب الدقاق بمثابرته وطموحه واستقامته وتواضعه ( فاختاره لكريمته فاطمة مؤزراً إياه على سائر أقربائها الذين تقدموا لخطبتها ) ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٥ .

وهكذا توثقت الصلة بين الشيخ والشاب ، وصار الدقاق رائده وملهمه الذى أمانه على مواجهة مشكلات الحياة ، وبصره بأفات النفس وأدوائها ، وكشف له عن الكثير من الخفايا والدقائق .



فكان هذا الاتصال عاملاً جديداً من عوامل الاستقرار النفسى ، وبداية لمرحلة جديدة من النضج الفكرى ، لأنه أتاح له أن يجد فى صهره شيخاً ورائداً وصديقاً ، وسهّل عليه أن يرجع إليه يستنصحه إزاء كل مسألة تعرض له أو أمر ينبهم عليه ، فلم يقع تحت تأثير بلبلة ، ولم يخضع لأزمة ، ولم تتجاذبه ضغوط أو صراعات .

كل ذلك ترك أثره فى شخصيته ، فلما نجد فى مؤلفاته اضطراباً أو جموحاً أو غموضاً ، ولما نشعر فيما وراء السطور بعقدة من العقد ، ولما نحس بميل إلى ابتداع ، إنما نجد أنفسنا أمام شخصية سوية ، يتميز الخط الفكرى لها بالاستقامة والاعتدال ، والوضوح والصدق ، والإخلاص والبذل .

ولعل أبسط دليل على وفاء القشيري لشيخه أنك لو تصفحت « رسالته » لما غاب اسم الدقاق عن عينك ، وهو يذكر اسمه دائماً مقروناً بالنكريم والترحم ، ويكفيك أن تقرأ هذه الفقرة لتوضح لك أولاً شيئاً عن مسلك القشيري خلال حياته العلمية وتوضح لك ثانياً مدى ما ينبغى أن تكون عليه علاقة المريد بشيخه ، فهذه وتلك تصور ما نرى إليه من بعيد عن كشف جوانب فى سيرة الرجل الذى تقدم لك كتابه .

يقول القشيري : « لم أدخل على الأستاذ أبي على — رحمه الله — فى وقت بدايتي إلا صائماً ، وكنت أغتسل قبله ، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاماً من أن أدخل عليه ، فإذا تجاسرت مرة ودخلت ، كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر حتى لو غرّز فى إبرة مثلاً لعلّى كنت لا أحس بها . ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة ، فكلما كنت أجلس كان يبتدىء بشرح واقعى ، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً ، وكنت أفكر فى نفسى كثيراً إنه لو بعث الله عز وجل فى وقى رسولاً إلى الخلق هل يمكننى أن أزيد فى حشته على قلبى فوق ما كان منه رحمه الله تعالى ؟ فكان لا يتصور لى أن ذلك ممكن ، ولا أذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ثم كونى معه بعد حصول الوصلة أن جرى فى قلبى أو خطر ببالى عليه قط اعتراض إلى أن خرج — رحمه الله تعالى — من الدنيا ( الرسالة ص ١٤٧ ) .

وليس استطراداً أن نذكر لك كلمة موجزة عن رأى عبد الرؤوف المناوى فى الدقاق ،

لأن هذه الكلمة على إيجازها لا تكشف لك عن سمات الدقائق وحسب إنما هي سمات ،  
القشيري ذاته في أدق التفاصيل .

يقول المناوي « هو أبو علي الحسن الدقاق النيسابوري الشافعي ، كان لسان وقته وإمام  
عصره ، فارها في العلم ، محمود السيرة ، مجتهد السريرة ، جنيدى الطريقة ، سرى الحقيقة ،  
أخذ مذهب الشافعي عن القفال والحصري وغيرهما ، وبرع في الأصول وفي الفقه وفي العربية  
حتى شذت إليه الرجال في ذلك ، ثم أخذ في العمل ، وسلك طريق التصوف ، وأخذ عن  
النصرا باذى ، قال ابن شهبه : وزاد عليه حالاً ومقاماً . . . وقد أخذ عنه القشيري صاحب  
« الرسالة » وله كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة ١٠٤ هـ كلام المناوي بعد أن أخذ يضرب  
أمثله لأقواله المنشورة والمنظومة [ السكواكب الدرية في تراجم الصوفية ترجمة الدقاق ] .

أمّا في مجال الصداقة فلعلّ أوثق من عرف اتصالاً به صديقه أبو عبد الرحمن السلمي  
وصديقه أبو المعالي الجويني إمام الحرمين .

وترجع أهمية السلمي في حياة القشيري إلى أنه غزير الإنتاج في العلوم الصوفية ، وأن  
القشيري استفاد من علمه ، وآية ذلك أنك تجد السلمي في « الرسالة » حلقة اتصال بارزة  
في العديد من الأسانيد والأخبار التي عليها يعتمد القشيري موصولة بالدارقطني والسراج  
والنصرا باذى وغيرهم ، ولكن الأهم من ذلك — في تقديرنا — أن القشيري استفاد من السلمي  
فائدة أبعد أثراً ، ذلك أنه تجنب التورط في المزالق التي أدت بصديقه إلى أن يُنهم وأن يكون  
موضع نقد معاصريه ومن جاء بعده ، وقد نوّهنا بشيء من ذلك عند كلامنا عن « حقائقه » .

أمّا الجويني فقد كان — كالقشيري — شافعيّاً من حيث المذهب الفقهي ، أشعريّاً من  
حيث العقيدة الكلامية ، وقد تعرّض — كالقشيري — لآلام المحنة التي اكتوى بناوها  
الأشاعرة ، والتي سنتحدث عنها بعد قليل ، وهاجر البلاد وجاور الحرمين ، ولم يعد إلى وطنه  
إلا بعد انجلاء الغمة .

وإذا كان السلمي صديقاً أقرب إلى الاستاذ فإن الجويني كان صديقاً أقرب إلى التلميذ ،  
فقد استفاد من علم القشيري ، فإذا تذكرنا أن الجويني أستاذ الغزالي أمكن أن نقول إن



القشيري موصول بالغزالي لا بطريق المصنفات التي خلفها وحسب بل بطريق السند الذي يمثلها الجويني .

وفي مجال الحياة العملية نجد القشيري يضطلع بأعمال تتفق واستعداده وثقافته ، فقد اشتغل بالتدريس في مسجد المطرز وهو في الثلاثين من عمره ويتضح ذلك من هذا النص : « كنت في ابتداء وصلي بالامتاز أبي علي » — رضى الله عنه — عقد لي المجلس في مسجد المطرز ، فاستأذنته وقتاً للخروج إلى « لسا » ، فكنت أمشي معه يوماً في طريق مجلسه ، فخطر ببالي : لينه ينوب عني في مجالس أيام غيبتى . . . الخ » الرسالة ص ١١٦ .

وإلى جوار ذلك كان القشيري يعكف على التأليف دون انقطاع فانهى من التفسير الكبير المعروف ( بالتيسير في التفسير ) قبل عام ٤١٠ هـ ، ومن اللطائف عام ٤٣٤ ، ومن الرسالة عام ٤٣٧ واستمر يمارس هذا النشاط في دأب لا يعرف الكلال حتى وصلت كتبه إلى خمسة وعشرين كتاباً أو نحوها ، ومن أهمها إلى جوار ما سبق : ترتيب السلوك ، والتجوير في التذكير ، والأربعون حديثاً ، وشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، واستفادات المرادات ، والقصيدة الصوفية ، والتوحيد النبوي ، واللهم ، والفصول ، والفتوة ، ونحو القلوب الصغير ، والكبير ، والمقامات الثلاثة ، وفتوى ، والمعراج .

ولم يطبع من هذه الكتب إلا النذر اليسير ، وفي النية أن تقوم — بعون من الله — بإخراج ما وقع لنا منها خلال رحلات طويلة عديدة ، حتى يزداد الناس علماً به وتقديراً له .

ولم يسلم القشيري خلال حياته من المحن والآلام ، وربما كانت أشدها جميعاً ما حدث له إبّان حكم السلطان طغرل ووزيره اللعين الكندري .

كان السلطان طغرل سنياً حنفياً ، ووزيره أبو نصر الكندري معتزلياً رافضياً ، خبيث العقيدة ، ذا آراء مسرفة في التشبيه وخلق الأفعال ، والقدر ، وكان متعصباً في ذلك أشد التعصب .

وفي هذا الوقت كان بنيسابور شخصية فذة لها في أوساط العامة والخاصة نفوذ كبير ، ومحبة فائقة ، ذلكم هو الاستاذ أبو سهل بن الموفق أحد رجال الطبقة الرابعة الشافعية ،

وكان كثير للمال جواداً ، وكان مرموقاً بالوزارة ، وداره مجتمع العلماء ، وملتقى الأئمة ، ونظراً لما عرف عنه من تعلق بالمذهب الأشعري ، وذود عنه ، وسعى حيث لنشره فقد ألهب ذلك حقد الكندري ، خاصة وقد كان يخشى أن يقع اختيار السلطان عليه للوزارة من دونه ، فضى يلفق — لدى السلطان — عنه التهم . ولم يكتف بذلك بل لجأ إلى حيلة دنيئة حين حصل من السلطان على تفويض بسبِّ المبتدعة على للنابر ، فلم يجد السلطان في ذلك بأساً ، فوافق عليه ، ولكن الكندري استغل هذه الموافقة فأقحم اسم أبي الحسن الأشعري ضمن المبتدعة الواجب سبهم ، وكل من كان يرفض الانصياع لذلك من الوعاظ والخطباء يفصل من عمله ، ويطرده من البلاد ، فنجم عن ذلك شر خطير ، وفتنة كبرى امتد شررها إلى سائر المشرق ، وبات الأشاعرة في حزن مقيم .

وفي وسط هذه المحنة ، وذات يوم كتيب أسود جاء الأمر من قبل السلطان بالقبض على القشيري وإمام الحرمين والرئيس الفراتي وأبي سهل الموفق ، ونفيهم ، ومنعهم من المحافل ، وحين قرئ الكتاب هجم جماعة من الأوباش على الاستاذ الفراتي وعلى القشيري وأخذوا يجرونهما في الطرقات ، ويكيلون لهما أقذع أنواع التهم والاستخفاف حتى وصل الشرطة بهما إلى محبس القهندر .

أمّا إمام الحرمين فقد هرب من البلاد على طريق كرمان ، واتجه إلى الحجاز ، وهناك جاور ، وأمّا أبو سهل . فقد كان لحسن الحظ غائباً في بعض النواحي .

وبقي السجينان الجليلان في المحبس ، وقامت جماعات كبيرة من الناس لإنقاذهما ، وحدثت حرب دامية بينهم وبين رجال السلطان انتهت بهزيمة رجال السلطان ، وأخرج السجينان الجليلان من سجنهما ، ولكن كبار الأشاعرة اجتمعوا وقرروا أن جهاز الحكم لن يهدأ له قرار ، وأن الخير في رحيل أئمة المذهب إلى أما كن نائية عن المشرق .

فترك القشيري وطنه وبيته وأهله وعشيرته ، ومضى يضرب في الأرض الواسعة عشر سنوات كاملة ، كان خلالها موضع التكريم والتبجيل ، وأقبل الناس عليه وعلى دروسه إقبالاً عظيماً ، حتى لقد خصص الخليفة العباسي — القائم بأمر الله — له مجلساً خاصاً في مسجد قصره ، وكان يواظب على شهود وعظه ومجلس حديثه ، ويكرمه ، ويحظى ببركته .

وقد وصف الخطيب البغدادي (صاحب تاريخ بغداد) مقدار إعجاب الناس بالقشيري ،  
وكان هو نفسه أحد تلاميذه حيث يقول (حدثنا وكتبنا عنه وكان ثقة) .

( تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٨٣ ) .

وذهب القشيري للحج ، وهناك التقى بصديقه الجويني وبعدد كبير من الأئمة الذين شردتهم  
المحنة طوال سنوات عديدة ، فاجتمعوا وتدارسوا أحوالهم ومستقبلهم ، واستقر رأيهم على أن  
يطيعوا كلمة واحد منهم مهما كانت هذه الكلمة حتى يتم الاتفاق على مبدأ ثابت يسرى عليهم  
جميعاً ، ولم يكن ذلك الذي وقع عليه اختيار الجمع غير عبد الكريم القشيري .

فصعد للنبر ، وظل يتكلم ، وهم يجدون لسكلامه وقعاً مؤثراً على قلوبهم وعقولهم ، ثم مرت  
لحظات صمت ، بعدها شخص القشيري ببصره إلى السماء ضارعاً ثم أطرق ، والناس من حوله  
يتابعون أمره ، وينفرون ملاحظه . . . ثم قبض على لحيته وصاح بصوت عالٍ :

« يا أهل خراسان . . بلادكم بلادكم ، إن السكندري غريمكم يُقطعُ الآن إرباً إرباً ،  
وإني أشاهده الساعة وقد تمزقت أعضاؤه ثم أُلشد :

عميد الملك ساعدك الليالي      على ماشئت من درك المعالي  
فلم يكُ منك شيء غير أمرٍ      بلعن المسلمين على التوالى  
فقابلك البلاء بما تلاقى      فذُق ما تستحق من الوبال

( تبين كذب المفترى لابن عساكر ليدن ص ٩٣ )

ويقول السبكي في طبقاته : ( وضبط التاريخ فكان ذلك اليوم بعينه وتلك الساعة بعينها  
قد أمر السلطان بأن يقطع الكندري إرباً إرباً . وأن يرسل عضو منه إلى كل مكان )  
السبكي في « طبقات الشافعية » ج ٢ ص ٢٧٢ .

وهكذا عاد القشيري بعد هذه السنوات العشر الثقيلة ( من ٤٤٥ إلى ٤٥٥ ) إلى بلاده ،  
وهي وإن كانت أقصى فترات عمره ، وأشدّها آلاماً إلا أنها كانت حافلة بالتجارب ، وأعانته  
على زيادة خبرته بالحياة والأحياء ، وبساعدت على توثيق الصلة بينه وبين الأوساط العلمية  
والأدبية خارج المشرق ، ودفعته إلى أن يصنّف العديد من المصنفات المتصلة بالمذهب الأشعري

وبخاصة كتابه الجليل القدر «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة» ، وهي قبل كل شيء وبعد كل شيء آية ثباته على مبدئه ، وأنه خليف أن يتصدّر المفكرين الأحرار في جيله . وجاء السلطان ألب أرسلان خلفاً لعمه طغرل ، وبمجيء أرسلان ووزيره الهمام الغزنوي نظام الملك استقبل العالم الإسلامي كله والأشاعرة بوجه خاص والقشيري بوجه أخص عهداً زاهراً آمناً ، وعاد القشيري إلى مدينته الحبيبة نيسابور حيث قضى بها بقية عمره ، وقضى بها عشر سنوات ( كان فيها مرفهاً محترماً ، ومطاعاً معظماً ، وأكثر صفوه في آخر أيامه التي شاهدها فيها آخراً ، وازداد من يقرأ عليه كنبه وتصانيفه والأحاديث المسبوعة له ، وما يؤول إليه من نصرة المذهب حتى بلغ المنتمون إليه آلافاً ، فأملوا تذكيره وتصانيفه أطراف ) « تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي حفيد القشيري » .

وكان نظام الملك أحد تلاميذه والمقربين إليه ، وأعاد الوزير - بفضل توجيه القشيري - للأشاعرة وللزهاد وللعلماء كل ما فقدوه إبان المحنة الأليمة من كرامة وحظوة .

أما أبناء القشيري فلا نعرف له إلا بنتاً واحدة هي أمة الرحيم أم عبد الغافر الفارسي ( قاموس الأعلام باللغة الأوزبكية ط اسطانبول سنة ١٣١٤ ص ٣٠٨٠ ) .

ونعرف له ستة أبناء كلهم عبادلة وكلهم أئمة ، سلكوا مسلك أبيهم وقد ترجم لهم السبكي في طبقاته كما تحدث عنهم ابن عساكر وابن خلكان .

ولهذا ينبغي أن نتحفظ في نسبة الأقوال المنسوبة إلى القشيري في بعض المراجع فقد تكون هذه الأقوال صادرة عن أحد أبنائه فهم جميعاً أشاعرة وهم جميعاً شافعية وهم جميعاً سلكوا طريق الإرادة .

لبث القشيري في نيسابور في أخريات حياته لم يكد يبرحها إلا لزيارة أقاربه في البلاد المجاورة مثل نسا وأبيورد ، ولكنه كان يعود مسرعاً إلى نيسابور بعد كل زيارة .

وقبل أن تبزغ شمس السادس عشر من ربيع الآخر من عام ٤٦٥ هـ ، كانت روحه الطاهرة قد عادت إلى بارئها . فووري جثمانه إلى جوار صهره وشيخه وملهمه وصديقه أبي علي الدقاق في مقبرة خاصة بالأسرة ما زالت قائمة حتى وقتنا الحاضر يزورها الناس للتبرك .

\* \* \*

من خلال هذه السيرة التي حاولنا إيجازها نستطيع أن ندرك أهمية الكتاب الذي تقدم له .  
فصاحب الكتاب رجل أوتي حظاً وفيراً من العلوم العقلية والنقلية قبل أن يلج  
باب الصوفية ، وهذه في حد ذاتها ظاهرة لها أهميتها ، وقد رأينا كيف نصح الشيخ الدقاق  
له بالتمق في هذه الدراسات قبل البدء بالسير في دروب الإرادة ، وفي ذلك أبلغ رد  
على من يتخوضون الاتهامات عن الصوفية فيقولون إنهم قوم بجانبون العقل ، ويحتقرون العلم  
ويأمرون تلامذتهم بكسر محارمهم — كما يدعى ابن الجوزي غفر الله له .

والقشيري بعد ذلك كله أديبه ينظم الشعر ويتذوق الأسلوب العربي تذوقاً يعتمد  
على أسس قوية ، وقد أوضحنا ذلك بتفصيل كبير في الأطروحة التي أعدناها عنه ونلنا بها  
درجة الدكتوراه .

فاذا جاء بعد ذلك ليدرس الأسلوب القرآني ، وليستخرج منه إشارات لطيفة فهو معدّ  
لذلك أحسن إعداد ، وهو قمين بالوصول إلى نتائج باهرة ، بقدر ما لديه من نهو صالح مكتمل .  
ثم هو شافعي أشعري ، وهو سني متحفظ ، وهو بهذه الأوصاف باحث متعمق منصف ،  
لا يأخذ — وهو يستخرج إشارة من العبارة — إلا جانب الحذر والحيلة والاعتدال ،  
وهو من أجل ذلك لم يخرج قيد أنملة عن هذا الخط ، فلم ينصر الحقيقة على حساب الشريعة ،  
ولم ينصر الشريعة على حساب الحقيقة ، ولذلك لا نعجب إذا لم نجد عنده جموحاً أو ميلاً  
إلى جموح ، ولا نعجب إذا ألفينا لا يُسَخِّطُ أوساطَ أهل السنة حتى من تعصّب منهم ضدّ  
التصوف وأهله ، فقد كان رائده دائماً نصرة الحق ، فليس غريباً أن يجيء «لطائف الإشارات»  
تعبيراً صادقاً عن التصوف في أفضل درجات الاعتدال ، وأنقى صور التناول . فليس عند  
القشيري ما عند غيره من مساس بالألوهية ، بل هو طالب يعلنها حرباً لا هوادة فيها  
على المبتدعين والمضللين الذين أساءوا إلى التصوف وأهله تارة نحت ستار الثوب ،  
وتارة بدعوى الفناء المفرق ، ونحو ذلك من الأباطيل .

والتصوف عند القشيري ليس ثوباً مرقعاً ، أو خرقة بالية تفرد صاحبها عن سواه ،  
وتكون علماً على تقواه ، إنما هو صفاء النفس من كروراتها . وإن كان صادقاً في طويته  
ونيتته سيكون محفوظاً في حالة انمحاءه ، سوف يُردّ في حالة الجمع إلى حالة الفرق الثاني



ليؤدى الفرائض الواجبة عليه ثم يعود إلى حالة الجمع مرة أخرى ، ويكون في كل أحواله مُصَرَّفًا بإرادة مولاه . كذلك فإن من كان صادقاً في بدايته ووسيلته وقيامته كان محفوظاً — من قبل الحق — في كل كلمة ينطق بها أو كل حركة تصدر عنه ، فإذا نطق بنطق بالله ، وإذا تحرك تحرك بالله . ومثل هذا العبد لا يُنتظر منه — وهو في يد الله على هذا النحو — أن يكون قريب الأقوال أو غريب الأفعال . فالصدق هو عمدة الأمر في هذا السبيل — كما يرى هذا الإمام الجليل .

ثالثاً : ننتقل بعد ذلك إلى العامل الثالث في أهمية إخراج هذا الكتاب ، وهو في هذه المرة يعود إلى النسخة أو النسختين اللتين نعلم عليهما في التحقيق .

النسخ الكاملة من « اللطائف » نادرة فهي حسبما تقول تذكرة النواذر لا تزيد على خمس إحداها في خزانة بانسكى بور مكتوبة في القرن التاسع ، والثانية في المكتبة الحبيبية تاريخ كتابتها عام ٨٤٤ هـ وهي ناقصة من أولها ، والثالثة في الخزانة الأصفية بخط قديم جداً ، والرابعة في مكتبة الجامعة العثمانية بحيدر آباد مكتوبة بخطوط مختلفة سنة ٧٢٦ والخامسة في مكتبة محمد باشا باسطنبول .

غير أننا نعتقد أن هناك عدداً أكبر من النسخ يزيد عما ذكرت التذكرة وأنها منبثة في أنحاء متفرقة من العالم ، ونرجح أن النسخ الكاملة نادرة جداً كما يشير بروكلمان . وإنه لمن دواعي التوفيق أن يتاح لنا أن نحصل — لأول مرة — على الكتاب كاملاً ، فقد وجدنا في مدينة طشقند عاصمة جمهوريات أوزبكستان السوفيتية في المركز الدينى لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان نسخة شبه كاملة تحت رقم ١٣٠٢ تفسير تبدأ بمقدمة بقلم القشيري — وهي على جانب كبير من الأهمية — لأنها تكشف عن منهجه في الدراسة ، ثم بعدها الفاتحة والبقرة و . . . . حتى سورة قريش ، ومعنى ذلك أنها تنقص فقط سور الماعون والكوثر والكافرون والنصر والمسد والإخلاص والفلق والناس . وهذه السور القصيرة موجودة في النسخة الأخرى التي عندنا في مصر ورقها ٢٦٦ تفسير ( أنظر فهرس الخزانة التيمورية ط تفسير ص ٢٣٠ ) والتي تبدأ بالآية ( إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . . ) في سورة الأنبياء وقد قمنا بنسخ هذه المخطوطة ، كما قمنا بالنقاط صورة بالميكرو فيلم للنسخة الطشقندية ثم أجرينا تصويرها

وتكبيرها بحيث تسهل قراءتها وكانت النسختان المادة الأساسية التي اعتمدنا عليها أثناء إعداد الدكتوراه عند كلامنا عن القشيري المفسر .

النسختان إذاً متكاملتان ، ويصبح هذا السفر النفيس كاملاً ، ويقع في نحو ألف ومائتين صفحة ، اخترنا أن نقسمها إلى أربعة أجزاء تصدر متلاحقة في مدى عام أو عامين حسبما تساعدنا الظروف ويرزقنا الله العافية .

### وصف عام للنسخة السوفيتية

تبلغ أوراقها ٥٩٧ ورقة ، والأرقام التي كتبها الناسخ مطموسة في كثير من الأحيان ولذا حرصنا عند تكبير الميكروفيلم والتصوير والطبع أن نرقمها نحن من خلف حتى لا تضطرب الأمور عند القراءة والدراسة .

وعلى الورقة الأولى توجد تعليقة مكتبة الإدارة الدينية هكذا :

#### تفسير

أبو القاسم القشيري

200 = ص ا

1302 = II

٣٥

أما الورقة الثانية فيبدو أنها كانت خالية فلأها أحد القراء بأحاديث وشواهد شعرية وكتابة باللغة الفارسية .

ثم تبدأ مقدمة الكتاب بقلم القشيري منذ الورقة الثالثة .

وقد وقع خطأ في ترقيم الصفحات ، فبينما نجد الحديث متصلاً غير منقطع بعد الورقة ٢١٤ نجد رقم الورقة التالية هو ٢٢٥ بدلاً من ٢١٥ ، وهناك خطأ آخر ربما حدث قبل تغليف الكتاب : فالأوراق من ٣٩٤ إلى ٤٠١ كلها موجودة عقب الورقة ٤٣١ دون أن يحدث خلل أو سقوط ، ومعنى هذا أن الكتاب رغم هذا — كامل لم يضع منه شيء .

كذلك يقع تفسير أواخر طه وأوائل الأنبياء — خطأ — ضمن تفسير الفرقان . وقد صححنا هذا الوضع .



ونظراً لعدم اكتمال النسخة من آخرها — كما قلنا من قبل — فلقد كنا نخشى أن يغيب عنا التذييل الذى يذكر فيه الناسخ اسم وتاريخ انتهائه من عمله كما جرت العادة ، ولكن لحسن الحظ وجدناه قد قسم الكتاب قسمين كبيرين ينتهى القسم الأول بنهاية تفسير سورة الكهف ورقة ٢٧٨ ، وعندها كتب هذه العبارة باللغة الفارسية المختلفة بالعربية :

(تم بعون الله وحسن توفيقه نصف أول إز تفسير محقق إمام أبو قاسم القشيري رحمة الله عليه بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٢٤) .

ومن هذه العبارة يتضح أن الناسخ غير عربى ، وأنه ربما كان فارسياً أو أفغانياً أو أوزبكياً أو أذربيجانياً ، فكثرة من سكان أفغانستان وأوزبكستان وأذربيجان يعتبرون الفارسية لغة اتصالهم بالعلوم الإسلامية حتى اليوم .

وقد نجم عن كون الناسخ فارسياً جنساً أو لغة أن كتابته ومراعاته للإملاء لم تكونا جيدتين ، وكان علينا أن نقرأ الكتاب قراءة متفحصة لنحاول أن نحدد الطريقة التى اتبعها ، لأنها — بما فيها من خطأ أحياناً أو خروج على المؤلف فى الرسم أحياناً أخرى — هى التى جرى عليها عند نقله من النسخة الأخرى التى يحتمل أنها تجرى على هذا النحو ، وربما كان الناسخ ينقل على نحو يكون مفهوماً لديه ، وميسور القراءة له وحده .

وهو لا يهتم بضبط الكلمات ، ولا بترقيم العبارات فليس هناك ضبط أو فاصلة أو علامات استفهام أو أقواس أو علامات تعجب أو نحو ذلك . وقد وقع الناسخ فى أخطاء عديدة أثناء النسخ ، وربما كان مسئولاً عن ذلك أو يحتمل أن النسخة التى نقل عنها بهذا الوصف .

وهامش النسخة وبخاصة فى القسم الأول من الكتاب حافلة بالتعليقات ، بعضها مكتوب بالفارسية قصد منها شرح المفردات وترجمتها .

وهناك عناوين جزئية مكتوبة باللغة العربية بخط حسن تشير إلى موضوعات متنوعة ربما قصد بعض القراء إلى أن يجمعها ليستفيد منها ، وليحدد موقف المصنف إزاءها مثل (الروح — حقوق الوالدين — الدعاء — النفس ... إلخ) .

وعندما كانت تسقط بعض الكلمات أو العبارات من الناسخ أثناء النقل كان يستدرك

فيضع علامة مميزة على آخر كلمة في المتن بدأ بعدها السقوط ويضع العلامة نفسها في الهامش فوق الكلمة أو العبارة الساقطة ، فإذا تكرر السقوط في الصفحة الواحدة مئز كل موضع وكل مستدرك بعلامة مبيانة . كذلك فإنه كان يضع علامة خاصة عندما يعيد كتابة كلمة أو عبارة أو سطر بدون داعٍ حتى يلفت نظر القارىء إلى ما وقع فيه من سهو .  
ولم يحدث أن وضع الناسخ ترجمة فارسية لكلمة داخل المتن بل كان يكتب الترجمة أسفل نظيرها ، اللهم إلا في حالة واحدة داخل شاهد شعري :

أنكّه شاد شود در عطا دادن

ومعناها : أصبح حينئذ مسروراً بالمطاء .

ولستبعد أن القشيري يفعل ذلك ، فعلى الرغم من إتقانه للغة الفارسية إلا أنه حرص فيما نعرف له من مصنفات أن يكتب بالعربية خالصة .

ويبدو أن النسخة أتيح لها أن تراجع ذات مرة ، فهناك تصحيحات مختلفة في رسم الكتابة موجودة في الهامش في أماكن مقابلة لموضع التصحيح في المتن . ومن أمثلة ذلك ما جاء في الورقة ٣٥٠ أول سورة الإسراء ( وتوحد بعلو قمونه ) تصحح في المراجعة ( وتوحد بعلو نعوته ) .

وفي الورقة ٣٦١ ( لبلاء أو شدة يقالها ) تصحح في الهامش ( لبلاء أو شدة يقاسيها ) .  
وفي الورقة ٣٧٢ جاء في سياق وصف الدنيا ( نعمها مشوقة بنقمتها تصحح في المراجعة ( نعمها مشوبة بنقمها ) .

وقد كنا نحكم الدقة عند الاستفادة من هذه المراجعة لأننا نفترض أنها قد تكون نوعاً من الاجتهاد الشخصي وليست تصويماً على نسخه أفضل .

بقي شيء هام جداً ، وهو توضيح موقفنا من أخطاء الناسخ ، ويمكن أن نقول إننا أخذنا منها ثلاثة مواقف .

( ١ ) موقفاً نجد فيه الخطأ مؤكداً ويتجلى ذلك عند كتابة بعض الآيات الكريمة حيث تسقط كلمة أو حرف أو تزيد كلمة أو حرف ، فنصلح هذا الخطأ .

(ب) موقفاً فيه انطأ شبه مؤكد وعند ذلك نكتب في المتن ما نراه صواباً دون أن نترك الأمر على عواهنه بل نثبت في الهامش ما جاء في النسخة ، موضحين أسباب رفضنا لما كتبه الناسخ حتى نضع أمام القارئ صورة أمينة لما تقوم به من عمل ، وكان المفروض أن نكتب كل ما كتب الناسخ في المتن وأن نصوب ما نراه في الهامش ولكن هذه الأخطاء كثيرة جداً بحيث تعوق القراءة ، ونشقى على الدارس .

(ج) موقفاً فيه خطأ الناسخ محتمل ، وعند ذلك نقل عن الناسخ ما كتب في المتن ، ونشير إلى موقفنا إزاءه في الهامش قائلين (ونرجح كذا ... أو لا نستبعد أنها في الأصل كذا) تاركين الرأي للقارئ والدارس في أن يختارا ما يريانه أقرب إلى الصواب .

أمّا المشتبهات فنضع مكانها قطعاً بين أقواس ونشير إليها في الهامش ، وليس لنا فيها حيلة إلا إذا ظهرت لنا نسخة من الكتاب أكثر وضوحاً .

وإذا تطلب السياق كلمة أو حرفاً ليتأكد ويتضح وضعها من عندنا بين قوسين مشيرين إليها في الهامش .

ونحب ملاحظة أننا لا نقيم أنفسنا في تكلمة أو ترجيح إلا بناء على معرفة بأسلوب القشيري الذي ترجع معاشرتنا له إلى سنوات تزيد على العشر ، كذلك كثيراً ما نرجع إلى مصنفاته الأخرى لنبين رأيه في موضع مناظر ومع كل ذلك فإننا دائماً نضع الأمر بين يدي القارئ لنترك له أن يشاركنا ، وله أن يقتنع بما نقول أو يتقبل ما نقلناه عن الناسخ بهذا فيه حسبما يحلو له ، وله أن يرفض .

ومع أن الهوامش لا تخلو من تعليقات وشروح وتخریجات للحديث الشريف إلا أننا نشعر أنها مقتضبة وغير كافية ، فحرصنا على تزويد الناس بالمتن كان رائدنا الأول في هذه المرحلة ، على أننا نعيد — إن أعاننا الله — أن نتم هذا العمل بشروح أكثر بسطة ، فليس «اللطائف» بأقل حاجة إلى الشروح من «الرسالة» التي حظيت باهتمام الدارسين والباحثين طوال أجيال متعاقبة .

## النسخة المصرية

تبدأ هذه النسخة كما قلنا من قبل بالآية ( إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . . ) حتى نهاية الكتاب ، وترجع أهمية هذه النسخة إلى أنها أولاً أكملت ما ينقص النسخة السوفينية من قصار السور ، كما أنها ساعدت — نظراً لوضوح كتابتها أكثر من زميلتها — على التقليل من المشتبهات ، وتتجلى أهمية ذلك في المجلد الثانى .

ولسنا ندرى شيئاً عن الناسخ الذى اضطلع بها ولا عن تاريخ نسخها نظراً لأنها ناقصة من بدايتها كما أن الناسخ لم يترك شيئاً عنه فى نهايتها ، ونرجح أنها أحدث عهداً من النسخة السابقة اعتماداً على دسم الكتابة وقواعد الإملاء .

## منهج القشيري فى تأليف الكتاب وأهميته

صدر القشيري كتابه بمقدمة مفيدة أوضحت خطته فى تناول الأسلوب القرآنى ، وهذه المقدمة لا تلقى ضوءاً على الكتاب وحده إنما تقف بنا على المقصود بالتفسير الإشارى للقرآن ، وسأله وغايته .

أطلق القشيري على كتابه اسم « لطائف الإشارات » وإذا فالتسمية التى زعمها صاحب كتاب ( تاريخ أدبيات در ايران ) ج ٢ ص ٢٥٧ ط ٣ ثالثة سنة ١٣٣٩ غير صحيحة حيث يقول : « لطائف الإشارات فى حقائق العبارات » .

ومن المقدمة نفهم أن هذا اللون من التفسير يعتمد على استبطان خفايا الألفاظ — مفردة أو مركبة — دون التوقف عند حدود ظواهرها المألوفة ومعانيها القاموسية ، وإنما يُنظر إلى اللفظة القرآنية على أنها ذات جوهر يدق على الفهم العادى ، وأهل التجريد وخدمهم الذين يتاح لهم — بفضل من الله — العلم الذى يكشفون به عن هذا الجوهر .

وهناك رباط وثيق بين هذا العلم وبين العمل ؛ إذ لا يحظى به إلا من جرد قلبه من كل سائجة ، وصفى نفسه من كل كدورة ، ونهى بكل الهمة لهذه المهمة الجليلة : دراسة كلام الحق جل ذكره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وفي ذلك يقول القشيري في مقدمته : « أكرم الأصفياء من عباده بفهم ما أودعه من لطائف أسرارهِ وأنواره لاستبصار ماضيه من دقيق إشاراته وخفي رموزه ، بما لوَّح لأسرارهم من مكنونات ، فوقفوا بما خصوا به من أنوار الغيب على ما استتر عن أغيارهم ، ثم نطقوا على مراتبهم وأقدارهم ، والحق — سبحانه وتعالى — يلهمهم بما به يكرمهم ، فهم به عنه فاطنون ، وعن لطائفه مخبرون ، وإليه يشيرون ، وعنه يفصحون ، والحكم إليه في جميع ما يأتون به وينزون . »

ويتضح — بادي ذي بدء — أن هذا اللون من الدراسة يفترق عن سائر ألوان الفكر الإسلامي في أمور كثيرة ، لعل أهمها عنصر الاصطفاء من قبل الله ، فليس يُمكن لغير من اختصهم الله بفضله أن يخوضوا فيه . فأنت تستطيع أن تكون متكلماً أو فيلسوفاً أو نحوياً أو أديباً إذا توفرت لذلك ، وكان لديك استعداد ملائم ، وخصصته بعنايتك ، أمّا أن تكون مستنبطاً للإشارة من العبارة فهذه خصوصية فريدة لا بد أن يسبقها اجتناء إلهي . كذلك يمكنك أن تكون عالماً في أي فرع من فروع المعرفة دون أن يصحب ذلك عمل ، أمّا أن تقبل على القرآن الكريم لتستشف الجواهر من وراء الظواهر فهذه مسألة ينبغي أن تقترن بجهود مضيئة في تصفية النفس والقلب من كل العلائق ، وتخليتهما عن كل الشواغل الدنية ، وتحليتهما بكل الأوصاف السنية .

وربما كانت هذه الشروط المتصلة بالاجتناء المسبوق ، والعمل المقترن بالعلم من أسباب ندرة ما وصلنا من هذا اللون من التفسير ، كما أنها قد تكون أسباب خروج بعض ما يحشر في نطاقه — زوراً أو خطأ — عن التفسير الإشاري السديد .

فرق آخر يفرق هذا اللون من التفسير عن غيره أنه لا يعتمد اعتماداً كلياً أو مسرفاً على العقل ، إنما هو يعني بالأمور العقلية بالقدر الذي يُعني به الصوفية بالعقل ، ونعني به أن الذهن آلة لتصحيح الإيمان في مراحل البداية ، أمّا فيما فوق ذلك وفيما هو حيث الخطو نحو المعارف العليا فهناك ملكات أخرى يناط بها حمل هذا العبء ، وهي في مذهب القشيري تتدرج صعوداً من القلب إلى الروح إلى السر ثم إلى السر أو عين السر . معنى هذا أن استنباط الإشارات اللطيفة من النص القرآني ليس عملية عقلية صرفة إلا في الحدود التي تضمن عدم

افتيات الإشارة على العبارة ، فلا تخرج بها عن مألوف ما ينسجم مع الأسلوب العربي سواء من حيث اللغة أو النحو أو الاشتقاق أو الفنون الأدبية ، ولا تخرج بها عن الدلالات التي توافق أسباب النزول والأخبار الموثوقة وعلوم الحديث والأصول والفقه ، فكأن الإشارة ليست انبعاثاً تلقائياً محضاً ولكنها مقيدة — منذ البداية — بالكثير من العلوم العقلية والنقلية فما أشبه موقف اللفظة القرآنية في هذا المجال بموقف من يتبها لارتداد الطريق الصوفي فكلاهما يتعزى عن ظاهره ، وكلاهما يخضع لما تتطلبه المعارف العقلية والنقلية من شرائط البداية ، وكلاهما يصبح صافياً رائقاً يشف درجة بعد درجة كلما زاد الصعود وارتقى القصور . . فاللفظة القرآنية فيها حياة وفيها نمو ، وفيها عوالم مضيئة متألفة تشبه تلك العوالم التي يتدرج فيها العابد الزاهد المريد العارف المحب .

قد يقال وأى فرق إذاً بين التفسير الإشاري وغيره من التفاسير مادام يعنى بالأمور العقلية والنقلية ؟ والجواب على ذلك أنه لا يعنى بهذه الأمور لذاتها ، ولا يوقف نفسه داخل أسوارها ، ولا يقطع العمر في حزازاتها وخلافاتها ، إنما هي وسيلة في الابتداء يلجأ إليها المفسر بمقدار ما يسعفه حظه منها لكي يفيض الأغلفة الظاهرية . وهذه العناية إن التزمت بذلك صارت وسيلة من وسائل إقناعنا بأن التفسير الإشاري ليس عشوائياً يخب فيه كل من هب ودب ولكنه خاضع لنواميس وقواعد .

ونستطيع بعد ذلك أن نميز بين تفسير القشيري في « لطائفه » وبين أولئك الذين تنسب تفاسيرهم إلى التصوف وأهله ، أولئك الذين أسرفوا حين حملوا النص القرآني فوق ما يحتمل ، وبدلاً من أن يخضعوا للنص القرآني أخضعوا النص القرآني لنصرة مذاهبهم ، وساروا في الدروب العقلية حتى جمحوا ، وابتعدوا عن الخط الأصيل حتى صارت تفاسيرهم جديرة بالدرس في مجالس الفلسفة والكلام لا في مجالس الرياضات والمجاهدات والأحوال . أمّا عند القشيري فليس هناك مذهب عقلي خبيء ، ولا عقيدة باطنية مستورة ، كل ما عنده من قصد أن يتم لقاء كامل بين الشريعة والحقيقة في ظلال كلمات الله — جل ذكره ، لأنه إذا لم يتم هذا اللقاء في كنف كلام الله فأين يمكن أن يتم ؟

وهنا تلتقي هذه المحاولة التي بذلها في « اللطائف » مع المحاولة التي بذلها في « الرسالة »



فهو منذ الصفحة الأولى في « رسالته » يحاول أن يُعرِّف بأن عقيدة الشيوخ « الذين بهم اقتداء » عقيدة سليمة لا تخرج في قليل أو كثير عن عقيدة التوحيد الرائقة الصافية ، ثم يسير في تراجم الشيوخ ليختار لك من أقوالهم وأخبارهم وأفعالهم ما يؤيد ذلك ، ثم ييؤب رسالته إلى التوبة والزهد والتوكل والرضا والمحبة . . . الخ . ولا ينثنى عند استفتاح كل باب عن ذكر آيات من كتاب الله الكريم بعدها أحاديث وأخبار عن الرسول صلوات الله عليه . . لماذا كل ذلك ؟ لكي يثبت أن هناك لقاء بين الشريعة والحقيقة ، وأنهما وجهان لشيء واحد . . تلك هي الغاية القصوى التي يطمح إليها هذا الإمام الجليل ، والتي من أجلها نذر عمره ، وخصص جهده ، ولم يرضن عليها بشيء في استنطاعته ، ولم يفارقه الطموح إليها في مصنف من مصنفاته . . . وما أعظمها وما أشرفها من غاية !

فإذا كنّا أخرجنا من نطاق التفسير الإشاري هذه التفاسير المنسوبة لبعض المنتسبين للتصوف فأولى أن نخرج من هذه التأويلات الاعتزالية والشيوعية والبدعية والإلحادية وغيرها مما تعتمد في مباحثها على أن القرآن ظاهراً وباطناً ، ذلك لأن قضية الظاهر والباطن استغلت استفلالاً سيئاً لخدمة الكثير من العقائد الهدامة ، وارتكبت في حق الظاهر القرآني جرائم خطيرة حين أريد له أن يؤول لنصرة الأغراض المريضة والدعوات الجامحة ، وفي ذلك يقول التفنازاني في شرح العقائد النسفية : « سميت للملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معاني باطنة لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية » ، ويستدرك التفنازاني قائلاً : « وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان » ( شرح العقائد النسفية ط الحلبي سنة ١٣٢٢ هـ ) .

والذي نحمده للقشيري وينبغي أن نشيد به في هذا التقديم أنه حرص أشد الحرص على النص القرآني ، وأنه التزم بالنظر إليه نظرة اعتبار وتقديس ، وكان عمله أشبه بمن يقبس قطرات من الضوء من مشكاة كبيرة ينير بها الطريق أمام الزهاد والعارفين ، دون أن يتورط في تمسف أو يتزلق في درب من دروب الشطط ، والسبب الهام الذي يعود إليه هذا المنهج



أنه سني\* حريص على سنننه بقدر ما هو صوفي حريص على صوفيته ، فكان عليه أن يرضى  
أوساط أهل السنة في الوقت الذي كان عليه أن ينفع الصوفية ، وأن يوضح لكلا الطرفين  
أن الأصول والفروع في الحالين مستمدة من كتاب الله الكريم .

ولقد أعان القشيري في عمله أنه صنف قبل « اللطائف » كتاباً كاملاً في تفسير القرآن  
على نحو تقليدي هو « التيسير في التفسير » — الذي حصلنا على ميسورة للجزء الخامس منه  
من أكاديمية العلوم السوفيتية — ونجده في « التيسير » يعنى أشد العناية باللغة والاشتقاق  
والنحو وأسباب النزول والأخبار والقصص . وقد صنفه قبل أن يلتقى بشيخه الدقاق أى قبل  
أن يسلك المسلك الصوفي ، فأعانه ذلك على أن يفقه العبارة من معظم زواياها المتصلة بالظاهر ،  
حتى إذا بدأ يكتب « اللطائف » كان طريقه إلى الإشارة وإلى فقه الباطن ممهداً ،  
ومناله ميسوراً ، وآفاقه مفتحة .

\* \* \*

سار القشيري في « اللطائف » على خطة واضحة محددة التزم بها من أول الكتاب  
إلى آخره ، فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة ، وأحياناً حرفاً حرفاً ، والبسملة تتكرر بلفظها  
في مفتتح كل سورة ، ومع ذلك فإننا نجد أنه يلجأ إلى تفسير كل بسملة على نحو ملفت للنظر ؛  
إذ هي تختلف وتتنوع ولا تكاد تتشابه ، ويزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة  
يتماشى مع السياق العام للسورة كلها ، فالله والرحمن والرحيم لها دلالات خاصة في سورة  
القارعة ، ولها دلالات أخرى في سورة النساء ولها دلالات خاصة في الأنفال وهكذا . . .

ولستنتج من ذلك عدة نتائج :

أولاً : أنه يعتبر البسملة قرآناً ؛ وليست كما يقول البعض — شيئاً يُستفتح به للتبرك ،  
شأن ما نصنع في بداية أقوالنا وأفعالنا ( انظر « المعنى » للقاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ  
ج ١١ ط وزارة الثقافة ( تراثنا ) ص ١٦١ ) .

ثانياً : أنه ما دام يعتبر البسملة قرآناً ، وما دام يجد لها مقاصد متجددة ، فكأنه  
لا يؤمن بفكرة التكرار في القرآن ، وفي ذلك يقول في الورقة الثالثة من

اللطائف : « فلما أعاد الله - سبحانه وتعالى - هذه الآية - أعنى بسم الله الرحمن الرحيم - في كل سورة ، وثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكررة وإشارات غير معادة » .

ثالثاً : أن لدى القشيري قدرة غير عادية ونفساً طويلاً عند استبطان الظاهر ، لأننا نجد أمام أربع كلمات تتكرر بلفظها ومعناها من بداية القرآن إلى نهايته ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه سار على هذه السنته في « التيسير » ازداد إعجابنا به وعجبنا له .

ومن الخير أن نضرب هنا مثلين لما صنع في بسملة « اللطائف » لنستوضح مقاصده من هذا الاتجاه .

يقول في بسملة سورة « الحجر » : « سقطت ألف الوصل من كتابة بسم الله وليس لإسقاطها علة ، وزيد في شكل الباء من بسم الله وليس لزيادتها علة ، ليعلم أن الإثبات والإسقاط بلا علة ؛ فلا يقبل من قبل لاستحقاق علة ، ولا رد من رد لاستيجاب ( = لاستحقاق ) علة . فإن قيل العلة في إسقاط الألف من بسم الله كثرة الاستعمال في كتابتها أشكل بأن الباء في بسم الله زيد في كتابتها وكثرة الاستعمال موجودة . فإن قيل العلة في زيادة شكل الباء بركة أفضالها بسم الله أشكل بحذف ألف الوصل لأن الاتصال فيها موجود . فلم يبق إلا أن الإثبات والنفي ليس لهما علة ؛ يرفع من يشاء ويمنع من يشاء » .

ويتضح من هذا أن استنباط الإشارة ليس — كما قلنا من قبل — مسألة عشوائية إنما هو خاضع لقواعد وأصول ، وإلى تفنيد لمختلف الآراء ، ومحاولة للإقناع .

وليس هذا فقط . . بل إنك لو تعمقت داخل السورة لأدهشك — كما أدهشني — أن هناك صلة وثيقة محكمة بين هذا الذي فسرت به البسملة وبين كلام في داخل السورة عن رفع الخلق بلا علة ، وخفضهم بلا علة ، وذلك كما ورد في قصة خلق آدم ، وكيف أن الملائكة ( كانوا في حال سترهم لأنهم نظروا إلى القوالب مع أن الاعتبار بالمعاني التي يودعها ، فالملائكة استصغروا قدر آدم وحاله وتمعّبوا من الأمر لم بالسجود فكشف لهم شظية مما اختصه فسجدوا للأمر وكذا حال من ادّعى الخيرية ) أما إبليس فلم يفتن للمشيئة الإلهية

العليا ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون ( بعدما لاحت لهم المعرفة ) وبقي هو على عناده متأبياً  
أن يسجد لبشر مخلوق من صلصال من حمأ مسنون ( لأنه لا يعرف أن مشيئة الله تجري  
على غير علة ) .

وفي سورة براءة — التي نعرف أنها السورة الفريدة في القرآن الكريم التي تبدأ بدون  
بِسْمِ اللَّهِ — يستوقف نظر القشيري غلا يتركه كي يمر دون استنباط إشارة ، اسنم إليه  
يقول : « الحق — سبحانه — جرّد هذه السورة عن ذكر البسمة لِيُعْلَمَ أَنَّهُ يَخْصُ مِنْ يَشَاءُ  
وما يشاء بما يشاء ، ويفرد من يشاء بما يشاء ، لا لِصُنْعِهِ سبب ، ولا في أفعاله غرض  
ولا أَرَب . ومن قال إنه لم يذكرها لأن السورة مفتوحة بالبراءة عن الكفار فهو — وإن كان  
وجهاً في الإشارة — إلا أنه ضعيف ، وفي التحقيق كالبعيد ، لأنه افتتح سوراً من القرآن  
بذكر الكفار مثل قوله : « الذين كفروا . . » ومثل قوله « ويل لكل همزة لمزة »  
وقوله : « تبت يدا أبي لهب وتب » وقوله : « قل يا أيها الكافرون . . . » فهذه كلها مفاع  
السور ، والبسمة مثبتة في أوائلها ، وهي متضمنة ذكر الكفار .

وقد يقال إنها تضمنت ذكر الكفار دون ذكر صريح للبراءة ، وإن تضمنته تلويحاً  
وهذه البراءة هنا في ذكر البراءة من الكفار قطعاً فلم تصدر بذلك الرحمة ، وإذا كان تجرد  
السورة عن هذه الآية يشير إلى أنها لذكر الفراق فبالحرى أن يخشى أن تجرد الصلاة عنها  
يمنع كمال الوصلة والاستحقاق .

... .. وبعد أن ينتهي القشيري من بسط مذهبه في كل بسمة على هذا النحو الطريف  
للمنع يبدأ في تفسير السورة آية آية ، ولم يتخلّ عن آية إلا في مواضع نادرة ، بل ربما تكون  
الآية طويلة نسبياً ومع ذلك لا يتركها دون إشارة حتى ولو كانت سريعة مقتضبة « على سبيل  
الإقلال خشية الملل » كما يقول في مقدمته .

ولا بد أن القارى يتوقع أن تسوق إليه موقف القشيري من الحروف المقطعة التي تلي  
البسمة في عديد من السور نظراً لما دار حول هذه الحروف من جدل كثير ، ونظراً لأنها  
لبعدها عن مألوف الكلام العادى أقرب ما تكون إلى الرموز وبمعنى آخر أقرب ما تكون  
إلى الإشارات أى أدخل في عمل القشيري في « لطائف الإشارات » . وربما كان أفضل

ما ورد هنا قول القشيري في (الم) التي افتتحت بها سورة البقرة لأنها كانت أول حروف مقطعة يقابلها أثناء عمله . يقول : « هذه الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله عند قوم . ولكل كتاب سر ، وسرُّ الله في القرآن هذه الحروف للمقطعة . وعند قوم أنها مفاتيح أسمائه ؛ فالألف من اسم « الله » واللام يدل على اسم « اللطيف » ، والميم يدل على اسم « المجيد » و « الملك » .

وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه ، وقيل إنها أسماء السور ، وقيل الألف تدل على اسم « الله » واللام على اسم « جبريل » والميم تدل على اسم « محمد » صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد (ص) . والألف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط ، وسائر الحروف يتصل بها إلا أحرف بسيرة ، فلينتبه العبد عند تأمل هذه الصفة لاحتياج الخلق بجملتهم إليه واستغناؤه عن الجميع .

ويقال (١) يتذكر العبد المخلص من حالة الألف تقدُّس الحق — سبحانه وتعالى — عن التخصص ؛ ذلك أن سائر الحروف لها محل من الخلق والشفة واللسان إلى غيرها من الخارج ، غير الألف فإنها هويته لا تضاف إلى محل .

ويقال الإشارة منها إلى أفراد العبد لله سبحانه ؛ فيكون كالألف لا يتصل بحرف ، ولا يزول عن حالة الاستقامة والانتصاب بين يديه .

ويقال يطالب العبد في سره عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى الله تعالى ، وعند مخاطبته باللام بدين الجانب ، وعند سماع الميم بموافقة أمره فيها يكلفه . وقد اختص كل حرف بصفة مخصوصة ، وانفردت الألف باستواء القامة والتميز عن الاتصال بشيء من أضرابها من الحروف فجعل لها صدر الكتاب إشارة إلى أن من تجرَّد عن الاتصال بالأمثال والأشغال حظى بالمرتبة العليا ، وفاز بالدرجة القصوى ، وصلَّحَ للتخاطب بالحروف المنفردة التي هي غير

---

(١) عندما يقول القشيري « ويقال ... » فليس معنى ذلك دائماً أن يورد بعدئذ رأياً لغيره فربما — وهذا هو الغالب — أنه يقصد إلى توضيح وجهة نظره من زوايا مختلفة .

مركبة على سُنَّةِ الأحباب في ستر الحال ، وإخفاء الأمر على الأجنبي من هذه القصة ،  
قال شاعرهم :

قلت لها قفى قالت قاف

ولم يقل وقفتُ سترًا عن الرقيب ، ومراعاةً لقلب الحبيب ، وهكذا تكثر العبارات  
للمعصوم ، والرموز والإشارات للخصوص ؛ أشجع موسى كلامه في ألف موطن ، وقال نبينا  
صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم فاختُصِرَ لي الكلام اختصاراً » وقال بعضهم :  
قال لي مولاي ما هذا الدنف قلتُ نهواني قال : لام ألف

... .. ويمضى القشيري بعد ذلك فيستخرج للصوفية إشارات ثمينة مما يصادفه في الآية  
من حكم تشريعي يتصل بالقتال والغنيمة والأسر والكيل والليزان والدين والشهادة ونحو ذلك  
أو كلام في العبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة أو ما يعود بالآية إلى أسباب زولها  
والأخبار والقصص التي رويت من حولها ، أو ما تحتوى من مظاهر قدرة المولى - جل وعلا -  
في خلق الإنسان والكون .

وينبني ألا تنتظر من القشيري إسهاباً في الأحكام الفقهية والقواعد التعبدية والأسانيد  
ونحو ذلك فما لهذا ألف كتابه ، ولا يصح للقارى أن يتوقع منه ذلك فهناك تفاسير مخصوصة  
وضعت للوفاء بهذه الأمور ، إنما قصد القشيري إلى استمداد شيء نافع للصوفية يتدعم به رأى  
من آرائهم أو عمل من أعمالهم ، فهذا هو مقصوده ، وتلك مراميه ، ونحن من أجل ذلك نقول  
بلا تحفظ إن « لطائف الإشارات » يمثل تمثيلاً صادقاً مذهب القشيري في النصوص أكثر مما  
تمثله « الرسالة » فهو يغنى عنها وهي لا تغنى عنه .

وعلينا الآن أن نسوق أمثلة قليلة توضح موقف القشيري في تلك الأمور حتى يعرف  
القارى منذ البداية أى نوع من التفسير ذلك الذى نضعه بين يديه . ففيما يختص بالأحكام  
التشريعية نراه مثلاً عند الآية الكريمة « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » يقول :  
الغنيمة ما يحصل عليه المؤمنون من أموال الكفار إذا ظفروا عند الجهاد والقتال . ولما كان  
الجهاد قسمين : جهاد الظاهر مع الكفار وجهاد الباطن مع النفس والشیطان ، وكما أن للجهاد



الأصغر غنيمة عند الظفر كذلك للجهاد الأكبر غنيمة وهو أن يملك نفسه التي كانت في يد عدوّه: الهوى والشيطان ، وبعد أن كانت ظواهره مفرّجاً للأعمال الذميمة وباطنه مُستقرّاً للأحوال الدنيئة يصير محلّ الهوى مسكن الرضا ، ومقرّ الشهوات والمنى محلاً لما يرد عليه من مطالبات المولى ، وتصير النفسُ مستلبة من إصرار الشهوات ، والقلبُ مختطفاً من وصف الغفلات ، والروح منزوعة من أيدي العلاقات ، والسرُّ مصوناً من الملاحظات . وكما أن من جملة الغنيمة سهم الله والرسول وهو الخمس فما هو غنيمة — على لسان الإشارة — سهم خالص لله وهو مالا يكون للعبد فيه نصيب لا من كرائم العقبي ولا من ثمرات التقريب ولا من خصائص الإقبال ، فيكون العبد عند ذلك محرراً عن رقّ كل نصيب ، خالصاً لله بالله ، يمحو ما سوى الله .

ونلفت نظر القارىء إلى ما ورد في هذا النص من ترتيب الملكات الباطنة للإنسان من أسفل إلى أعلى ، وهى : النفس ثم القلب ثم الروح ثم السر ، ولكل منها وظيفة ولكل وظيفة غاية ، كما أن لكل منها آفات ولكن لكل علاج . . . والكلام في ذلك كله موزع في الكتاب حسب السياق الذى توحى به آيات الكتاب الكريم . والقشيري مشكور أعظم الشكر حين التزم بهذا الترتيب ، ولم يتخلّ عنه لا في اللطائف وحده بل في كل ما بين أيدينا من مصنفاته ، حتى صار له مذهب واضح السمات بارز القسمات في المراجح الروحية ، وتفصيل ذلك موضح في كتابنا عن « مذهب في التصوف » الذى هو القسم الأول من بحثنا للدكتوراه .

وبطابق القشيري بين ما يحدث من نسخ لبعض الأحكام وبين ما يحدث من نسخ في السلوك الصوفي حيث يقول عند قوله تعالى : « يأيتها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل . . . » « حكم هذه الآية كان ثابتاً في الشرع ، ولكنه نسخ بعده . والنسخ هو الإزالة ، ومعنى النسخ في سلوك المريدين أنهم في الابتداء فرضهم القيام بالظاهر من حيث المجاهدات ، فإذا لاح لهم من أحوال القلوب شيء آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب فتسقط عنهم أوراد الظاهر . »

أما فيما يختص بالعبادات فإننا نلاحظ أن القشيري يفتنم كل فرصة كي يوضح ضرورة التزام العبد بأدائها مهما أوغل في الفناء عن نفسه ، فليس ثمة عذر لسقوطها عنه أو إعفائه

منها ، كذلك نراه يهتم اهتماماً ملحوظاً بالحث على التغلغل في بواطنها ، ومعرفة جواهرها ، فهي ليست رسوماً ظاهرية يؤديها البدن وحسب ولكنها ذات مقاصد بعيدة .

فامتقبال القبلة عند الصلاة له عند القشيري إشارة : ( لتكن القبلة مقصود نفسك ، وسبحانه مقصود مشهود قلبك ؛ لا تعلق قلبك بأحجار وآثار ، وأفرّد قلبك لي ) وعند قوله تعالى « وآتموا الحج والعمرة لله » يقول : « إتمام الحج على لسان العلم القيام بأركانه وسننه وهيئته ، وإراقة الدماء التي تجب فيه ، وعلى لسان أهل الإشارة الحج هو القصد ، فقصد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق ، فالأول حج العوام والثاني حج الخواص ، وكما أن الذي يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسمى ثم يخلق ، فكذلك من يحج بقلبه فأحرامه بعقد صحيح على قصد صحيح ، ثم يتجرد عن لباس مخالفاته وشهواته ثم باشتماله بثوب صبره وقره ، وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى وإطلاق خواطر المني ، وما في هذا المعنى ، ثم الحاج أشعث أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع والتلبية ، وأفضل الحج الشجّ والعجّ ؛ فالشج صب الدم والعج رفع الصوت بالتلبية فكذلك سفك دم النفس بسكاكين مخالفتها ، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاثة وحسن الالتجاء والوقوف بساحات القربة باسكمال أوصاف الهيبة . وموقف النفوس عرفات وموقف القلوب الأسامي والصفات ( = أسماء الله الحسنى وصفاته ) ، وطواف القلوب حول مشاهد العز ، والسعي بالأسرار بين صفي كشف الجلال ولطف الجمال ، ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيار والمني والمعارضات بكل وجه . »

ونسبع القشيري عند : « كتب عليكم الصيام . . . » يقول : « الصوم على ضربين : صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية ، وصوم باطن وهو صون القلب عن الآفات ، ثم صون الروح عن المساكنات ، ثم صون السر عن الملاحظات . . . »

ونهاية الصوم إذا هجم الليل ، ولكن من أمسك عن الأغيار فصومه نهايته أن يشهد الحق . والصوم لرؤية الهلال والإفطار لرؤيته كما يقول عليه السلام فالرؤية عائدة على الهلال ، وعند أهل التحقيق فالرؤية عائدة إلى الحق ؛ فصومهم لله حتى شهودهم ، وفطرهم لله ، وإقبالهم على الله ، والغالب عليهم الله . »



هذا عن العبادات أما عن أسباب النزول فينظر إليها القشيري كما ينظر إلى مورد المثل ومضربه ، فالآية « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » يقول عندها القشيري : « نزلت حين أمر الله رسوله بقطع بعضها فقالت اليهود : أى فائدة فى هذا ؟ أمّن الصلاح قطع النخل وعقر الشجر ؟

فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم ، فأنزل الله تعالى الآية ، وأن ذلك بإذن الله ، وانقطع الكلام ؛ وفى هذا دليل على أن الشريعة غير مُعلّلة ، وأنه إذا جاء الأمر الشرعى بطل طلب التعليل ، وسكنت الألسنة عن المطالبة : يلم ؟ وهكذا من قال لأستاذه وشيخه : لِمَ ؟ لم يفلح ، وكل مريد يكون لأمثال هذه الخواطر فى قلبه جوكأن لا يجىء منه شيء ، ومن لم يتجرد قلبه عن طلب الاعلال ولم يباشر حسن الرضا لكل ما يجرى ، واستحسان ما يبدو من الغيب من الله — بسرّه وقلبه — فليس من الله فى شيء .

وفى قوله تعالى : « إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة » يقول : « نزلت هذه الآية فى أهل رجل من اليمن ترك لهم بنة ممترة ، وكان يتصدق منها للمساكين ، فلما ورثه أهله قالوا : لن نفعل فعله ، وأقسموا ألا يعطوا شيئاً ، فأهلك الله جنّتهم . وندموا وتابوا » وهذه حال من له بداية حسنة ، ويجد التوفيق على التوالى ، ويجنب المعاصى ، فيعوضه الله فى الوقت نشاطاً ، وتلوح فى باطنه أحوال فإذا بدّر منه سوء دعوى ، وترك أدباً من آداب الخدمة تنسّد عليه تلك الأحوال ، ويقع فى فترة ، فإذا حصل منه بالعبادات والفرائض إخلال انقلب حاله ، ورُدّ عن الوصال إلى البعاد ، ومن الاقتراب إلى الاغتراب عن الباب ، وصارت صفوته قسوة ، فإن كان له بعد ذلك توبة على ماسلف ، وندامة على ما فات من أمره ، فقلما يصل إلى حاله ، ولكن لا يبعد أن ينظر إليه الحق بأفضاله ، فيقبله بعد ذلك ، رعاية لما سلف منه فى البداية من أحواله ، فإن الله تعالى رءوف بعباده .

من مظاهر القدرة الإلهية فى الكون والحياة والإنسان لا ينبى عن القشيري أن يستمد إشارات مناسبة يوجهها نحو الموضوعات الصوفية فيقول مثلاً عند « ألم تخلقكم من ماء مهين » : « مهين أى حقير ذكّرهم أصل خلقتهم لتلا يعجبوا بأحوالهم ، فإنه لا جنس من المخلوقات والمخلوقين أشد دعوى من بنى آدم ، ومن الواجب أن يتفكر الإنسان فى أصله ،

كان نقطة وفي انتهائه إلى جيفة ، وفي وسائط حاله كنيف في قيص ، فبالحرى ألا يدل ولا يفخر . . . ثم صورته فأحسن صورته ؛ فهو قادر على أن يرقيك من الأحوال الخسيسة إلى المنازل الشريفة النفيسة .

والإنسان أفضل من الجان لأن الجان من نار ، والنار بالماء تنطفئ وتصبح رماداً ولا يجيء منها شيء . أمّا الطين ( الإنسان ) فإذا انكسر عاد به الماء إلى ما كان عليه ، ولذلك العدو ( إبليس ) انطلقاً ما كان يلوح عليه من سراج الطاعة ، ولكن آدم عليه السلام لما اغترّ بجبرته ماء العناية فقال تعالى : ثم اجتباه ربه .

« خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى » يحبهم ويحبونه « خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى » رضى الله عنهم ورضوا عنه « خلق الإنسان من طين ولكنه يقول » اذكروني اذكركم « خلق الإنسان من طين ولكن :

فكم أبصرت من حُسنٍ ولكن عليك من الورى وقع اختيارى

\* \* \*

وبعد . . . فهذه أمثلة سريعة أردنا أن تقدمها للتدليل على المواقف التي يتخذها القشيري في ظلال القرآن من زوايا مختلفة وفي ظروف متنوعة ، ومن مجموع هذه المواقف يتحصل مذهب في التصوف فضلاً عن مذهبه في الكلام ، وهنا تجدر الإشارة إلى أنه حاول أن يحل بطريق العلم الصوفي ما عجز المتكلمون عن حله ، فحين حلَّ القلب محلَّ العقل ليصعد ويقصد نحو الملائ الأعلى، وأصبح الحقُّ مناط الأمل لم يعد هناك معنى لأى حديث في الجبر والاختيار والحسن والقبيح والثواب والعقاب — على النحو الذى اشتجر من حوله الخلاف بين المتكلمين . الله — في عرف هذا الصوفي وفي عرف الصوفية الخُلُص — مشهود ومحبوب لا معبود فقط ، وكلُّ كلام عن جبر الحب وعذاب الحب يسمُج ويسخف ، وهل هناك أجل من أن يتعذب الإنسان في حبه حتى يهلك ؟ ألا ما أروعها من غاية ! وما أجدر من أن يضيع العمر بين فقد ووجد ! وما أعظم أن يكون الحقُّ خلفاً لك عن كل حطام الدنيا وأن تكون مشاهدته بديلاً لك عن كل نعيم الجنان !

\* \* \*

بقيت مسألة هامة لا أحب أن أنهى هذا التقديم دون أن أوضحها ، وهى قيمة هذا الكتاب من الناحية الأدبية .

والواقع أن المسألة أكثر شمولاً وأوسع أبعاداً من أن تنصرف إلى « لطائف الإشارات » وحده أو حتى إلى أعمال القشيري كلها ، إنها تنصل بقضية أعظم هى الطريقة التى يؤخذ بها الإنتاج الصوفى عموماً ، فما زلنا حتى الآن نكتفى بدراسة الأعمال الصوفية ضمن الدراسات الفلسفية والعقلية ، فالنصوف فى جامعاتنا يدرس فى أقسام الفلسفة بينما لا يدرس فى أقسام اللغة العربية وآدابها ، وإذا حدث شئ من ذلك فهو ينتقل إليها بطريق أساتذة الفلسفة .

ولانى لأسأله : إلى متى يظل الحال هكذا ؟ إن الوضع مقلوب ، فالمشتغلون بالأدب أولى باحتضان التصوف ، لأن الإنتاج الصوفى — فى كثير من الأحوال — درر من المنظوم والمنثور ، والصوفية أنفسهم قوم يصرحون أن مذهبهم لا يعنى بالعقل إلا فى مراحل البداية من أجل تصحيح الإيمان ، أما طريقهم بعد ذلك فوثيق الصلة بالقلب والوجدان ، فهم بذلك يقتربون من أهل الفن وينأون عن أهل العقل ، هم فى حاجة إلى من يتذوق أقوالهم أكثر مما هم فى حاجة إلى من يتفكر فيها ، وتجربتهم فى الفناء تدنو من تجربة الإلهام فى الفن ، ومصطلحاتهم التى وضعوها لأنفسهم تم عن بصر نافذ فى الأسلوب العربى والاشتقاق ، وهكذا يفرض الإنتاج الصوفى نفسه على الدراسات الأدبية ، بينما المشتغلون بهذه الدراسات لا يكادون يحركون ساكناً .

وليس بمقول أن أقنع القارىء بمجدى دراسة « اللطائف » من الناحية الأدبية بواسطة هذه السطور القليلة ، فهذا له مكان آخر ، إنما قصدت لأثير قضية عامة قد يؤدى الأخذ بها إلى تصحيح كثير من المقاييس التى تتصل بالنصوف والأدب على حد سواء .

وفى تقديرنا أن منهج القشيري فى استخراج الإشارة من العبارة منهج أدبى ، لأنه يعتمد على تذوق اللفظة — مفردة ومركبة — تذوقاً ينبى على أصول من اللغة والاشتقاق والإعراب والبلاغة ، ثم إن التعبير الذى يفصح به القشيري تعبير أدبى له خصائص الأسلوب الأدبى والصياغة الفنية ، ومعنى هذا أنه نظر للقرآن بمنظار أدبى وعبر عن نظره بطريقة أدبية ، وليس أدخل فى التفسير الأدبى من منهج كهذا ، حيث استكمل ناحيتين : أدب المفسر وأدب للمفسر .

حقاً إن القرآن كتاب دين وهداية وتشريع وعلم وغير ذلك مما يمكن أن نحتاج إليه للتقاصد الإنسانية تلمس فيه زاداً ينمي المعارف ، ويثري العلوم ، ويفتح مغاليق الأمور . ولكنه قبل كل ذلك معجزة فنية بهرت سامعيها أول ما بهرتهم بالبيان ، والنظم ، والقول ، فوجدوا لذلك حلاوة ، وعليه طلاوة ، وهم أهل لسان وفصاحة ، فنحن نعلم أن المعجزة تكون من جنس معجزات المخاطبين ولسكنها من حيث الدرجة أعلى قدراً وأصعب دركاً وأعز مثلاً .

نخرج من هذا إلى أن دراسة إعجاز القرآن إن أغفلت تفسيراً كاللطائف — راعى فيه صاحبه أدب المفسر وأدب المفسر — إنما تنقل عن رافد غنى من روافد الدراسات القرآنية . ويمكن أن نضرب أمثلة سريعة توضح طريقة القشيري عندما ينصدي لبعض الجوانب في الأسلوب القرآني .

فمن اللفظة المفردة تنبعث إيماءات جميلة مؤثرة تزيد للمعنى قوة وتأكيذاً ؛ كأن يقول عند قوله تعالى : « بل هم في شك يلعبون » : اللعب فعل يجري على غير ترتيب ، تشبيهاً باللعب الذي يسيل لا على نظام مخصوص ، فوصف المنافق باللعب تصويراً لتردده وتغيره وشكه في عقيدته .

والتسبيح عنده مرتبط « بالسباحة في بحار التوحيد بلا شاطئ » ، فبعدما حصلوا فيها فلا خروج ولا براح فحازت أيديهم جواهر التفريد ، نظموها في عقود الإيمان ورصعوها في أطواق الوصلة .

والفجر « انفجار الصبح كما يتفجر الماء من الصخر » .

ومن القصة تنبعث إيماءات ممتعة ؛ فريم حين خطبت « وهزى إليك بجذع النخلة » : كان ذلك الجذع اليابساً أخرج الله سبحانه في الوقت الرطب الجنى ، وكان ذلك آية ودلالة على أن الذي قدر على فعل هذا قادر على خلق عيسى عليه السلام من غير أب ، وقد أمرت بهز النخلة اليابسة حينما جاءت علاقة الولد بعد أن كانت لا تتكلف السعى إذ كان زكريا يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقا ، أمرت بهز النخلة وهي في أضعف حالها زمان قرب عهدها ؛ بوضع الولد ليعلم أن العلاقة توجب المشقة والعناء ، أمرت بهز النخلة اليابسة وأمكنها ذلك وهي في حال ضعفها وفي ذلك أوضح دلالة على صدقها ... .

وإذا ضرب القرآن مثلاً بالكلب أو الذبابة أو البعوضة أو التي تقضت غزلها من بعد قوة ، فإن هذا التصوير القرآني الأخاذ له على وجاهان القشيري الأديب وقع مؤثر ، يقول مثلاً ( . . . . ) وضرب المثل بالبعوضة لأنها إذا جاعت فرت وطار ، وإذا شبعت تشقت وتلفت ، كذلك الإنسان ليطغى أن رآه استغنى . « وما فوقها » أي الذباب ، وجهة الإشارة في أن للذباب وقاحة حيث يعود عند البلاغ في الذب ، والله سبحانه خلق القوة في الأسد ولكنه خلق فيه النفود من الناس ، وخلق الضعف في الذباب ، ولكنه خلق فيه الوقاحة ، وتلك حكمة الله ) .

والمظاهر الكونية في القرآن مصادر إشارات لا تنتهى وهى من أقوى الوسائل التى استغلها القشيري لتوضيح حقائق العلم الصوفي فالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والجبال والبحار ، والسحب والأمطار . . . . كلها توحى بعمان كثيرة لتوضيح الفروق الدقيقة بين الطوابع والوابع واللوائح ، وعلم اليقين وحق اليقين ، وعلوم الإنسان العقلية والمعارف الدنية . . . . إلى آخره .

يقول عند « كلا والقمر » : أثمار العلوم إذا أخذ هلالها في الزيادة بزيادة البراهين فإنها تزداد حتى إذا صارت إلى حد التمام وبلغت الغاية تبدو أعلام المعرفة ، ثم تأخذ علوم البراهين في النقصان حين تطلع شمس المعرفة ، وكما أن القمر كلما قرب من الشمس يزداد نقصانه حتى يصير محاقاً كذلك إذا ظهر سلطان المرفان تأخذ أثمار العلوم في النقصان بزيادة المعارف كالسراج في ضوء الشمس ) .

وتوقف القشيري طويلاً عند المواقف النفسية وعند الاستدلالات الوجدانية في الأسلوب القرآني فكشف الكثير من أسرار الإعجاز القرآني كما أبان عن عبقريته في التذوق الفني ، وليس ذلك غريباً بالنسبة لصوفي ذي بصيرة كاشفة ، وشاعر له حس دقيق مرهف ، وباحث متعمق في أغوار النفس البشرية ، وأديب يحسن التعبير عما يذوق ويمجد .

نفعا الله بعلمه وبركته ما

دكتور إبراهيم بسيوني

نرمز للنسخة السوفيتية المصورة بالحرف (ص)  
ونرمز للنسخة المصرية بالحرف (م)  
ونرمز للرسالة القشيرية ط الحلبي سنة ١٩٥٩ (بالرسالة)



[illegible]

۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰  
 ۲۰۱  
 ۲۰۲  
 ۲۰۳  
 ۲۰۴  
 ۲۰۵  
 ۲۰۶  
 ۲۰۷  
 ۲۰۸  
 ۲۰۹  
 ۲۱۰  
 ۲۱۱  
 ۲۱۲  
 ۲۱۳  
 ۲۱۴  
 ۲۱۵  
 ۲۱۶  
 ۲۱۷  
 ۲۱۸  
 ۲۱۹  
 ۲۲۰  
 ۲۲۱  
 ۲۲۲  
 ۲۲۳  
 ۲۲۴  
 ۲۲۵  
 ۲۲۶  
 ۲۲۷  
 ۲۲۸  
 ۲۲۹  
 ۲۳۰  
 ۲۳۱  
 ۲۳۲  
 ۲۳۳  
 ۲۳۴  
 ۲۳۵  
 ۲۳۶  
 ۲۳۷  
 ۲۳۸  
 ۲۳۹  
 ۲۴۰  
 ۲۴۱  
 ۲۴۲  
 ۲۴۳  
 ۲۴۴  
 ۲۴۵  
 ۲۴۶  
 ۲۴۷  
 ۲۴۸  
 ۲۴۹  
 ۲۵۰  
 ۲۵۱  
 ۲۵۲  
 ۲۵۳  
 ۲۵۴  
 ۲۵۵  
 ۲۵۶  
 ۲۵۷  
 ۲۵۸  
 ۲۵۹  
 ۲۶۰  
 ۲۶۱  
 ۲۶۲  
 ۲۶۳  
 ۲۶۴  
 ۲۶۵  
 ۲۶۶  
 ۲۶۷  
 ۲۶۸  
 ۲۶۹  
 ۲۷۰  
 ۲۷۱  
 ۲۷۲  
 ۲۷۳  
 ۲۷۴  
 ۲۷۵  
 ۲۷۶  
 ۲۷۷  
 ۲۷۸  
 ۲۷۹  
 ۲۸۰  
 ۲۸۱  
 ۲۸۲  
 ۲۸۳  
 ۲۸۴  
 ۲۸۵  
 ۲۸۶  
 ۲۸۷  
 ۲۸۸  
 ۲۸۹  
 ۲۹۰  
 ۲۹۱  
 ۲۹۲  
 ۲۹۳  
 ۲۹۴  
 ۲۹۵  
 ۲۹۶  
 ۲۹۷  
 ۲۹۸  
 ۲۹۹  
 ۳۰۰  
 ۳۰۱  
 ۳۰۲  
 ۳۰۳  
 ۳۰۴  
 ۳۰۵  
 ۳۰۶  
 ۳۰۷  
 ۳۰۸  
 ۳۰۹  
 ۳۱۰  
 ۳۱۱  
 ۳۱۲  
 ۳۱۳  
 ۳۱۴  
 ۳۱۵  
 ۳۱۶  
 ۳۱۷  
 ۳۱۸  
 ۳۱۹  
 ۳۲۰  
 ۳۲۱  
 ۳۲۲  
 ۳۲۳  
 ۳۲۴  
 ۳۲۵  
 ۳۲۶  
 ۳۲۷  
 ۳۲۸  
 ۳۲۹  
 ۳۳۰  
 ۳۳۱  
 ۳۳۲  
 ۳۳۳  
 ۳۳۴  
 ۳۳۵  
 ۳۳۶  
 ۳۳۷  
 ۳۳۸  
 ۳۳۹  
 ۳۴۰  
 ۳۴۱  
 ۳۴۲  
 ۳۴۳  
 ۳۴۴  
 ۳۴۵  
 ۳۴۶  
 ۳۴۷  
 ۳۴۸  
 ۳۴۹  
 ۳۵۰  
 ۳۵۱  
 ۳۵۲  
 ۳۵۳  
 ۳۵۴  
 ۳۵۵  
 ۳۵۶  
 ۳۵۷  
 ۳۵۸  
 ۳۵۹  
 ۳۶۰  
 ۳۶۱  
 ۳۶۲  
 ۳۶۳  
 ۳۶۴  
 ۳۶۵  
 ۳۶۶  
 ۳۶۷  
 ۳۶۸  
 ۳۶۹  
 ۳۷۰  
 ۳۷۱  
 ۳۷۲  
 ۳۷۳  
 ۳۷۴  
 ۳۷۵  
 ۳۷۶  
 ۳۷۷  
 ۳۷۸  
 ۳۷۹  
 ۳۸۰  
 ۳۸۱  
 ۳۸۲  
 ۳۸۳  
 ۳۸۴  
 ۳۸۵  
 ۳۸۶  
 ۳۸۷  
 ۳۸۸  
 ۳۸۹  
 ۳۹۰  
 ۳۹۱  
 ۳۹۲  
 ۳۹۳  
 ۳۹۴  
 ۳۹۵  
 ۳۹۶  
 ۳۹۷  
 ۳۹۸  
 ۳۹۹  
 ۴۰۰  
 ۴۰۱  
 ۴۰۲  
 ۴۰۳  
 ۴۰۴  
 ۴۰۵  
 ۴۰۶  
 ۴۰۷  
 ۴۰۸  
 ۴۰۹  
 ۴۱۰  
 ۴۱۱  
 ۴۱۲  
 ۴۱۳  
 ۴۱۴  
 ۴۱۵  
 ۴۱۶  
 ۴۱۷  
 ۴۱۸  
 ۴۱۹  
 ۴۲۰  
 ۴۲۱  
 ۴۲۲  
 ۴۲۳  
 ۴۲۴  
 ۴۲۵  
 ۴۲۶  
 ۴۲۷  
 ۴۲۸  
 ۴۲۹  
 ۴۳۰  
 ۴۳۱  
 ۴۳۲  
 ۴۳۳  
 ۴۳۴  
 ۴۳۵  
 ۴۳۶  
 ۴۳۷  
 ۴۳۸  
 ۴۳۹  
 ۴۴۰  
 ۴۴۱  
 ۴۴۲  
 ۴۴۳  
 ۴۴۴  
 ۴۴۵  
 ۴۴۶  
 ۴۴۷  
 ۴۴۸  
 ۴۴۹  
 ۴۵۰  
 ۴۵۱  
 ۴۵۲  
 ۴۵۳  
 ۴۵۴  
 ۴۵۵  
 ۴۵۶  
 ۴۵۷  
 ۴۵۸  
 ۴۵۹  
 ۴۶۰  
 ۴۶۱  
 ۴۶۲  
 ۴۶۳  
 ۴۶۴  
 ۴۶۵  
 ۴۶۶  
 ۴۶۷  
 ۴۶۸  
 ۴۶۹  
 ۴۷۰  
 ۴۷۱





رَبِّ يَسِّرْ

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح قلوب أوليائه بعرفانه ، وأوضح نهج الحق بلائحه برهانه ، لمن أراد طريقه ، وأتاح البصيرة لمن ابتغى تحقيقه ، وأزل الفرقان هدى وتبيانا ، على صفته محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله — معجزة وبيانا ، وأودع صدور العلماء معرفته وتأويله ، وأكرمهم بعلم قصصه ونزوله ، ورزقهم الإيمان بحُكْمِهِ ومتشابهه وناسخه ، ووعدوه ووعدده ، وأكرم الأصفياء من عباده بفهم ما أودعه من لطائف أسرارهِ وأز ( واره ) لاستبصار ما ضمنه من دقيق إشاراته ، وخفي رموزه ، بما لوَّح لأسرارهم من مكنونات ، فوقفوا بما خُصُّوا به من أنوار الغيب على ما استتر عن أغيارهم ، ثم نطقوا على مراتبهم وأقدارهم ، والحق سبحانه وتعالى يلهمهم بما به يكرمهم ، فهم به عنه ناطقون وعن لطائفه مخبرون<sup>(١)</sup> وإليه يشيرون ، وعنه يفصحون ، والحكمُ إليه في جميع ما يأتون به ويذرون .

قال الإمام جمال الإسلام أبو القاسم القشيري رحمه الله : وكتابتنا هذا يأتي على ذكر طرف من إشارات القرآن<sup>(٢)</sup> على لسان أهل المعرفة ، إما من معاني مقولهم ، أو قضايا أصولهم ، سلكتنا فيه طريق الإقلا ( ل ) خشية الملل ، مستمدين من الله تعالى عوائد المِنَّة ، متبرئين من الحول والمِنَّة<sup>(٣)</sup> مستعصين من الخطأ والخلل ، مستوفقين لأصوب القول والعمل ، ملتزمين أن يصلوا على سيدنا محمد صلى الله عليه و ( سلم ) ، لينختم لنا بالحسنى بمنه وأفضاله . وتيسر الأخذ

(١) وردت في من ( مخبرون ) والسباق لا يتطلبها .

(٢) ما تحت خط هو تنكئة اعتمدنا في إثباتها هنا على ما جاء في ( تذكرة النوادر ) التي اقتبست بضع

فقرات رجوعاً إلى نسخة أخرى .

(٣) المِنَّة بضم الميم القوة .

في ابتداء هذا الكتاب في شهور سنة أربع وثلاثين وأربعمائة<sup>(١)</sup> ، وعلى الله إتمامه .  
إن شاء الله تعالى عز وجل .

## سورة فاتحة الكتاب .

هذه السورة بدا (ية) الكتاب ، ومفاتيح الأحياب بالخطاب والكتاب منه أجل النعمى ، وأكرم الحسنى إذ هي ( . . . )<sup>(٢)</sup> وابتداء وفي مناه قيل .

أفديك بل أيام دهرى كلها تفدين أياماً ( . . . . )  
سقياً لمعهدك الذى لو لم يكن ما كان قلبى للصبابة معهداً<sup>(٣)</sup>

ولقد كان صلى الله عليه وسلم غير مُرتقب لهذا الشأن ، وما كان هذا الحديث منه على بال ، وحينما نزل عليه جبريل صلوات الله عليه وسلامه أخذ في الفرار ، وآثر التباعد لهذا الأمر آوى ( . . . ) قائلاً : دثرونى دثرونى ، زملونى زملونى ، وكان يتحنث في حراء ، ويخلو هنالك ( . . . ) فجأة ، وصادفته القصة بغنة كما قيل :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبى فارغاً فتمكناً<sup>(٤)</sup>

وكان صلوات الله عليه وسلم رضى بأن يقال له أجير خديجة ولكن (الحق سبحانه وتعالى أراد أن) <sup>(٥)</sup> يكون سيد الأولين والآخرين حيث قال «يس والقرآن الحكيم» (رفعه إلى) أشرف النازل وإن لم يسم إليه بطرف التأمل سنة منه تعالى وتقدس ( . . . ) إلا عند من تقاصرت الأوهام عن استحقاقه ، ولذلك ما قصوا العجب من شأنه ( . . . ) ينم أبى طالب

---

(١) اهتمدنا في استكمال رقى الأحاد والمشرات من السنة على ( تذكرة النوادر ) حيث سقطا في م .  
وبهذا يبطل قول صاحب كشف الظنون ( المجلد الثانى م ١٥٥١ ) بأن القشيري ألف اللطائف قبل عام ٤١٠ ، ويبدو أن الأمر قد التبس على حاجي خليفة فظن تاريخ تأليف « التيسير في التفسير » هو تاريخ تأليف « اللطائف » .

(٢) ما بين الأقواس المفرغة ساقط في م ومن حسن الحظ أن السقوط الكثير على هذا النحو لا يتكرر بعد الورقتين الأولى والثانية من ( م ) .

(٣) اهتمدنا في نكلة البيت على هذا النحو على وروده في ( م ) كاملاً عند تفسير سورة الحديد .

(٤) الشطر الثانى من البيت ناقص في ( م ) ومكمل في ( م ) عند تفسير آية : علم القرآن من سورة الرحمن

(٥) زيادة أضافتها ليستقيم المعنى .

من بين البرية ، ولقد كان صلوات الله عليه وسلم في سابق ( علمه ) سبحانه وتعالى مُقدِّماً  
على الكافة من أشكاله وأضرابه ، وفي معناه قيل :

هَذَا ( . . . ) أَطَارَ وَكَانَ فِي فَقْرٍ مِنَ السَّيَارِ  
آثَرُ عِنْدِي ( بِالْإِكْبَارِ ) مِنْ أُخَى ( وَمِنْ ) جَارِي  
وَصَاحِبِ الدَّرَمِ ( وَالْدِينَارِ ) فَإِنَّ صَاحِبَ الْأَمْرِ مَعَ الْإِكْتَارِ<sup>(١)</sup>

ولقد كان صلى الله عليه وسلم قبل النبوة حميد الشأن ، ( محمود ) الذكر ، ممدوح الإسم ،  
أميناً لكل واحد . وكانوا يسمونه محمداً الأمين ، ولكن ( الكافرين ) ( . . . ) حالته ،  
بدلوا اسمه ، وحرّفوا وصفه ، وهجّنوا ذكره ، فواحد كان يقول ساحر وآخر يقول ( . . . )  
وثالث يقول كاذب ، ورابع يقول شاعر :

أشاعوا لنا في الحى أشنع قصة وكانوا لنا سلفاً فصاروا لنا حرباً

وهكذا صفة المُحبِّ ، لا ينفك عن اللام ولكن كما قيل  
أجد الملامة في هواك لذينة حباً لذكرك فليكني اللوم<sup>(٢)</sup>

وماذا عليه من قبيح قاله ( من ) يقول ، ( والحق سبحانه يقول ) : « ولقد نعلم أنك  
يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك » أى استمع إلى ما يقال فيك بحسن الثناء علينا .  
[ فصل ] وتسمى هذه السورة أيضاً أم الكتاب ، وأم الشيء أصله ، وإمام كل شيء  
مقدّمه . وهذه السورة لما تشتمل عليه من الأمر بالعبودية ، والثناء على الله بجمال الربوبية ،  
ثم<sup>(٣)</sup> كمالها من الفضائل — لا تصح الفرائض إلا بها . وقوله صلى الله عليه وسلم مخبراً عنه  
سبحانه وتعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » يعنى قراءة هذه السورة ،  
فصارت أم الكتاب ، وأصلاً لما تنبئ عليه من لطائف الكرامات وبدائع التقريب والإيجاب .

---

(١) أضع البياض الذى فى الصورة كثيراً من ألفاظ هذه الآيات فحاولنا إضافة بعض الألفاظ .  
وإن كان وزن الشعر ما زال غير سليم .  
(٢) وردت خطأ فى (ص) : فليكني اللوم .  
(٣) لا نسلمد أن نكون فى الأصل ( ثم ) كمالها ...

قوله جل ذكره : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الباء في « بسم الله » حرف التضمين ، أي بالله ظهرت الحادثات ، وبه وجدت المخلوقات ، فما من حادث مخلوق ، وحاصل منسوق ، من عين وأثر وغير ، وغير من حجر ومدر ، ونجم وشجر ، ورسم وطلل ، وحكم وعال — إلا بالحق وجوده ، والحق ملكه ، ومن الحق بدؤه ، وإلى الحق عوده ، فيه وجد من وحد ، وبه جمعد من ألد<sup>(١)</sup> ، وبه عرف من اعترف ، وبه تخلف من اقترف .

وقال « بسم الله » ولم يقل بالله على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم ، وللفرق بين هذا وبين القسم عند الآخرين ، ولأن الاسم هو المسمى عند العلماء ، ولاستصفاء القلوب من العلائق ولاستخلاص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان ، ليكون ورود قوله « الله » على قلب مُتَّقٍ وسِرٍّ مُصَفَّى . وقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء ( بره )<sup>(٢)</sup> بأوليائه ومن السنين سره مع أصفياه ومن الميم منته على أهل ولايته ، فيعلمون أنهم يبره عرفوا سره ، وبمنته عليهم حفظوا أسرهم ، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره . وقوم عند سماع بسم الله تذكروا بالباء براءة الله سبحانه وتعالى من كل سوء ، وبالسين<sup>(٣)</sup> سلامته سبحانه عن كل عيب ، وبالميم مجده سبحانه بمر وصفه ، وآخرون يذكرون عند الباء بهاءه ، وعند السين سنائه ، وعند الميم ملكه ، فلما أعاد الله سبحانه وتعالى هذه الآية أعنى بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية<sup>(٤)</sup> كلمات غير مكررة<sup>(٥)</sup> ، وإشارات غير معادة ، فلذلك نستقصي القول ها هنا وبه الثقة .

---

(١) وردت في من ( اللحد ) .

(٢) سقطت في من وأثبتناها لأن ما بعدها يدل عليها .

(٣) وردت في من ( بالسين ) .

(٤) من هنا ندرك أن القشيري يعتبر السمة قرآناً خلافاً لمن يمدونها من قبيل الاستفتاح والتبرك . فتبدأ بها القراءة كما يفعل في سائر الأفعال ( أنظر المعنى للقاضي عبد الجبار ج ١١ ط وزارة الثقافة سلسلة تراثنا ص ١٦١ ) .

(٥) من هنا ومما نعلم من مذهب القشيري نراه لا يمتد في فكرة التكرار في القرآن لأن التكرار أليق بالمخلوقين ولأسباب أخرى لا محل لها هنا .



حقيقة الحمد الثناء على المحمود ، بذكر نعوته الجليلة وأفعاله الجميلة ، واللام هنا للجنس ، ومقتضاها الاستغراق ؛ فجميع المحامد لله سبحانه إمّا وصفاً وإمّا خلقاً ، فله الحمد لظهور سلطانه ، وله الشكر لوفور إحسانه . والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجماله ، والشكر لله لجزيل نواله وعزيز أفضاله ، فحمده سبحانه له هو من صفات كماله وحوله ، وحمد الخلق له على إنعامه وطوله ، وجلاله وجماله استحقاقه لصفات العلو ، واستيجابه لنعوت العز والسمو ، فله الوجود (قدرة)<sup>(١)</sup> القديم ، وله الجود الكريم ، وله الثبوت الأبدى ، والكون الصمدى ، والبقاء الأزلى ، والبهاء الأبدى ، والثناء الديموى ، وله السمع والبصر ، والقضاء والقدر ، والكلام والقول ، والعزة والطول ، والرحمة والجود ، والعين والوجه والجمال ، والقدرة والجلال ، وهو الواحد للتمتع ، كبرياؤه رذاؤه ، وعلاؤه سناؤه ، ومجده عزه ، وكونه ذاته ، وأزله أبده ، وقدمه سرمده ، وحقه يقينه ، وثبوتة عينه ، ودوامه بقاءه ، وقدره قضاؤه ، وجلاله جماله ، ونهيه أمره ، وغضبه رحمته ، وإرادته مشيئته ، وهو الملك يجبروته ، والأحد فى ملكوته . تبارك الله سبحانه ۱ ۱ فسبحانه ما أعظم شأنه ۱

[ فصل ] نعلم الحق سبحانه وتعالى شدة إرادته أوليائه بحمده وثنائه ، وعجزهم عن القيام بحق مدحه على مقتضى عزه وسنائه فأخبرهم أنه حمّد نفسه بما افتتح به خطابه بقوله : « الحمد لله » فانتعشوا بعد الذلة ، وعاشوا بعد الخمود ، واستقلت أسرارهم بكال التعرز حيث سمعوا ثناء الحق عن الحق بخطاب الحق ، فنطقوا ببيان الرمز على قضية الأشكال . وقالوا :

ولوجهها من وجهها قمر ولعينها من عينها كحل

هذا خطيب الأولين والآخرين ، سيد الفصحاء ، وإمام البلغاء ، لما سمع حمده لنفسه ، ومدحه سبحانه لحقه ، علم النبي أن تقاصر اللسان أليق به فى هذه الحالة فقال : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

داوود لو سمعت أذناه قالتها لما ترنم بالألحان داوود  
غنت سعاد بصوتها فتخاذلت ألحان داوود من الخجل

(١) هذه كلمة زائدة يمكن الاستغناء عنها ، ويرجح ذلك نظم الأسلوب وسياق المعنى ، أو ربما كانت (قدّمه) .

[ فصل ] وتنفاوت طبقات الحامدين لتباينهم في أحوالهم ؛ فطائفة حمدوه على ما نالوا من إنعامه وإكرامه من نوعى صفة نفعه ودفعه ، وإزاحته وإتاحتها ، وما عقلوا عنه من إحسانه بهم أكثره ما عرفوا من أفضاله معهم قال جل ذكره : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وطائفة حمدوه على ملاح لقلوبهم من عجائب لطائفه ، وأودع سرائرهم من مكنونات بره ، وكشف أسرارهم به من خفى غيبه ، وأفرد أرواحهم به من بواده مواجده . وقوم حمدوه عند شهود ما كشفهم به من صفات القدم ، ولم يردوا من ملاحظة العز والكرم إلى تصفح أقسام النعم ، وتأمل خصائص القسم ، و ( فرق بين )<sup>(١)</sup> من يمدحه بعز جلاله وبين من يشكره على وجود أفضاله ، كما قال قائلهم :

وما الفقر عن أرض المشيرة ساقنا ولكننا جئنا بقلياك نسعد

وقوم حمدوه مُستهلكين عنهم فيما استنطقوا من عبارات تحميده ، بما اصطلم أسرارهم من حقائق توحيده ، فهم به منه يعبرون ، ومنه إليه يشيرون ، يُجري عليهم أحكام التصريف ، وظواهرهم<sup>(٢)</sup> بنمت التفرقة مرعية ، وأسرارهم مأخوذة بحكم جمع<sup>(٣)</sup> الجمع ، كما قالوا :

بيان بيان الحق أنت بيانه وكل معانى الغيب أنت لسانه

قوله جل ذكره : ﴿ رب العالمين ﴾

الرب هو السيد ، والعالمون جميع المخلوقات ، واختصاص هذا الجمع بلفظ العالمين لاشتماله على العقلاء والجمادات فهو مالك الأعيان ومنشئها ، وموجد الرسوم والديار بما فيها . ويدل اسم الرب أيضاً على تربية الخلق ، فهو مُرب نفوس العابدين بالتأييد ومرب قلوب الطالبين بالتسديد ، ومرب أرواح العارفين بالتوحيد ، وهو مرب الأشباح بوجود النعم ، ومرب الأرواح بشهود الكرم .

ويدل اسم الرب أيضاً على إصلاحه لأمر عباده من ربيت العديم أربه ؛ فهو مصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ومصلح أمور العابدين بحسن كفايته ، ومصلح أمور الواجدين

(١) وردت ( وفر ... ) ثم بعدها بياض فأكلناها على هذا النحو ليم المعنى .

(٢) وردت ( وظاهرهم ) ولكن السياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) وردت ( جميع الجمع ) ولكن الاصطلاح الصوى هو جمع الجمع وهو درجة فوق الجمع وجمع الجمع هو الاستهلاك بالسكية وفناء الإحساس بما سوى الله ( رسالة القشيري ط سنة ١٩٥٩ م ص ٣٩ ) .

بقديم عنايته ، أصلح أمور قوم فاستغنوا بعبائهم ، وأصلح أمور آخرين فاشتاقوا للقاءه ،  
وثالث أصلح أمورهم فاستقاموا للقاءه ، قال قائلهم :

مادام عزك مسعوداً طواله فلا أبالي أعاش الناس أم فقدوا

قوله جل ذكره : ﴿الرحمن الرحيم﴾

اسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة صفة أزلية وهي إرادة النعمة وهما اسمان موضوعان  
للمبالغة ولا فضل بينهما عند أهل التحقيق .

وقيل الرحمن أشد مبالغة وأتم في الإفادة ، وغير الحق سبحانه لا يسمى بالرحمن على الإطلاق ،  
والرحيم ينعت به غيره ، وبرحمته عرف المبدأ أنه الرحمن ، ولولا رحمته لما عرف أحد أنه الرحمن ،  
وإذا كانت الرحمة إرادة النعمة ، أو نفس النعمة كما هي ( عند قوم فالنعم في أنفسها مختلفة ،  
ومراتبها متفاوتة فنعمة هي )<sup>(١)</sup> نعمة الأشباح والظواهر ، ونعمة هي نعمة الأرواح والسرائر .

وعلى طريقة من فرق بينهما فالرحمن خاص الاسم عام للمعنى ، والرحيم عام الاسم خاص  
للمعنى ؛ فلأنه الرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم ، ولأنه الرحيم وفق المؤمنين لما به  
حياة سرائرهم ، فالرحمن بما روح ، والرحيم بما لوح ؛ فالترويح بالسيار ، والتلويح بالأنوار ؛  
والرحمن بكشف تجليته والرحيم بلطف توليته ، والرحمن بما أولى من الإيمان والرحيم  
بما أسدى<sup>(٢)</sup> من العرفان ، والرحمن بما أعطى من العرفان والرحيم بما تولى من الغفران ،  
بل الرحمن بما ينعم به من الغفران والرحيم بما يمن به من الرضوان ، بل الرحمن بما يكتم به  
والرحيم بما ينعم به من الرؤية والبيان ، بل الرحمن بما يوفق ، والرحيم بما يحقق ، والتوفيق  
للمعاملات ، والتحقيق للمواصلات ، فالمعاملات للقاصدين ، والمواصلات للواجدين ، والرحمن  
بما يصنع لهم والرحيم بما يدفع عنهم ؛ فالصنع بحميل الرعاية والدفع بحسن العناية .

قوله جل ذكره : ﴿مالك يوم الدين﴾

المالك من له الملك ، ومالك الحق سبحانه وتعالى قدرته على الإبداع ،  
فالملك مبالغة من المالك وهو سبحانه الملك المالك ، وله الملك . وكما لا إله إلا هو  
فلا قادر على الإبداع إلا هو ، فهو بإلهيته متوحد ، وبملكه متفرد ، ملك نفوس  
العابدين فصرفها في خدمته ، وملك قلوب العارفين فشرّفها بعرفته ، وملك نفوس القاصدين

(١) تسكّلة في الهامش استدرك بها النسخ فأثبتتها في موضعها .

(٢) وردت ( أسرى ) والأصح ( أسدى ) .

فتيسبها ، وملك قلوب الواجدین فيهمبها . ملك أشباح من عبده فلاطفها بنواله وأفضاله ، وملك أرواح من أحبهم ( . . . )<sup>(١)</sup> فكاشفها بنعت جلاله ، ووصف جماله . ملك زمام أرباب التوحيد فصرفهم حيث شاء على ماشاء ووقفهم حيث شاء على ماشاء كما شاء ، ولم يكلّمهم إليهم لحظة ، ولا ملكهم من أمرهم سنة ولا خطرة ، وكان لهم عنهم ، وأفناؤهم له منهم<sup>(٢)</sup> .

[ فصل ] ملك قلوب العابدین إحسانه فطمعوا في عطائه ، وملك قلوب الموحدين سلطانه فقتنوا ببقائه . عرف أرباب التوحيد أنه مالكم فسقط عنهم اختيارهم ، علموا أن العبد لا ملك له ، ومن لا ملك له لا حكم له ، ومن لا حكم له لا اختيار له ، فلا لهم عن طاعته إعراض ولا على حكمه اعتراض ، ولا في اختياره معارضة ، ولا لخالفته تعريض ، « ويوم الدين » . يوم الجزاء والنشر ، ويوم الحساب والحشر — الحق سبحانه وتعالى يجزى كلاً بما يريد ، فمن بين مقبول يوم الحشر بفضل سبحانه وتعالى لا بفعلهم ، ومن بين مردود بحكمه سبحانه وتعالى لا بجورهم . فأما الأعداء فيحاسبهم ثم يعذبهم وأما الأولياء فيعاتبهم ثم يقربهم :

قوم إذا ظفروا بنا جادوا بعنق رقابنا

قوله جل ذكره : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

معناه نعبدك ونستعين بك . والابتداء بذكر المعبود أتم من الابتداء بذكر صفته — التي هي عبادته واستعانتة ، وهذه الصيغة أجزل في اللفظ ، وأعذب في السمع . والعبادة الإتيان بغاية مافي ( بابها )<sup>(٣)</sup> من الخضوع ، ويكون ذلك بموافقة الأمر ، والوقوف حيثما وقف الشرع . والاستعانة طلب الإعانة من الحق .

والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمثنة ، والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمثنة ، فبالعبادة يظهر شرف العبد ، وبالاستعانة يحصل اللطف للعبد . في العبادة وجود شرفه ، وبالاستعانة أمان تلفه . والعبادة ظاهرها تذلل ، وحقيقتها تعزّز وتحمل :

وإذا تنلّت الرقاب تقرباً منّا إليك ، فعزّها في ذلّها

(١) مشتبه في من ، وربما كانت ( وأحبوه )  
(٢) ( له ) هنا معناها لأجله أي أنه أفنام من أنفسهم لأجله ليقوا به ، وكان الأسلم أن تكون العبارة :  
وأفناؤم منهم له ولكن حرم المصنف على مراعاة الانسجام بين عنهم ومنهم .  
(٣) وردت ( بابها )

وفي معناه :

حين أسلمتني لذالٍ ولام ألقينى فى عينٍ وزاى<sup>(١)</sup>

[ فصل ] العبادة نزهة القاصدين<sup>(٢)</sup> ، ومستروح المريدين ، ومربع الألس للمعجبين ، ومرتع البهجة للعارفين . بها قرّة أعينهم ، وفيها مسرة قلوبهم ، ومنها راحة أرواحهم . وإليه<sup>(٣)</sup> أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : أرحنا بها يا بلال . ولقد قال مخلوق فى مخلوق :

يا قوم ثارى عند أسمائى يعرفه السامع والرائى  
لا تدعنى إلا يساعدها فإنه أصدق أسمائى

والاستعانة إجلالك لنعوت كرمه ، ونزلك بساحة جوده ، وتسليك إلى يد حكمه ، فتقصده بأمل فسيح ، وتخطو إليه بخطو وسيع ، وتأمل فيه برجاه قوى<sup>(٤)</sup> ، وتشق بكرم أذلى ، وتشكل على اختيار سابق ، وتعتصم بسبب جوده ( غير ضعف )<sup>(٥)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

الهداية الإرشاد ، وأصلها الإمالة ، والمهدى من عرف الحق سبحانه ، وآثر رضاه ، وآمن به . والأمر فى هذه الآية مضمّر ، فمعنا . اهدنا بنا<sup>(٦)</sup> — والمؤمنون على الهداية فى الحال — فعنى السؤال الاستدانة والاستزادة . والصراط المستقيم الطريق الحق وهو ماعليه أهل التوحيد . ومعنى اهدنا أى مل بنا إليك ، وخذنا لك ، وكن علينا دليلنا ، ويسرنا إليك سبيلنا ، وأقم لنا هممنا ، واجمع بك همومنا .

[ فصل ] اقطع أسرارنا عن شهود الأغيار ، ولوّح فى قلوبنا طوابع الأنوار ، وأفرد

(١) وردت و ( زار ) (٢) وردت ( القاصرين ) (٣) أى وإلى ذلك أشار

(٤) وردت ( قوى ) وهى غير مناسبة للمعنى .

(٥) إما أن تكون زائدة أو ينقصها حرف الجر فى فتكون ( فى غير ضعف ) أو تكون ( غير ضعيف ) ( أساس البلاغة ص ٥٦٣ ) أى غير متكرر بالأسباب لجلب المسأل .

(٦) ويكون المعنى على هذا أقم فينا ما يجعلنا نهتدى به إليك ، ولكن ترجح أن يكون قد وقع خطأ من الناسخ وأن الأصل ( اهدنا بك ) لأن ذلك يتفق مع مذهب التشيرى وغيره من الصوفية حيث يعتبرون كل شيء يقع من المبد مرده إلى الحق سبحانه ، فلا قدرة للمبد — وحده — على معرفة الله ، ولا على الاهتداء إليه ، وتدل الدلائل فيما بعد على ذلك مثل قوله ( فتجدك بك ) . وإما أن يكون الأصل ( اهد بنا ) أى — كما جاء فيها بعد — مل بنا .



قصودنا إليك عن دَئس الآثار ، ورقنا عن منازل الطلب والاستدلال إلى تجمع ساحات القرب والوصال .

[ فصل ] حُلّ بيننا وبين ساكنة<sup>(١)</sup> الأمثال والأشكال ، بما تلافينا به من وجود الوصال ، وتكاشفنا به من شهود الجلال والجمال .

[ فصل ] أرشدنا إلى الحق لثلاث تنكّل على وسائط المعاملات ، ويقع على وجه التوحيد غبار الظنون وحسبان الإعلال .

« اهدنا الصراط المستقيم » أي : أزل عنا ظلمات أحوالنا لتستضيء<sup>(٢)</sup> بأنوار قدسك عن التفيؤ بظلال طلبنا ، وارفع عنا ظل جهلنا لتستبصر بنجوم جودك ، فنجدك بك .

[ فصل ] اهدنا الصراط المستقيم حتى لا يصحبنا قرين من نزغات الشيطان ووساوسه ، ورفيق من خطرات النفوس وهو اجسها ، أو يصدنا عن الوصول تعريج في أوطان التقليد ، أو يحول بيننا وبين الاستبصار ركون لى معتاد من التلقين ، وتستهوينا آفة من نشو أو هوادة ، وظن أو عادة ، وكلل أو ضعف إرادة ، وطمع مالي أو استزادة .

[ فصل ] الصراط المستقيم ما عليه من الكتاب والسنة دليل ، وليس للبدعة عليه سلطان ولا إليه سبيل . الصراط المستقيم ما شهدت بصحته دلائل التوحيد ، ونهت عليه شواهد التحقيق . الصراط المستقيم ما درجَ عليه سلف الأمة ، ونطقت بصوابه دلائل العبرة . الصراط المستقيم ما باين الحظوظ سالكه ، وفارق<sup>(٣)</sup> الحقوق قاصده . الصراط المستقيم ما يُفيض بسالكة إلى ساحة التوحيد ، ويُشهد صاحبه أثر العناية والجود ، لثلاث يظنه موجب ( ببذل )<sup>(٤)</sup> المجهود .

(١) وردت ( ساكنة ) والأصح بالميم فقد جاءت كذلك في مواضع كثيرة أخرى .

(٢) وردت خطأ ( لتستضيء ) .

(٣) وردت ( وفارن ) في ص ، والأصح أن تكون بالقاف ، فالخطوط للعبد والحقوق للحق .

(٤) وردت ( بذل ) بدون ياء والأقوى في رأينا أن تكون بالباء وأن نقرأ موجب بفتح الجيم أي مستحق ، وبذلك يتضح موقف القشيري من قضية هامة وهي : هل يجب على الله أن ينيب المطيع ؟ ولا يرى القشيري هذا الوجوب لأنه يربط كل عمل للعبد بالعناية الإلهية لا بالمجهود الإنساني . وقد صدق الرسول ( ص ) حين قال : « ما منكم من أحد ينجي عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتخمدني الله برحمته » .



قوله جل ذكره : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾

يعنى طريق من أنعمت عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم ، وهم الأولياء والأصفياء .  
ويقال طريق من ( أفينهم )<sup>(١)</sup> عنهم ، وأقنهم بك لك ، حتى لم يقفوا في الطريق ، ولم تصدهم  
عنك خفايا المكر . ويقال صراط من أنعمت عليهم بالقياس بحقوقك دون التعرّيج على  
استجلاب حظوظهم .

ويقال صراط من ( طهرنهم )<sup>(٢)</sup> عن آثارهم حتى وصلوا إليك بك .

ويقال صراط من أنعمت عليهم حتى تحرروا من مكائد الشيطان ، ومغاليل<sup>(٣)</sup> النفوس  
ومخايل الظنون ، وحسابات الوصول قبل خمود آثار البشر (ية) .

ويقال صراط من أنعمت عليهم بالنظر والاستعانة بك ، والتبرى من الحول والقوة ،  
وشهود ماسبق لهم من السعادة في سابق الاختيار ، والعلم بتوحيده فيما تمضيه من المسار والمضار .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بحفظ الأدب في أوقات الخدمة ، واستشعار نعت الهيبة .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بأن حفظت عليهم آداب الشريعة وأحكامها عند  
غلبات (بواده)<sup>(٤)</sup> الحقائق حتى لم يخرجوا عن حد العلم ، ولم يُخَلُّوا بشيء من أحكام الشريعة .  
ويقال صراط الذين أنعمت عليهم حتى لم تطفئ شمس معارفهم أنوار ورعهم ولم يُضَيِّعُوا شيئاً  
من أحكام الشرع<sup>(٥)</sup> .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بالعبودية عند ظهور سلطان الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

---

(١) وردت ( أفنهم ) في س

(٢) وردت ( طهرنهم ) في س

(٣) وردت ( مغاليل ) في س

(٤) وردت ( بواد )

(٥) نلاحظ أن التشيرى يلح كثيراً على التزام آداب الشريعة مهما طلبت على العبد سطورة الانحاء ،  
واستلبه سلطان الفناء ، ويحسن هنا أن نشير إلى اصطلاح في مذهب التشيرى وهو الفرق الثانى ومى حالة  
مريضة يرد عندها العبد إلى الصحو لكن يؤدي ما يجب عليه من الفرائض في أوقاتها ، ويكون رجوعه لله  
بالله ( انظر الرسالة التشريعية ص ٣٩ ) .

المغضوب عليهم الذين صدمتهم هواجس الخذلان<sup>(١)</sup> ، وأدركتهم مصائب الحرمان ،  
وركبهم سطوة الرد ، وغلبتهم بؤآده الصد والطرْد .

ويقال هم الذين لحقهم ذل الهوان ، وأصابهم<sup>(٢)</sup> سوء الخسران ، فشغلوا في الحال باجتلاب  
الحلوظ — وهو في التحقيق ( شقاء ) ؛ إذ يحسبون أنهم على شيء ، ولحق في شقاؤهم سر .

ويقال هم الذين أنسوا بنفحات التقريب زماناً ثم أظهر الحق صبحانه في بابهم شائناً ؛ بدّلوا  
بالوصول بعباداً ، وطعموا في القرب فلم يجدوا مراداً ، أولئك الذين ضلّ سعيهم ، وخاب ظنهم .

ويقال غير المغضوب عليهم بنسيان التوفيق ، والتعاضى عن رؤية التأييد . ولا الضالين  
عن شهود سابق الاختيار ، وجريان التصاريف والأقدار .

ويقال غير المغضوب عليهم بتضييعهم آداب الخدمة ، وتقصيرهم في أداء شروط الطاعة .  
ويقال غير المغضوب عليهم هم الذين تقطعوا في مفاوز الغيبة ، وتفرقت بهم المهوم  
في أودية وجوه الحسبان .

[ فصل ] ويقول العبد عند قراءة هذه السورة آمين ، والتأمين سنة ، ومعناه يارب افعل  
واستجب ، وكأنه يستدعى بهذه القالة التوفيق للأعمال ، والتحقيق للآمال ، وتخط رجله  
بساحات الافتقار ، ويناجي حضرة الكرم بلسان الابتهال ، ويتوسل (بتبريه)<sup>(٣)</sup> عن الحول  
والطاقة والمثنة والاستطاعة إلى حضرة الجود . وإن أقوى وسيلة للفقير تعلقه بدوام الاستعانة  
لتحققه بصدق الاستغاثة .

السورة التي تذكر فيها البقرة . . قوله تعالى :

### بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم مشتق من السمو والسمة ، فسبيل من يذكر هذا الاسم أن يتسم بظاهره بأنواع  
المجاهدات ، ويسمو بهيمته إلى تحالّ المشاهدات . فمن عديم سمة المعاملات على ظاهرة ، وفقد

---

(١) يقول الفشيري في الرسالة ( ومنهم من تغيرم البواده ونصرفه الهواجس ، ومنهم من يكون فوق  
ما يفجؤه حالا ووقتاً . . أولئك هم سادات الوقت ) ص ٤٤ .

(٢) وردت ( أحبّابهم ) . (٣) وردت ( ببريته ) والصواب ( بتبريه ) .

سُوُّ الهَيْبَةِ لِلْمَوَاصِلَاتِ بِسَرَائِرِهِ لَمْ يَجِدْ لَطَائِفَ الذِّكْرِ عِنْدَ قَالَتِهِ ، وَلَا كِرَامَ القُرْبِ فِي صِفَاءِ حَالَتِهِ .

[ فصل ] معنى الله : الذى له الإلهية ، والإلهية استحقاق نعوت الجلال . فعنى بسم الله : باسم من تفرَّد بالقوة والقدرة . الرحمن الرحيم من تَوَحَّدَ في ابتداء الفضل والنصرة . فسماع الإلهية يُوجِبُ الهَيْبَةَ والاصْطِلَامَ ، وسماع الرحمة يُوجِبُ القُرْبَةَ والإِكْرَامَ . وَكُلُّ مَنْ لَاطَفَهُ الحق سبحانه عند سماع هذه الآية رَدَّهُ بين محو ومحو ، وبقاء وفناء ، فإذا كاشَفَهُ بنعت الإلهية أشْهَدَهُ جلاله ، فحاله محو . وإذا كاشَفَهُ بنعت الرحمة أشْهَدَهُ جماله فحاله محو :

أَغْيِبْ إِذَا شَهِدَتْكَ ثُمَّ أَحْيَا فَمَنْ أَحْيَا لَدَيْكَ وَكَمْ أُبَيِّدُ

قوله جل ذكره : ﴿ الم ﴾

هذه الحروف المقطعة في أوائل السورة من التشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله — عند قوم ، ويقولون لكل كتاب سر ، وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة . وعند قوم إنها مفاتيح أسمائه ، فالألف من اسم « الله » ، واللام يدل على اسمه « اللطيف » ، والليم يدل على اسمه « المجيد » و « الملك » .

وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه .

وقيل إنها أسماء السور .

وقيل الألف تدل على اسم « الله » واللام تدل على اسم « جبريل » والليم تدل على اسم « محمد » صلى عليه وسلم ، فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

والألف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط وسائر الحروف يتصل بها إلا حروف يسيرة ، فينتبه العبد عند تأمل هذه الصفة إلى احتياج الخلق بجملتهم إليه ، واستغناؤه عن الجميع .

ويقال يتذكر العبد المخلص<sup>(١)</sup> مِنْ حَالَةِ الألف تَقْدُّسَ الحق سبحانه وتعالى عن النخص

(١) وردت في ص ( المخلص ) وهي خطأ من الناسخ .

بالمكان ؛ فإن سائر الحروف لها محل من الخلق<sup>(١)</sup> أو الشفة<sup>(٢)</sup> أو اللسان إلى غيره من المدارج<sup>(٣)</sup> غير الألف فإنها هويته ، لا تضاف إلى محل .

ويقال الإشارة منها إلى أفراد العبد لله سبحانه وتعالى فيكون كالألف لا يتصل بحرف ، ولا يزول عن حالة الاستقامة والاتصاف بين يديه .

ويقال يطالب العبد في سره عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى الله تعالى ، وعند مخاطبته باللام بلين جانبه في (مراعاة) حقه ، وعند سماع الميم بموافقة أمره فيها يكلفه .

ويقال اختص كل حرف بصيغة مخصوصة وانفردت الألف باسنواء القامة ، والتميز عن الاتصال بشيء من أضرابها من الحروف ، فجعل لها صدر الكتاب إشارة إلى أن من تجرد عن الاتصال بالأمثال والأشغال حظى بالرتبة العليا ، وفاز بالدرجة القصوى ، وصلاح للتخاطب بالحروف المنفردة التي هي غير مركبة ، على سنة الأحباب في ستر الحال ، وإخفاء الأمر على الأجنبي من القصة — قال شاعرهم :

قلت لها قفينا قالت . قاف

لا تحسبي أننا نسينا لا يخاف

ولم يقل وفتت ستراً على الرقيب ولم يقل لا أقف مراعاة لقلب الحبيب بل : « قالت قاف » .  
ويقال تكثر العبارات<sup>(٤)</sup> للعموم والرموز والإشارات للخصوص ، أسمع موسى كلامه في ألف موطن ، وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : أَلِفٌ . . . وقال عليه السلام : أوتيت جوامع الكلم<sup>(٥)</sup> فاختصر لي الكلام اختصاراً ، وقال بعضهم : قال لي مولاي : ما هذا الدنف ؟

قلت : نهراي ؟ قال : لام الف

قوله جل ذكره : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾

(١) وردت في ص ( الشفق ) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) معناها الخارج — كما جاء في الهامش .

(٣) وردت في ص ( العبادات ) والأصح بالراء لأن القشيري في مواضع كثيرة يقابل بين العبارة والإشارة

(٤) وردت في ص ( التلم ) وهي خطأ من النسخ . وسبأني تحريج الحديث في هامش قريب .

قيل ذلك الكتاب أى هذا الكتاب ، وقيل إشارة إلى ما تقدم إنزاله من الخطاب ،  
وقيل ذلك الكتاب الذى وعدتُك إنزاله عليك يوم الميثاق .

لا ريب فيه ، فهذا وقت إنزاله . وقيل ذلك الكتاب الذى كتبتُ فيه الرحمة على نفسى  
لامتك — لا شك فيه ، فتحقق بقولى .

وقيل الكتاب الذى هو سابق حكمى ، وقديم قضائى لمن حكمت له بالسعادة ، أو خضعت  
عليه بالشقاوة لا شك فيه .

وقيل ( حكمى الذى أخبرت أن رحمتى سبقت على غضبى لا شك فيه<sup>(١)</sup> ) .

وقيل إشارة إلى ما كتب فى قلوب أوليائه من الإيمان والعرفان ، والمحبة والإحسان ، وإن  
كتاب الأحباب عزيز على الأحباب ، لا سيما عند اللقاء ، وكتاب الأحباب سلوهم  
وأنسهم ، وفيه شفاؤهم ورووحهم ، وفى معناه أنشدوا :

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى وفيها شفاء للذى أنا كاتم

وأنشدوا :

ورد الكتاب بما أقر عيوننا وشفى القلوب فنلن غايات المنى  
وتقاسم الناس السريرة بينهم قسماً وكان أجلم حطاً أنا<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾

أى بياناً وحجة ، وضياء ومحجة ، لمن وقاه الحق سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل ، وبصره  
بأنوار العقل ، واستخلصه بحقائق الوصل . وهذا الكتاب للأولياء شفاء ، وعلى الأعداء  
عنى وبلاء . المتقى من اتقى رؤية تقواه ، ولم يستند إلى تقواه ، ولم ير نجاته إلا بفضل مولاه .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾

---

(١) ما بين القوسين نسخة استدرج بها الناسخ فأنبتها فى هامش الصفحة .

(٢) لم يكن الناصح يظهر اهتماماً بأبيات الشعر فوصلتنا رديئة الخط كثيرة الأخطاء فقمنا بتصحيحها  
بقدر الإمكان حتى تبدو ذات معنى ، وذلك استناداً إلى حالة لها أكثر ضبطاً إما فى مواضع أخرى من هذا  
الكتاب أو من كتب القشيري الأخرى .

حقيقة الإيمان التصديق ثم التحقيق ، وموجب الأمرين التوفيق . والتصديق بالعقل والتحقيق ببذل الجهد ، في حفظ العهد ، ومراعاة الحد . فالؤمنون هم الذين صدّقوا باعتقادهم ثم الذين صدّقوا في اجتهادهم .

وأما الغيب فما يعلمه<sup>(١)</sup> العبد مما خرج عن حد الاضطرار ؛ فكل أمر ديني أدركه العبد بضرب استدلال ، ونوع فكر واستشهاد فالإيمان به غيبي . فالرب سبحانه وتعالى غيب . وما أخبر الحق عنه من الحشر والنشر ، والثواب والمآب ، والحساب والعذاب — غيب .

وقيل إنما يؤمن بالغيب من كان معه سراج الغيب ، وأن من أيّدوا ببرهان العقول آمنوا بدلالة العلم وإشارة اليقين ، فأورّدهم صدق الاستدلال ساحات الاستبصار ، وأوصلهم صائب الاستشهاد إلى مراتب السكون ؛ فإيمانهم بالغيب بمزاوجة علومهم ودواعي الريب . ومن كوشف بأنواع التعريف أسبل عليهم سجوف الأنوار ، فأغناهم بلوائح البيان عن كل فكر وروية ، وطلب بخواطر ذكية ، وردّ وردع لدواعٍ رديّة ، فطلعت شمس أسرارهم فاستغنوا عن مصاييح استدلالهم ، وفي معناه أنشدوا :

كَيْلِيَّ مِنْ وَجْهِكَ شَمْسُ الضُّحَا وَظِلَامُهُ فِي النَّاسِ سَارِي  
وَالنَّاسُ فِي سِدْفِ الظَّلَامِ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ  
وَأَلْشَدُّوا :

طلعت شمس من أحبك ليلاً فاستضاءت وما لها من غروب  
إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب<sup>(٢)</sup>  
ومن آمن بالغيب بشهود الغيب غاب في شهود الغيب فصار غيباً يغيب .  
وأما إقامة الصلاة فالقيام بأركانها وسننها ثم الغيبة<sup>(٣)</sup> عن شهودها برؤية مَنْ يُصَلِّيْ لَهُ<sup>(٤)</sup>

---

(١) وردت ( يعلمه ) والأرجح أن تكون ( يعلمه ) حتى تتلاءم مع طبيعة الغيب .  
(٢) وردت ( مما لها ) ، ( وتغيب بالليل ) ، ( ليت تغيب ) وقد سمعنا ذلك بما يتلاءم مع الوزن والمعنى  
(٣) وردت ( ثم الغيب ) وهي خطأ من الناسخ والأصح ( الغيبة ) كما سنجد في الهامش التالي .  
(٤) القشيري هنا متأثر بفكرة الواسطي حينما دخل نيسابور وسأل أصحاب أبي هيثم : بماذا كان يأمركم شيخكم ؟ فقالوا : كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها . فقال « ... هلا أمركم بالغيبة عنها برؤية ملشئها وبجرها » الرسالة ص ٣٤ .



فيحفظ عليه أحكام الأمر بما يجري عليه منه ، وهو عن ملاحظتها نحو ، فنفسهم مستقبلة  
القبلة ، وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة :

أراني إذا صليت يَمَّتْ نحوها بوجهي وإن كان المصلي ورائيا  
أصلي فلا أدري إذا ما قضيتها أثنين صليت الضحا أم ثمانيا ؟

وإن أصحاب العموم يجتهدون عند افتتاح الصلاة ليردوا قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون من  
الفرض ، ولكن عن أودية الغفلة ما يرجعون . أما أهل الخصوص فيردون قلوبهم إلى معرفة  
ما يؤدون ولكن عن حقائق الوصلة ما يرجعون ؛ فشتان بين غائب يحضر أحكام الشرع  
ولكن عند أوطان الغفلة ، وبين غائب يرجع إلى أحكام الشرع ولكن عند حقائق الوصلة .

قوله جل ذكره : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾

الرزق ما تمكن الإنسان من الانتفاع به ، وعلى لسان التفسير أنهم ينفقون أموالهم  
إمّا نفلاً وإمّا فرضاً على موجب تفصيل<sup>(١)</sup> العلم . وبيان الإشارة أنهم لا يدخرون عن الله  
سبحانه وتعالى شيئاً من ميسورهم ؛ فينفقون نفوسهم في آداب العبودية ، وينفقون قلوبهم  
على دوام مشاهدة الربوبية . فإنفاق أصحاب الشريعة من حيث الأموال ، وإنفاق أرباب  
الحقيقة من حيث الأحوال ، فهؤلاء يكتفي منهم عشرين بنصف ومن المائتين بخمس<sup>(٢)</sup> ، وعلى  
هذا السنن جميع الأموال يعتبر فيه النصاب . وأما أهل الحقائق فلو جعلوا من جميع أحوالهم  
- لأنفسهم ولخطوطهم - لحظة قامت عليهم القيامة .

[فصل] الزاهدون أنفقوا في طريقة متابعة هوام ، فأثروا رضا الله على مناهم ، والعابدون  
أنفقوا في سبيل الله وسعهم وقوام ، فلأزموا سرّاً وعلناً نفوسهم . وليريدون أنفقوا في سبيله  
ما يشغلهم عن ذكر مولاهم فلم يلتفتوا إلى شيء من دنياهم وعقباهم . والعارفون أنفقوا في سبيل  
الله ما هو سوى مولاهم فقرّبهم الحق سبحانه وأجزاهم ، وبحكم الأفراد به لقاهم .

(١) وردت ( تفصيل ) ولا يرجعها السياق فالتعمود ما يفصله العلم من مقادير زكاة المال .

(٢) إشارة إلى أن زكاة الأموال مقدارها ربع العشر .

[ فصل ] الأغنياء أنفقوا من نعمهم على عاقبتهم . والفقراء أنفقوا من همهم على منابستهم <sup>(١)</sup> .  
 ويقال العبد بقلبه وببدنه وبماله ، فبإيمانهم بالغيب قاموا بقاوتهم ، وبصلاتهم قاموا بنفوسهم ،  
 وبإفنائهم قاموا بأموالهم ، فاستحقوا خصائص القربة من معبودهم ، وحين قاموا ليحقه بالكلية  
 استوجبوا كمال الخصوصية .

قوله جلّ ذكره : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون﴾

إيمانهم بالغيب اقتضى إيمانهم بالقرآن ، وبما أنزل الله من الكتب قبل القرآن ، ولكنه  
 أعاد ذكر الإيمان هنا على جهة التخصيص والتأكيد ، وتصديق الواسطة صلى الله عليه وسلم  
 في بعض ما أخبر يوجب تصديقه في جميع ما أخبر ، فإن دلالة صِدِّقه تشهد على الإطلاق دون  
 التخصيص ، وإنما أيقنوا بالأخرة لأنهم شهدوا على الغيب فإن حارثة لما قال له رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً ، وكأني بأهل الجنة  
 يتزاورون وكأني بأهل النار يتعاوون <sup>(٢)</sup> . وكأني بعرش ربي بارزاً فقال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : أصبتَ فالزَمْ .

وهذا عامر بن عبد القيس يقول : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » . وحقيقة اليقين  
 التخلص عن تردد التخمين ، والتقصي عن مجوزات الظنون .

قوله جلّ ذكره : ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يعني على بيان

(١) من ( اناب ) وعند القشيري : التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتهما ، فكل من تاب  
 لخوف عقوبة فهو صاحب توبة ؛ ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة ، ومن تاب مراعاة للأمر  
 لرغبة في الثواب ، أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة ( الرسالة ص ٥٠ ) .

(٢) وردت ( وكأني بأهل النار يتعاوون ) ووردت في موضع آخر من الكتاب عند تفسير الآية ٤٩  
 من سورة البقرة ( يتعاوون ) . وبالرجوع إلى مصادر الحديث وجدناه على النحو التالي : « سأل النبي  
 (ص) حارثة فقال : لعل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ،  
 واطمأت نهارى ، وكأني انظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون ، وإلى أهل  
 النار في النار كيف يتعاوون . فقال له النبي (ص) : عرفت ظالم . » .

البراز بسند ضعيف عن انس ، والطبراني في الكبير من حديث الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضاً

من ربهم و يقين وكشف وتحقيق ، وذلك أنه تجلّى لقلوبهم أولاً بآياته ثم تجلّى لها بصفاته  
ثم تجلّى لها بحقه وذاته .

وقوم « على هدى من ربهم » بدلائل العقول ؛ وضعوها في موضعها فوصلوا إلى حقائق  
العلوم ، وقوم على بصيرة ملاطفات التقريب فيمشاهدة الرحمة والكرم وصلوا إلى بيان اليقين ،  
وآخرون ظهرت الحقيقة لأسرارهم فشهدوا بالغييب حقيقة الصدية ، فوصلوا بحكم العرفان  
إلى عين الاستبصار .

« وأولئك هم المفلحون » الفلاح الظفر بالبغية<sup>(١)</sup> ، والفوز بالطلبة ، ولقد نال القوم  
البقاء في مشهد اللقاء فظفروا بظهر الأعداء ، وهي غائمة<sup>(٢)</sup> النفوس من هواجسها ، ثم زلات  
القلوب من خواطرها<sup>(٣)</sup> ، فوقفوا بالحق للحق بلا واسطة من عقل ، أو رجوع  
إلى ذكر وفكر .

قوله جلّ ذكره : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم  
أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾

من كان في غطاء وصفه محجوباً عن شهود حقه فالإشارة لنعته أنه سيان عنده قول من  
دّله على الحق ، وقول من أعانته على استجلاب الحظ ، بل هو إلى دواعي الغفلة أميل ،  
وفي الإصغاء إليها أرغب . كيف لا ؟ وهو بكى الفرقة موسوم ، وفي سجن الغيبة محبوس ،  
وعن محل القرية ممنوع ، لا يحصل منهم إيمان ، لأنه ليس لهم من الحق أمان ؛ فلما لم يؤمنوا  
لم يؤمنوا . حكم سبق من الله حتم ، وقول له فصل ، وإن القدرة لا تعارض ، ومن زاحم الحق  
في القضية<sup>(٤)</sup> كبسته سطوات العزة ، وقصمته بواده<sup>(٥)</sup> الحكم .

ويقال إن الكافر لا يرعوى عن ضلّالته لما سبق من شقاوته ، وكذلك المربوط بأغلال  
نفسه محجوب عن شهود غيبه وحقه ، فهو لا يبصر رشده ، ولا يسلك قصده . ويقال إن

(١) وردت في س ( بالفتة ) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) الفاغة مرعى البهائم .

(٣) يقول القشيري في رسالته : إن الهاجس خاص بالنفس والخطر خاص بالقلب ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) القضية هنا معناها القضاء .

(٥) البواده ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة ( الرسالة ص ٤٤ ) .

الذى بقى فى ظلمات رعونته سواء عنده نصيح المرشدين وتسويلات المبطلين ، لأن الله سبحانه وتعالى نزع عن أحواله بركات الإنصاف ، فلا يدرك بسمع القبول ، ولا يُصْنَى إلى داعى الرشاد ، كما قيل :

وعلى النصوح نصيحتي وعلى عصيات النصوح

ويقال من ضلَّ عن شهود المِنَّة عليه فى سابق القسمة توهم أن الأمر من حركاته وسكناته فاتسكل على أعماله ، وتعامى عن شهود أفضاله .

قوله جلَّ ذكره : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>  
انختم على الشئ يمنع ما ليس فيه أن يدخله وما فيه أن يخرج منه ، وكذلك حَكَمَ الحق سبحانه ألا يُفارق قلوب أعدائه ما فيها من الجهالة والضلالة ، ولا يدخلها شئ من البصيرة والهداية . على أسماع قلوبهم غطاء الخذلان ، سدَّت تلك المسامع عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوساوس الشيطان وهواجس النفوس شغلتها عن استماع خواطر الحق . وأما الخواص فخواطر العلوم وجولان تحقيقات المسائل فى قلوبهم شغلت قلوبهم عن ورود أسرار الحق عليهم بلا واسطة ، وإنما ذلك لخاوص الخاوص ، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فى الأمم مُحدِّثون فإن يكن فى أمتى فعمر »<sup>(٢)</sup> فهذا المحدث مخصوص من الخواص كما أن صاحب العلوم مخصوص من بين العوام . وعلى بصائر الأجانب غشاوة فلا يشهدون لا ببصر العلوم ولا ببصيرة الحقائق ، ولهم عذاب عظيم لحساباتهم أنهم على شئ ، وغفلتهم عما مُنُوا من المحنة ( و... )<sup>(٣)</sup> فى الحال والمآل<sup>(٤)</sup> ، فى العاجل فرَّقته ، وفى الآجل حُرَّقته .

قوله جلَّ ذكره : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾

(١) للحديث صيغة أخرى « إن من أمتى مكلفين ومحدثين وإن عمر منهم » .

(٢) مشبهة فى م .

(٣) والأرجح أنها ( فى الحال والمآل ) حتى تلسج مع العاجل والآجل .

ثبتوا على نفاقهم ، ودأبوا على أن يلبسوا على المسلمين ، فهتك الله أستارهم بقوله : وما هم بمؤمنين كذا قيل :

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

ولما تجردت أقوالهم عن المعاني كان وبال ما حصلوه منها أكثر من النفع الذي توهموه فيها ، لأنه تعالى قال : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار » ولولا نفاقهم لم يزد عذابهم .

ويقال لما عديموا صدق الأحوال لم ينفعهم صدق الأقوال ، فإن الله تعالى قال : « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » فكانوا يقولون نشهد إنك رسول الله ، وكذلك من أظهر من نفسه ما لم يتحقق به افتضح عند أرباب التحقيق في الحال ، وقيل :

أيها المدعى سليمى هواها لست منها ولا قلامة ظفر

إنما أنت في هواها كواي أُلصقت في الهجاء ظلما بعمرو

قوله جلّ ذكره : ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾

عاد وبال خداعهم والعقوبة عليه<sup>(١)</sup> إلى أنفسهم فصاروا في التحقيق كأنهم خادعوا أنفسهم ، فما استهانوا إلا بأقذارهم ، وما استخفوا إلا بأنفسهم ، وما ذاق وبال فعلهم سواهم ، وما قطعوا إلا وتينهم . ومن كان عالماً بحقائق المعلومات فن رام خداعه إنما يخدع نفسه .

والإشارة في هذه الآية أن من تناسى لطفه السابق وقال لي ربى ومنى وأنا يقع في وهمه وظنه لك وبك ومنك وأنت ، وهذا التوهم أصعب العقوبات<sup>(٢)</sup> لأنه يرى سرايا فيظنه سرايا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه .

قوله جلّ ذكره : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ،

ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾

في قلوب المنافقين مرض الشك ، ويزيدهم الله مرضاً بتوهمهم أنهم نجوا بما لبسوا

(١) وردت في س (عليها) والأسح أن تكون عليه لأن الضمير يعود على الخداع وربما قصد التشبى بعودة الضمير على مفهوم ، وهو جرعة الخداع .

(٢) جاء في رسالة القشيري « التوحيد إسقاط الباءات فلا تقول لي وبى ومنى وإلى » ص ١٤٩



على المسلمين ، ثم لهم عذاب أليم مؤلم ، يَخْلُص وجهه إليهم في المآل . ( وفي ) الإشارة يحصل لمن خلط قصده بحظه ، وشاب إرادته بهواه ( أن ) يتقدم في الإرادة بقدِّم ، ويتأخر بالحفظ ومتابعة النفس بأخرى ، فهو لا يريد صادق ولا عاقل متثبت . ولو أن المناقذين أخلصوا في عقائدهم لآمنوا <sup>(١)</sup> في الآخرة من العقوبة كما آمنوا في الدنيا من نحو بذل الجزية وغير ذلك مما هو صفة أهل الشرك والذمة <sup>(٢)</sup> ، كذلك لو صدق المريد في إرادته لوصل بقلبه إلى حقائق الوصلة ، ولأدركته بركات الصديق فيها رame من الظفر بالبُغية ، ولكن حاله كما قيل :

فما ثبتنا فيثبت لنا عدل بلا حنف ولو خلصنا تخلصنا من المحن <sup>(٣)</sup>

وإن من سقمت عبادته حيل بينه وبين درجات الجنات ، ومن سقمت إرادته حيل بينه وبين مواصلات القرب والمناجاة . وأما من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكونهم <sup>(٤)</sup> إلى دار الغرور سقم لقلوبهم ، والزيادة في علمهم تكون بزيادة حرصهم ، كلما وجدوا منها شيئاً — تجلَّ لهم العقوبة عليه — يتضاعف حرصهم على ما لم يجدوه .

ثم من العقوبات العاجلة لهم تشتت همومهم ثم تنغص عيشهم فيبغون بها عن مولاهم ، ولم يكن لهم استمتاع ولا راحة فيما آثروه من متابعة هوائهم ، وهذا جزاء من أعرض عن صحبة مولاه ، وفي معناه قيل :

تبدلت فتبدلنا واحسرتنا لمن ابتغى عوضاً ليس له فلم يجد <sup>(٥)</sup>

والإشارة في العذاب الأليم بما كانوا يكذبون إنما هي الحسرة يوم الكشف إذا رأوا أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا ، ورأوا أنفسهم كيف خسروا .

(١) وردت ( لآمنوا ) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) وردت ( والذمة ) ، هي خطأ من الكتابة .

(٣) أصلها قليلاً في البيت لكي يؤدي معنى ، لأن ما في البيت من أخطاء كدائية تقدم على قبحه ، ونرجح أنها ( خوف ) لا ( حنف ) وإن كان الحنف معناه الميل إلا أن الحنف وهو الظلم أقرب .

(٤) ويحتمل أيضاً أنها في الأصل ( فركونهم ) حتى تتلاءم مع ( ومن ركن ) ، وتلاهما مبدول .

(٥) وزن البيت غير سليم وقد ورد فيه ( واخسرانا ) و ( ليلي ) ويبدو أن الناسخ قد وقع في أخطاء

أخرى عند النقل

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

الإشارة منها : أنه إذا دغاهم واعظ في قلوبهم من خفي خواطرهم إلى ما فيه رشدهم تتبعوا رخص التأويل ، ولبسوا على أنفسهم ما يشهد بقساوة قلوبهم ، وحين جحدوا يرهان الحق من خواطر قلوبهم نزع الله البركة من أحوالهم ، وأبدلهم تصامماً عن الحق ، وابتلاهم بالاعتراض على الطريقة<sup>(١)</sup> وسلبهم الإيمان بها .

وكما أن المرتد أشد على المسلمين عداوة كذلك من رجع عن الإرادة إلى الدنيا والعبادة فهو أشد الناس إنكاراً لهذه الطريقة ، وأبعد من أهلها ، وفي المثل : من اخترق كُدَّسه<sup>(٢)</sup> نعى أن يقع بجميع الناس ما أصابه .

وإرفاق المرتدين عن طريق الإرادة — عند الصادقين منهم — غير مقبول كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل زكاة ثعلبة .

ويقال كفى لصاحب الكذب فضيحة بأن يقال له في وجهه كذبت ، فهم لما قالوا إنما نحن مصلحون ، أ كذبهم الحق سبحانه فقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ : إِنَّا نَعْلَمُهُمْ فَتَفْضَحُهُمْ .

قوله عز ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ

قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ

هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الإشارة منها أن المنافقين لما دُعوا إلى الحق وصفوا المسلمين بالسُّفَهَاءُ ، وكذلك أصحاب الغنى إذا أُمرُوا بِتَرْكِ الدُّنْيَا وصفوا أهل الرشد بالكسل والعجز ، ويقولون إن الفقراء ليسوا على شيء ، لأنه لا مال لهم ولا جاه ولا راحة ولا عيش ، وفي الحقيقة هم الفقراء وهم أصحاب المحنة ، وقعوا في الذل مخافة الذل ، ومارسوا الهوان خشية الهوان ، شيدوا القصور ولكن

(١) يقصد القشيري طريقة الصوفية .

(٢) الكُدَّس بضم الكاف وتسكين الدال : المجتمع من كل شيء كالحب المحمود والتمر والدرام والرمل

والجمع اكُدَّاس ( الوسيط والسان ) .

سكنوا القبور ، زينوا المهد ولكن أدرجوا اللحد ، ركضوا في ميدان الغفلة ولكن عثروا  
في أودية الحسرة ، وعن قريب سيعلمون ، ولكن حين لا ينفعهم علمهم ، ولا ينفي  
عنهم شيء .

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ أفرسُ تحتك أم حارُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا

خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . الله يستهزئُ

بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴿

أراد المناقون أن يجمعوا بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين ، فإذا برزوا للمسلمين  
قالوا نحن معكم ، وإذا خلّوا بأضرابهم من الكفار أظهرُوا الإخلاص لهم ، فأرادوا الجمع بين  
الأمريّن فنّفوا عنهما . قال الله تعالى : « مذّبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ،  
وكذلك من رام أن يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل العادة لا يلتئم ذلك ، فالضدان  
لا يجتمعان ، و « المُكَاتَّبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دَرَمٌ » ، وإذا ادّلم الليل من هاهنا أدبر النهار  
من هاهنا ، ومن كان له في كل ناحية خليط ، وفي زاوية من قلبه ربيط كان نهياً للطوارق ،  
ينتابه كل قوم ، وينزل في قلبه كل ( . . . ) (١) ، فقلبه أبداً خراب ، لا يهناً بعيش ، ولا له  
في التحقيق رزق من قلبه ، قال قائلهم :

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

ولما قال المناقون إنما نحن مستهزون قال الله تعالى : « الله يستهزئُ بهم » أي يجازيهم  
على استهزائهم ، كذلك لما ألقى القوم أزمّتهم في أيدي الشهوات استهوتهم في أودية التفرقة ،  
فلم يستقر لهم قدم على مقام فتطرحوا في متاهات الغيبة ، وكما يمد المناقون في طغيانهم يعمهون  
يطيل مدة (٢) هؤلاء في مخايل الأمل فيكونون عند اقتراب آجالهم أطول ما كانوا أملاً ، وأسوأ  
ما كانوا عملاً ، ذلك جزاء ما عملوا ، ووبال ما صنعوا . وتحسين أعمالهم القبيحة في أعينهم من

(١) مشبهة في ص .

(٢) وربما كانت بطيل (مد) والسياق يقبل كليهما .

أشد العقوبات لهم ، ورضاؤهم بما فيه من الفترة<sup>(١)</sup> أَجَلٌ مصيبة لهم .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى  
فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين ﴾

الإشارة منها أن من بقى عن الحقوق بالبقاء في أوطان الحظوظ خسرت صفقتهم .  
وما ربحت تجارتهم . والذي رضى بالدنيا عن العقبى لى خسران ظاهر .

ومن آثر الدنيا أو العقبى على الحق تعالى لأشد خسرانا .

وإذا كان للصاب<sup>(٢)</sup> بفوات النعيم مغبونا فالذى مُنِيَ بالبعداء عن المناجاة وأنجاز<sup>(٣)</sup> بقلبه  
عن مولاه ، وبقي في أسر الشهوات ، لا إلى قلبه رسول ، ولا لروحه وصول ، ولا معه مناجاة ،  
ولا عليه إقبال ، ولا في سره شهود — فهذا هو المصاب والمُتَحَن .

وإن من فاته وقت فقد فاته ربه ، فالأوقات لا تخلف عنها ولا تبدل منها ، ولقد قال بعضهم :

كنت السواد لمقلتي فبكى عليك الناظر  
من شاء بعدك فليست فعليك كنت أخاذر

قوله جل ذكره : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما  
أضأت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم  
في ظلمات لا يبصرون ﴾

هذا مثل ضربه الله سبحانه للنافقين بمن استوقد نارا<sup>(٤)</sup> في ابتداء ليلته ثم أطفئت  
النيران فبقى صاحبها في الظلمة ، كذلك المنافق ظهر عليه شيء من العوافي في الدنيا بظاهره  
ثم امتحنوا في الآخرة بأليم العقوبة ، أو لاح شيء من إقرارهم ثم بقوا في ظلمة إنكارهم .

والإشارة من هذه الآية لمن له بداية جميلة ، يسلك طريق الإرادة ، ويتعني مدة ، ويقاسي  
بعد الشدة شدة ، ثم يرجع إلى الدنيا قبل الوصول إلى الحقيقة ، ويعود إلى ما كان فيه من  
ظلمات البشرية . أوزق عودهم ثم لم يشمر ، وأزهر غصنه ثم لم يدركه ، وعجل كسوف الفترة على

(١) الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها ، والوقفه سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل ،  
ووقفه المرید شر من فقرته ( الرسالة ص ١٩٩ ) .

(٢) وردت ( المصاب ) في من وهي غير ملائمة .

(٣) وردت ( وأنجاز ) والأرجح ما اخترنا .

(٤) وردت ( ناري ) والأرجح ما اخترنا .

أقمار حضوره ، وردته يد القهر بعد ما أحضره لسان اللطف ، فوطن عن القرب قلبه ، وغلّ من الطالبين نفسه ، فكان كما قيل .

حين قرّ الهوى وقلنا سررنا وحسبنا من الفراق أمينا

بعث البين رسله في خفاء فأبادوا من شملنا ما جمعنا

وكذلك تحصل الإشارة في هذه الآية لمن له أدنى شيء من المعاني فيظهر الدعاوى فوق ماهو به ، فإذا انقطع عنه ( . . . )<sup>(١)</sup> ماله من أحواله بقي في ظلمة دعاواه .

وكذلك الذي يركن إلى حطام الدنيا وزخرفها ، فإذا استتبّت الأحوال وساعد الأمل وارتفع المراد — برز عليه الموت من مكان المكر فيترك الكل ويحمل الكل .

قوله جل ذكره : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَمَ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

صم عن سماع دواعي الحق بأذان قلوبهم ، بكم عن مناجاة الحق باللسنة أسرارهم ، عمى عن شهود جريان المقادير بعيون بصائرهم ، فهم لا يرجعون عن تماديهم في تهتكهم ، ولا يرددون عن انهماكهم في ضلالتهم

ويقال صم عن السماع بالحق ، بكم عن النطق بالحق ، وعمى عن مطالعة الخلق بالحق . لم يسبق لهم الحكم بالاقلاع ، ولم تساعدهم القسمة بالارتداع .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ

وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ

حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾

معنى قوله أو لإباحته ضرب مثلهم إما بهذا وإما بذلك شبه القرآن بمطر ينزل من السماء ، وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق ، وشبه التجاءهم إلى الفرار عند سماع أصوات الرعد . كذلك الإشارة لأصحاب الغفلات إذا طرق أسماعهم وعظ الواعظين ، أو لاحت لقلوبهم أنوار السعادة ؛ ولو أقبلوا عما هم فيه من الغفلة لسعدوا ، لكنهم ركنوا إلى التشاغل بآمالهم الكاذبة ، وأصروا على طريقتهن الفاسدة ، وتعلوا بأعذار واهية ،

(١) هنا كلمات زائدة وضع الناسخ عليها علامات مميزة نوضح ضرورة الاستغناء عنها .



ويحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، ويسعون في الخطر بآيائهم<sup>(١)</sup> :

إن الكريم إذا حباك بوذّه سترّ القبيح وأظهر الإحسانا  
وكذا الملول<sup>(٢)</sup> إذا أراد قطيعة مل<sup>(٣)</sup> الرصال وقال كان وكانا

قوله جل ذكره : ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾

كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم  
قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمهم  
وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴿

من تمام مثل المنافقين — كذلك أصحاب الغفلات — إذا حضروا مشاهد الوعظ ،  
أو جنحت<sup>(٤)</sup> قلوبهم إلى الرقة ، أو داخلهم شيء من الوهلة تقرب أجوالهم من التوبة ،  
وتقوى رغبتهم في الإنابة حتى إذا رجعوا إلى تدبرهم ، وشاوروا إلى قرنائهم ، أشار الأهل  
والولد عليهم بالعود إلى دنياهم ، وبسطوا فيهم لسان النصيح ، وهذؤهم بالضعف والعجز ،  
فيضعف قصودهم ، وتسقط إرادتهم ، وصاروا كما قيل :

إذا ارعوى ، عاد إلى جهله كذى الضنى عاد إلى نكسة

وقال : « ولو شاء الله لذهب بسمهم وأبصارهم » يعني سمع المنافقين الظاهر وأبصارهم  
الظاهرة ، كما أصمهم وأعماهم بالسر ، فكذلك أرباب الغفلة ، والقانعون من الإسلام بالظواهر —  
فالله تعالى قادر على سلبهم التوفيق فيما يستعملونه من ظاهر الطاعات ، كما سلبهم التحقيق  
فما يستنبطونه من صفاء الحالات .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى ﴾

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم  
تتقون ﴿

العبادة موافقة الأمر ، وهى استفراغ الطاقة فى مطالبات تحقيق الغيب ، ويدخل فيه  
التوحيد بالقلب ، والتجريد بالسر ، والتفريد بالقصد ، والخضوع بالنفس ، والاستسلام للحكم .  
ويقال اعبدوه بالتجرد عن المحظورات ، والتجلى فى أداء الطاعات ، ومقابلة الواجبات

(١) جمع عين ومما هنا البعد .

(٢) وردت ( الملوك ) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) وردت ( ملا ) وهى خطأ فى النسخ .

(٤) وردت فى س ( جنهت ) وهى خطأ فى النسخ .

بالخشوع والاستكاشة ، والتجافي عن التعرّيج في منازل الكسل والاستهانة .  
 قوله : « لعلكم تتقون » : تقريب الأمر عليهم وتسهيله ، ولقد وقفهم بهذه الكلمة  
 — أعني لعل — على حد الخوف والرجاء .  
 وحقيقة التقوى التحرز والوفاء ( بالطاعة )<sup>(١)</sup> عن متوعدات العقاب .

قوله جل ذكره : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ،  
 وَالسَّمَاءَ بَنَاءً ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ  
 مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ  
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

تعرف إليهم بذكر ما من به عليهم من خلق السماء لهم سقفا<sup>(٢)</sup> مرفوعاً ، وإنشاء الأرض  
 لهم فرشاً موضوعاً ، وإخراج النبات لهم بالمطر رزقاً مجموعاً . ويقال اعتقهم عن مينة الأمثال  
 بما أراح لهم من العلة فيها لا بد منه ، فكافيتهم السماء لهم غطاءً ، والأرض وطاءً ، والمباحات  
 رزقاً ، والطاعة حرفة ، والعبادة شغلاً ، والذكر مؤسداً ، والرب وكيلًا — فلا تجعلوا لله  
 أنداداً ، ولا تعلقوا قلوبكم بالأغيار في طلب ما تحتاجون إليه ؛ فإن الحق سبحانه وتعالى  
 متوحد بالإبداع ، لا يحدث سواه ، فإذا توهمتم أن شيئاً من الحادثات من نفع أو ضرر ،  
 أو خير أو شر يحدث من مخلوق كان ذلك — في التحقيق شيراً كآ .

وقوله عز وجل : « وأنتم تعلمون » أن من له حاجة في نفسه لا يصلح أن ترفع حاجتك إليه .  
 وتعلق المحتاج بالمحتاج ، واعتماد الضعيف على الضعيف يزيد في الفقر ، ولا يزيل هواجس الضرر .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا  
 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا  
 شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا  
 فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ  
 وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

(١) هذه كلمة احتاجها السياق فأضفناها مستفيدين من أقوال القشيري في موقف مماثل في الرسالة ص ٥٦ .  
 (وحقيقة الاتقاء التحرز ... ..) .  
 (٢) وردت ( شقفا ) وهي خطأ في النسخ .

لبس على بصائر الأجانب حتى لم يشهدوا حبيبه صلوات الله عليه ، فتأهوا في أودية  
الظنون لما قدسوا نور العناية ، فلم يزد الرسول عليهم إتيانا بالآيات ، وإظهاراً من المعجزات  
إلا ازدادوا ريباً على ريب وشكاً على شك ، وهكذا سبيل من أعرض عن الحق سبحانه ؛  
لا يزيده ضياء الحجج إلا عَمَى عن الحقيقة ؛ قال الله تعالى : « وما تُغْنِي الآيات والنُّذُر عن قوم  
لا يؤمنون » ، وليبلغ عليهم في إزام الحجة عرفتهم عجزهم عن معارضة ما آتاهم من معجزة القرآن  
الذي قهر الأنام من أولهم إلى آخرهم ، وقدّر عليهم أنهم لو تظاهروا فيما بينهم ، واعتضدوا  
بأشكالهم ، واستفروغوا كُنْه طاقاتهم واحتياهم لم يقدروا على الإتيان بسورة مثل سورة  
القرآن . ثم قال فإن لم تفعلوا — وأخبر أنهم قطعاً لا يقدرُونَ على ذلك ولا يفعلون فقال :  
« ولن تفعلوا » ، فكان كما قال — فانظروا لأنفسكم ، واحذروا الشُّركَ الذي يوجب  
لكم عقوبة النار التي من ( سطوتها )<sup>(١)</sup> بحيث وقودها الناس والحجارة ، فإذا كانت تلك  
النار التي لا تثبت لها الحجارة مع صلابتها ( )<sup>(٢)</sup> فكيف يطيقها الناس مع ضعفهم ،  
وحين أشرفت<sup>(٣)</sup> قلوب المؤمنين على غاية الإشفاق من سماع ذكر النار تداركها بحكم  
التثبیت فقال : « أُعِدَّتْ للكافرين ، ففي ذلك بشارَةٌ للمؤمنين . وهذه سُنَّةٌ من الحق  
سبحانه : إذا خُوف أعداءه<sup>(٤)</sup> بَشَّرَ مع ذلك أوليائه .

وكما أن كيد الكافرين يضمحل في مقابلة معجزات الرسل عليهم السلام فكذلك دعاوى  
المُلْبِسِينَ تتلاشى عند ظهور أنوار الصديقين ، وأمارَةُ المُبْطِلِ في دعواه رجوعُ الزجر منه  
إلى القلوب ، وعلامة الصادق في معناه وقوع القهر<sup>(٥)</sup> منه على القلوب . وعزيزٌ من فصل  
وميزٌ بين رجوع الزجر وبين وقوع القهر .

قوله جل ذكره : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا

الصلحَات أَن لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

(١) وردت بالمعاد وعند ذلك يكون الخطأ من الناسخ ، وربما كانت في الأصل ( صفتها ) ، وقد نخبنا  
( سطوتها ) لأنها أقرب إلى الشكل الوارد ولتلاؤمها مع المعنى والسياق .

(٢) هنا كلمة زائدة وضع الناسخ عليها علامة مميزة .

(٣) وردت باللفاف وهي خطأ في النسخ .

(٤) وردت هكذا ( أعداويه ) وهي خطأ في النسخ .

(٥) وردت ( التهم ) ولكن ما جاء بعدها يثبت خطأ الناسخ ، فضلاً عن أنها غير ذات معنى هنا .

هذه البشارة بالجنان تتضمن تعريفاً بنعم مؤجلة لعبود المؤمنين على الوصف الذى يُشرَح بلسان التفسير . ويشير إلى البشارة للخواص بنعم مُعَجَّلَة مضافة إلى تلك النعم يتيح(ها) الله لهم على التخصيص ، فتلك المؤجلة<sup>(١)</sup> جنان المثوبة وهذه جنان القربة ، وتلك رياض النزهة وهذه رياض الزلفة ، بل تلك حدائق الأفضال وهذه حدائق الوصال ، وتلك رفع الدرجات وهذه رَوْح المناجاة ، وتلك قضية جوده ، هذه الاشتغال بوجوده ، وتلك راحة الأبرار وهذه نزهة الأسرار ، وتلك لطف العطاء للظواهر وهذه كشف الغطاء عن السرائر ، وتلك لطف نواله وأفضاله وهذه كشف جماله وجلاله .

قوله جل ذكره : ﴿ كَلِمَاتُ رُزْقٍ قَوَّامَةٍ مِنْهُمْ مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مِثْلَهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

كما أن أهل الجنة تتجدد<sup>(٢)</sup> عليهم النعم فى كل وقت ، فالثانى عندهم — على ما يظنون — كالأول ، فإذا ذاقوه وجدوه فوق ما تقدم — فكذلك أهل الحقائق : أحوالهم فى السرائر أبداً فى الترقى ، فإذا رُقِّ أحدهم عن محله توهم أن الذى سيلقاه فى هذا النفس مثل ما تقدم فإذا ذاقه وجدته فوق ذلك بأضعاف ، كما قال قائلهم :

ما زلت أنزل من ودادك منزلاً      تنحيرُ الأبواب دون نزوله

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

الاستحياء من الله تعالى بمعنى التُّرْك ، فإذا وصف نفسه بأنه يستحي من شيء فعناه أنه لا يفعل ذلك وإذا قيل لا يستحي فعناه لا يبالي بفعل ذلك .

والخلقُ فى التحقيق — بالإضافة إلى وجود الحق — أقلُّ من ذرةٍ من الهباء فى الهواء ،

(١) وقع النسخ فى خطأ فكتبت ( المعجلة ) والسياق يرفضها لأن الإشارة للبعيد بتلك وللتقريب بهذه .

(٢) وردت ( يحدد ) والسياق يرفضها ويقبل ( تتجدد ) وربما كانت ( يحدد ) أى الحق سبحانه وتعالى يحدد .

لأن هذا استهلاك محدود في محدود . فسيان — في قدرته (٣) — العرش والبعوضة ، فلا يخلق العرش أشق وأعسر ، ولا يخلق البعوضة أخف عليه وأيسر ، فإنه سبحانه مُتَقَدِّسٌ عن حقوق العُسر والبُسر .

فإذا كان الأمر بذلك الوصف ، فلا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلاً كما لا يستحي أن يضرب بالعرش — فمادونه — مثلاً .

وقيل إن جهة ضرب المثل بالبعوضة أنها إذا جاءت فَرَّتْ (١) وطارَتْ ، وإذا شَبِعَتْ تشقَّتْ فَنَلَفَتْ كذلك ( إن الإلسان ليطغى أن رآه استغني ) .

وقيل ما فوقها يعنى الذباب ، وجهة الإشارة فيه إلى وقاحته ، حتى إنه ليعود عند البلاغ في الذب ، ولو كان ذلك في الأسد لم ينبج منه أحد من الخلق ، ولكنه لما خلق القوة في الأسد خلق فيه تنافراً من الناس ، ولما خلق الوقاحة في الذباب خلق فيه الضعف ، تنبيهاً منه سبحانه على كمال حكمته ، ونفاذ قدرته .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ ﴾ .

فأما من فتحت أبصار سرائره فلا ينظر إلى الأغيار والآثار إلا بنظر الاعتبار ، ولا يزداد إلا نفاذاً لاستبصار . وأما الذين سكرت أبصارهم بحكم الغفلة فلا يزيدهم ضرب الأمثال إلا زيادة الجهل والإشكال والأنكال .

قوله جل ذكره : ﴿ يُضِلُّهُ بِكَثِيرٍ وَيَهْدِيهِ بِكَثِيرٍ وَمَا يُضِلُّهُ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۖ ﴾ .

هذا الكتاب لقوم شفاء ورحمة ، ولآخرين شقاء وفتنة . فمن تعرّف إليه يوم الميثاق بأنوار العناية حين سمعوا قوله : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » تذكروا عند ورود الواسطة — صلوات الله عليه وعلى آله — قديم عهده ، وسابق وُدّه فازدادوا بصيرة على بصيرة ، ومن رَمَمَهُ بِذُلِّ القطيعة ، وأنطقه ذلك اليوم عن الحسبان والرهبة ما ازدادوا عند حصول الدعوة

(١) وردت ( فريت ) وهي خطأ في النسخ . (٣) وردت ( قدرة ) .



النبوية إلا جُهداً على جُهد ، وما خفى عليهم اليوم صادق الدلالة ، إلا لما تقدم لهم سابق الضلالة . لذلك قال الله تعالى : « وما يضل به إلا الفاسقين » .

قوله جل ذكره : ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ .

الإشارة فيه إلى حال من سلك طريق الإرادة ، ثم رجع إلى ما هو عليه أهل العادة ، قال بتركة نفسه ثم لم يصدق حين عزم الأمر ، ونزل من إشارة الحقيقة إلى رخص الشريعة<sup>(١)</sup> ، وكما أن من سلك الطريق بنفسه — ما دام يبقى درهم في كيسه — فغير محمود رجوعه فكذلك من قصد بقلبه — ما دام يبقى نفس من روحه — فغير مرضى رجوعه : إن الألى ماتوا على دين الهدى وجدوا المنية منهلاً معلولاً<sup>(٢)</sup> .

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : وصل أسباب الحق بقطع أسباب الخلق ، ولا يتم وصل ماله إلا بقطع مالك ، فإذا كان الأمر بالعكس كان الحال بالضد .

ومما أمر العبد بوصله : حفظه ذمام أهل هذه الطريقة ، والإنفاق على تحصيل ذلك بصدق الهم لا ببذل النعم ، فهمهم على اتصال أسباب هذه الطريقة وانتظام أحوالها موقوفة ، وقلوبهم إلى توقع الحراسة من الله تعالى لأهلها مصروفة . وفساد هذه الطريقة في الأرض : أما من لم حواشي أحوالهم ، وإطراق أمورهم فيتشغلون عن إرشاد مريد بكلامهم ، وإشحاد قاصد بهمهم ، وذلك مما لا يرضى به الحق سبحانه منهم .

ومن نقض العهد أيضاً أن يحيد سيرك لحظة عن شهوده ، ومن قطع ما أمرت بوصله

---

(١) من عناصر المذهب الصوفي عند القشيري إلحاحه الدائم على ألا يلجأ الصوفي إلى الاسترخاس ، ذلك لأن الرخصة — وإن كانت محتاجة بأمر الشريعة — إلا أنها — أي التريفة — للعموم ، وفيها يؤخذ في الاعتبار أمر المستضعفين وأصحاب الأشغال والحوائج أما « هؤلاء الطائفة فليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، فإذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عهده مع الله تعالى » . الرسالة ص ١٩٩ .

(٢) وردت (الهوى) وفي موضع آخر من اللطائف (و ١٦٥) وردت : (منهلاً معلولاً) .

أن يتخلل أوقاتك نفس لحظك دون القيام بحقه ، ومن فسادك في الأرض ساعة تجري عليك ولم تره فيها . ألا إن ذلك هو الخسران المبين ، والمحنة العظيمة ، والرزية الكبرى .

قوله جل ذكره : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ .

هذه كلمة تعجيب وتعظيم لما فيه العبد ، أى لا ينبغي مع ظهور الآيات أن ينجح إلى الكفر قلبه .

ويقال تعرف إلى الخلق بلوائح دلالاته ، ولوامع آياته . فقال : « وكنتم أمواتاً » يعنى نطفة ، أجزاءها متساوية ، « فأحياكم » : بشراً اختص بعض أجزاء النطفة بكونه عظماً ، وبعضها بكونه لحماً ، وبعضها بكونه شعراً ، وبعضها بكونه جلداً . . . إلى غير ذلك .

« ثم يميتكم » بأن يجعلكم عظاماً ورفاتا ، « ثم يحييكم » بأن يحشركم بعدما صرتم أمواتاً ، « ثم إليه ترجعون » أى إلى ما سبق به حكم من السعادة والشقاوة .

ويقال « كنتم أمواتاً » بجهلكم عنّا ، ثم « أحياكم » بمعرفتكم بنا ، « ثم يميتكم » عن شواهدكم ، « ثم يحييكم » به بأن يأخذكم عنكم ، « ثم إليه ترجعون » أى يحفظ أحكام الشرع بإجراء الحق<sup>(١)</sup> .

ويقال « كنتم أمواتاً » لبقاء نفوسكم فأحياكم بفناء نفوسكم ثم يميتكم عنكم عن شهود ذلك لئلا تلاحظوه فيفسد عليكم ، ثم يحييكم بأن يأخذكم عنكم ثم إليه ترجعون بتقليبكم في قبضته سبحانه وتعالى .

ويقال يحبس عليهم الأحوال ؛ فلا حياة بالدوام ولا فناء بالكلية ، كلما قالوا هذه حياة — وبيناهم كذلك — إذ أدال عليهم فأفناهم ، فإذا صاروا إلى الفناء أثبتهم وأبقاهم ، فهم أبدأ بين نفي وإثبات ، وبين بقاء وفناء ، وبين صحو ومحو . . . كذلك جرت سنته سبحانه معهم .

(١) وردت ( بأجزاء ) وهى خطأ قطعاً .

والمقصود بإجراء الحق هنا هو ما سبق أن فوّطنا به في هامش سابق من حالة الفرق الثاني حيث « يرد العبد إلى الصحو عند اوقات أداء الفرائض ليجرى عليه الفرائض في أوقاتها فيكون رجوعاً لله بالله . فالخلق يجري أفعاله وأحواله عليه » الرسالة ص ٣٩ .

قوله جل ذكره : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ .  
سخر لهم جميع المخلوقات على معنى حصول انتفاعهم بكل شيء منها ، فعلى الأرض يستقرون  
وتحت السماء يسكنون ، وبالنجم يهتدون ، وبكل مخلوق بوجه آخر ينتفعون . لا بل ما من عين  
وأثر فكروا فيه إلا وكمال قدرته وظهور ربوبيته به يعرفون .

ويقال مهَّد لهم سبيل العرفان ، ونهَّهم إلى ما خصَّهم به من الإحسان ، ثم علمهم علوَّ الهمة  
حيث استخلص لنفسه أعمالهم وأحوالهم فقال « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر » .

قوله جل ذكره : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع  
سماوات ، وهو بكل شيء عليم ﴾  
فالأكوان بقدرته استوت ، لا أن الحق سبحانه بذاته — على مخلوق — استوى ، وأننى  
بذلك ١ والأحدية والصمدية حقه وما توهموه من جواز التخصيص بمكان فحال ما توهموه ،  
إذ المسكان به استوى ، لا الحق سبحانه على مكان بذاته استوى .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل  
في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من  
يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن  
نسبح بحمدك وتقديسك قال إني أعلم  
ما لا تعلمون ﴾ .

هذا ابتداء إظهار سيره في آدم وذريته . أمر حتى سلَّ من كل بقعة طينة ثم أمر بأن يخر  
طينه أربعين صباحاً ، وكل واحد من الملائكة ينفى <sup>(١)</sup> العجب : ما حكم هذه الطينة ؟ فلما  
ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلها في بديع الصنعة وعجيب الحكمة ، فحين قال « إني جاعل  
في الأرض . . . » تَرَجَّعت الظنون ، وتقسَّمت القلوب ، وتجنَّت الأقاويل ، وكان كما قيل :

وكم أبصرتُ من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري  
ويقال إن الله سبحانه وتعالى خلق ما خلق من الأشياء ولم يقل في شأن شيء منه ما قال  
في حديث آدم حيث قال : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، فظاهر هذا الخطاب يشبه المشاورة

(١) وردت في م ( يقضى ) بالغاف والصواب أن تكون ( يقضى ) بالغاء .

لو كان من المخلوقين . والحق سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها ، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء وكمال الصورة ، ولم يقل إني خالق عرشاً أو جنة أو ملكاً ، وإنما قال تشریفاً وتخصيصاً لآدم إني جاعل في الأرض خليفة .

[ فصل ] ولم يكن قول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها » على وجه الاعتراض على التقدير ولكن على جهة الاستفهام ، فإن حَمَلَ الخطاب على ما يوجب تنزيه الملائكة أولى لأنهم معصومون . . قال تعالى « لا يعصون الله ما أمرهم » .

ويقال استخرج الحق سبحانه منهم ما استكن في قلوبهم من استعظام طاعتهم والملاحظة إلى أفعالهم بهذا الخطاب ؛ فأفصحوا عن خفايا أسرارهم بقولهم : « ونحن نسبح بحمدك » . ثم إن الحق سبحانه عرفهم أن الفضيلة بالعلم أنهم من الفضيلة بالفعل ، فهم كانوا أكثر فعلاً وأقدمه ، وآدم كان أكثر علماً وأوفره ، فظهرت فضيلته ومرتبته .

ويقال لم يقل الحق سبحانه أنتم لا تفسدون فيها ولا تسفكون الدماء بل قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، من غفراني لهم .

ويقال : في تسبيحهم إظهار فعلهم واشتهار خصائصهم وفضلهم<sup>(١)</sup> ، ومن غفرانه لمعاصي بني آدم إظهار كرمه سبحانه ورحمته ، والحق سبحانه غنى عن طاعات كل مطيع ، فلئن ظهر بتسبيحهم استحقاق تمدحهم ثبت بالغفران استحقاق تمدح الخالق سبحانه .

ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من صفاء عقائد المؤمنين منهم في محبتنا ، وذكاء أسرارهم في حفظ عهودنا وإن تدس بالعصيان ظاهرهم ، كما قيل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءته محاسنه بألف<sup>(٢)</sup> شفيح

ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من محبتي لهم ، وأنتم تظهرون أحوالكم ، وأنا أخفي عليهم أسرارى فيهم ، وفي معناه أنشدوا :

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب

كأنهم أثنوا — ولم يعلموا — عليك عندي بالذي عابوا<sup>(٣)</sup>

(١) نلاحظ هنا تأثير التشبیه بفكرة الملامة النيسابورية التي ظهرت في موطنه ، والتي من أصولها عدم إظهار الفعل ، لأن في ذلك ملاحظة واستجلاب ، ملاحظة لفعل الإنسان وهو مهمل بلغ تافه حقير ، واستجلاب لرضاء الناس والاشتهار بينهم ، وكلا الأمرين - في نظر الملامية - شرك خفي .

(٢) وردت ( بألفي ) وبها ينكسر الوزن .

(٣) وردت أخطاء كثيرة في البيتين مثل ( ضربك ) ولم ( يملوا عليك ) .

ويقال إنى أعلم مالا تعلمون من انكسار قلوبهم وإن ارتكبوا قبيح أفعالهم ، وصولاً  
قلوبكم عند إظهار تسبيحكم وتقديسكم ، فأنتم فى رتبة وفاقكم وفى عصمة أفعالكم ، وفى تجميل  
تسبيحكم ، وهم مُنكرون عن شواهدهم ، متذللون بقلوبهم ، وإن لانكسار قلوب العباد عندنا  
لذماما قويا .

ويقال أى خطر لتسبيحكم لولا فضلى ، وأى ضرر من ذنوبهم إذا كان عفوى ؟ ويقال  
لبسُّكم طاعتكم ولبستهم رحمتى ، فأنتم فى صدار<sup>(١)</sup> طاعتكم وفى حُلَّةٍ تقديسكم وتسبيحكم ،  
وهم فى تغمد عفوى وفى ستر رحمتى ألبستهم ثوب كرمى ، وجللتهم رداء عفوى .

ويقال: إن أسعدتكم عصمتى فلقد أدركتهم رحمتى .  
وإيصال عصمتى بكم عنده وجودكم وتعلق رحمتى بهم فى أزلى .  
ويقال : لئن كان مُحسنُكم عتيقَ العصمة فإن مجرمهم غريق الرحمة  
ويقال : اتسكلم على زكى أحوالهم فأجلألم إلى الاعتراف بالجهالة حتى يتبرأوا عن المعارف  
إلا بمقدار ما من به الحق عليهم فقالوا : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى  
الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

عموم قوله الأسماء يقتضى الاستغراق ، واقتران قوله سبحانه بكُلِّها يوجب الشمول  
والتحقيق ، وكما علمه أسماء المخلوقات كلها — على ما نطق به تفسير ابن عباس وغيره — علمه  
أسماء الحق سبحانه ، ولكن إنما أظهر لهم<sup>(٢)</sup> محل تخصصه فى علمه أسماء المخلوقات وبذلك  
المقدار بان رجحانه عليهم ، فأما انفراده بمعرفة أسمائه — سبحانه — فذلك سرٌّ لم يُطْلِع عليه  
مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ . ومن ليس له رتبة مساواة آدم فى معرفة أسماء المخلوقات فأى طمع فى مداناته  
فى أسماء الحق ، ووقوفه على أسرار الغيب ؟

وإذا كان التخصيص بمعرفة أسماء المخلوقات يتقضى أن يصحَّ ( به سجود )<sup>(٣)</sup> الملائكة

(١) الصدار قبس صغير إلى الجسد ، ولاحظ مقابلة الشيرى بين الصدار للملائكة وبين الثوب والرداء  
للإنسان لتدرك مقاصده البعيدة .

(٢) أى للملائكة .

(٣) وردت لى من ( بسجود ) ورجح أنها كما أثبتنا .



فما العن بالتخصيص بمعرفة أسماء الحق سبحانه ؟ ما الذي يُوجب لمن أكرم به ؟

ويقال خصوصية الملائكة بالتسبيح والتقديس وهذه طاعات تليق بالخلقين ؛ فإن الطاعة سعة العبيد ولا تنعدم ، والعلم في الجملة صفة مدح يجب في نعمت الحق سبحانه وإيجاباً لا يصح لغيره ، فالذي يُكرمه بما يتصف هو سبحانه ( بيانه وإن كان للمساواة أتم من الكرام بما يكون مخلوقاً على جنس المخلوقات )<sup>(١)</sup> .

ويقال أكرمه في السر بما علمه ثم بين تخصيصه يوم الجهر وقدمه . ويقال قوله : « ثم عرضهم » ثم : حرف تراخ ومهلة . « إِمَّا على آدم ؛ فإنه أمهله من الوقت ما تقرر ذلك في قلبه ، وتحقق المعلوم له بحقه ثم حينئذ استخبره عما تحقق به واستيقنه . وإِمَّا على الملائكة ؛ فقال لهم على وجه الوهلة : « أنبئوني » فلما لم يتقدم لهم تعريف تحيروا ، ولما تقدم لآدم التعليم أجاب وأخبر ، ونطق وأفلح ، إظهاراً لعنايته السابقة — سبحانه — بشأنه .

وقوله : « إن كنتم صادقين » فيه إشارة إلى أنهم تعرّضوا لدعوى الخصوصية ، والفضيلة والمزية على آدم ، فعرّفهم أن الفضل ليس بتقديم تسبيحهم لكنه في قديم تخصيصه . ولما علم الحق سبحانه تقاصر علومهم عن معرفة أسماء المخلوقات ثم كلّفهم الإنباء عنها صار فيه أوضح دلالة على أن الأمر أمره ، والحكم حكمه ، فله تكليف المستطيع ، ردّاً على من توهم أن أحكام الحق سبحانه مُعلّلة باستحسان أرباب الغفلة بما يدعونه من قضايا العقول ، لا بل له أن يلزم ما يشاء لمن يشاء ، الحسن ما حكم بتحسينه والقبيح ما حكم بتقبيحه<sup>(٢)</sup> .

قوله جلّ ذكره : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

قدّموا الثناء على ذكر ما اعتذروا به ، ونزهوا حقيقة حكمه عن أن يكون يعرض وهم المعارضون<sup>(٣)</sup> ، يعني لا علم لنا بما سألتنا عنه ، ولا يتوجه عليك لوم في تكليف العاجز

(١) هكذا جاءت العبارة في م وهي لا تخلو من غموض ولسكننا آثرنا عدم التدخل في إصلاحها نظراً

لخطورة الموقف الذي تصفه ، ونرجح أن النسخ مخطئ ، في نقله .

(٢) يشير التشبيري هنا بالاعتزلة الذين يقيسون الأفعال الإلهية بمقاييس إنسانية عقلية ( ولسكنهم نزهوا

الله من حيث العقل فأخطأوا ونزهه الصوفية من حيث العلم فأصابوا ) الرسالة ص ٢٩ .

(٣) وردت ( المعارضين ) ، ويمرض هنا مضارع عرض في الآية السابقة .

بما علمت أنه غير مستطيع له ، إنك أنت العليم الحكيم أى ما تفعله فهو حقٌ صِدْقٌ ليس لأحد عليك حكمٌ ، ولا منك سَفَهٌ وقبح .

قوله جلّ ذكره : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

من آثار العناية بآدم عليه السلام أنه لما قال للملائكة : « أَنْبِئُونِي » دَاخِلُهُمْ مِنْ هَيْبَةِ الْخُطَابِ مَا أَخَذَهُمْ عَنْهُمْ ، لَا سِوَا حِينَ طَالَبَهُمْ بِأَنْبِئِهِمْ إِيَّاهُ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ عُلُومُهُمْ . ولما كان حديث آدم عليه السلام ردّه في الإنبياء إليهم فقال : « أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ » ومخاطبة آدم عليه السلام للملائكة لم يوجب له الاستغراق في الهيبة . فلما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنها علومهم ظهرت فضيلته عليهم فقال : « أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » يعنى ما تقاصرت عنه علوم الخلق ، وأعلم ما تبدون من الطاعات ، وتكتمون من اعتقاد الخيرية على آدم عليه السلام والصلاة .

[ فصل ] ولما أراد الحق سبحانه أن يُنَجِّىَ (١) آدَمَ عَصِيهِ ، وَعَلَّمَهُ ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهِ آثَارَ الرِّعَايَةِ حَتَّى أَخْبَرَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ ، وَحِينَ أَرَادَ إِمْضَاءَ حُكْمِهِ فِيهِ أَدْخَلَ عَلَيْهِ النِّسْيَانَ حَتَّى نَسِيَ فِي الْحَضْرَةِ عَهْدَهُ ، وَجَاوَزَ حَدَّهُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عِزْمًا » فالوقت الذى ساعدته العناية تقدم على الجملة بالعلم والإحسان ، والوقت الذى أمضى عليه الحكم ردّه إلى حال النسيان والعصيان ، كذا أحكام الحق سبحانه فيها تجرى وتمضى ، ذلّ بحكمه العبيد ، وهو فعّال لما يريد .

[ فصل ] ولما توهّموا حصول تفضيلهم بتسبيحهم وتقديسهم عرفهم أن بساط العز مقدس عن النجمل بطاعة مطيع أو التدنس بزلة جاحد عنيد ، فردّهم إلى السجود لآدم أظهر الغناء عن كل وفاق وخلاف (٢) .

(١) وردت (ينجب) وهى بلا ريب خطأ فى النسخ ويمكن أن تكون ينبجى آدم - نها أثبتنا - أو ينبجو آدم ، والأرجح ما اخترناه .

(٢) وردت (وخلاق) وهى خطأ فى النسخ ، وقد اخترنا ما يلائم السياق .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ  
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ  
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

السجود لا يكون عبادة لِعَيْنِهِ<sup>(١)</sup> ولكن لموافقة أمره سبحانه ، فكان سجودهم لآدم  
عبادة لله ؛ لأنه كان بأمره ، وتعظيماً لآدم لأنه أمرهم به تشریفاً لشأنه ، فكان ذلك النوع  
خضوع له ولكن لا يسمى عبادة ، لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح  
لغيره سبحانه .

ويقال بَيِّنْ أَنْ تَقْدُسَ — سبحانه — بجلاله لا بأفعاله ، وأن التَّجَلُّلَ بتقديسهم وتسييحهم  
عائدٌ إليهم ، فهو الذي يجل من أَجَلِّهِ بجلاله لا بأفعاله ، ويعز من أعزّ قدره سبحانه بإعزازه ،  
جَلٌّ عن إجلال الخلق قدره ، وعزٌّ عن إعزاز الخلق ذِكْرُهُ .

قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ أبي بقلبه ، واستكبر عن السجود بنفسه ، وكان  
من الكافرين في سابق حكمه وعلمه . ولقد كان إبليس مدةً في دلال طاعته يختال في صدار  
موافقته ، سلّموا له رتبة التقدم ، واعتقدوا فيه استحقاق الاختصاص ، فصار أمره كما قيل :

وكان سراج الوصل أزهى بيننا      فهبت به ريحٌ من البين فانظفا  
كان يحسب لنفسه استيجاب الخيرية ، ويحسب استحقاق الزلفة والخصوصية :  
فبات بخير والدني<sup>(٢)</sup> مطمئنة      وأصبح يوماً والزمان تقلبا

فلا سالفَ طاعةٍ نفعه ، ولا آفَ رجعةٍ رفعه ، ولا شفاعةٍ شفيحٍ أدركته ، ولا سابقَ  
عنايةٍ أمسكته . ومن غلبه القضاء لا ينفعه العناء .

ولقد حصلت من آدم هفوة بشرية ، فتداركتُه رحمةٌ أحذية ، وأما إبليس فأدركته شقوة  
أزلية ، وغلبته قسمة وقضية . خاب رجاؤه ، وضلّ عناؤه .

---

(١) الضمير عائد على آدم أي ليس السجود لآدم عينه ، ويحتمل أنها ( لغيره ) بدليل قوله فيما بعد  
( وذلك لا يصح لغيره سبحانه )

(٢) وردت ( الزمان ) وقد صححنا البيت طبقاً لما ورد في عيون الأخبار لابن قتيبة .

قوله جل ذكره : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ  
الْجَنَّةَ وَكُلَا<sup>(١)</sup> مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا  
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا  
مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

أَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ وَلَكِنْ أَثْبَتَ مَعَ دُخُولِهِ شَجَرَةَ الْمَحَنَةِ ، وَلَوْ لَا سَابِقُ التَّقْدِيرِ لَكَانَ يُبَدَّلُ  
تِلْكَ الشَّجَرَةُ بِالنُّضَارَةِ ذُبُولًا ، وَبِالْخُضْرَةِ يَبَسًا ، وَبِالْوُجُودِ فَقْدًا ، وَكَانَتْ لَا تَصِلُ يَدُ آدَمَ  
إِلَى الْأَوْرَاقِ لِيَخْصِفَهَا عَلَى نَفْسِهِ — وَيَقَعُ مِنْهُ مَا يَقَعُ .

وَلَوْ تَطَاوَلَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ حَتَّى كَانَتْ لَا تَصِلُ إِلَيْهَا يَدُهُ حِينَ مَدَّهَا لَمْ يَقَعْ فِي شَأْنِهِ كُلِّ ذَلِكَ  
التَّشْوِيشَ وَلَكِنْ بَدَأَ مِنَ التَّقْدِيرِ مَا سَبَقَ بِهِ الْحُكْمُ .

وَلَا مَكَانَ أَفْضَلَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَلَا بَشَرًا أَكْيَسَ مِنْ آدَمَ ، وَلَا نَاصِحَ يَقَابِلُ قَوْلَهُ إِشَارَةَ الْحَقِّ  
عَلَيْهِ ، وَلَا غَرِيبَةً ( مِنْهُ ) قَبْلَ ارْتِكَابِهِ مَا ارْتَكَبَ ، وَلَا عَزِيمَةً أَشَدَّ مِنْ عَزِيمَتِهِ — وَلَكِنْ  
الْقُدْرَةَ لَا تُكَابَرُ ، وَالْحُكْمَ لَا يُعَارَضُ .

وَيَقَالُ لَمَّا قَالَ لَهُ : « اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا » كَانَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ  
الَّذِي يَلِيقُ بِالْخَلْقِ السَّكُونُ إِلَى الْخَلْقِ ، وَالْقِيَامُ بِاسْتِجْلَابِ الْحِظِّ ، وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ  
كَانَ بِكُلِّ خَيْرٍ وَكُلِّ عَافِيَةٍ ، فَلَمَّا جَاءَ الشَّكْلُ وَالزَّوْجُ ظَهَرَتْ أُنْيَابُ الْفِتْنَةِ ، وَانْفَتَحَ بَابُ الْمَحَنَةِ ،  
فَإِنْ سَاكَنَ حَوَاءَ أَطَاعَهَا فِيهَا أَشَارَتْ عَلَيْهِ بِالْأَكْلِ ، فَوَقَعَ فِيهَا وَقَعَ ، وَلَقَدْ قِيلَ :

دَاءٌ قَدِيمٌ فِي بَنِي آدَمَ صَبْرُهُ لِبَلْسَانِ

[ فَصْل ] وَكُلُّ مَا مُنِعَ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ابْنُ آدَمَ تَوَفَّرَتْ دَوَاعِيهِ إِلَى الْإِقْتِرَابِ مِنْهُ .

فَهَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْبَحَتْ لَهُ الْجَنَّةُ بِجَمَلَتِهَا وَنَهَتْ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَيْسَ فِي الْمَنْقُولِ  
أَنَّهُ مَدَّ يَدَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ جَمَلَةٍ مَا أُبْيَحَ ، وَكَانَ عِيْلَ صَبْرِهِ حَتَّى وَقَعَ مَا نَهَتْ عَنْهُ — هَكَذَا صِفَةُ الْخَلْقِ .

[ فَصْل ] وَإِنَّمَا نَبَّهَ عَلَى عَاقِبَةِ دُخُولِ آدَمَ الْجَنَّةَ مِنْ ارْتِكَابِهِ مَا يُوجِبُ خُرُوجَهُ مِنْهَا حِينَ  
قَالَ : « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » فَإِذَا أَخْبَرْنَا أَنَّهُ جَاعِلُهُ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يُمْكِنُ بَقَاؤُهُ فِي الْجَنَّةِ ؟

(١) وَرَدَتْ خَطَأً ( فَسْكَالًا ) ، وَالْمُصَحِّحُ ( وَكَلَا ) الْبَقَرَةُ : ٣٥ .

(٢) وَرَدَتْ ( اِمْتَنَعَ ) ثُمَّ اسْتَدْرَكَ النَّاسِخُ فَصَحَّحَهَا عَلَى هَذَا النُّعْوَى فِي الْهَامِشِ .

ويقال أصبح آدم عليه السلام محمود الملائكة ، مسجود الكافة ، على رأسه تاج الوصلة ، وعلى وسطه نطق القرية ، وفي جيبه ( . . . ) (١) الزلفة ، لا أحد فوقه في الرتبة ، ولا شخص مثله في الرفعة ، يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا آدم يا آدم . فلم يُنْسِ حتى نُزِعَ عنه لباسه ، وسُلب استناسه ، والملائكة يدفعونه بعنف أن يخرج بغير مكث :

وَأَمِنَتْهُ فَاتَّاحَ لِي مِنْ مَّأْمَنِ مَكْرًا ، كَذَا مِنْ يَأْمَنِ الْأَحْبَابِ

ولما تاه آدم عليه السلام في مشيته لم يلبث إلا ساعة حتى خرج بألف ألف عتاب ، وكان كما قيل :

لِلَّهِ دَرُّهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ بَكَرُوا      مِثْلَ الْمُلُوكِ وَرَاحُوا كَالسَّاكِينِ

[ فصل ] نهاه عن قرب الشجرة بأمره ، وألقاه فيما نهاه عنه بقهره ، ولبس عليه ما أخفاه فيه من سيرة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

أزلهما أى تحلّهما على الزلة ، وفي التحقيق : ما صرفتَهُمَا إِلَّا الْقُدْرَةُ (٢) ، وما كان تقلبهما إلا في القضية ، أخرجهما عما كانا فيه من الرتبة والدرجة جبراً ، ولكن ما ازداد — في حكم الحق سبحانه — شأنهما إلا رفعة وقدرًا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .  
أوقع العداوة بينهما وبين الشيطان ، ولكن كان سبحانه مع آدم ( وحرب وهو معهم محالهم بالظفر (٣) ) .

[ فصل ] لم يكن للشيطان من الخطر ما يكون لعداوته إثبات ، فإن خصوصية الحق سبحانه عزيزة قال تعالى : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .

[ فصل ] لو كان لإبليس سلطان على غواية غيره لكان له إمكان في هداية نفسه ،

(١) مشتبه ولكن يحتمل أنها ( نضار ) فهي قرية من ذلك في الرسم .

(٢) هذا رأى على جانب كبير من الأهمية .

(٣) هكذا وردت العبارة في س وقد أثبتناها كما هي دون تصرف حتى في رسم الحروف .



وكيف يكون ذلك ؟ والتفرد بالإبداع لسكل شيء من خصائص نعته سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

مشهد الأشباح ومآلفها أقطار الأرض ، ومعه الأرواح ومرتعها رداء العرش ، ولفظ الرداء استعارة وتوسع فكيف يكون اللهم بالحدوثان تعلّق ، ولصعود القصور إلى الحقائق على الأغيار وقوع .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

إنه هو التواب الرحيم .

جرت على لسان آدم مع الحق — سبحانه — كلمات ، وأسمع الحق — سبحانه — آدم كلمات ، وأنشدوا :

وإذا يخفنا من الرقباء عينا تكلمت السرائر في القلوب

وأجل الحق سبحانه القول في ذلك إجمالاً ليبقى القصة مستورة ، أو ليكون للاحتمال والظنون مساغ ، ولما يحتمله الحال من التأويل مطرح<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن تكون كلمات آدم عليه السلام اعتذاراً وتنصلاً ، وكلمات الحق سبحانه قبولاً وتفضلاً . وعلى لسان التفسير أن قوله تعالى له : أفراراً منا يا آدم ؟ كذلك قوله عليه السلام : ربنا ظلمنا أنفسنا . وقوله : أخرجني أنت من الجنة ؟ فقال : نعم ، فقال أنزدي إليها ؟ فقال : نعم .

ويقال حين أمر بخروجه من الجنة جعل ما أسمعه إياه من عزيز خطابه زاداً ، ليكون له تذكرة وعتاداً :

وأذكر أيام الحى ثم انثنى على على كبدى<sup>(٢)</sup> من خشية أن تقطعا

ومخاطبات الأحاب لا تحتمل الشرح ، ولا يحيط الأجانب بها علماً ، وعلى طريق الإشارة لا على معنى التفسير والتأويل ، والحكم على الغيب بأنه كان كذلك وأراد به الحق سبحانه

(١) مطرح أى موضع .

(٢) وردت على ( كبد ) . ( والأصل في البيت ) ( تصدعا ) بدلا من ( تقطعا ) .

ذلك يحتمل في حال الأحباب عند المفارقة ، وأوقات الوداع أن يقال إذا خرجت من عندي فلا تنس عهدي ، وإن تقاصر عنك يوماً خبري فأياك أن تؤثر عليّ غيري ، ومن المحتمل أيضاً أن يقال إن فائتي وصولك فلا يتأخرنّ عني رسولك .

قوله جل ذكره : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

سوء الأدب على البساط يوجب الرد إلى الباب ، فلما أساء آدم عليه السلام الأدب في عين القرية قال الله تعالى : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ، بعد أن كان لكم في محل القرية قرار ومتاع إلى حين ، يستمتعون يسيراً ولكن ( في ) آخرهم يعودون إلى الفقر ، وأنشدوا :

إذا افتقروا عادوا إلى الفقر حسبة<sup>(١)</sup> وإن أسروا عادوا سراعا إلى الفقر

وحين أخرجه من الجنة وأنزله إلى الأرض بشره بأنه يردّه إلى حاله لو جنح بقلبه إلى الرجوع فقال : « فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

والذين قابلوا النعمة بغير الشكر ، وغفلوا عن التصديق والتحقيق فلهم عذاب أليم مؤجل ، وفراق معجل .

قوله جل ذكره : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ .

حقيقة النعمة على لسان العلماء<sup>(٢)</sup> لذة خالصة عن الشوائب ، وما يوجب مثلها فهي أيضاً عندهم نعمة ، وعند أهل الحقيقة النعمة ما أشهدك المنعم أو ما ذكرتك بالمنعم أو ما أوصلك إلى إلى المنعم أو ما لم يحجبك عن المنعم .

(١) حسبة أي احتساباً - هكذا في الماش .

(٢) واضح أن مقصود التفسير من ( لسان العلماء ) و ( لسان التفسير ) هو التفسير المادي ، أما ( عند أهل الحقيقة ) و ( الإشارة منه ) ونحو ذلك فهو التفسير الصوفي .

وتنقسم إلى نعمة أبشار وظواهر ، ونعمة أرواح وسرائر ، فالأولى وجوه الراحة والثانية  
صنوف المشاهدات والمكاشفات . فمن النعم الباطنة عرفان القلوب ومحاب الأرواح  
ومشاهدات السرائر<sup>(١)</sup> .

[ فصل ] ويقال أمرَ بنى إسرائيل بذكر النعم وأمرَ أمةَ محمد صلى الله عليه وسلم بذكر  
المنعم ، وفرق بين من يقال له اذكر نعمتي وبين من يقال له : فاذكروني أذكركم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾  
عهده — سبحانه — حفظ المعرفة وعهدنا اتصال المغفرة ، عهده حفظ محابه وعهدنا  
لطف ثوابه ، عهده حضور الباب وعهدنا جزيل المآب .

أوفوا بعهدى بحفظ السر أوف بعهدكم بحصيل البر ، أوفوا بعهدى الذى قبلتم يوم الميثاق  
أوف بعهدكم الذى ضمنتم لكم يوم التلاق ، أوفوا بعهدى فى ألا تؤثروا على غيرى أوف  
بعهدكم فى ألا أمنع عنكم لطفى وخيرى ، أوفوا بعهدى برعاية ما أثبت فيكم من الودائع أوف  
بعهدكم بما أديم لكم من شوارق اللوامع وزواهر الطوالع<sup>(٢)</sup> ، أوفوا بعهدى بحفظ أسرارى أوف  
بعهدكم بحصيل مَبَارَى ، أوفوا بعهدى باستدامة عرفانى أوف بعهدكم فى إدامة إحسانى ،  
أوفوا بعهدى فى القيام بخدمتى أوف بعهدكم فى المِنَّة عليكم بقبولها منكم ، أوفوا بعهدى فى  
القيام بحسن المجاهدة والمعاملة أوف بعهدكم بدوام المواصلة والمشاهدة ، أوفوا بعهدى بالنبرى  
عن الحول والمِنَّة أوف بعهدكم بالإكرام بالطول والمِنَّة ، أوفوا بعهدى بالتفضيل والتوكل أوف  
بعهدكم بالكفاية والتفضل ، أوفوا بعهدى بصدق المحبة أوف بعهدكم بكمال القربة ، أوفوا  
بعهدى اكتفوا منى بى أوف بعهدكم أرضى بكم عنكم ، أوفوا بعهدى فى دار الغيبة على بساط  
الخدمة بشد نطق الطاعة ، وبذل الوسع والاستطاعة أوف بعهدكم فى دار القربة على بساط  
الوصلة بإدامة الأُنس والرؤية وسماع الخطاب وتتمام الزلفة ، أوفوا بعهدى فى المطالبات بترك

(١) نعرف من هذا ان الملكات الباطنة عند القشبرى هى فضلا عن النفس التى هى محل المحظورات  
والمعلولات ، والعقل الذى به تصحيح الإيمان فى البداية — القلب وهو مستودع المعرفة والروح وهى مستودع  
المحبة ثم السر وهو الذى يشاهد الحقائق ، وله فوق ذلك ملكة أخرى هى سر السر أو عين السر لا يطلع  
عليها سوى الحق .

(٢) اللوامع تسبق الطوالع فى الظهور ، والطوالع ابقى وقتا وأقوم سلطانا وأدوم مكنأ وأذهب لاطنة  
واننى للثمة ( الرسالة ص ٤٣ ، ٤٤ ) .

الشهوات أوفِ بعهديكم بكفائتكم تلك المطالبات ، أوفوا بعهدي بأن تقولوا أبداً : ربى ربى  
أوفِ بعهديكم بأن أقول لكم عهدي عهدي . وإياي فارهبون ، أى أفرّدوني بالخشية لانفرادى  
بالقدرة على الإيجاد فلا تصح الخشية من ليس له ذرة ولا منة .

قوله جل ذكره : ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ  
وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا  
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونَ﴾ .

الإشارة أن يقرن (العبد) إيمانه من حيث البيان بإيمانه من حيث البرهان ، وجمهور  
المؤمنين لهم إيمان برهان بشرط الاستدلال ، وخواص المؤمنين لهم إيمان من حيث البيان بحق  
الإقبال ، وأقبل الحق سبحانه عليهم فأمنوا بالله ، وآخر أجوالهم الإيمان من حيث العيان ،  
وذلك لخواص الخواص .

ولا تكونوا أول كافرٍ به ، ولا تسئوا<sup>(١)</sup> الكفر سنة فإن وزر المبتدئ فيها يسُّنُّ أعظم  
من وزر المقتدى فيها يتابع .

«ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا» لا تؤثروا على عظيم حتى خسيس حظكم . «وإياي فاتقون»  
كثير<sup>(٢)</sup> من يتقى عقوبته وعزيز من يهاب اطلاعه ورؤيته .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا<sup>(٣)</sup> الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا  
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

لا تتوهموا أن يلتئم لكم جمع الضدين ، والكون في حالة واحدة في محلين<sup>(٤)</sup> ، (فالعبد)  
إما مبسوط بحق أو مربوط بحظ ، وأما حصول الأمرين فمحال من الظن .  
«ولا تلبسوا الحق بالباطل» تدليس ، «وتكتموا الحق» تليس ، «وأنت تعلمون» أن  
حق الحق تقديس ، وأنشدوا :

أيها المنكح الثريا سهيلا      عمرك الله ، كيف يلتقيان ؟  
هي شامية إذا ما استهلّت      وسهيل إذا استهل يمانى !

(١) وردت ( ولا تلبسوا ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت ( كثير ) وهي خطأ حيث يجب الرفع على تقدير ( من يتقى عقوبته كثير ) .

(٣) أخطأ الناسخ إذ كتبها . ( ولا تلبس ) والصحيح ولا تلبسوا ( البقرة : ٤١ ) .

(٤) وردت في ( محلي ) وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴾

احفظوا آداب الحضرة ، فحفظ الآداب أتم في الخدمة من الخدمة ، والإشارة في إيتاء الزكاة إلى زكاة الهِمَم كما تؤدي زكاة النعم ، قال قائلهم :

كلُّ شيء له زكاةٌ تؤدي زكاةُ الجبال رحمةً مثلي

فيفيض من زوائده همه ولطائف نظره على المتبعين والمربين بما ينتعشون به و (...) (١) ،  
« واركبوا مع الراكبين » : تقتدى بآثار السلف في الأحوال ، وتجتنب سنن الانفراد فإن  
الكون في غمار الجمع أسلم من الامتياز من الكفاة (٢) .

قوله جل ذكره : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ

أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

أَتُحَرِّضُونَ النَّاسَ عَلَى الْبِدَارِ (٣) وَتَرْضَوْنَ بِالتَّخَلُّفِ ؟ وَيَقَالُ أَتَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَيْنَا وَتَعْذَرُونَ  
عَنَّا ؟ أَتَسْرَحُونَ الْوُفُودَ وَتَقْصُرُونَ فِي الْوُرُودِ (٤) ؟ أَتُنَافِسُونَ الْخَلْقَ (٥) وَتَنَافِرُونَهُمْ بِدَقَائِقِ  
الْأَحْوَالِ وَتَرْضَوْنَ بِإِفْلَاسِكُمْ عَنْ ظَوَاهِرِهَا ؟

ويقال أَتَبْصُرُونَ مِنَ الْحَقِّ مِثْقَالَ الذَّرِّ وَمِقْيَاسَ الْحَبِّ وَتَسَاهَمُونَ لِأَنْفُسِكُمْ أَمْثَالَ الرُّمَالِ  
وَالْجِبَالِ ؟ قَالَ قَائِلُهُمْ :

وتبصر في العين منى القذى وفي عينك الجذع لا تبصر ؟ !

ويقال أَتُسْقَوْنَ بِالنُّجْبِ (٦) وَلَا تَشْرَبُونَ بِالنُّوْبِ ؟

(١) هنا لفظتان. مشتبهتان وفيهما شطب .

(٢) الإشارة وإن كانت لصلاة الجماعة إلا أنها توضح أيضا حرم التشيرى على الاهتمام بالاجماع كمصدر  
من مصادر الشريعة .

(٣) وردت بالياء وهي خطأ في النسخ .

(٤) من ورد الماء أى ذهب ليستغنى .

(٥) وردت أتنافسون ( الحق ) وواضح أنها خطأ في النسخ .

(٦) نجب الأشياء ومجاها كسبها وخالصها ، وربما كانت النخب ( بالخاء ) ج نخب وهو الشربة العظيمة

الوسيط ص ٩١٥ .



« وأنتم تناون الكتاب » ثم تماندون بخفايا الدعاوى وتجدون بما شام قلوبكم من فضيحات الخواطر وصریحات الزواجر .

« أفلا تعقلون » إن ذلك ذمٌّ من الخصال وقبيحٌ من الفعال .

قوله جل ذكره : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

الصبر فطم النفس عن المألوفات ، والصلاة التعرُّض لحصول المواصلات ، فالصبر يشير إلى هجران الغير ، والصلاة تشير إلى دوام الوقوف بحضرة الغيب ، وإن الاستعانة بهما لخصلة شديدة إلا على من تجلَّى الحق لسِرِّه فإن في الخبر المنقول : « إن الله تعالى إذا تجلَّى لشيء <sup>(١)</sup> خضع له » . وإذا تجلَّى الحق ، خَفَّ وسَهِّلَ ما توقَّى الخلق ؛ لأن التوالت للطاعات يوجب التكليف بموجب مقاساة الكلفة ، والتجلَّى بالمشاهدات — بحكم التحقيق — يوجب تمام الوصلة ودوام الزلفة .

ويقال استعينوا بي على الصبر معي ، واستعينوا بحفظي لكم على صلاتكم لي ، حتى لا تستفرقكم واردات الكشف والهيبة ، فلا تقدرّون على إقامة الخدمة .  
وإن تخفيف سطوات الوجود على القلب في أوان الكشف حتى يقوى <sup>(٢)</sup> العبد على القيام بأحكام الفرق لينة عظيمة من الحق <sup>(٣)</sup> .

وأقسام الصبر كلها محمودة الصبر في الله ، والصبر لله ، والصبر بالله والصبر مع الله إلا صبراً واحداً وهو الصبر عن <sup>(٤)</sup> الله :

والصبر يخلص في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم <sup>(٥)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ .

(١) وردت بدون اللام ، والأصح بها .

(٢) وردت حتى ( يقول ) وهي خطأ في النسخ .

(٣) يشير التشيرى بذلك إلى الفرق الثانی ، ويعتبر أن من علامة قبول العبد عند ربه أن يساعده على الرجوع إلى هذا الفرق حتى يستطيع أداء ما عليه من فريضة

(٤) الأرجح أنها ( على ) بدليل ورودها في البيت الشاهد ، كذا في « الرسالة » في سياق مماثل .

(٥) ورد البيت في الرسالة هكذا ( والصبر يجمل ) و ( فإنه لا يجمل ) ص ٩٣ .

الظن يُدَكَّر ، ويقال المراد به اليقين ، وهو الأظهر ها هنا .  
ويذكر ويراد به الحسابان فمن ظن ظن يقين فصاحب وصلة .  
ومن ظن ظن تخمين فصاحب فرقة . وملاقو ربهم ، صيغة تصلح لماضي الزمان والحاضر  
وهم ملاقون ربهم في المستقبل . ولكن القوم<sup>(١)</sup> لتحققهم بما يكون من أحكام الغيب صاروا  
كأن الوعد لهم تقرر ، والغيب لهم حضور .

قوله جل ذكره : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي  
أنعمت عليكم وأني فضلتكم على  
العالمين ﴾ .

أشهد بني إسرائيل فضل أنفسهم فقال : « وأني فضلتكم على العالمين »  
وأشهد المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فضل نفسه فقال : « قل بفضل الله وبرحمته  
فبذلك فليفرحوا »<sup>(٢)</sup> .

فشتان بين من مشهوده فضل نفسه ، وبين من مشهوده فضل ربه ، فشهود العبد فضل  
نفسه يوجب له الشكر وهو خطر الإيجاب ، وشهود العبد فضل الحق — الذي هو جلاله  
في وصفه وجماله في استحقاق نعمة — يقتضي الثناء وهو يوجب الإيجاب<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس  
شيئاً ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ  
منها عدل ولا هم ينصرون ﴾

العوام خوفهم بأفعاله فقال : « واتقوا يوماً » « واتقوا النار » .  
والخواص خوفهم بصفاته فقال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » وقال :  
« وما تكون في شأن . . . إلى قوله إلا كنا عليكم شهودا »<sup>(٤)</sup> .  
وخاص الخواص خوفهم بنفسه فقال : « ويحذركم الله نفسه »

(١) يقصد الصوفية .

(٢) سورة يونس آية ٥٨ .

(٣) الإيجاب = الاستحقاق والقبول .

(٤) يونس آية ٦١ .

ويوم القيامة لا تسمع الشفاعة إلا لمن أمر الحق بالشفاعة له ، وأذن فيه ، فهو الشفيع الأكبر — على التحقيق — وإن كان لا يطلق عليه لفظ الشفيع لعدم التوقيف<sup>(١)</sup> .  
وفي معناه قيل :

الحمد لله شكراً فكل خيرٍ لديه  
صار الحبيب شفيعاً إلى شفيعٍ إليه  
والذين أصابتهم نكبة القسمة لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، ومالهم من ناصرين ، فلا يقبل منهم فداء ، ولو افتدوا بملء السموات وملء الأرضين .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون

يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون  
أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم  
بلاء من ربكم عظيم ﴾ .

من صبر في الله على بلاء أعدائه عوضه الله صحبة أوليائه ، وأتاح<sup>(٢)</sup> له جميل عطائه ؛  
فهؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون وقومه فجعل منهم أنبياءهم ، وجعلهم  
ملوكاً ، وآتاهم مالم يؤت أحداً من العالمين . « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » : قيل نعمة  
عظيمة وقيل محنة شديدة . وفي الحقيقة ما كان من الله — في الظاهر — محنة فهو  
— في الحقيقة لمن عرفه — نعمة ومِنَّة .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم

وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ .

تقاصرت بصائر بني إسرائيل فأراهم المعجزات عياناً ، وفقدت بصائر هذه الأمة فكاشفهم  
بآياته سرّاً ، وبذلك جرت سُنُّه سبحانه ، وكل من كان أشدَّ بصيرةً كان الأمر عليه أغمض ،

(١) وردت ( التوفيق ) وهي خطأ في النسخ ، والقشيري — كغيره من الباحثين — يرى أنه لا ينبغي  
إضافة اسماء وصفات لما ورد في الحديث المروي عن أبي هريرة والذي أبلغها تسعة وتسعين ، فلا يصح  
أن يسمى الله عاقلاً ولا ذكياً ونحو ذلك .  
(٢) وردت ( بالخاء ) وهي خطأ في النسخ .

والإشارات معه أوفر ، قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً »<sup>(١)</sup> .

وحين شاهدوا ظاهر تلك الآيات من فلق البحر وإغراق آل فرعون — ذآخَلَهُمْ رَبُّهُ فَقَالُوا : إِنَّهُ لَمْ يَفْرُقْ<sup>(٢)</sup> حتى قذفهم البحر ، فنظر بنو إسرائيل إليهم وهم مفرقون . وهذه الأمة لفظ تصديقهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وقوة بصائرهم ( أن ) قال واحد من أفتاء<sup>(٣)</sup> الناس : « كَأَنِّي بِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ وَكَأَنِّي بِأَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَنُونَ وَكَأَنِّي أَنظُرُ عَرْشَ رَبِّي بَارِزاً »<sup>(٤)</sup> فشتان بين من يُعَايِنُ فَيَرْتَابُ مع عيانه ، وبين من يسمع فكالمعيان حاله من قوة إيمانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ وَاغَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

شتان بين أمة وأمة ؛ فأمة موسى عليه السلام — غاب نبئهم عليه السلام أربعين يوماً فانخذلوا العجلَ معبودهم ، ورضوا بأن يكون لهم بمثل العجل معبوداً ، فقالوا : « هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَنَسِي »<sup>(٥)</sup> وأمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مضى من وقت نبئهم سنون كثيرة فلو سمعوا واحداً يذكر في وصف معبودهم ما يوجب تشبيها لما أبقوا على حشاشتهم ولو كان في ذلك ذهاب أرواحهم<sup>(٦)</sup> .

---

(١) « إِنَّمَا بَشَتْ فَاتَحًا وَخَانِمًا وَأَعْطَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلَامِ وَفَوَانِحَهُ وَاخْتَصَرْتُ الْحَدِيثَ اخْتِصَارًا فَلَا يَهْلِكُكُمْ التَّهْوُكُونَ » البيهقي في شعب الإيمان عن أبي قتادة مرسلاً ( المنتخب من كنز العمال ٣٠٢ ص ٤ ) .

والتهوك = الاضطراب في القول وأن يكون على غير استقامة .

(٢) الفعل بالمفرد هنا لأنه عائد على لفظ آل أو على فرعون ، ثم تحدث بعد ذلك بالجمع حين أعاده على المعنى

(٣) افتاء وفتاء جمع فتى وهو الشاب من إنسان أو حيوان الوسيط ص ٦١٠ .

(٤) أخرجهنا هذا الحديث المروي عن حارثة في هامش سبق .

(٥) سورة طه آية ٨٨ .

(٦) يغمز القشيري هنا بالمشبهة ، فيلحق من يقول بالتشبيه بعبدة العجل ، فكلاماً توقح ونسب

للالوهية ما يلغى أن تتنزه عنه . وأهل السنة يرفضون رفضاً قاطعاً كل ما يشين الذات الإلهية من تصورات مادية .

ويقال إن موسى — صلوات الله عليه — سلم أمته إلى أخيه فقال : اخلقني في قومي ،  
 وحين رجع وجدهم وقعوا في الفتنة ، ونبينا — صلوات الله عليه — توكل على الله فلم  
 يُشِرْ على أحدٍ في أمر الأمة وكان يقول في آخر حاله : الرفيق الأعلى . فانظر كيف تولى الحق  
 رعاية أمته في حفظ التوحيد عليهم . لعمرى يُضَيِّعون حدودهم ولكن لا ينقضون<sup>(١)</sup> توحيدهم .  
 قوله جل ذكره : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم  
 تشكرون ﴾

سرعة العفو على عظيم الجرم تدل على حقارة قدر المعفو عنه ، يشهد لذلك قوله تعالى  
 ( مخاطباً أمهات المسلمين ) : « من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » ،  
 هؤلاء بنو إسرائيل عبدوا العجل فقال الله تعالى : « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ،  
 وقال لهذه الأمة ( يقصد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ) : « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »  
 قوله جل ذكره : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان  
 لعلكم تهتدون ﴾ .

فرقان هذه الأمة الذي اختصوا به نور في قلوبهم ، به يفرقون بين الحق والباطل ،  
 قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ابصرة : « استفت قلبك »<sup>(٢)</sup> .  
 وقال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »<sup>(٣)</sup> .  
 وقال الله تعالى : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » وذلك الفرقان ميراث ما قدموه  
 من الإحسان .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم  
 ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ .  
 أى ما أضررتم إلا بأنفسكم فيما ارتكبتم من ذنوبكم ، فأما الحق سبحانه فعزیز الوصف ،  
 لا يعود إلى عزه من ظلم الظالمين شيء ، ومن وافق هواه واتبع مناه فعجله ما علق به همه ،  
 وأفرد له قصده .

(١) وردت ( ينقضون ) بالصاد والأقوى أن تكون بالضاد لأن المقصود هو تمك أمة محمد (ص) بعدم  
 ( نقض ) التوحيد .  
 (٢) هكذا رواه أحمد في مسنده والبخارى في تاريخه والدارمي في سننه وحسنه النووى في رياض  
 الصالحين بلفظ « استفت نفسك وإن أفتاك المفتون » .  
 (٣) الترمذى والطبرانى من حديث أبى أمامة والترمذى من حديث أبى سعد والطبرانى وابونعيم عن أس



قوله جل ذكره : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ .

الإشارة إلى حقيقة التوبة بالخروج إلى الله بالسكينة .

قوله جل ذكره : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾

التوبة بقتل النفوس غير ( . . . )<sup>(١)</sup> إلا أن بني إسرائيل كان لهم قتل أنفسهم جبراً ، وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم سرّاً ، فأول قَدَمٍ في القصد إلى الله الخروجُ عن النفس .

[ فصل ] ولقد توهم الناس أن توبة بني إسرائيل كانت أشق ، ولا كما توهموا ؛ فإن ذلك كان مقاساة القتل مرة واحدة ، وأما أهل الخصوص من هذه ( الأمة )<sup>(٢)</sup> ففي كل لحظة قتل ، ولهذا :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء  
وقتل النفس في الحقيقة التبري عن حويلها وقوتها أو شهود شيء منها ، ورد دعواها إليها ، وتشويش تدبيرها عليها ، وتسليم الأمور إلى الحق — سبحانه — بجملتها ، وانسلاخها من اختيارها وإرادتها ، وانمحاء آثار البشرية عنها ، فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر له ولا عبرة به .

قوله جل ذكره : ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب

عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾

كونه لكم عنكم أتم من كونكم لأنفسكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نبرهن لك

حتى نرى الله جهرة فأخذناكم الساعة

وأنتم تنظرون ﴾ .

التعرض بمطالعة الذات على غير نعمة إلهية إفصاحٌ بترك الحرمة ، وذلك من أمارات

البعد والشقوة .

(١) هنا كلمة 'مشفهة' .

(٢) بقصد أمة المصطفى صلوات الله عليه وسلامه .

وإثبات نعمت التولى بمكاشفات العزة مقرونا بملاطفات القربة من علامات الوصلة ،  
دلالات السعادة .

فَلَا جَرَمَ لِمَا أَطْلَقُوا لِسَانَ الْجَهْلِ بِتَقْوِيَةِ تَرْكِ الْحَشْمَةِ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ وَالصَّعْقَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿نم بشتاكم من بعد موتكم﴾  
لعلكم تشكرون ﴿

أعادهم إلى حال الإحساس بعد ما استوفتهم سطوات العذاب إملأهم بمقتضى الحكم ، وإجراء للسنة في الصفح عن الجرم ، ومن قضايا الكرم إسبال السر على هنأت الخدم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّالْوَى ، كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

لَمَّا طَرَحَهُمْ فِي مَتَاهَاتِ الْغُرْبَةِ لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِأَنْ ظَلَّلَهُمْ ، وَبَلْبَسَةَ الْكُفَايَاتِ جَلَّلَهُمْ ،  
وَعَنْ تَكْلِفِ التَّكْسِبِ أَغْنَاهُمْ ، وَبِجَمِيلِ صِنْعِهِ فِيمَا احتَاجُوا إِلَيْهِ تَوَلَّاهُمْ ؛ فَلَا شُعُورُهُمْ  
كَانَتْ تَطُولُ ، وَلَا أَظْفَارُهُمْ كَانَتْ تَنْبُتُ ، وَلَا ثِيَابُهُمْ كَانَتْ تَتَسَيِّخُ ، وَلَا شَعَاعُ الشَّمْسِ عَلَيْهِمْ  
كَانَ يَنْبَسُطُ . وَكَذَلِكَ سُنَّتُهُ لِمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اخْتِيَارِهِ ، يَكُونُ مَا يَخْتَارُهُ سَبْحَانَهُ لَهُ خَيْرًا  
مِمَّا يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ، وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ، وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ، وَسَبِّحُوا الْحَمْدَ لِلَّهِ الْمَحْسِينِ ۖ ۝ ١٥ ۚ ۝ ١٦ ۚ ۝ ١٧ ۚ ۝ ١٨ ۚ ۝ ١٩ ۚ ۝ ٢٠ ۚ ۝ ٢١ ۚ ۝ ٢٢ ۚ ۝ ٢٣ ۚ ۝ ٢٤ ۚ ۝ ٢٥ ۚ ۝ ٢٦ ۚ ۝ ٢٧ ۚ ۝ ٢٨ ۚ ۝ ٢٩ ۚ ۝ ٣٠ ۚ ۝ ٣١ ۚ ۝ ٣٢ ۚ ۝ ٣٣ ۚ ۝ ٣٤ ۚ ۝ ٣٥ ۚ ۝ ٣٦ ۚ ۝ ٣٧ ۚ ۝ ٣٨ ۚ ۝ ٣٩ ۚ ۝ ٤٠ ۚ ۝ ٤١ ۚ ۝ ٤٢ ۚ ۝ ٤٣ ۚ ۝ ٤٤ ۚ ۝ ٤٥ ۚ ۝ ٤٦ ۚ ۝ ٤٧ ۚ ۝ ٤٨ ۚ ۝ ٤٩ ۚ ۝ ٥٠ ۚ ۝ ٥١ ۚ ۝ ٥٢ ۚ ۝ ٥٣ ۚ ۝ ٥٤ ۚ ۝ ٥٥ ۚ ۝ ٥٦ ۚ ۝ ٥٧ ۚ ۝ ٥٨ ۚ ۝ ٥٩ ۚ ۝ ٦٠ ۚ ۝ ٦١ ۚ ۝ ٦٢ ۚ ۝ ٦٣ ۚ ۝ ٦٤ ۚ ۝ ٦٥ ۚ ۝ ٦٦ ۚ ۝ ٦٧ ۚ ۝ ٦٨ ۚ ۝ ٦٩ ۚ ۝ ٧٠ ۚ ۝ ٧١ ۚ ۝ ٧٢ ۚ ۝ ٧٣ ۚ ۝ ٧٤ ۚ ۝ ٧٥ ۚ ۝ ٧٦ ۚ ۝ ٧٧ ۚ ۝ ٧٨ ۚ ۝ ٧٩ ۚ ۝ ٨٠ ۚ ۝ ٨١ ۚ ۝ ٨٢ ۚ ۝ ٨٣ ۚ ۝ ٨٤ ۚ ۝ ٨٥ ۚ ۝ ٨٦ ۚ ۝ ٨٧ ۚ ۝ ٨٨ ۚ ۝ ٨٩ ۚ ۝ ٩٠ ۚ ۝ ٩١ ۚ ۝ ٩٢ ۚ ۝ ٩٣ ۚ ۝ ٩٤ ۚ ۝ ٩٥ ۚ ۝ ٩٦ ۚ ۝ ٩٧ ۚ ۝ ٩٨ ۚ ۝ ٩٩ ۚ ۝ ١٠٠ ۚ ۝ ١٠١ ۚ ۝ ١٠٢ ۚ ۝ ١٠٣ ۚ ۝ ١٠٤ ۚ ۝ ١٠٥ ۚ ۝ ١٠٦ ۚ ۝ ١٠٧ ۚ ۝ ١٠٨ ۚ ۝ ١٠٩ ۚ ۝ ١١٠ ۚ ۝ ١١١ ۚ ۝ ١١٢ ۚ ۝ ١١٣ ۚ ۝ ١١٤ ۚ ۝ ١١٥ ۚ ۝ ١١٦ ۚ ۝ ١١٧ ۚ ۝ ١١٨ ۚ ۝ ١١٩ ۚ ۝ ١٢٠ ۚ ۝ ١٢١ ۚ ۝ ١٢٢ ۚ ۝ ١٢٣ ۚ ۝ ١٢٤ ۚ ۝ ١٢٥ ۚ ۝ ١٢٦ ۚ ۝ ١٢٧ ۚ ۝ ١٢٨ ۚ ۝ ١٢٩ ۚ ۝ ١٣٠ ۚ ۝ ١٣١ ۚ ۝ ١٣٢ ۚ ۝ ١٣٣ ۚ ۝ ١٣٤ ۚ ۝ ١٣٥ ۚ ۝ ١٣٦ ۚ ۝ ١٣٧ ۚ ۝ ١٣٨ ۚ ۝ ١٣٩ ۚ ۝ ١٤٠ ۚ ۝ ١٤١ ۚ ۝ ١٤٢ ۚ ۝ ١٤٣ ۚ ۝ ١٤٤ ۚ ۝ ١٤٥ ۚ ۝ ١٤٦ ۚ ۝ ١٤٧ ۚ ۝ ١٤٨ ۚ ۝ ١٤٩ ۚ ۝ ١٥٠ ۚ ۝ ١٥١ ۚ ۝ ١٥٢ ۚ ۝ ١٥٣ ۚ ۝ ١٥٤ ۚ ۝ ١٥٥ ۚ ۝ ١٥٦ ۚ ۝ ١٥٧ ۚ ۝ ١٥٨ ۚ ۝ ١٥٩ ۚ ۝ ١٦٠ ۚ ۝ ١٦١ ۚ ۝ ١٦٢ ۚ ۝ ١٦٣ ۚ ۝ ١٦٤ ۚ ۝ ١٦٥ ۚ ۝ ١٦٦ ۚ ۝ ١٦٧ ۚ ۝ ١٦٨ ۚ ۝ ١٦٩ ۚ ۝ ١٧٠ ۚ ۝ ١٧١ ۚ ۝ ١٧٢ ۚ ۝ ١٧٣ ۚ ۝ ١٧٤ ۚ ۝ ١٧٥ ۚ ۝ ١٧٦ ۚ ۝ ١٧٧ ۚ ۝ ١٧٨ ۚ ۝ ١٧٩ ۚ ۝ ١٨٠ ۚ ۝ ١٨١ ۚ ۝ ١٨٢ ۚ ۝ ١٨٣ ۚ ۝ ١٨٤ ۚ ۝ ١٨٥ ۚ ۝ ١٨٦ ۚ ۝ ١٨٧ ۚ ۝ ١٨٨ ۚ ۝ ١٨٩ ۚ ۝ ١٩٠ ۚ ۝ ١٩١ ۚ ۝ ١٩٢ ۚ ۝ ١٩٣ ۚ ۝ ١٩٤ ۚ ۝ ١٩٥ ۚ ۝ ١٩٦ ۚ ۝ ١٩٧ ۚ ۝ ١٩٨ ۚ ۝ ١٩٩ ۚ ۝ ٢٠٠ ۚ ۝ ٢٠١ ۚ ۝ ٢٠٢ ۚ ۝ ٢٠٣ ۚ ۝ ٢٠٤ ۚ ۝ ٢٠٥ ۚ ۝ ٢٠٦ ۚ ۝ ٢٠٧ ۚ ۝ ٢٠٨ ۚ ۝ ٢٠٩ ۚ ۝ ٢١٠ ۚ ۝ ٢١١ ۚ ۝ ٢١٢ ۚ ۝ ٢١٣ ۚ ۝ ٢١٤ ۚ ۝ ٢١٥ ۚ ۝ ٢١٦ ۚ ۝ ٢١٧ ۚ ۝ ٢١٨ ۚ ۝ ٢١٩ ۚ ۝ ٢٢٠ ۚ ۝ ٢٢١ ۚ ۝ ٢٢٢ ۚ ۝ ٢٢٣ ۚ ۝ ٢٢٤ ۚ ۝ ٢٢٥ ۚ ۝ ٢٢٦ ۚ ۝ ٢٢٧ ۚ ۝ ٢٢٨ ۚ ۝ ٢٢٩ ۚ ۝ ٢٣٠ ۚ ۝ ٢٣١ ۚ ۝ ٢٣٢ ۚ ۝ ٢٣٣ ۚ ۝ ٢٣٤ ۚ ۝ ٢٣٥ ۚ ۝ ٢٣٦ ۚ ۝ ٢٣٧ ۚ ۝ ٢٣٨ ۚ ۝ ٢٣٩ ۚ ۝ ٢٤٠ ۚ ۝ ٢٤١ ۚ ۝ ٢٤٢ ۚ ۝ ٢٤٣ ۚ ۝ ٢٤٤ ۚ ۝ ٢٤٥ ۚ ۝ ٢٤٦ ۚ ۝ ٢٤٧ ۚ ۝ ٢٤٨ ۚ ۝ ٢٤٩ ۚ ۝ ٢٥٠ ۚ ۝ ٢٥١ ۚ ۝ ٢٥٢ ۚ ۝ ٢٥٣ ۚ ۝ ٢٥٤ ۚ ۝ ٢٥٥ ۚ ۝ ٢٥٦ ۚ ۝ ٢٥٧ ۚ ۝ ٢٥٨ ۚ ۝ ٢٥٩ ۚ ۝ ٢٦٠ ۚ ۝ ٢٦١ ۚ ۝ ٢٦٢ ۚ ۝ ٢٦٣ ۚ ۝ ٢٦٤ ۚ ۝ ٢٦٥ ۚ ۝ ٢٦٦ ۚ ۝ ٢٦٧ ۚ ۝ ٢٦٨ ۚ ۝ ٢٦٩ ۚ ۝ ٢٧٠ ۚ ۝ ٢٧١ ۚ ۝ ٢٧٢ ۚ ۝ ٢٧٣ ۚ ۝ ٢٧٤ ۚ ۝ ٢٧٥ ۚ ۝ ٢٧٦ ۚ ۝ ٢٧٧ ۚ ۝ ٢٧٨ ۚ ۝ ٢٧٩ ۚ ۝ ٢٨٠ ۚ ۝ ٢٨١ ۚ ۝ ٢٨٢ ۚ ۝ ٢٨٣ ۚ ۝ ٢٨٤ ۚ ۝ ٢٨٥ ۚ ۝ ٢٨٦ ۚ ۝ ٢٨٧ ۚ ۝ ٢٨٨ ۚ ۝ ٢٨٩ ۚ ۝ ٢٩٠ ۚ ۝ ٢٩١ ۚ ۝ ٢٩٢ ۚ ۝ ٢٩٣ ۚ ۝ ٢٩٤ ۚ ۝ ٢٩٥ ۚ ۝ ٢٩٦ ۚ ۝ ٢٩٧ ۚ ۝ ٢٩٨ ۚ ۝ ٢٩٩ ۚ ۝ ٣٠٠ ۚ ۝ ٣٠١ ۚ ۝ ٣٠٢ ۚ ۝ ٣٠٣ ۚ ۝ ٣٠٤ ۚ ۝ ٣٠٥ ۚ ۝ ٣٠٦ ۚ ۝ ٣٠٧ ۚ ۝ ٣٠٨ ۚ ۝ ٣٠٩ ۚ ۝ ٣١٠ ۚ ۝ ٣١١ ۚ ۝ ٣١٢ ۚ ۝ ٣١٣ ۚ ۝ ٣١٤ ۚ ۝ ٣١٥ ۚ ۝ ٣١٦ ۚ ۝ ٣١٧ ۚ ۝ ٣١٨ ۚ ۝ ٣١٩ ۚ ۝ ٣٢٠ ۚ ۝ ٣٢١ ۚ ۝ ٣٢٢ ۚ ۝ ٣٢٣ ۚ ۝ ٣٢٤ ۚ ۝ ٣٢٥ ۚ ۝ ٣٢٦ ۚ ۝ ٣٢٧ ۚ ۝ ٣٢٨ ۚ ۝ ٣٢٩ ۚ ۝ ٣٣٠ ۚ ۝ ٣٣١ ۚ ۝ ٣٣٢ ۚ ۝ ٣٣٣ ۚ ۝ ٣٣٤ ۚ

(١) بنو إسرائيل على تضييع ما كانوا يؤمرون ، حتى قالوا أوصوا بحفظها فبدلوها ، وحالة من السجود أمروا بأن يدخلوا عليها فحوّلوها ، وعرضوا أنفسهم لسهام الغيب ، ثم لم يطبقوا الإصابة بقرعها (٢) ، وتعرضوا لمفاجآت العقوبة فلم يشبوا عند صدمات وقعها .

(١) كلمة مشبهة في ص . (٢) وردت بدون الباء في ص وقد أضفناها ليعتد بها المعنى .

قوله جل ذكره : ﴿ قَبِدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا

مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ .

لم يمكنهم أن يردوا باب السماء باحتيالهم ، أو يصدوا من دونهم أسباب البلاء بما ركنوا إليه من أحوالهم ، فزعوا من الندم لما عضهم ناب<sup>(١)</sup> الألم ، وهيهات أن ينفعهم ذلك لأنه محال من الحساب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ،

كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ،

وَلَا تَعْلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

إن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادراً على إدوائهم بغير ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه ، وإيصال محل الاستغاثة إليه ، وليكون على موسى عليه السلام — أيضاً في نقل الحجر — مع نفسه شغل ، ولتكليفه أن يضرب بالعصا مقاساة نوع من معالجة ما أمضى حكمه عند استسقائه لقومه<sup>(٢)</sup> .

ثم أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جاريًا على سُنَّةٍ ، ملازمًا لحَدِّه ، غير مُزَاحِمٍ لصاحبه فأفرد لكل سبطة علامة يعرفون بها مشربهم ، فهؤلاء لا يَرِدُونَ مشرب الآخرين ، والآخرون لا يَرِدُونَ مشرب الأولين .

وحين كفاهم ما طلبوا أمرهم بالشكر ، وحفظ الأمر ، وترك اختيار الوزر ، فقال : ولا تعنوا في الأرض مفسدين .

والمناهل مختلفة ، والمشارب متفاوتة ، وكلُّ يَرِدُ مشربه ، فمشرب عَذْبُ فُرَاتٍ ، ومشربٌ مَلْحٌ أَجَاجٍ ، ومشربٌ صَافٍ زَلَالٍ ، ومشرب رَتَقٌ أَوْ شَالٌ<sup>(٣)</sup> . وسائقُ كلِّ قومٍ

(١) زردت ( ناب ) بالتاء وهي خطأ في النسخ .

(٢) لاحظ هنا مذهب القشيري في التوكل ، وكيف أنه لا يتعارض مع السعي .

(٣) أوشال : جمع وشال = وهو الماء القليل يتعلَّب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره الوسيط من ١٠٤٧ .

يقودهم ، ورائد كُلِّ طائفة يسوقهم ؛ فالنفوس تَرِدُ مناهل المني والشهوات ، والقلوب تَرِدُ  
مشارب التقوى والطاعات ، والأرواح تَرِدُ مناهل الكشف والمشاهدات ، والأسرار تَرِدُ  
مناهل الحقائق بالاختطاف عن الكون والمسمومات ، ثم عن الإحساس والصفات ثم بالاستهلاك  
في حقيقة الوجود والذات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ  
وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا  
مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا  
وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا . قَالَ  
أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ  
أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِنْهَا مَا يُبَالِغُونَ  
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا  
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ  
بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَعْتَدُونَ ﴾ .

لم يرضوا بحسن اختياره لهم ، ولم يصبروا على قيامه بتولى ما كان يهمهم من كفاية  
ما كולם وملبوسهم ، ففزلوا في التحير إلى ما جرت <sup>(١)</sup> عليه عاداتهم من أكل الخسيس من  
الطعام ، والرضا بالدون من الحال ، فردّهم إلى مقاساة الهوان ، وربطهم بإدامة الخذلان ، حتى  
سفكوا دماء الأنبياء وهتكوا حرمة الأمر بِقِلَّةِ الاستحياء ، وترك الاروَاع ، فعاقبهم على  
قبيح فعلهم ، وردّهم إلى ما اختاره لأنفسهم من خسائس أحوالهم ، وحين لم تنجح فيهم <sup>(٢)</sup>  
النصيحة ، أدركتهم النقمة والفضيحة . ويقال كان بنو إسرائيل متفرقي الهموم مُشْتَتِي القصود ؛  
لم يرضوا لأنفسهم بطعام واحد ، ولم يكتفوا في تدينهم بعبود واحد ، حتى قالوا لموسى  
عليه السلام — لِمَا رَأَوْا قَوْمًا يَعْبُدُونَ الصَّنَمَ <sup>(٣)</sup> — يا موسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم إله ،

(١) وردت في ص ( مرت ) وهي بالجيم أصوب . (٢) وردت ( فهم ) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت ( الفم ) وهي خطأ في النسخ .

وهكذا صفة أرباب التفرقة . والصبر مع الواحد شديد ، قال تعالى : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى

وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلِهِمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

اختلاف الطريق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول ، فمن صدق الحق سبحانه

في آياته ، وآمن بما أخبر من حقه وصفاته ، فتباين الشرع واختلاف وقوع الاسم غير قادح

في استحقاق الرضوان، لذلك<sup>(١)</sup> قال : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا» ثم قال : « من آمن منهم ،

أى إذا اتفقوا في المعارف فالكل لهم حسن المكاب ، وجزيل الثواب . والمؤمن من كان في أمان

الحق سبحانه ، ومن كان في أمانه - سبحانه وتعالى - فبالحرى ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا

فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَإِذْ كَرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، ثم توليت

من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم

ورحمته لكنتم من الخاسرين ﴾

أخذ سبحانه ميثاق جميع المكلفين ، ولكن قوماً أجابوا طوعاً لأنه تعرف إليهم فوحدوه

وقوماً أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فجدوه ، ولا حجة أقوى من عيان ما رفع فوقهم من

الطور - وهو الجبل - ولكن عديموا نور البصيرة ، فلا ينفعهم عيان البصر . قال الله تعالى

« ثم توليت من بعد ذلك » ، أى رجعت إلى العصيان بعد ما شاهدتم تلك الآيات بالعيان ، ولولا

حكمه بإمهاله ، وحلمه بأفضاله لعاجلكم بالعقوبة ، وأحل عليكم عظيم المصيبة ونخسرت

صفتكم بالكلفة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي

السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

(١) وردت ( كذلك )



مُسَخُّ هذه الأمة حصل على القلوب ، فكما أنهم لما تركوا الأمر واستهانوا بما ألزموا به من الشرع — عجبت عقوبتهم بالخسف والمسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النص ، فهذه الأمة من نقض العهد ورفض الحد عوقبت بمسخ القلوب ، وتبديل الأحوال ، قال تعالى : « وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَ الْأُولَ » (١) وعقوبات القلوب أنكى من عقوبات النفوس ، وفي معناه أنشدوا :

يا سائلي : كيف كنت بعده ؟ لقيت ما ساءني وسره  
ما زلت أختال في وصالي حتى أمنت من الزمان مكره (٢)  
طال على الصدود حتى لم يُبق مما شهدت ذره

قوله جل ذكره : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّأَيِّ يَدِيهَا  
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

هكذا من منى بالمهجران ، ووهم بالخذلان ، صارت أحواله عبرة ، وتجرع — من ملاحظته لحاله — عليه الحسرة ، وصار المسكين — بعد عزه لكل خسيس سخرة . هكذا آثار سُخْطِ الملوك وإعراض السادة عن الأصاغر :

وقد أحرق الصبيان بي وتجمعوا على وأشلوا بالكلاب ورائيا  
قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ  
أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ .

كان الواجب عليهم استقبال الأمر بالاعتناق ولكنهم تعللوا ببقاء الأشكال توهمًا بأن يكون لهم ( . . . ) (٣) تُفْضِي بالإخلاد إلى الاعتدال (٤) عن عهدة الإلزام فتضاعفت عليهم للشقة وحل بهم (٥) ما حذرّوه من الانفضاح .

[ فصل ] ولما قال إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، أي ليست بفتية ولا مُسِنَّة بل هي بين السنتين . حصلت الإشارة أن الذي يصلح لهذه الطريقة من لا يستهويه

(١) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٢) ورد في البيت ( أختال ) و ( وجال ) و ( أمنت ) من الزمان وقد أصلحنا ليستقيم المعنى والوزن .

(٣) سقطت هنا لفظة من الناسخ وهو ينتقل من ورقة إلى أخرى ؟

(٤) الاعتدال هنا بمعنى المدول من الشيء .

(٥) وردت ( وجلبهم ) وهي غير ملائمة للمعنى والسياق .

نَزَقُ الشَّبَابِ وَنُكْرُهُ ، وَلَمْ يُعْطَلْهُ عَجْزُ الْمَشِيبِ وَضَعْفُهُ ، بَلْ هُوَ صَاحِرٌ اسْتَفَاقَ عَنْ سُكْرِهِ ،  
وَبَقِيَتْ لَهُ — بَعْدُ<sup>(١)</sup> — نَضَارَةٌ مِنْ عَمْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿صَفَرَاءُ فَاغَمُّ لَوْنُهَا تَسْرُّ النَّاطِرِينَ﴾ قالوا  
أَدْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ  
تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١﴾  
كما كان يأخذ لونها الأبصار فالإشارة منها أن من كان من أهل القصة<sup>(٢)</sup> يستغرق شاهده  
القلوبَ لِمَا أُلْبِسَ من رداء الجبروت ، وأقيم به من شاهد الغيب<sup>(٣)</sup> حتى أن من لآخِظَه تناسى  
أحوال البشرية ، واستولى عليه ذكر الحق ، كذا في الخبر المنقول : أولياء الله الذين  
إذا رأوا ذكر الله ( . . . )<sup>(٤)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ  
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ  
لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا<sup>(٥)</sup> الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ  
فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

كما أن تلك البقرة لم يدلِّلها العملُ ، ولم تُبَشِّرْ في المكاسب ، لا لونَ فيها يخالف عِظَمَ  
لَوْنِهَا فالإشارة منه أن أهل الولاية<sup>(٦)</sup> الذين لم يقبلوا بالأغيار لتحصيل ما طلبوا من الأسباب ،  
ولم يركنوا بقلوبهم إلى الأشكال والأمثال ، ولم يتسكَّلوا على الاختيار والاحتياي ، وليسوا  
نهباً لمطالباتِ المني ، ولا صيداً في مَخْلَبِ الدنيا ، ولا حَكَمَ للشهوات عليهم ، ولا سلطان  
للبشرية تَمَلِّسَهم ، ولم يسعوا قط في تحصيل مرادهم ، ولم يشقوا لدرك بُغْيَتِهِمْ ، وليس عليهم  
رقم الأغيار ، ولا سِجَّةُ الأسباب — فَهُمْ قَائِمُونَ بِاللَّهِ ، قانون عما سوى الله ، بل هم محو ،  
مُضَرَّفُهُمُ اللَّهُ . والغالب — على قلوبهم — الله .  
وكما أن معبودهم الله كذلك مقصودهم الله .

(١) ربما صحت عل هذا ويكون المعنى ما زالت فيه بقية من نضارة عمره ، ويحتمل أن تكون في الأصل  
( بعض ) ويكون المعنى وبقيت له بعض نضارة من عمره . (٢) يقصد أهل التصوف .  
(٣) وردت ( الغير ) ولا معنى لها هنا لأن شهوة الغيب هو الذي يحدث ذلك الأثر .  
(٤) في ( س ) علامات تدل على أن الكلام مبتور ، ونرجح أن ( ذاكر ) بدل ( ذكر ) .  
(٥) أخطأ الناسخ عند كتابة هذه اللفظة من الآية الكريمة حيث وردت ( قال ) الآية ٧٠ من سورة البقرة .  
(٦) في ( س ) ولاية ( بدون تعريف والأصح بها ) .

وكما أن مقصودهم الله كذلك مشهودهم الله ، وموجودهم الله ، بل هم محو بالله و ( ..... )<sup>(١)</sup> عنهم الله ، وأشد قائلهم .

إذا شئت أن أرضي وترضى وتملكي زمامي — ماعشنا معاً — وعنائى  
إذن فارمقي الدنيا بعيني واسمعي بأذني وانطقي بلساني  
قوله جل ذكره : ﴿ قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها  
وما كادوا يفعلون ﴾ .

طلبوا الحيلة ما أمكنهم فلما ضاقت بهم الحيل استسلموا للحكم فتخلصوا من شدائد  
المطالبات ، ولو أنهم فعلوا ما أمروا به لما تضاعفت عليهم المشاق .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا قتلتم نفساً فادّار أثم فيها والله  
مُخرج ما كنتم تكتمون ﴾ .

الخائن خائف ، ولخشية أن يظهر سره يركن إلى التلبيس والتدليس ، والإنكار والجحرد  
ولا محالة ينكشف عوارده ، وتتضح أسرارُه ، وتهتك عن شين فعله أستاره . قال الله تعالى :  
« والله مخرج ما كنتم تكتمون » .

قوله جل ذكره : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك  
يحيي الله الموتى ويريك آياته لعلمك تعقلون ﴾ .

أراد الله سبحانه أن يحيي ميتهم ليفضح بالشهادة على قاتله فأمر بقتل حيوان لهم فجعل  
سبب حياة مقتولهم قتل حيوان لهم ، صارت الإشارة منه :

أن من أراد حياة قلبه لا يصل إليه إلا بذبح نفسه ؛ فمن ذبح نفسه بالمجاهدات حي قلبه بأنوار  
المشاهدات ، وكذلك من أراد الله حياة ذكوره في الأبدال<sup>(٢)</sup> أمات في الدنيا ذكره بالحمول<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ،

فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من

الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها

لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها

لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل

عما تعملون ﴾ .

(٢) ربما كانت في الأصل ( الأبد )

(١) مشقبة لى ص .

(٣) أى منع عنه الاشتهار بين الخلق لأن المهم مرتبته لدى الحق .

بَيِّنْ أَنَّهُمْ — وإن شاهدوا عظيم الآيات وطالعوا واضح البينات — فحين لم تساعدهم العناية ولم يخلق الله (لهم) الهداية ، لم تزدكم كثرة الآيات إلا قسوة ، ولم تبرز لهم من مكان التقدير إلا شقوة (على شقوة ، وشبه قلوبهم بالحجارة لأنها لا تنبت ولا تزكو ، وكذلك قلوبهم لا تفهم<sup>(١)</sup> ، ولا تفنى<sup>(٢)</sup> . ثم بَيِّنْ أنها أشد ( . . . . . )<sup>(٣)</sup> من الحجارة ، فإن من الحجارة لما ينفجر منه الأنهار ، ومنها ما تظهر عليه آثار خشية الله<sup>(٤)</sup> ، وأما قلوبهم فخالية عن كل خير ، وكيف لا وفد منيت باعراض الحق عنها ، وخُصَّتْ بانزاع الخيرات منها .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَتَعْطُمُونَ أَنْ يُوْرِئُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

أنبأهم عن إيمانهم ، وذكر أنهم بعد سماع الخطاب من الله — سبحانه — حرّفوا وبدّلوا فكيف يؤمنون لكم وإنما يسمعون بواسطة الرسالة ، ومن لم يَبْقَ على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان ، والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم ، ومن لم (يحقق من الحق) فكيف يحقق منكم؟ . قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضِبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

تواصوا فيما بينهم بإنكار الحق ، وإخفاء الحال على المسلمين ، ولم يعلموا أن الله يُطْلِعُ رُسُلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ ، وأن نوراً أظهره الغيب لا ينطفى بمزاولة الأغيار . وموافقة اللسان مع مخالفة العقيدة لا يزيد إلا زيادة الفرقة . قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَانًى وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَانًى وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

(١) بكلمة في الهامش استدرك بها الناسخ اثبتناها في موضعها .  
(٢) أى لا تفنى عنهم من الله شيئاً ، وربما آتت في الأصل ( ولا تنى ) حتى تتلاءم مع ( لا تفهم ) .  
(٣) زيادة ميزها الناسخ — لا لزوم لها .  
(٤) إشارة إلى قوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله »

أخبر أنهم متفاوتون في نقائص كفرهم ، فقومٌ منهم أخسُّ درجةً وأكثرُ جهلاً ركنوا إلى التقليد ، ولم يملكهم استيلاء شبهة بل اغتروا بظنٍّ وتخمين ، فهم الذين لا نصيب لهم من كتبهم إلا قراءتها ، دون معرفة معانيها . ومنهم مَنْ أكثرُ شأنه ما يمتناه في نفسه ، ولا يساعده إمكان ، ولا لظنونه قط تحقيق . ثم أخبر عن سوء عاقبتهم بقوله جل ذكره :  
« فويل لهم مما كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوِيلَ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ » .

أى خَسِرُوا في الحال والمآل ، والإشارة في هذه الآية لمن عَدِمَ الإخلاص في الصحبة في طريق الحق ؛ يَنْضُمُ إلى الأولياء ظاهراً ثم لا تصدِّقُ له إرادة فهو مع أهل الغفلة مُصَاحِبٌ ، وله مع هذه الطريقة جانب ، كلما دَعَتْهُ هواتف الحظوظ تَسَارِعَ إلى الإجابة طوعاً ، وإذا قادته دواعي الحق — سبحانه — يتكلف شيئاً ، فَبَيَّسَتْ الحالة حين لم يخلص ، وما أشد ندمه فيما ادَّخَرَ عن الله اثم لا يُفْلَحُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ، قُلْ أَتَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

الإشارة في هذه الآية لمن مرت على قلبه دعاواه العريضة ، وغلب عليه حسباته ، فحكم لنفسه — لفرط غفلته — بأنه من أهل القصة<sup>(١)</sup> ، وَيَخْلُدُ إلى هواجس مناه ، فيحكم على الغيب بأنه يَتَجَاوَزُ عنه ؛ لَسِيَ قَبَائِحَ ما أسلفه ، ويذكر مغاليط ما ظنَّه ، فهو عَبْدٌ نَفْسِهِ ، يغلب عليه حسن ظنه ، وفي الحقيقة تعذريه نتائج غفلته ومكره ، قال تعالى : « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الذي أحاطت به خطيئته هو الكافر — على لسان العلم<sup>(٢)</sup> .

(١) أى من أهل الطريق الصول .

(٢) أى على لسان التفسير المادى أى غير الاشارى



ولكن الإشارة منه إلى مَنْ سكن قلبه على استغاثاته على وجه الدوام ، فإن أصحاب الحقائق كالحب<sup>(١)</sup> على المقلّي - في أوقات صحوهم ، فمن سَكَنَ فَلِفِرَ طِعِزَّتِهِ - لا يَفْتُرُونَ<sup>(٢)</sup> .  
ومن استند إلى طاعة يتوسلُ بها ويظن أنه يقرب بها ينبغي أن يتباعد عن السكون إليها ومن تَحَقَّقَ بالتوحيد عِلْمَ ألا وسيلة إليه إلا به . . .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك

أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾

في الحال جنان الوصل . . . . .

( . . . . . )

( . . . . . )

( . . . . . )<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون

فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون

عليهم بالإثم والعدوان ﴾ .

... أضرابكم وقرنائكم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، الإشارة فيه أن نصرتمكم

لإخوانكم على ما فيه بلاؤهم نصرة عليهم بما فيه شقاؤهم ، فالأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو .

قوله جل ذكره : ﴿ وإن يأتوكم أسارى<sup>(٤)</sup> تفادوهم ،

وهو مُحَرَّمٌ عليكم إخراجهم ،

أفتؤمنون ببعض الكتاب

وتكفرون ببعض ﴾

أى كما تراعون - بالفداء عنهم - حقوقهم ، فكذلك يُفْتَرَضُ عليكم كفُّ

أيديكم عنهم ، وتركُ إخراجهم عن أوطانهم ، فإذا قُتِمَ ببعض ما يجب عليكم فما الذى يقدمكم

(١) وردت ( كالحب ) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) من الفترة ، وقد أوضحنا وأى المصنف فى الفترة والوقف فى هامش سبق .

(٣) حدث سقوط فيما بين ( الوصل ) و ... ( أضرابكم ) وبذلك لم يصلنا تفسير الآيات الكريمة

من رقم ٨٢ إلى ٨٤ .

(٤) يستخرج القشبرى من لفظة أسارى إشارات معينة بعد قليل .

عن الباقي ، حتى تقوموا به كما أمرتم ؟ أما علمتم أن من فرق بين ما أمر به فأمن ببعض وكفر ببعض فقد حبط — بما ضيعه — أجر ما عمله .

قوله جل ذكره : ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

أى ظنوا أن ما فعلوه نفهم ، فأنكشف لهم في الآخرة أن جميع ما فعلوه — لما مزجوه بالآفات وجردوه عن الصدق والإخلاص — غير مقبول منهم .

والأسراء أصناف : فمن أسير غرق في بحار الهوى فإيقاظه بأن تدله على الهدى . ومن أسير بقي في أيدي الوساوس فإيقاظه أن ترشده إلى اليقين بلوائح البراهين لتنقذه من الشك والتخمين ، ونخرجه عن ظلمات التقليد فيما تقوده إلى اليقين . ومن أسير تجده في أسر هواجسه استأسرته غاغة نفسه ، فكأن أسره بأن تدله على شهود المن ، بتبرئيه عن حساب كل حول يخلق وغير . ومن أسير تجده في ربيعة ذاته فكأن أسره إنشاده<sup>(١)</sup> إلى إقلاعه ، وإنجاده على ارتداعه . ومن أسير تجده في أسر صفاته فكأن أسره أن تدله على الحق بما يحل عليه من وثائق الكون<sup>(٢)</sup> ، ومن أسير تجده في قبضة الحق فتخبره أنه ليس لأسرائهم فداء ، ولا لقتلهم عود ، ولا لربيطهم خلاص ، ولا عنهم بد ، ولا إليهم سبيل ، ولا من دونهم حيلة ، ولا مع سواهم راحة ، ولا لحكمهم رد .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ .

إن الذين آثروا عليه شيئاً خسروا في الدنيا والآخرة كما قالوا :

---

(١) إنشاده إلى إقلاعه أى مطالبته والنصح له .  
(٢) دددت ( المكون ) والأصوب الكون لأن المصمود يقتضى ذلك .

أُناسٌ أَعْرَضُوا عَنَّا بِلا جُرْمٍ وَلَا مَعْنَى  
فَإِنْ كَانُوا<sup>(١)</sup> قَدْ اسْتَعْنَوْا . فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا

مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى  
ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا  
لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا  
كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ .

الإشارة : أوصلنا لهم الخطاب ، وأردفنا رسولاً بعد رسول ، والجميع دَعَوْا إلى واحد .  
ولكنهم أَصْغَوْا إلى دعاء الداعين بسمع الهوى ، فما استلذته النفوس قَبِلُوهُ ، وما استثقلت<sup>(٢)</sup>  
أهواؤهم جَهِدُوهُ<sup>(٣)</sup> ، فإذا كان الهوى<sup>(٤)</sup> صَفَتَهُمْ ثم عبدوه ، صارت للمعبود<sup>(٥)</sup> صفات العابد ،  
فلا جَرَمَ الويل لهم ثم الويل !

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ  
بِكُفْرِهِمْ فَفَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

لو كان منهم شيء بمجرد الدعوى لكان وجود المعاني ، ولكن عند مطالبات التحقيق تَفَرَّطُ  
أنيابُ المُتَكَبِّسِينَ عن أسنانٍ شاحذة بل ( . . . . )<sup>(٦)</sup> وقيل :

إذا انسكبت دموعٌ في خدود تبين من بسكى من تباكى

---

(١) اللفظة ناقصة في المتن ومصححة في الهامش على اليسار .

(٢) وردت ( استثقلته ) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت ( جهدوه ) ثم تصحیح لها في الهامش ( جهدوه ) ولا يستبعد أنها : ( جحدوه ) على  
أساس نكرانهم للتوحيد .

(٤) وردت ( الهوا ) والمصحح ( الهوى ) .

(٥) وردت ( المعبود ) وهي خطأ في النسخ .

(٦) هنا كلمة مشبهة .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

الإشارة فيه لمن عزم على الصفاء ، ووعد من نفسه لتحقيق الوفاء ، ونشر أعلام النشاط عند البروز<sup>(١)</sup> إلى القتال ، تنادى بالثُرَال وصدق القتال — انهزم عند التفات<sup>(٢)</sup> الصفوف ، وانجزل عن الجملة خشية هجوم المهدور ، قال تعالى : « فَإِذَا عَزَمُوا الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لهُمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

أنزلهم التحاسد عن مقر العز<sup>(٣)</sup> إلى حضيض الخزي ، وسامهم ذل الصفر حين لم يرضوا بمقتضى الحكم ، فأضافوا استيجاب مقتى آنف إلى استحقاق مقتى سالف .  
قوله جل ذكره : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

(١) وردت ( البرود ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت هكذا في ( م ) ، وربما كانت في الأصل ( التفاء ) الصفوف أو ( التفاف ) كذلك بمحتمل ( انهزم ) بدلا من ( انهدم ) .

(٣) وردت ( العير ) وهي خطأ في النسخ .

الإشارة فيه : إذا قيل لهم حَقِّقُوا ما أظهرتم من حكم الوفاق بتحقيق الحال وإقامة البرهان سَمَحَتْ نفوسُهم ببعض ما التبس عندهم لما يوافق أهواءهم ، ثم يكفرون بما وراء حظوظهم ، ( . . . ) <sup>(١)</sup> بُدَأَ عن زمرة الخواص ، غير معدودين في جملة أرباب الاختصاص .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد جاءكم <sup>(٢)</sup> موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ .

أى دعاكم إلى التوحيد ، وإفراد المعبود عن كل معبود ومحدد ، ولكنكم لم تبحجوا إلا إلى عبادة ما يليق بكم من عجل اتخذتموه ، وصنم تعبدتموه . فرفع ذلك من بين أيديهم ، لكن بقيت آثاره في قلوبهم وقلوب أعقابهم ، ولذلك يقول أكثر اليهود بالتشبيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا وأشرىوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل يئسا يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

كرّر الإخبار عن غلوهم في حب العجل ، ونبوهم عن قبول الحق ، و ( . . . . . ) <sup>(٣)</sup> وتعريفهم معاجلتهم بالعقوبة على ما يسيثون من العمل ، فلا النصح نجح فيهم ، ولا العقوبة أوجبت إقلاعهم عن معاصيهم ، ولا بالذم فيهم احتفلوا <sup>(٤)</sup> ، ولا بموجب الأمر عملوا .

---

(١) هنا لفظة مشتبهة .

(٢) أخطأ الناسخ حين كتبها ( جاءكم ) فصححناها طبقاً للآية ٩٢ .

(٣) هنا عبارة غامضة كتابة وبالنسبة معنى .

(٤) وردت ( اختلفوا ) ، والملائم للسياق ( احتفلوا ) أى اظهروا الاهتمام .



قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ  
عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ  
فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾  
ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم  
والله عليم بالظالمين ﴾ .

من علامات الاشتياق تمنى الموت على بساط العوافي ؛ فمن وثق بأن له الجنة قطعاً  
— فلا محالة — يشتاق إليها ، ولما لم يتمنوا الموت<sup>(١)</sup> — وأخبر الله سبحانه أنهم لن يتمنوه  
أبداً — صار هذا التعريف معجزة للرسول صلوات الله عليه وعلى آله إذ كان كما قال .  
وفي هذا بشارة<sup>(٢)</sup> للمؤمنين الذين يشتاقون إلى الموت أنهم مغفور لهم ، ولا يرزقهم  
الاشتياق إلا وتحقق لهم الوصول إلى الجنة ، وقديماً قيل : كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء .  
قال الله تعالى : « ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ،  
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ  
لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ  
مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ  
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

حُبُّ الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن الله ، وأشد منه غفلة أحبيهم للبقاء في الدنيا . وحالُ  
المؤمن من هذا على الضد . وأما أهل الغفلة وأصحاب التهلكة فإنما حرصهم على الحياة لعلمهم  
بما فقدوا فيها من طاعتهم ؛ فالعبد الآبق لا يريد رجوعاً إلى سيِّده . والانتقال إلى مَنْ هو  
خيرُهُ مَرَجُوْهُ خَيْرٌ للمؤمنين من البقاء مع مَنْ شَرُّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، ثم إن امتداد العمر مع يقين

---

(١) في النسخة ( الجنة ) ولكن الآية الكريمة والسياق يشيران إلى تمنى الموت ثم إن الضمير فيها  
جدي ( لن يتمنوه أبداً ) ضمير مذكر وليس ضمير مؤنث .  
(٢) وردت ( وفي هذا إشارة ) والمعنى يتطلب ( بشارة ) مما يرجح هذه على تلك .  
(٣) أسقط الناسخ من الآية من أول ( وما هو ) إلى ( أن يسر ) فأثبتناه .

الموت ( لا قيمة له ) إذا فَاتَجَا الأمرُ وانقطع العُمُرُ . وكلُّ ما هو آتٍ فقريب ، وإذا انتقضت  
المدَّةُ فلا مردُّ لهجوم الأجل على أكتاف الأمل .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ  
نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ .  
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ  
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ  
اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

زعمت اليهود أن جبريل لا يأتي بالخير ، وأنهم لا يحبونه ، ولو كان ميكائيل لكانوا  
آمَنُوا به ، فأكذبهم الحقُّ سبحانه فقال : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ لَأَنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ فَأَيُّ خَيْرٍ  
أَعْظَمُ مما نزل به من القرآن ؟

ثم قال إن مَنْ عَادَى<sup>(١)</sup> جبريلَ وميكائيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لَهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ الْحَبِيبِ إِلَى  
الْحَبِيبِ الْعَزِيزِ الْمَوْرِدِ — كَرِيمُ الْمَنْزِلَةِ ، عَظِيمُ الشَّرَفِ . وما ضُرَّتْ جِبْرِيلَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —  
— عداوةُ الكفار ، والحقُّ سبحانه وتعالى وليُّه ، وَمَنْ عَادَى جِبْرِيلَ فَالْحَقُّ عَدُوُّهُ ،  
وما أَعَزَزَ<sup>(٢)</sup> بهذا الشرف وما أَجَلَّهُ ! وما أَكْبَرَ علوه !

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا  
يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوْ كَلَّمَا  
عَاهَدُوا عَهْدًا تُبَدِّلُهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَل  
أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

لم يكفر بواضح آياته إلا من سُدَّتْ عن الإدراك بصائرُه ، وسبقت من الله بالشقاوة

---

(١) وردت ( عبادى ) وهى خطأ فى النسخ ، فعادى مناسبة لعدم محبتهم لجبريل كما سبق .  
(٢) الصحيح ان يقال وأعزز بهذا الشرف أو : ما أعز هذا الشرف فليس فى التعجب ما أفعل به  
فما حدث هو خطأ من الناسخ لأن القشيري — كما نعلم من سيرته — حريص أشد الحرص على قواعد النحر .

رَقِيبَتُهُ ، وَلَا عَقْلَ لِمَنْ يَجْحَدُ أَنَّ النَّهَارَ نَهَارٌ ، وَكَذَلِكَ لَا وَصْلَ لِمَنْ لَمْ تَسَاعِدْهُ مِنَ الْحَقِّ أَوْ رِ  
وَاسْتَبْصَارَ . أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا سَابِقُ التَّقْدِيرِ لَهُمْ كَانَ يَشُوْشُ عَلَيْهِمْ ، وَيَنْقُضُ عَهْدَهُمْ  
لَا حَقَّ التَّدْبِيرِ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
مُصَدِّقٌ<sup>(١)</sup> لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ  
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

جحدوا رسل الحق إلى قلوبهم من حيث الخواطر ، وكذبوا رسلهم الذين أتوهم في  
الظاهر ، فيما جهلاً ما فيه شظية من العرفان ! ويا حرماناً قَارَنَهُ خِذْلَان !

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ  
سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ،  
وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ  
النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى  
الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ  
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا  
إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ  
مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ  
وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ  
وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ  
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ .

مَنْ فَرَّقَتْهُ الْأَهْوَاءُ وَقَعَ فِي كُلِّ مَطْرَحٍ مِنْ مَطَارِحِ الْغَفْلَةِ ، فَيَسْتَقْبِلُهُ كُلُّ جِنْسٍ مِنْ قَضَايَا

---

(١) أَخْطَأَ النَّاسُخَ فَكَتَبَهَا ( مُصَدِّقًا ) وَالْمُصَحِّحُ ( مُصَدِّقٌ ) الْآيَةُ ١٠١ .

الجهالة ، ثم إن مَنْ طالت به الغيبة صار للناس عِبرة ، وَلِمَنْ سلك طريقَ فتنة ، فمن اقتدى به في غِيَّه انخرط في سِلْكِهِ ، والتحق بجنسه ، هكذا صفة هاروت وماروت فيما استقبلهما ، صارا للخلق فتنة بل عِبرة ، فمن أَصْنَى إلى قِيلِهما ، ولم يعتبر بحملهما تعلق به بلاؤهما ، وأصابه في الآخرة عناؤهما .

والإشارة من قصتهما إلى مَنْ مَالَ في هذه الطريقة إلى تمويه وتلبيس ، وإظهار دعوى بتدليس ، فهو يستهوى مَنْ اتَّبَعَهُ<sup>(١)</sup> ، ويلقيه في جهنم بباطله ، (.....) <sup>(٢)</sup> ومن تهتك بالجنوح إلى أباطيله تهتك أستاذه ، وظهر لذوى البصائر عوارده . وإن هاروت وماروت لما اغتريا بحاصل ما اعتاده من المعصية بَطْطاً لسان الملامة في عُصاة بني آدم ، فلياً رُكِّبَ فيهما من نوازع الشهوات ، ودواعي الفتن والآفات ، اقتحما في العصيان ، وظهر منهما ما انتشر ذكره على ألسنة القصاص ، وهما مُنْكَسَّان إلى يوم القيامة ولولا الفرق بهما وبشأنهما لما انتهى في القيامة عذابهما ، ولكن لطف الله مع الكافة كثير . ولما قال الله تعالى : « ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم » عليم أهل التحصيل أن العلم بكل معلوم — وإن كان صفة مدح — ففيه غير مرغوب فيه ، بل هو مستعاذ منه قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بك من علم لا ينفع .

قوله جل ذكره : ﴿ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾

لو علم المغبون ماذا أبقى وماذا أبلى لتقطعت أحشاؤه حسراته ، ولكن سيعلم — يوم تبلى السرائر — الذي فاتته من الكرائم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبةٌ من عند الله خيرٌ لو كانوا يعلمون ﴾

ولو آثروا الإقبال على الله على اشتغالهم عن الله ، لحصّلوا ذخّر الدارين ، ووصلوا إلى

(١) وردت ( التبعة ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) هنا عبارة غامضة ككتابة ومعنى ، ويرجح أن الناسخ قد وقع في أخطاء نقلية .

عِزُّ الْكَوْنَيْنِ ، وَلَكِنْ كَبَسَتْهُمْ سَطَوَاتُ الْقَهْرِ ، فَأُثْبِتَتْهُمْ فِي مَوَاطِنِ الْهَجْرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قصودُ الأعداء في جميع أحوالهم — من أعمالهم وأقوالهم — قصودٌ خبيثة ؛ فهم — على مناهجهم — يبنون فيما يأتون ويذرون . فسيلُ الأولياء التَّحرُّزُ عن مشابهِتهم ، والأخذ في طريق غير طريقهم .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمَشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

كراهيةُ الأعداء لانتظام صلاح الأولياء متصلةٌ مُستدامةٌ ، ولكن الحسود لا يسود ، ولا يحصل له مقصود وخصائص الرحمة للأولياء كافية — وإن زعمَ من الأعداء أفاك أنه انهدمت من أوطان فرحهم أكناف وأطراف .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

النسخُ الإزالةُ أي ما ينقلك من حال إلى ما هي فوقها وأعلى منها ، فنُسخُ وَصْلِكَ أَبَدًا ناضر ، ونجمُ عِزِّكَ أَبَدًا ظاهر ، فلا ننسخُ من آثار العبادَةِ شيئًا إلا وأبدلنا عنه أشياء من أنوار العبودية ، ولا لسخنا من أنوار العبودية أشياء إلا أقمنا مكانها أشياء من أبقار العبودية<sup>(١)</sup> .

---

(١) وردت ( من أبقار العبودية ) وهي خطأ من الناسخ ، لأن السياق هنا يتطلب ( العبودية ) =



فأبدًا<sup>(١)</sup> سِرُّكَ في الترقى ، وقدرِكَ في الزيادة بحسن التَّوَلَّى  
وقيل مارقًاكَ عن محل العبودية إلا سَلَكَكَ بساجات الحرية ، وما رَفَعَ عَنْكَ شَيْئًا من  
صفات<sup>(٢)</sup> البشرية إلا أَقَامَكَ بشاهدٍ من شواهد الألوهية .  
قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

سُنَّتُهُ — سبحانه — أن يجذب أوليائه عن شهود مُلْكِهِ إلى رؤية مُلْكِهِ<sup>(٣)</sup> ، ثم  
يأخذهم من مُطالعة مُلْكِهِ إلى شهود حَقِّهِ ، فيأخذهم من رؤية آيَاتِهِ إلى رؤية صفاته ، ومن  
رؤية صفاته إلى شهود ذاته .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ  
كَما سُئِلَ موسى من قبل . وَمَنْ  
يَنْبَدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ  
سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

إنَّ بنى إسرائيل آذَوْا موسى عليه السلام ، فَتَهَيَّأَ المسلمون عن فِعْلِ ما أسلفوه ، وأَمَرُوا

---

== فنحن نعرف من مذهب القشيري أن العبادة للعوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، والعبادة  
للخاص الخاص .

العبادة لأصحاب المجاهدات ، والعبودية لأرباب المكابذات ، والعبودية صفة أهل المشاهدات . . .  
وهكذا — ومن أسانيد كثيرة في باب العبودية في « الرسالة » — نلاحظ أن الدرجة القصوى في الأمر  
هي ( العبودة ) ، والترتيب هنا يمشي هكذا آثار العبادة ، انوار العبودية ، أثار العبودة ، وهو  
ترتيب في غاية الدقة ، يعطى كل درجة قدرها .

( ) وردت ( فأبد ) بدون تنوين .  
(٢) نقلت النظر هنا إلى أهمية كلمة صفات البشرية ، أى أن المقصود — حسب مذهب القشيري — ليس  
سقوط البشرية في حد ذاتها ، وإنما صفاتها الملوثة ، وينبغي أن يكون واضحاً تمام الوضوح أن التصوف  
الإسلامي الحق — والقشيري من أفضل المعبرين عنه — لا يقول بأدنى تداخل بين البشرية والألوهية  
فالعبد عبيد والرب رب .

(٣) ضبطنا ملك وملك مستفيدين من كلام القشيري في كتابه « التعبير » ضمن اسم « الملك » .

بمراعاة أن حشمة الرسول صلى الله عليه وسلم بغاية ما يقسم في الإمكان . فكانوا بحضرة كأن  
على رؤوسهم الطير . قال تعالى : « تعزروه وتوقروه » وحسن الأدب — في الظاهر — عنوان  
حسن الأدب مع الله في الباطن .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
لَوْ يَرُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا  
حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ  
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا  
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

مَنْ لَحِقَهُ خسران الفهم من أصحاب الغفلة ودَّ ألاَّ يطلعَ لأحدٍ بالسلامة نجمٌ ، ومنَ اعتراه  
الحسد أراد ألاَّ تنبسط على محسوده شمسٌ .

وكذلك كانت صفات الكفار ، فأرغم الله أنفهم ، وكبهم على (١) وجوهم .

والإشارة من هذا إلى حال أصحاب الإرادة في البداية إذا رغبوا في السلوك ، فمن لم يساعده  
التوفيق ( في الصلابة ، وعاشر أناساً مترسبين بالظواهر ) (٢) فإنهم يمنعون هؤلاء من السلوك  
ولا يزالون يخاطبونهم بلسان النصيح ، والتخويف بالعجز والتهديد بالفقر حتى ينقلوهم إلى سبيل  
الغفلة ، ويقطعوا عليهم طريق الإرادة ، أولئك أعداء الله حقاً ، أدركهم مقت الوقت .  
وعقوبتهم حرمانهم من أن يشموا شيئاً من روائح الصدق .

« فاعفوا واصفحوا . . . » فسبيل المريد أن يحفظ عن الأغيار سره ، ويستعمل مع كل  
أحد ضلة (٣) ، ويبدل في الطلب رفعة (٤) ، فعن قريب يفتح الحق عليه طريقه .

---

(١) في النسخة ص ( وكبهم لوجوهم ) وقد آثرنا عليها ( على وجوهم ) .  
(٢) أصلها في هذه العبارة قليلاً لكي يتضح معناها طبقاً لوصايا القشيري للمريدين في « رسالته »  
(٣) هكذا وردت في ( ص ) وقد نقلناها كما جاءت ، وربما كانت في الأصل ( خلة ) بمعنى الصفة  
أي أن يحافظ على سره مع ربه عن طريق اتصافه مع صحبته بصفات ملائمة . تضمن أن يكون سره محفوظاً  
(٤) ربما كانت في الأصل ( ويبدل في الطلب وسعه ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ،

وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

الواجب على المرید إقامة المواصلات ، وإدامة التوسل بفنون<sup>(١)</sup> القربات ، واثقاً بأن ما يقدمه من صدق المجاهدات تُدْرِكُ<sup>(٢)</sup> ثمرته في أواخر الحالات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ<sup>(٣)</sup> الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ

أَمَانَتُهُمْ ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

كلُّ حِزْبٍ يُمَهِّدُ الْأَمَلَ لِنَفْسِهِ ، وَيُظَنُّ النِّجَاةَ لِحَالِهِ ، وَيَدْعِي الْوَسْلَ<sup>(٤)</sup> مِنْ سَهْمِهِ .

ولكنَّ مجرد الحسبان دون تحقق البرهان لا يأتي بحاصل ، ولا يجوز بطائل .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلَى<sup>(٥)</sup> مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

أسلم وجهه أى أخلص لله قصده ، وأفرد لله وجهه ، وطهر عن الشوائب عقله .

« وهو محسن » . عالمٌ بحقيقة ما يفعله وحقيقة ما يستعمله : وهو محسن في المآل كما أنه

مسلم في الحال .

ويقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فتكون مستسلماً بظاهرك ، مشاهداً بسرائرك ،

في الظاهر جهد وسجود وفي الباطن كشف ووجود .

---

(١) جاءت هكذا في من ( يقنون ) ثم صححها الناسخ في الهامش .

(٢) جاءت في من ( تدركوا ) .

(٣) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( يدخلوا ) والصحيح ( يدخل ) الآية ١١١ .

(٤) الوسل والوسيلة والواسطة = الوصلة والقرب من الله ( الوسيط من ١٠٤٤ )

(٥) أسقط الناسخ ( بلى ) والصحيح وجودها الآية ١١٢ .

ويقال « أسلم وجهه » بالترام الطاعات ، « وهو محسن » قائمٌ بآداب الخدمة بحسن آداب الحضور ، فهو لا ليس عليهم خوف المعجر ، ولا يلحقهم خفيُّ المكر ، فلا الدنيا تشغلهم عن المشاهدة ولا الآخرة تشغلهم غداً عن الرؤية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَلُونِ الْكِتَابِ ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

الإشارة في هذه الآية على العكس من حكم الظاهر ؛ فالأعداء يتبرأ بعضهم من بعضٍ اليوم ، والأولياء من وجه كذلك ، ولذا قالوا : لا زالت الصوفية بخير ما تنافروا ، ولا يقبل بعضهم بعضاً لأنه لو قبل بعضهم بعضاً بقي بعضهم مع بعض .

لكن الأعداء كلهم على الباطل . عند تَبَرُّي بعضهم من بعض أما الأولياء فكلُّهم على الحق — وهذه ما ذكرنا من حكم العكس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ . لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

الإشارة فيه أن الظالم مَنْ خَرَّبَ أوطان العبادة بالشهوات ، وأوطان العبادة نفوس العابدين . وخَرَّبَ أوطان المعرفة بالثني والعلاقات ، وأوطان المعرفة قلوب العارفين . وخَرَّبَ أوطان المحبة بالمحظوظ والمساكنات ، وهي أرواح الواجدين . وخَرَّبَ أوطان

المشاهدات بالالتفات إلى القربات وهي أسرار الموحدين<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ .

لأهل الإشارة خزي الدنيا بذل الحجاب، وعذاب الآخرة الامتناع بالدرجات .

قوله جل ذكره : ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسعٌ عليم﴾ .

الإشارة منها إلى مشارق القلوب ومغاربها . وللقلوب شوارق وطوارق . وطوارقها هواجس النفوس تطرق في ظلمات المني والشهوات .

وشوارقها نجوم العلوم وأقمار الحضور وشموس المعارف .

فما دامت الشوارق طالعةً فِقِبْلَةُ القلوب ، واضحة ظاهرة ، فإذا استولت<sup>(٢)</sup> الحقائق خفي سلطان الشوارق ، كالنجوم تستتر عند طلوع الشمس ، كذلك عند ظهور الحق يحصل اصطلام وقهر ، فلا شهود رسم ، ولا بقاء حِسٌّ وفهم ، ولا سلطان عقل وعلم ، ولا ضياء عرفان . فإن وجدان<sup>(٣)</sup> هذه الجملة صفات لا تقة ببقاء البشرية ، وإذا صار الموصوف محوًّا فأنى لهم ببقاء الصفة !

قال تعالى : « فَأَيُّ شَيْءٍ تُولَوْنَ » وجه الله ، مادام يبقى من الإحساس والتمييز بقية — ولو شظية — فالقِبْلَةُ مقصودة ، فإن لم تكن معلومة تكون مطلوبة . وعلى لسان العلم إذا اشتبهت الدلائل بكلِّ وجهة ، ولا معرفة بالقِبْلَةُ تَسَاوَتْ الجهاتُ في جواز الصلاة إلى كل واحدٍ منها إذا لم يكن للنية ترجيح .

---

(١) نعرف من مذهب القشيري أن الأسرار ( للموحدين ) ولذا ترجح أن الناسخ أخطأ حينما كتبها ( الواجدين ) وقد أثبتناها هنا على هذا الترجيح .  
(٢) وردت ( سوت ) وهي خطأ في النسخ .  
(٣) وجدان ، ووجود مصدران لوجد ، غير أن القشيري يؤثر استعمال لفظة ( الوجود ) بمعناها الاصطلاحي الدقيق في موضعها للملائم ( التواجد بداية الوجود واسطة الوجود نهاية ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ .

مَكْرَهُمْ لَمْ يُفْنِهِمْ — من الإفناء — في الحال ، بل جعل موجب اغترارهم طول الإمهال ، فنطقوا بعظيم الغرئية على الله ، واستنبطوا عجيب المرئية في وصف الله ، فوصفوه بالولد ! وأتني بالولد وهو إحدى الذات ١٢ لاحد لذاته ، ولا تجوز الشهوة في صفاته .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَه قَانِتُونَ ﴾ .

أى ليس في الكون شيء من الآثار المنقورة أو الأعيان المستقلة إلا وتنادى عليه آثار الخلق ، وتفصح منه شواهد الفطرة ، وكل صامت منها ناطق ، وعلى وحدانيته — سبحانه — دليل وشاهد .

قوله جل ذكره : ﴿ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

البديع عند العلماء مُوجِدُ العَيْنِ لا عَلَى مِثْلِ ، وعند أهل الإشارة الذى ليس له شيء مثله . فهذا الاسم يشير إلى نفي المثل عن ذاته ، ونفي المثل عن أفعاله ، فهو الأحد الذى لا عدد يجمعه ، والصمد الذى لا أمد يقطعه ، والحق الذى لا وهم يصوره ، والموجود الذى لا فهم يقدره . وإذا قضى أمراً فلا يعارض<sup>(١)</sup> عليه مقدور ، ولا ينفك من حكمه محذور .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا<sup>(٢)</sup>

اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا<sup>(٣)</sup> الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

---

(١) الصواب أن تكون ( فلا يعارض ) ، فهكذا يعبر القشيري في مثل هذا السياق .

(٢) وردت ( لولا يكلمهم ) وهي خطأ ، وقد صححناها طلباً للآية ١١٧ .

(٣) وردت خطأ ( بيّن ) والمصحيح ( بينا ) الآية ١١٧ .



كلام الله سبحانه متعلق بجميع المخلوقات بأعيانها وآثارها ، وأمر التكوين ( يتناول المكلفين وأفعال المكلفين )<sup>(١)</sup> ، لكن من عديم سمع الفهم تصامم<sup>(٢)</sup> عن استماع الحق ، فإنه — سبحانه — خاطب قوماً من أهل الكتاب ، وأسمعهم خطابه<sup>(٣)</sup> ، فلم يطيقوا سماعه ، وبعد ما رأوا من عظيم الآيات حرّفوا وبدّلوا . وفي الآيات التي أظهرها ما يزيح العلة من الأغيار ، ويشفي العلة من الاخيار ، ولكن ما تُغني الدلائل — وإن وضحت — عن حُجَّتْ لهم الشقارة وسبقت ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً  
ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ .

أفردناك بخصائص لم نُظهِرْها على غيرك ؛ فالجمهور والسكافة تحت لوائك ، والمقبول من وافقك ، والمردود من خالفك ، وليس عليك من أحوال الأغيار سؤال ، ولا عنك لأحد ( . . . )<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى  
حتى تتبع ملّتهم قل إن هدى الله  
هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد  
الذي جاءك من العلم مآلك من  
الله من ولى ولا نصير ﴾ .

لا تبال برضاء الأعداء بعد ما حصل لك رضانا ، فإنهم لا يرضون عنك إلا بمتابعة أديانهم ، ودون ذلك لم حظ القتال فأعلن<sup>(٥)</sup> التبري منهم ، وأظهر الخلاف معهم ، وانصب العداوة

(١) العبارة التي في ( ص ) مضطربة في الخط والمعنى ، وقد صبحناها طبقاً لما نعرف من آراء القشيري الكلامية : إن الله خالق العباد وأفعال العباد ( فأنه خالق كل شيء ، أما الإنسان فليس له أن يوصف بذلك لأن كل من خلقه وصف التكوين لا يصح منه الإيجاد ) .

(٢) وردت ( تصامم ) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت أسمعهم ( خاطبهم ) والأرجح أنها في الأصل أسمعهم ( خطابه ) .

(٤) مشبهة .

(٥) وردت ( ما علف ) وهي خطأ في النسخ ، وقد جعلناها ( فأعلن ) لتلائم ( وأظهر ) بعدها .

لهم ، وأعلم أن مساكنهم إلى ما يرضون سبب الشقاوة المؤبدة ، فاحرص ألا يخطر ذلك  
ببإلك<sup>(١)</sup> ، وادعُ — إلى البراءة عنهم وعن طريقهم — أمتك ، وكن بنا لنا ، متبرياً  
عن سوانا ، واثقاً بنصرتنا ، فإنك بنا ولنا .

قوله جل ذكره : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ  
تلاوته أولئك يؤمنون به ، ومن  
يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾ .

الذين فتحنا أبصارهم بشهود حقنا وكَلَّمْنَا أَسْمَاعَ قُلُوبِهِمْ بِسَمَاعِ خُطَابِنَا ، وخصصناهم  
بإسبال نور العناية عليهم ، وأيدناهم بتحقيق التعريف في أسرارهم ، يقومون بحق التلاوة ،  
ويتصفون بخصائص الإيمان والمعرفة فهم أهل التخصيص ، ومن سواهم أصحاب الرد .

قوله جل ذكره : ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي  
التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم  
على العالمين﴾

جرت سُنَّتُهُ — سبحانه — في الخطاب مع قوم موسى عليه السلام أن يناديهم بنداء  
العلامة فيقول : يا بني إسرائيل اذكروا ، أي يا بني يعقوب ، ومع هذه الأمة<sup>(٢)</sup> أن يخاطبهم  
بنداء الكرامة فيقول : « يا أيها الذين آمنوا »

قوله جل ذكره : ﴿واقتوا يوماً لا تجزي نفس عن  
نفس شيئاً ولا يقبل منها عدلٌ ،  
ولا تنفعها شفاعَةٌ ولاهُمْ يُنصَرُونَ﴾

أما الأعداء فلا يقبل منهم شيئاً ، وأما الأولياء فقال صلى الله عليه وسلم : « اقتوا النار  
ولو يشقُّ تمرٌ » ، والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين فهذا حكم كل أمة مع نبيها ،  
وأما المؤمنون — فعلى التخصيص — تنفعهم شفاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

---

(١) جاءت الجملة في ص هكذا ( فاحرس عن أخطار ذلك ببإلك ) ومعنا لأنفسنا بشيء من التصرف  
يلبغ فهم المعنى ، وربما كان أقرب إلى الأصل .  
(٢) يقصد أمة المصطفى صلوات الله عليه وسلامه .

وكلُّ أحدٍ يقول يومئذٍ نفسى نفسى ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم يقول: أمتى أمتى<sup>(١)</sup> .  
قوله جل ذكره: ﴿وإِذَا بَتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمْنَ﴾

البلاء تحقيق الولاء ، فأصدقهم ولاء أشدُّهم بلاء .

ولقد ابتلى الحق — سبحانه — خليله عليه السلام بما فرض عليه وشرع له ، فقام بشرط وجوبها ، ووفَّى بحكم مقتضاها ، فأنشئ عليه سبحانه بقوله : « وإبراهيم الذى وفى » — من التوفية — أى لم يقصِّر بوجه ألبتة .

يقال حمَّله أعباء النبوة ، وطالبه بأحكام الخلَّة ، وأشدُّ بلاء له كان قيامه بشرائط الخلَّة ، والانفراد له بالتجافى عن كل واحد وكل شيء ، فقام بتصحيح ذلك مخفياً عن جميع ما سواه ، سراً وعَلَنًا .<sup>(٢)</sup>

كذلك لم يلاحظ جبريل عليه السلام حين تعرض له وهو يُقذف فى لجَّة الهلاك ، فقال : هل من حاجة ؟ فقال : أمَّا إليك . . . فلا .

ومن كمال بلائه تعرض جبريل عليه السلام فى تلك الحالة ، وأى بقية كانت بقيت له منه حتى يكون المخلوق فيه مساغ كائنًا من كان ؟

---

(١) أخطأ الناسخ حين نقلها « كل عهد يقول . . . والصواب » كل أحد . . . وقد سمع القشيري هذه العبارة من أستاذه الدقاق — كما يقول فى رسالته فى باب الفتوة .

(٢) هذا هو رأى القشيري فى « الخلَّة » ، ونرى لازماً علينا أن ننبه إلى بعض الآراء الأخرى فيها . فالمعتزلة — الذين يتعدون عن كل ما يحمل على التشبيه — يذلون جهدم فى الاستمانة باللغة للحصول على تأويلات للنص القرآنى تخدم هذه الغاية ، فلما لم يرضهم تحل لفظة الخليل على ظاهرها فى الآية « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ( النساء : ١٢٥ ) استشهدوا ببيت من الشعر القديم زهير وهو :  
ولأن اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب ملئ ولا حرم

( ديوان زهير نشر دار الكتب ص ١٥٣ ) وفيه خليل بمعنى محتاج ، وقد أورد القشيري هذا الرأى ضمن تفسيره للآية ١٢٤ النساء ، أى أنه لا يعارض أن تحتل اللفظة هذا المعنى .

ويفسر دكتور عبد الرحمن بدوى قول أبى طالب المكي ( إن رابعة قد ارتفعت إلى وصف معنى الخلَّة ) بما يلى : ( على أن مقام الخلَّة هذا يمكن أن يُفسر على أساس أنه شعور بتجاوز الخير والشر ، ذلك أن القيم الأخلاقية لا اعتبار لها إلا بالنسبة إلى بنى الإنسان والدنيا . أما — رابعة ورباح — فقد تجاوزا نطاق البشرية وصارا يلوذان بمجوار الألوهية واطرحا الناسوت وشاع فيهما اللاهوت » .

شهيدة المشق الالهى ص ٦٣ ، ٦٤

وفى هذا إشارة دقيقة إلى الفرق بين حال نبيِّنا صلى الله عليه وسلم وحال إبراهيم عليه السلام ، لأنه تعرض جبريل للخليل وعرض عليه نفسه :  
 فقال : أمّا إليك . . فلا . ولم يُطِقْ جبريل صحبة النبي صلى الله عليه وسلم فنطق بلسان المعجز وقال :

لو دنوتُ أنملة لاحتُرقتُ<sup>(١)</sup> .

وشتان بين حالة يكون فيها جبريل عليه السلام من قُوَّتِهِ بحيث يعرض للخليل عليه السلام نفسه ، وبين حالة يعترف للحبيب — صلوات الله عليه — فيها بمعجزه .

قوله جل ذكره : ﴿ إني جاعلك للناس إماماً ﴾ ، قال  
 ومن ذريتي قال : لا ينال عهدي  
 الظالمين . وإذ جعلنا البيت مثابةً  
 للناس وأمناً ﴿

الإمام مَنْ يُقْتَدَى به ، وقد حَقَّقَ له هذا حتى خاطب جميع الخلائق إلى يوم القيامة بالافتداء به فقال : « ملة أبيكم إبراهيم » أى اتبعوا ملة إبراهيم يعنى التوحيد ، وقال : « واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى » .

هذا هو تحقيق الإمامة . ورتبة الإمامة أن يفهم عن الحق ثم يفهم الخلق ؛ فيكون واسطة بين الحق والخلق ، يكون بظاهره مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة ، وبباطنه مشاهداً للحق ، لا يتغير له صفاء الحالة ، ويقول للخلق ما يقوله له الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن ذريتي ﴾  
 نطق بمقتضى الشفقة عليهم ، فطلب لهم ما أكرم به . فأخبره أن ذلك ليس باستحقاق لَسَبٍ ، أو باستيجاب سبب ، وإنما هى أقسام مضت بها أحكام فقال له : « لا ينال عهدي

(١) يشير بهذا إلى ما حدث ليلة الاسراء والمعراج فى الملأ الأعلى ( انظر كتاب المعراج ) للقشبرى نشره دكتور هلى عبد القادر . ط . ( الكتب الحديثة ) سنة ١٩٦٤ .

الظالمين » وليس هذا كنعم الدنيا وسعة الأرزاق فيها ، فهي لا ادُّخَّار لها عن أحد وإن كان كافراً ، ولذلك :

قال جلّ ذكره : ﴿ وارزق أهل من الثمرات من آمن

منهم بالله واليوم الآخر ﴾  
فقال الله تعالى : ﴿ ومن كفر  
فأمتعهُ قليلاً ﴾

يعنى ليس للدنيا من الخطر ما يمنعها عن الكفار ، ولكن عهدي لا يناله إلا من اخترته  
من خواص عبادى .

أما الطعام والشراب فغير ممنوع من أحد .

أما الإسلام والحجاب فغير مبذول لكل أحد .

قوله جل ذكره : ﴿ وإجعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ﴾

واذكر يا محمد حين جعلنا البيت — يعنى الكعبة — مثابة للناس إليه يثوبون ،  
وأماناً لهم إليه يرجعون ، وإياه من كل نحو يقصدون .

هو بيت خلقته من الحجر ولكن أضفته إلى الأزل ؛ فمن نظر إلى البيت بعين الخلق  
انفصل ، ومن نظر إليه بعين الإضافة وصل واتصل<sup>(١)</sup> ، وكل من التجأ إلى ذلك البيت آمن  
من عقوبة الآخرة إذا كان التجاؤه على جهة الإعظام والاحترام ، والتوبة عن الآثام .

ويقال بُني البيت من الحجر لكنه حجر يجذب القلوب كحجر المغناطيس  
يجذب الحديد .

بيت من وقع عليه ظلُّه أناخ بعقوة<sup>(٢)</sup> الأمن .

---

(١) قارن رأى القشيري الصوفي الحريمى بآراء بعض الصوفية الذين أوتوا حظاً من الجرأة في التعبير .  
عن هذا الموضوع ، من ذلك مثلاً قول رابعة « لا أريد الكعبة بل رب الكعبة أما الكعبة فإذا أفعل  
بها ... ولم تشأ أن تنظر إليها ( تذكرة الأولياء . المطار ج ١ ص ٦١ ) .

وقول الحلّاج : « إن شوقنا إلى الله يجب أن يمحوعقلياً في نفوسنا صورة الكعبة ، كما نجد من أقامها  
« شخصيات قلقة في الاسلام . د . بدوى ص ٦٨ .

(٢) العَقْوَةُ = الموضع المتسع أمام الدار أو الحلة أو حولها ( الوسيط ص ٦٢٤ ) .

بيتٌ مَنْ وقع عليه طَرَفُهُ بُشِّرَ بتحقيق الغفران .  
بيتٌ مَنْ طاف حَوْلَهُ طافت اللطائف بقلبه ، فطَوَّفَتْهُ بطوفة ، وشَوَّطَتْهُ بشوطة وهل جزاء  
الإحسان إلا الإحسان .

بيتٌ ما خَسِرَ مَنْ أنفق على الوصول <sup>(١)</sup> إليه مَالَهُ .  
بيتٌ ما ربحَ مَنْ ضَنَّ عليه بشيءٍ ، مَنْ زاره نَسِيَ مزارَهُ ، وهجر ديارَهُ .  
بيتٌ لا تُسْتَبَعْدُ إليه المسافة ، بيتٌ لا تُتْرَكُ زيارته لحصول مخافة ، أو هجوم آفة ، بيتٌ  
ليس له بمهجة الفقراء آفة .

بيتٌ من قعد عن زيارته فَلَعَدَمَ فُتُوَّتِهِ ، أو لقلّة محبته .  
بيتٌ من صَيَّرَ عنه فقلبه أَوْسَى من الحجارة . بيتٌ من وقع عليه شعاعُ أنواره تَسَكَّى عن  
شمسه وأقماره .

بيتٌ ليس العَجَبُ ممن بقى ( عنه ) <sup>(٢)</sup> كيف يصبر ، إنما العجبُ ممن حضره  
كيف يرجع !

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .  
عَبْدُ رَفَعَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ قَدَمًا فَإِلَى الْقِيَامَةِ جَعَلَ أَثَرَ قَدَمِهِ قِبْلَةً لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِكْرَامًا  
لامدى له .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَهْدُنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ  
طَهِّرَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَارْزُقْ  
أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ

---

(١) وردت ( الوصول ) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) ( عنه ) تكملة جاءت فى هامش الصفحة ؛ وهى تكملة ضرورية .



قليلاً ، ثم أضطره إلى عذاب النار  
وبئس المصير \* .

الأمس في الظاهر بتطهير البيت ، والإشارة من الآية إلى تطهير القلب .  
وتطهير البيت بصوّته عن الأدناس والأوسار ، وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة  
الأجناس والأغيار .

وطوافُ الحجاج حول البيت معلومٌ بلسان الشرع ، وطوافُ المعاني معلومٌ لأهل الحق ؛  
فقلوب العارفين المعاني فيها طائفة ، وقلوب الموحّدين الحقائق فيها عاكفة ، فهؤلاء أصحاب  
التلوين<sup>(١)</sup> وهؤلاء أرباب التمكين .

وقلوبُ القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة .  
وقلوب الموحّدين على بساط الوصل أبداً راکفة .  
وقلوب الواجدین على بساط القرب أبداً ساجدة .

ويقال صواعد نوازع الطالبين بباب الكرم أبداً واقفة ، وسواحي قصود المريدين بمشهد  
الجود أبداً طائفة ، ووفود همم العارفين بحضرة العزّ أبداً عاكفة .

قوله جل ذكره : \* وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا  
بلداً آمناً \* .

السؤال إذا لم يكن مشوباً بحفظ العبد كان مستجاباً ، ولم يكن سؤال إبراهيم هذا لحظّ  
نفسه ، وإنما كان لحقّ ربّه عزّ وجلّ .

ولمّا حفظ شرط الأدب طلب الرزق لمن آمن منهم على الخصوص أجيب فيهم

---

(١) وردت ( التكوين ) وهي خطأ من الناسخ ، والصحيح أنها ( التلوين ) .  
والتلوين والتمكين لفظان اصطلاحيان : ( التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق ،  
فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقى من حالٍ إلى حالٍ ، وينتقل من وصفٍ إلى وصفٍ  
وهو أبداً في الزيادة أما صاحب التمكين فوصل ثم اتصل ، وأما أنه انعمل أنه بالكلية عن كليته بطل .  
والتغير بما يرد على العبد إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه ، والسكون إما لقوته أو لضعف الوارد عليه )  
الرسالة ص ٤٤

وفي الذين لم يؤمنوا . ولما قال في حديث الإمامة : «ومن ذُرِّيَّتِي» من غير إذن مُسَمَّع وقيل له :  
«لا ينال عهدى الظالمين» .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ  
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

نَجِّحُ السُّؤال في صدق الابتهاال ؛ فلما فزعا إلى الخضوع في الدعاء أتاها المدد ،  
ونحقيق السُّؤال .

« إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ » لأقوالنا « العليم » بأحوالنا .

قوله جل ذكره . ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرْسِلْ  
مِنَّا سَكَنًا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

« مسلمين » : متقادين لحكمك حتى لا يتحرك مِنَّا عِرْقٌ بغير رضاك ، واجعل من  
ذريتنا أمة مسلمة لك لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك ، وشتان بين من يطلب وارثاً  
للماله ، وبين من يطلب نائباً بعده يقوم بطاعته في أحواله .

« وَأَرْسِلْ مِنَّا سَكَنًا » إذ لا سبيل إلى معرفة المواقفات إلا بطريق التوفيق والإعلام .  
« وتب علينا » : بعد قيامنا بجميع ما أَمَرْتَنَا حتى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا ،  
ونرجع إليك عن شهود أفعالنا لئلا يكونَ خطرُ الشُّرك الخفيِّ في توهُّمِ شَيْءٍ مِنَّا بِنَا .

قوله جل ذكره : ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا  
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ .

إن الواجبات لما كانت من قبيل الرسل دون مجرد المعقول سأل ألا يتركهم سُدىً ،  
وألا يخليهم عن رسول وشرع . وطلب في ذلك الموقف أن يكون الرسول « منهم »  
ليكونوا أشكناً إليه وأسهلَ عليهم ، ويصحُّ أن يكون معناه أنه لما عرَّفَهُ — سبحانه —  
حالَ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم سأل إنجاز ما وعده على الوجه الذي به ( أمره <sup>(١)</sup> ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا  
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

أخبر أنه آثر الخليل صلوات الله عليه على البرية ، فجعل الدينَ دينَه ، والتوحيدَ شعارَه  
والمعرفةَ صِفته ؛ فمن رَغِبَ عن دينه أو حاد عن سُنَّتِهِ فالباطل مطرحه ، والكفر مهواه ؛  
إذ ليست الأنوار بجملتها إلا مقتبسة من نوره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ  
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الإسلام هو الإخلاص وهو الاستسلام ، وحقيقته الخروج عن أحوال البشرية بالكلية من  
منازعات الاختيار ومعارضات النفس ، قال : « أسلمت لرب العالمين » : قابلت الأمر بالسمع  
والطاعة ، واعتنقت الحكم على حسب الاستطاعة . ولم يدخر شيئاً من ماله وبدنه وولده ،  
وحين أمرَ بذيبح الولد قصد الذبح ، وحين قال له خلِّه من الأسر ( عمل ) <sup>(٢)</sup> ما أمرَ به ، فلم  
يكن له في الحالين « اختيار » ولا تدبير .

ويقال إن قوله : « أسلمت » : ليس بدعوى من قبيله لأن حقيقة الإسلام إنما هو التبري من  
الحوال والقوة ، فإذا قال : « أسلمت » فكأنه قال أقمني فيما كلفتنى ، وحقق مني ما به  
أمرتني . فهو أحال الأمر عليه ، لا لإظهار معنى أو ضمان شيء من قبيل نفسه .

ويقال أمره بأن يستأثر بمطالبات القدرة ؛ فإن من حلَّ في الخلَّة محلَّه يحل به — لا محالة —  
ما حلَّ به .

(١) ترجح أنها في الأصل ( أخبره ) حتى تتلاءم مع السياق وبذا يكون الناسخ مخطئاً في نقلها .  
(٢) في ص ( فَعَسَلِمَ ) ويمكن أن يحتملها المعنى ، ولكن ترجيح ( عمل ) أقوى في الدلالة على الامتثال

وَيُسْأَلُ هَاهُنَا سُؤَالٌ فَيَقَالُ : كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « أَسْلَمْتُ » وَلَمْ يَقُلْ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيْنًا قِيْلَ لَهُ إِعْلَمْ « عَلِمْتُ » ؟ .

وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ : مِنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ »<sup>(١)</sup> ، وَلَكِنْ لَمْ يَرِدْ بَعْدَهُ شَرْعٌ فَكَانَ يُخْبِرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ قَالَ عَلِمْتُ .

وَيَقَالُ : إِنْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ : « آمَنَ الرَّسُولُ » لِأَنَّ الْإِيْمَانَ هُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَقَوْلُ الْحَقِّ وَإِخْبَارُهُ عَنْهُ أَتَمُّ مِنْ إِخْبَارِهِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَنْ نَفْسِهِ .

وَالْآخِرُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَخْبَرَ بِقَوْلِهِ : « أَسْلَمْتُ » اقْتَرَنَتْ بِهِ الْبَلَوَى ، وَنَبِيْنَا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَتَحَرَّزُ عَمَّا هُوَ صُورَةُ الدَّعْوَى فَحُفِظَ وَكُفِّيَ .

وَالْآخِرُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِمَا يَجْرِي بِجَرَى الْأَفْعَالِ ، فَإِنَّ الْأَسْتِسْلَامَ بِهِ إِلَيْهِ بِشِيرٍ . وَنَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالْعِلْمِ ، ( وَلَطَائِفُ الْعِلْمِ أَقْسَامٌ )<sup>(٢)</sup> .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَوَصَّيْ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيَهُ ، وَيَعْقُوبُ : يَا بَنِيَّ إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

أَخْبَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَّى بَنِيَهُ ، وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِبَنِيهِ لَا يَصِيبَنَّكُمُ الْمَوْتُ إِلَّا وَأَنْتُمْ بِوَصْفِ الْإِسْلَامِ . فَشَرَائِعُهُمْ — وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِي الْأَفْعَالِ — فَلِأَصْلِ وَاحِدٍ ، وَمَشْرَبُ التَّوْحِيدِ لَا ثَانِي — لَهُ فِي التَّقْسِيمِ — وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى

---

(١) « أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ » .

الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ « وَاللَّهُ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ » .

وَالشَّيْخَانُ عَنْ عَائِشَةَ « وَاللَّهُ إِنِّي لِأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » .

(٢) هُنَا وَضَعَ النَّاسِخُ عَلَامَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي النِّقْلِ ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْمُبَارَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي ( ص )

مُضْطَرِبَةً وَقَدْ آتَرْنَا أَنْ نَلْتَقِطَ مِنْهَا مَا نَرْجِيحُ أَنَّهُ مَلَائِمٌ لِلْمَعْنَى . فَالْقَصْدُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبَّرَ بِقَوْلِهِ

« أَسْلَمْتُ » وَهَذَا فِعْلٌ لِنَسَائِي بَيْنَمَا لَمْ يَقُلْ الرَّسُولُ ( ص ) « عَلِمْتُ » لِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ كَسِبًا لِلْعَبْدِ وَإِنَّمَا هُوَ

قِسْمٌ لَهُ أَيْ أَنَّهُ مِنْ عَيْنِ الْجُودِ لَا مِنْ قَبِيلِ الْمَجْهُودِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

لكم الدين « إشارة بما تقوى به دواعيهم على الرغبة فيما يكلفهم من الإسلام ، لأنهم إذا تحققوا أن الله سبحانه اصطفى لهم ذلك علموا أنه لا محالة يمينهم فيسهل عليهم القيام بحق الإسلام .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ ﴾ .

جروا كلهم — صلوات الله عليهم — على منهاج واحد في التوحيد والإسلام ، وتوارثوا ذلك خلفاً عن سلف ، فهم أهل بيت الزلفة ، ومستحقو القرية ، والمطهرون من قبل الله — على الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .  
لم يقولوا إلهاً مراعاة لخصوصية قدره ، حيث سلموا له المزية ، ورأوا أنفسهم ملحقين بمقامه ، ثم أخبروا عن أنفسهم أنهم طيع<sup>(١)</sup> له بقولهم « ونحن له مسلمون » .  
قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أنزل الحق — سبحانه — كلاً بمحلّه ، وأفرد لكل واحدٍ قدرًا بموجب حكمه ، فلا لهؤلاء عن أشكالهم خبر ، ولا بما خصّ به كل طائفة إلى آخرين أثر ، وكل في إقليمه ملك ، ولكل يدور بالسعادة فلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

---

(١) وردت (طبع لهم) ونرجح أن النسخ قد أخطأ في النقل لأن « ونحن له مسلمون » ، معناه ( ونحن طيع له ) وطيع جمع طائع مثل رُكّع وسجّد من راعى وساجد .

معناه إذا تجاذبتك الفرق ، واختلفت عليك المطالبات بالموافقة ، فاحكم بتقابل دعاوهم ، وأزِد من توجهك إلينا ، جارياً على منهاج الخليل عليه السلام في اعتزال الجملة ، سواء كان أباه ، أو كان ممن لا يوافق مولاه ، ولذا قال « وأعتزلكم وما تدعون من دون الله » للحق بالحق .

قوله جل ذكره : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا

وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأسباط ،

وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى

النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحدٍ

منهم ونحن له مسلمون ﴾ .

لما آمن نبيُّنا صلى الله عليه وسلم بجميع ما أنزل من قبله أكرمَ بجميع ما أكرمَه من قبله ، فلما أظهر موافقة الجميع أمرَ الكلَّ بالسكون تحت لوائه فقال : « آدمُ ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة »<sup>(١)</sup> .

ولما آمنت أُمَّتُه بجميع ما أنزل الله على رسله<sup>(٢)</sup> ، ولم يفرقوا بين أحدٍ فهم ضربوا في التكريم بالسهم الأعلى فتقدموا على كافة الأمم .

قوله جل ذكره : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا

وإن تولوا فإنا هم في شقاق فسيكفيكم

الله وهو السميع العليم ﴾ .

إن سلكوا طريقكم ، وأخذوا بسيلكم ، أكرموا بما أكرمتم ، ووصلوا إلى ما وصلتم ، وإن أبوا إلا امتيازاً أبينا إلا هوانهم . فإن نظرنا لمن خدمك يا محمد بالوصلة ،

---

(١) « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا غر ، ويبدى لواء الحمد ولا غر ، وماني يومئذ آدم فن سواء إلا تحت لوائي » .

من أحاديث الشفاعة رواه الترمذي ( ٧٩ / ٦ منتخب كنز العمال ) .

(٢) وردت رسوله ، والأولى أن تكون رسله لأن السياق يقتضي ذلك .



وإعراضنا عن بآيتك وخالفك ( . . . )<sup>(١)</sup> ، من خالفك فهو في شق الأعداء ، ومن خدكك فهو في شق<sup>(٢)</sup> الأولياء .

« فسيكشفكم الله وهو السميع العليم » : كفاية الله متحققة لأن عناية الله بكم متعلقة ، فمن نأبذكم قصته أيادى النصره ، ومن خالفكم قهرته قضايا القسمة ، وهو السميع لمناجاة أسراركم معنا على وصف الدوام ، العليم باستحقاقكم ( منا )<sup>(٣)</sup> خصائص اللطف والإكرام .

قوله جل ذكره : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ .

معناه الزموا صبغة الله ، فهو نصب بإضمار فعل .

والإشارة أن العبرة بما وضع الحق لا بما جمع العبد ، فما يتكلفه الخلق فإلى الزوال مآله ، وما أثبت الحق عليه الفطرة فبإثباته العبرة .

وللقلوب صبغة وللأرواح صبغة وللأسرار صبغة وللظواهر صبغة . صبغة الأشباح والظواهر بآثار التوفيق ، وصبغة الأرواح والسرائر بأنوار التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

كيف تصبح حاجة الأجانب<sup>(٥)</sup> وهم تحت غطاء النية ، وفي ظلال الحجة . والأولياء في ضياء الكشف وظهور الشهود ؟

---

(١) هنا كلمة ( بالواجب ) ونظن أنها في الأصل ( بالفرقة ) أو ما في معناها لتقابل ( الوصلة ) .  
(٢) وردت ( سك ) والمعنى يرفضها تماماً مما يدل على أنها خطأ من الناسخ وربما كانت ( سلك ) .  
(٣) وردت ( من ) وهي مقبولة ، ولكن الأجل أن تكون ( منا ) حتى تنسجم الموسيقى الداخلية — وهذه خصيصة في أسلوب القشيري — مع ( معنا ) في الجملة السابقة عليها ، فضلاً عن أن فيها إطادة كل فضل إلى الله .

(٤) أخطأ الناسخ وكتبها ( مخلصون ) وصحة الآية ( ١٣٨ ) ( . . . مخلصون ) .

(٥) وردت ( الأجانب ) وهي خطأ من الناسخ .

ومتى يستوى حال من هو بنعت الإفلاس بِفَيْبَتِهِ مع حال من هو في حكم الاختصاص والإخلاص لانفراقه في قُرْبَتِهِ ؟ هيهات لا سواء !

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

مَنْ نَظَرَ مِنْ نَفْسِهِ إِلَى اتِّخَالِفِ يَتَخَيَّلُ كَلًّا بِرَقِهِ ، وَيَحْسِبُ الْجَمِيعَ بِنَعْتِ مِثْلِهِ ؛ فَلَمَّا كَانُوا بِحُكْمِ الْأَجْنِبِيَّةِ حَكَمَ الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - بِمِثْلِ حَالَتِهِمْ ، فَرَدَّ الْحَقُّ - سُبْحَانَهُ - عَلَيْهِمْ ظَنَّهُمْ وَ ( . . . ) <sup>(١)</sup> فِيهِمْ رَأْيُهُمْ . وَهَلْ يَكُونُ الْمَجْدُوبُ عَنْ شَاهِدِهِ كَالْمَحْجُوبِ فِي شَاهِدِهِ ؟ وَهَلْ يَتَسَاوَى الْمُخْتَلَفُ <sup>(٢)</sup> عَنْ كَلِّهِ بِالْمَرْدُودِ إِلَى مِثْلِهِ ؟

ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَمَسَّ <sup>(٣)</sup> لَهُمْ !

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

حَالَتِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَوَاجِزٌ مِنَ الْقِسْمَةِ ؛ فَهَمَّ عَلَى الْفُرْقَةِ وَالْفَقْلَةِ أَسْوَا بَنِيَانِهِمْ ، وَأَتَمَّ عَلَى الزَّلْفَةِ وَالْوَصْلَةِ ضَرْبَتَهُمْ خِيَامَكُمْ . وَعَتِيقُ فَضْلِنَا لَا يَشْبَهُ طَرِيدَ قَهْرِنَا <sup>(٤)</sup> ..

---

(١) مشبهة في ( ص ) .

(٢) وردت ( المختلف ) وهي خطأ من الناسخ ، فن معرفتنا بأسلوب القشيري نجزم أنها ( المختطف ) عن كَلِّهِ خَذَ مِثْلًا قَوْلَهُ فِي مُسْتَهْلِ رِسَالَتِهِ مَبْرَأً عَنِ الْفِكْرَةِ ذَاتِهَا ... وَاخْتَلَفُوا عَنْهُمْ بِالْكَلْبَةِ .

(٣) وردت ( فتماساً ) والصحيح ( فتمساً ) .

(٤) أخطأ أحد قراء اللسخة ( ص ) حينما فَهِّمَ ( عَتِيق ) هنا على معنى قديم والمقصود هنا - حسب السياق العام - أنها بمعنى حر ، فعنى العبارة : لَنْ مِنْ يَتَحَرَّرُ فِي اكْتِنَافِ فَضْلِ اللَّهِ لَيْسَ كَمَنْ يَشْرُدُ فِي مَتَاهَاتِ قَهْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ماولاهم  
عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ .

سقت بصائر الكفار فلم يُلح لهم وجه الصواب في جميع أحوال المؤمنين ، فطالعوها بعين  
الاستقباح ، وانطلقت ألسنتهم بالاعتراض<sup>(١)</sup> في كل ما كان ويكون منهم ، فلم يروا شيئاً  
جديداً إلا أتوا عليه باعتراض جديد .

فمن ذلك تغير أمر القبلة حينما حُوِّلَتْ إلى الكعبة قالوا إن كانت قبلتهم حقاً فما الذي  
ولاهم<sup>(٢)</sup> عنها ؟ فقال جل ذكره :

﴿ قُلْ لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾  
يتعبد العباد إلى أى قطرٍ و ( . . . ) ونحو شاءوا ، وكذلك أصحاب الغيبة والحجبة —  
عن شهود تصريف الحق لأوليائه — يطلبون وجوهاً من الأمر ، يحملون عليها أحوالهم ،  
ولو طالعوا الجميع من عين واحدة لتخلصوا عن ألم توزع الفكر ، وشغل ترجم الخاطر ،  
ومطالبات تقسم الظنون ، ولكن الله يهدي لنوره من شاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا  
شهداء على الناس ويكون الرسول  
عليكم شهيداً ﴾ .

الوسط الخيار ، فجعل هذه الأمة خيار الأمم ، وجعل هذه الطائفة<sup>(٣)</sup> خيار هذه الأمة فهم  
خيار الخيار . فكما أن هذه الأمة شهداء على الأمم في القيامة فهذه الطائفة هم الأصول ، وعليهم  
المدار ، وهم القطب ، وبهم يحفظ الله جميع الأمة ، وكل من قبلته قلوبهم فهو المقبول ، ومن  
ردته<sup>(٤)</sup> قلوبهم فهو المردود . فالحكم الصادق لفراستهم ، والصحيح حكمهم ، والصائب نظرهم

(١) وردت ( بالأمراض ) وربما يقبلها المعنى ، ولكن النطق ( بالاعتراض ) أكثر ملاءمة ، خصوصاً  
وقد جاءت ( الاعتراض ) بعد قليل .

(٢) وردت ( وليهم ) وهى خطأ في الكتابة .

(٣) يقصد أهل الحقائق .

(٤) فى النسخة ( روية ) ومصححة فى الهامش ( ردته ) وهى الصحبة .

عصم جميع الأمة (عن) <sup>(١)</sup> الاجتماع على الخطأ ، وعصم هذه الطائفة عن الخطأ في النظر والحكم ، والقبول والرد ، ثم إن بناء أمرهم مُسْتَنَدٌ إلى سُنَّةِ الرسول صلى الله عليه وسلم . وكل ما لا يكون فيه اقتداء بالرسول <sup>(٢)</sup> عليه السلام فهو عليه رد <sup>(٣)</sup> ، وصاحبه على لا شيء .

قوله جل ذكره : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ .

يُبين أن الحكم في تقرير أمر القبلة إلى وقت التحويل ، ونحويلها من وقت التبديل كان اختباراً لهم من الحق لتمييز الصادق من المارق <sup>(٤)</sup> ، ومن نظر إلى الأمر بعين النفرقة لكبر عليه أمر التحويل ، ومن نظر بعين الحقيقة ظهرت لبصيرته وجوه الصواب . ثم قال : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي من كان مع الله في جميع الأحوال على قلب واحد فالخلافات من الأحوال له واحدة ، فسواء غير أو قرر ، وأثبت أو بدّل ، وحقق أو حوّل فهم به له في جميع الأحوال ، قال قائلهم :

كيفما دارت الزجاجة دُرْنَا يحسب الجاهلون أننا جُنُنًا  
فإن قابلوا شرقاً أو واجهوا غرباً ، وإن استقبلوا حجراً أو قاربوا مدرأ ، فقصود قلوبهم واحد ، وما كان للواحد فحكم الجميع فيه واحد .

قوله جل ذكره : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء

فلنولينك قبلة ترضاها ، قول

وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما

كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .

(١) وردت ( على ) والصحيح عصم ( عن ) وقد استعملت ( عن ) في الجملة التالية في المعنى نفسه .

(٢) أخطأ الناسخ فكتبها ( بالوصل ) .

(٣) جاءت ( فهو عليهم رد ) والصواب أن تكون ( فهو عليه رد ) .

(٤) وردت ( المارن ) وقد جعلناها ( المارق ) لئلا يتأثر المعنى . ونرجح أنها كذلك في الأصل .

حَفِظَ — صلوات الله عليه — الآدابَ حيث سكت بلسانه عن سؤال ما تمتناه من أمر القبله بقلبه ، فَلَا حَظَّ السماءَ لأنها طريق جبريل عليه السلام ، فأنزل الله عز وجل : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » أى علمنا سؤالك عما لم تُفصح عنه بلسان الدعاء ، فلقد غيرنا القبلة لأجلك ، وهذه غاية ما يفعل الحبيب لأجل الحبيب .

كل العبيد يجتهدون في طلب رضائي وأنا أطلب رضاك : فلتولينك قبلة ترضاها . « فول وجهك شطر المسجد الحرام » : ولكن لا تُعَلِّقْ قَلْبَكَ بِالْأَحْجَارِ وَالْآثَارِ ، وأفرد قلبك لى ، ولتكن القبلة مقصود نفسك ، والحق مشهود قلبك ، وحيثما كنتم أيها المؤمنون قولوا وجوهكم شطره ، ولكن أخلصوا قلوبكم لى وأفردوا شهودكم لى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ولكنه علم لا يكون عليهم حجة ، ولا تكون لهم فيه راحة أو منه زيادة ، « وما الله بغافل عما يعملون » تهويلا على الأعداء ، وتأميلا على الأولياء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ . وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

سبق لكم من قديم الحكم ( . . . ) <sup>(٢)</sup> انفراد بطريق الحق ، ووقوع أعدائكم في شق

---

(١) وقع الناسخ في الخطأ حين وضع مكان ( إنك إذا لمن الظالمين ) مالك من الله من ولي ولا نصير ، فأصلحناه .

(٢) هنا كلمة ( القرب ) ثم استبعدنا الناسخ لزيادتها .

البعد ، فينكح برزخ لا يبغيان ، فإم يتابعي قبلكم وإن أريتهم من الآثار ما هو أظهر من الشمس والأقمار ، ولا أنت — يتابع قبلكم وإن أتوا بكل احتيال ، حكماً من الله — سبحانه — بذلك في سابق الأزل .

قوله جل ذكره : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكنتمون الحق وهم يعلمون﴾ .

حكمتهم مشتكنات الحسد على مكابرة ما علموه بالاضطرار ، فكذلك المغلوب في ظلمات نفسه ، ألقى<sup>(١)</sup> جلباب الحياء فلم ينبج فيه ملام ، ولم يردعه عن انهماكه كلام .

قوله جل ذكره : ﴿الحق من ربك فلا تكونن من المتأخرين﴾ .

أى بعدما طلعت لك شمس اليقين فلا تدعن<sup>(٢)</sup> إلى مجوزات التخمين<sup>(٣)</sup> . والخطاب له والمراد به الأمة .

قوله جل ذكره : ﴿ولكل وجهة هو مؤليها فاستبقوا الخيرات ، أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير﴾ .

الإشارة منه : أن كل قوم اشتغلوا عنا بشيء حال بينهم وبيننا ، فكونوا أنتم أيها المؤمنون لنا وبنا ، وأنشد بعضهم :

إذا الأشغال ألموتني عنك بشغلهم جعلتك أشغالي فأنسيتني شغلي

---

(١) وردت ( تلقى ) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) وردت ( فلا ترعن ) . والصواب أن تكون ( فلا تدعن ) بالذال .

(٣) يفسر القشيري هنا بما بين علوم أرباب الأحوال وبين العلوم العقلية ، لأننا نعرف من مذهبه أنه مع احترامه للعقل في البداية إلا أنه محتمل للإصابة بالتجوز والتخمين وغيرها من الآفات التي لا تجعله جديراً — وحده — بالوصول إلى المعارف العليا .



قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ .

كما تستقبلون أيما كنتم القبلة — قَرُبْتُمْ مِنْهَا أَمْ بَعُدْتُمْ — فكذلك أَقْبِلُوا عَلَيْنَا بقلوبكم كيفما كنتم ؛ حَظَّيْتُمْ مِنَّا أَوْ مُنِّيْتُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ .

إذا أردت ألا يكون لأحد عليك سبيلٌ ، ولا يقع لمخلوق عليك ظلٌ ، ولا تصل إليك بالسوء يدٌ ، فحيثما كنت وأيما كنت وكيفما كنت كُنْ لَنَا وَكُنْ مِنَّا ، فَإِنَّ مِنْ انْقِطَعِ إِلَيْنَا لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ حَدَثَانٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ .

إذا كانوا يحووا عن كونهم رسوماً تجري عليهم أحكامنا — فَأَنْتَ بِالْخَشْيَةِ مِنْهُمْ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُنِمُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

إتمام النعمة إضافة الكشف إلى اللطف ، فَإِنَّ مِنْ كِفَاةٍ بِمَقْتَضَى جُودِهِ دُونَ مِنْ أَغْنَاهُ بِحَقِّ جُودِهِ ، وَفِي مَعْنَاهُ أَشْدُّوا :

نَحْنُ فِي أَكْمَلِ السَّرُورِ وَلَكِنْ لَيْسَ إِلَّا بِكُمْ يَتِمُّ السَّرُورُ  
عَيْبُ مَا نَحْنُ فِيهِ — يَا أَهْلَ وَدِّي — أَنْكُمْ غُيِّبُ وَنَحْنُ الْخُضُورُ

قوله جل ذكره : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو<sup>(١)</sup>

عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم  
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم  
تكونوا تعلمون ﴾ .

---

(١) أخطأ الناسخ حين كتبها ( يتلون ) .

إرسال الرسول مفاتيح لأبواب الوصول ، فكان في سابق علمه — سبحانه — أن قلوب أوليائه متعطشة إلى لقاءه . ولا سبيل لأحد إليه إلا بواسطة الرسل ، فأقوام أكرمهم — بإرسال الرسل إليهم — السُّكَّف ، وآخرون أكرمهم — بإرسال الرسل إليهم — بفنون القُرْب والزُّلْف ، وشتان بين قوم وقوم !

قوله جل ذكره : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ .

الذكر استغراق للذاكر في شهود المذكور ، ثم استهلاكه في وجود المذكور ، حتى لا يبقى منك أثر يذكر ، فيقال قد كان مرة فلان .

« فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ » أي كونوا مستهلكين في وجودنا ، نذكركم بعد فنائكم عنكم ، قال الله تعالى : « إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ » كانوا وقتاً ولكنهم بانوا دائماً<sup>(١)</sup> :

اناس حديث حسن فكن حديثاً حسناً لمن وعنى<sup>(٢)</sup>

وطريقة أهل العبارة<sup>(٣)</sup> ( فَاذْكُرُونِي ) بالموافات ( أَذْكُرْكُمْ ) بالكرامات ، وطريقة أهل الإشارة ( فَاذْكُرُونِي ) بِتَرْكِ كُلِّ حَظٍّ ( أَذْكُرْكُمْ ) بِأَنْ أَقِيمَكُمْ بِحَقِّ بَعْدِ فَنَائِكُمْ عَنْكُمْ .

( فَاذْكُرُونِي ) مَكْتَفِيَةً بِي<sup>(٤)</sup> عَنْ عَطَائِي وَأَفْضَالِي ( أَذْكُرْكُمْ ) رَاضِيًا بِكُمْ دُونَ أَعْمَالِكُمْ .

( فَاذْكُرُونِي ) بِذِكْرِي لَكُمْ مَا تَذْكُرُونَ ، وَلَوْلَا سَابِقُ ذِكْرِي لَمَا كَانَ لَاحِقُ ذِكْرِكُمْ .

( فَاذْكُرُونِي ) بِقَطْعِ الْعَلَائِقِ ( أَذْكُرْكُمْ ) بِنَعْوَةِ الْحَقَائِقِ .

ويقال اذكُرْنِي لِكُلِّ مَنْ لَقِيتَهُ أَذْكُرْكَ لِمَنْ خَاطَبْتَهُ ، فَمَنْ ذَكَّرْنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ

خَيْرٍ مِنْهُمْ .

(١) يقول يحيى بن معاذ : العارف كائن بائن . ومرة قال : للعارف كالبيان ( الرسالة ص ١٥٧ ) .

(٢) البيت منقول كما جاء في ص ، لم نحاول أن نبدل في كتابته وهو مضطرب وزناً ومعنى .

(٣) وردت ( العبادة ) والأصوب أن يكون احتمال ورودها في الأصل ( العبارة ) لتعبّر عن درجة أدنى من درجة أهل ( الإشارة ) .

(٤) وردت ( مكفياً لي ) والأقرب إلى المعنى أن نجعلها في صورة الجمع وأن يكون حرف الباء أولى من اللام حيث يقال اكتفيت بالله عن عطاء الله .

ويقال (واشكروني) على عظيم المنّة عليكم بأن قلْتُ : (فاذكروني أذكركم) .  
ويقال الشكر من قبيل الذكر ، وقوله (ولا تكفرون) النهي عن الكفران أمرٌ بالشكر ،  
الشكر ذكر ، فكرر عليك الأمر بالذكر ، والثلاث أول حدّ الكثرة ، والأمر بالذكر  
الكثير أمرٌ بالمحبة لأنّ في الخبر : « من أحب شيئاً أكثر ذكره » فهذا — في الحقيقة —  
أمرٌ بالمحبة أي أحببني أحبك ؛ « فاذكروني أذكركم » أي أحبوني أحببكم .

ويقال : (فاذكروني) بالتذلل (أذكركم) بالتفضل .

(فاذكروني) بالانكسار (أذكركم) بالمبار .

(فاذكروني) باللسان (أذكركم) بالجنان .

(فاذكروني) بقلوبكم (أذكركم) بتحقيق مطلوبكم .

(فاذكروني) على الباب من حيث الخدمة (أذكركم) بالإيجاب على بساط القرية  
بإكمال النعمة .

(فاذكروني) بتصفية السرّ (أذكركم) بتوفية البرّ .

(فاذكروني) بالجهد والعناء (أذكركم) بالجود والعطاء .

(فاذكروني) بوصف السلامة (أذكركم) بيوم القيامة يوم لا تنفع الندامة .

(فاذكروني) بالرهبة (أذكركم) بتحقيق الرغبة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

استعينوا بالصبر على الصلاة أي بصبركم — عند جريان أحكام الحق عليكم —  
استحقاقكم صلاة ربكم عليكم ، ولذا فإنه تعالى بعد « وبشّر الصابرين » يقول : « أولئك  
عليهم صلوات من ربهم » .

ويقال استوجب الصابرون نهاية الذخر ، وعلو القدر حيث نالوا معية الله قال تعالى :  
« إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .  
فاتهم الحياة في الدنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبدية في العقبى ، فهم في الحقيقة أحياء ،  
يمجدون من الله فنون الكرامات .  
ويقال هم أحياء لأن الخلف عنهم الله ومن كان الخلف عنه الله لا يكون ميتاً ، قال قائلهم  
في مخلوق :

إن يكن عنا مضي بسيله فما مات من يبقى له مثل خاله  
ويقال هم أحياء بذكر الله لهم ، والذي هو مذكور الحق بالجميل بذكره السرمدى  
ليس بميت .

ويقال إن أشباحهم وإن كانت متفرقة ، فإن أرواحهم - بالحق سبحانه - متحققة .  
ولئن فنيت بالله أشباحهم فلقد بقيت بالله أرواحهم لأن من كان فناؤه بالله كان بقاؤه بالله .  
ويقال هم أحياء بشواهد التعظيم ، عليهم رداء الهيبة وهم في ظلال الأنس ، يسطهم  
بجالة مرة ، ويستغرقهم جلاله أخرى<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ  
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ  
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا  
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ  
رَاجِعُونَ ﴾ .

ابتلاءم بالنعمة ليظهر شكرهم ، وابتلاءم بالمحنة ليظهر صبرهم ، فلما أدخل المعلوم من  
حالم في الوجود ، ودرسمهم بالرقم الذي قسّمه ، وأثبتهم على الوصف الذي علمه ، ( ابتلاءم )

(١) شبيه بذلك ما يقوله القشيري في كتابه « التعبير في التذكير » حينما شرح « المحيي الميت »  
و « الجليل الجليل » : « من كاشفه بجلاله أفناء ، ومن كاشفه بجاله أحياء ، فكشف الجلال يوجب محواً  
وغيبة ، وكشف الجلال يوجب مسحاً وقربة » .

بالخوف وفيه تصفية لصدورهم ، وبالجوع وفيه تنقية لأبدانهم ، وبنقص من الأموال تزكو به نفوسهم ، وبمصائب النفوس يعظم بها عند الله أجرهم ، وبآفة الثمرات يتضاعف من الله خلفهم .

« وبشّر الصابرين » يعنى الذين لا اعتراض لهم على تقديره فيما أمضاه .

ويقال طالبهم بالخوف ( ابتعاداً ) عن عقوبته ثم بمقاساة الجوع ابتغاء قربته وكرامته ، ونقص من الأموال بتصدق الأموال والخروج عنها طلباً للخير منه بحصول معرفته .

« والأنفس » تسلياً لها إلى عبادته . « والثمرات » القول بترك ما يملونه من الزوائد في نعمته « وبشّر الصابرين » على استحسان قضيته ، والالتقياد لجريان قدرته .

ومطالبات الغيب إما أن تكون بالمال أو بالنفس أو بالأقارب ؛ فمن أوقف المال لله فله النجاة<sup>(١)</sup> ، ومن بذل لحكه النفس فله الدرجات ، ومن صبر عند مصائب الأقارب فله الخلف والقرابات ، ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلات .

قوله جل ذكره : ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة ﴾ ... الآية .

قابلوا الأمر بالصبر لا بل بالشكر لا بل بالفرح والفخر .

ومن طالع الأشياء ملكاً للحق رأى نفسه أجنبياً بينه وبين حكه ؛ فمُنشئ الخلق أولى بالخلق من الخلق .

ويقال من شهد المصائب شهد نفسه لله وإلى الله ، ومن شاهد المبلى عليم أن ما يكون من الله فهو عبد الله ، وشتان بين من كان لله وبين من كان بالله ؛ الذى كان لله فصابراً واقفاً ، والذى هو بالله فساقط الاختيار والحكم ، إن أثبتته ثبتت ، وإن محاه انمحي ، وإن حرّكه تحرك ، وإن سكّنه سكّن ، فهو عن اختياراته قائم ، وفي القبضه مُصرف .

قوله جل ذكره : ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة

وأولئك هم المهتدون ﴾ .

---

(١) ربما كانت في الأمل ( الجنات ) .

بصلواته<sup>(١)</sup> عليهم ابتداء وصلوا إلى صبرهم ووقوفهم عند مطالبات التقدير ، لا بصبرهم ووقوفهم وصلوا إلى صلواته ، فلولا رحمته الأزلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية ، فعنايته السابقة أوجبت لهم هداية خالصة<sup>(٢)</sup> .

قال تعالى : « وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » لما رحمهم في البداية اهتدوا في النهاية .

قوله جل ذكره : ﴿إِنْ الصِّفَا وَالْمُرُوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ .

تلك المشاهد والرسوم ، وتلك الأطلال والرقوم ، تُعْظَمُ<sup>(٣)</sup> وتُزَارُ ، وتُشَدُّ إليها الرحال<sup>(٤)</sup> لأنها أطلال الأحباب ، وهناك تلوح الآثار :

أهوى الديار لمن قد كان ساكنها وليس في الدارهم ولا طرب<sup>(٥)</sup>

وإن لُتْرَابِ طريقهم بل لنبار آثارهم — عند حاجة الأحباب — أقداراً عظيمة ، وكل غبرة تقع على (حافظات طريقهم)<sup>(٦)</sup> لأعزُّ من المسك الأذفر :

وما ذاك إلا أن مشيت عليه أُميمةٌ في تربها وجرت به يردا

قوله جل ذكره : ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

عليه أن يطوفَ بهما ومن تطوع

خيراً فإنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .

حَطَى الصفا والمروة بجوار البيت فَشَرَعَ السعى بينهما كما شرع للبيت الطواف ، فكما أن الطواف ركن في النسك فالسعى أيضاً ركن ، والجار يُكْرَمُ لأجل الجار .

---

(١) وردت ( بصلواتهم ) وهي خطأ من النسخ لأن السياق يؤدي إلى (صلاته) سبحانه عليهم في سابق الأزل ، كذلك تشير الآية الكريمة إلى صلاته لا إلى صلواتهم .

(٢) لاحظ هنا معارضة القشيري لفكرة وجوب إثابة المطيع على الله . فأنه في رأى القشيري تنزهه عن أن يجب عليه شيء ، لأن طاعة المطيع أولاً فضل من الله ، وليست بفضل العبد .

(٣) وردت ( تعظيم ) وهي خطأ في النسخ .

(٤) وردت ( الرجال ) وهي خطأ في النسخ .

(٥) إما أن تكون ( هم ) صميحة ، أي لا حزن ولا فرح ، وإما أنها في الأصل ( همس ) لتناسب

الطرب ، وليناسبها مع خلو الدار من أقل أثر للحياة .

(٦) هكذا وردت في (ص) .



قوله جل ذكره : ﴿ إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ  
الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ  
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ  
. وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ .

الإشارة في هذه الآية لمن كاشفه الحق سبحانه بعلم من آداب السلوك ثم ضمن<sup>(١)</sup> بإظهاره  
للمريدين على وجه النصيحة والإرشاد استوجب للقت في الوقت ، ويخشى عليه نزع البركة  
عن علمه متى قصر فيه لما أخر من تعليم للمستحق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ  
فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ ﴾ .

تداركوا ما سلف من تقصيرهم بحسن الرجعى ، والقيام للمريدين على وجه النصيحة ،  
وبينوا لهم — بجميل البيان وإقامة البرهان على ما يقولون — حسن قيامهم بمعاملاتهم .  
فإن أظهر الحجج لبيان أفعالك وأصدق الشهادة لتصحيح ما تدعوه به الخلق إلى الله —  
ألا يُخالف بمعاملتك ما تشير إليه بمقالتك ، قال الله تعالى : « وما أريد أن أخالفكم  
إلى ما أنهاكم عنه » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ  
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا  
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ .

الإشارة فيه أن الذين بدا لهم بعدما سلكوا طريق الإزادة ( أن ) يرجعوا إلى أحوال  
العادة ، ثم في تلك الوحشة قبضوا ، وعلى تلك الحالة من الدنيا خرجوا ، أولئك أصحاب الفرقة ،

---

(١) وردت ( ضمن ) وهي خطأ من الناسخ وقد استندنا في الوصول إلى أنها ( ضمن ) من كلمة ( بخل )  
التي سجلها الناسخ تحته . والسياق يؤيدها .

فلا على أرواحهم إقبال ولا لمصيبتهم جبران ، ولا لأحد عليهم ترحم ، خسروا في الدنيا والآخرة ، يلعنهم البق في الهواء والنقع على الماء .

« خالدين » أى مقيمين أبداً في هوانهم وصغرهم ، لا تخفيف ولا إسعاف ، ولا رفق ولا ألطاف .

قوله جل ذكره : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ .

شرفهم غاية التشريف بقوله وإلهكم . وإن شيوخ هذه الطائفة قالوا : علامة من يعبد من خاص الخواص أن يقول له : عبدى ، وذلك أنهم من هذا بكثير لأن قوله : « وإلهكم » : وإضافة نعتهم أنهم من إضافته إياك إلى نفسه لأن إلهيته لك بلا علة ، وكونك له عبد يعرض كل نقصك وأفتك . ومتى قال لكم « وإلهكم » ؟

حين كانت طاعتك وحركاتك وسكناتك أو ذاتك وصفاتك لا بل قبل ذلك أزل الأزل حين لا حين ولا أوآن ، ولا رسم ولا حدثان .

و « الواحد » من لا مثل له يدانيه ، ولا شكل يلاقيه . لا قسم يجانسه ولا ديم يؤانسه . لا شريك يعاضده ولا معين يساعده ولا منازع يعانده .

أحدى الحق صمدى العين ديموشى البقاء أبدى العز أزل الذات .

واحد في عز سنائه فرد في جلال بهائه ، وتر في جبروت كبريائه ، قديم في سلطان عزه ، مجيد في جمال ملكوته . وكل من أطنب في وصفه أصبح منسوباً إلى المعنى<sup>(١)</sup> ( ذ ) لولا أنه الرحمن الرحيم لتلاشى العبد إذا تعرض لعرفانه عند أول ساطع من باديات عزه .

قوله جل ذكره : ﴿ إن في خلق السموات والأرض

واختلاف الليل والنهار والفلك

التي تجري في البحر بما ينفع الناس ،

وما أنزل الله من السماء من ماء

(١) وردت ( الأسمى ) في م ويمكن قبولها على أنها اسم جلس .

فأحيا به الأرض بعد موتها  
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ  
الرياح ، والسحابِ المُسَخَّرِ بين  
السماء والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ .

تعرّف إلى قلوب الطالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب العقول بدلالات قدرته ، وأمارات  
وجوده ، وسمات ربوبيته التي هي أقسام أفعاله . ونبههم على وجود الحكمة ودلالات الوجدانية  
بما أثبت فيها من براهين تُلطِّفُ عن العبارة ، ووجود من الدلالات تدقُّ عن الإشارة ،  
فما من عينٍ من العدم محصورة — من شخصٍ أو طللٍ ، أو رسمٍ أو أثرٍ ، أو سماء أو فضاء (١) ،  
أو هواء أو ماء ، أو شمسٍ أو قر ، أو قطرٍ أو مطر ، أو رمل أو حجر ، أو نجم أو شجر —  
إلا وهو على الوجدانية دليل ، ولِمَنْ يقصد وجوده سبيل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
أنداداً يحبونهم كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

هؤلاء قوم لم يجعلهم الحق سبحانه أهل المحبة ، فشغلهم بمحبة الأغيار حتى رضوا لأنفسهم  
أن يحبوا كل ما هو كونه أنفسهم ، فرضوا بمعمولٍ لهم أن يعبدوه ، ومنحوت — من دونه —  
أن يحبوه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى  
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ  
لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ .

ليس المقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام ، ولكن المراد منه مدح المؤمنين على  
محبتهم ، ولا تحتاج إلى كثير محبة حتى تزيد على محبة الكفار للأصنام ، ولكن من أحبَّ  
حيثما استكثر ذكره ، يل استحسن كل شيء منه .

ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين لله على محبة الكفار لأصنامهم أن ( هذه ) محبة الجنس

---

(١) وردت ( قضاء ) في ص .

للجنس ، وقد يميل الجنس إلى الجنس ، وتلك محبة من ليس بجنس لهم فذلك أعز وأحق .  
ويقال إنهم أحبوا ما شاهدوه ، وليس بمعجيب محبة ما هو لك مشهود ، وأما المؤمنون  
فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين (شهوده) رداء الكبرياء على وجهه .  
ويقال الذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يتبرأون من الله سبحانه وإن عذَّبهم . والكافر  
تبرأ من الصنم والصنم من الكافر كما قال تعالى : «إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوا . . . الآية» .

ويقال محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لهم فهي أتم ، قال تعالى : «يحبهم ويحبونه» .  
والمحبة للأصنام من قضايا هوام .

ويقال محبة المؤمنين أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر ، ومحبة الكفار على موافقة الهوى  
والطبع ، ويقال إنهم كانوا إذا صلحت أحوالهم ، واتسعت ذات يدهم اتخذوا أصناماً أحسن  
من التي كانوا يعبدونها قبل ذلك في حال فقرهم ، فكانوا يتخذون من الفضة — عند غنائم —  
أصناماً ويهجرون ما كان من الحديد . . . وعلى هذا القياس ! وأما المؤمنون فأشد حبا لله  
لأنهم عبدوا إلهاً واحداً في السراء والضراء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت  
بهم الأسباب ﴾ .

إذا بدت لهم أوائل العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم ، وأما المؤمنون  
فيسلبهم أرواحهم وأملاكهم وأزواجهم وأولادهم ، ويسكن (أولئك) <sup>(١)</sup> في القبور سنين  
ثم ينزلهم في القيامة بطول الآجال <sup>(٢)</sup> وسوء الأعمال ثم يلقيهم في النار .

(١) أضفنا ( أولئك ) ليمتنع اللبس .

(٢) في ص ( طول الأحوال ) ونرجح أنها في الأصل (الآجال) لأن وصف الأحوال بالطول غير ملائم  
فضلا عن أننا نفترض أن القشيري لا يستعمل الأحوال إلا لأرباب الأحوال . وطول الآجال في جهنم منناه  
تأيد العذاب .

(أما المؤمنون) <sup>(١)</sup> فيأتي عليهم طول الأيام والأعمال فلا يزدادون إلا محبة (على محبة) <sup>(٢)</sup> ولذلك قال : والذين آمنوا أشد حبا لله .

قوله جل ذكره : ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ .

عند <sup>(٣)</sup> ذلك يعرفون مرارة طعم صحبة المخلوقين ولكن لا يحصلون إلا على حسرات .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الناس كُفُوا عما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ .

الحرام — وإن استلذ في الحال — فهو وبيء في المآل ، والحلال — وإن اشتكره في الحال — فهو مريء في المآل .

والحلال الصافي ما لم ينس مُكتسبه الحق في حال اكتسابه <sup>(٤)</sup> .

ويقال الحلال ما حصله الجامع له والمبكتسب على شهود الحق في كل حال .

وكل ما يحملك على نسيان الحق أو عصيان الحق فهو من خطوات الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

لا جترأئه على الله يدعوك به إلى افتراءك على الله .

---

(١) أضفناها ليستقيم السياق إذ يبدو أنها سقطت أثناء النسخ .

(٢) في الهامش مستدركة وعليها علامة بموضعها .

(٣) وردت ( من ) والأصح ( عند ) .

(٤) التثنية هنا مستفيدة من تعريف سهل من عبد الله التستري للحلال الصافي ( الرسالة ص ٥٩ ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا

بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُ مَا كَانَ

آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

لا ترفع أبصارهم عن أشكالم وأصنافهم ، من أضرابهم وأسلافهم ، فَبَنَوْا عَلَىٰ مَنَاجِمِهِمْ ،  
فَلَا جُرْمَ انْخَرَطُوا فِي النَّارِ ، وانسلخوا في سلكهم ، ولو عَلِمُوا أَنَّ أسلافهم لا عقل يردعهم ،  
ولا رشد يجمعهم لنابذوهم مناصبين ، وعاندوهم مخالفين ، ولكن سلبوا أنوار البصيرة ،  
وَحَرِّمُوا دَلَائِلَ الْيَقِينِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي

يُنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ

بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

عدموا سمع الفهم والقبول ، فلم ينفعهم سمع الظاهر ، فنزلوا منزلة البهائم في الخلو  
عن التحصيل ، وَمَنْ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ كَالْبَهِيمَةِ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ كَثِيرٌ قِيَمَةٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

الحلال ما لا تَبِعَةَ عَلَيْهِ ، والطيب الذي ليس لمخلوق فيه مِثَّةٌ ، وإذا وجد العبد

( طعاما ) يجتمع فيه الوصفان فهو الحلال الطيب .

وحقيقة الشكر عليه ألا تتنفس في غير رضاء الحق ما دام تبقى فيك القوة لذلك الطعام .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ

الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ،

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .



حرّم على الظواهر هذه المعدادات وهي ما أهل به لغير الله ، وحرّم على السرائر صمجة .  
غير الله بل شهود غير الله ، فمن اضطر — أى لم يجد إلى الاستهلاك في حقائق الحق  
وصولاً — فلا يسلكن غير سبيل الشرع سبيلاً ، فإما أن يكون محوّاً في الله ، أو يكون  
قائماً بالله ، أو عاملاً لله ، والرابع همج لا خطر له .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ  
وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

العلماء مُطَالِبُونَ بنشر دلائل العلم ، والأولياء مأمورون بحفظ ودائع السر فإن كتم  
هؤلاء براهين العلوم أجموا بلجام من النار ، وإن أظهر هؤلاء شظية من السر عوجوا ببعاد  
الأسرار ، وسكب ما أوتوا<sup>(١)</sup> من الأنوار . ولكلٍ حدٌ ، وعلى كل أمرٍ قطيعة .

قوله جل ذكره : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى  
وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ .  
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ  
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ .

إن الذين آثروا الغيب على الغيب ، والخلق على الحق ، والنفس على الأنس ، ما أقسى  
قلوبهم ، وما أوقع محبوبيهم ومطلوبهم ، وما أخس<sup>(٢)</sup> قدرهم ، وما أفصح<sup>(٣)</sup> لذوى الأبصار  
أمرهم ، ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وأمضى القضاء والحكم فيه بالصدق ، وأوصلهم  
إلى مآله أهلهم ، وأثبتهم على الوجه الذي عليه جبلتهم .

---

(١) وردت (أوتوا) والصواب (أوتوا) لتناسب المعنى .  
(٢) وردت (أخص) والصواب أخس لتناسب المعنى .  
(٣) وردت ما (أفصح) ورجح أنها في الأصل ما (أفصح) .

قوله جل ذكره : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل  
المشرق والمغرب ولكن البر من  
آمن بالله واليوم الآخر والملائكة  
والكتاب والنبين وآتى للمال  
على حبه ذوى القربى واليتامى  
والمساكين وابن السبيل والسائلين  
وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى  
الزكاة <sup>(١)</sup> وللفوفون بمعهدهم إذا عاهدوا  
والصابرين فى البأساء والضراء وحين  
البأس ، أولئك الذين صدقوا  
وأولئك هم المتقون ﴾ .

والإشارة أن الظواهر ليس لها كثير اعتبار إنما الخبر عن الله عزيز .

وكثرة الأوراد — وإن جلّت — فخرقة المعجزات ، وإخلاص الطاعات — وإن عزّت — فصفة  
العوام ، ووصل الليل بالنهار فى وظائف كثيرة ومجاهدات غزيرة عظيم الخطر فى استحقاق  
الثواب ، ولكن معرفة الحق عزيزة .

وما ذكر فى هذه الآية من فنون الإحسان ، ووجوه قضايا الإيمان ، وإيتاء المسال ،  
وتصفية الأعمال ، وصلة الرحم ، والتمسك بفنون الذم والعصم ، والوفاء بالعهود ، ومراعاة  
الحدود — عظيم الأثر ، كثير الخطر ، محبوب الحق شرعاً ، ومطلوبه أمراً لكن قيام الحق  
عنك بعد فنائك ، وامتنائك من شأهيك ، واستهلاكك فى وجود القدام ، وتعطل رسومك  
عن مساكنات إحساسك — أتم وأعلى فى المعنى ؛ لأن التوحيد لا يبقى رسماً ولا أثراً ،  
ولا ينادر غيراً ولا غيراً <sup>(٢)</sup>

(١) اخطأ الناسخ فكتبا ( وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ) .

(٢) الغير = السوى أما ( الغير ) فعروف .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْثُ بِالْحَرْثِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِكُمْ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

حق القصاص مشروع ، والعفو خير ، فمن جنح إلى استيفاء حقه فمُسَلَّمٌ له ، ومن نزل عن ابتغاء حقه فمُحْسَنٌ ، فالأول صاحب عبادة بل عبودية ، والثاني صاحب فتوة بل حرية والدم المراق يجري فيه القصاص على لسان أهل العلم ، وأما على لسان الإشارة لأهل القصة<sup>(١)</sup> فدماؤهم مطلولة وأرواحهم هدرية قال :

وإن فؤداً رعته لكَّ حامدٌ وإن دماً أجريته بكَّ فإِخْرُ

وسفك دماء الأحياب (فوق)<sup>(٢)</sup> بساط<sup>(٣)</sup> القرب خلوف أهل الوصال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللون لونُ الدم والريح ريح المسك »

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

في استيفاء القصاص حياة لأنه إذا عَلِمَ أنه إذا قُتِلَ قُتِلَ أَمْسَكَ عن القتل وفي ذلك حياة القاتل والمقتول .

ولكن ترك القصاص — على بيان الإشارة — فيه أعظم الحياة لأنه إذا تَلَفَ فيه (سبحانه)

(١) أهل القصة هم أرباب الأحوال .

(٢) وردت ( في ) والأصوب فوق .

(٣) وردت ( سباط ) وقد رجحنا ( بساط ) القرب لورودها في مواضع أخرى هكذا .

فهو الخلفُ عنه ، وحياته عنه أتم له من بقائه بنفسه ، وإذا كان الوارث عنهم الله والخلف عنهم الله فبقاء الخلف<sup>(١)</sup> أعزُّ من حياة من ورد عليه التلف .

قوله جل ذكره : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

من ترك مالا فالوصية له في ماله مستحبة ، ومن لم يترك شيئا فأثى بالوصية ! ! في حالة الأغنياء يوصون في آخر أعمارهم بالثلث ، أما الأولياء فيخرجون في حياتهم عن الكل ، فلا تبقى منهم إلا همة انفصلت عنهم ولم تتصل بشيء ؛ لأن الحق لا سبيل للهمة إليه ، والهمة لا تعلق لها بمخلوق ، فبقيت وحيدة منفصلة غير متصلة ، وأنشدوا :

أحبكم ما دمتُ حياً فإن أمتُ    يحبكم عظمى في التراب رميم .

هذه وصيتهم : وقال بعضهم :

( . . . . . )<sup>(٢)</sup>

لا بل كما قال قائلهم :

وأتى الرسول فأخبر أنهم رحلوا قريباً

رجعوا إلى أوطانهم فجرى له دمع صيباً

قوله جل ذكره : ﴿ قَمِنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ

على الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

من حرف نطقاً جرى بحقه لَحَقَهُ شَوْمٌ ذَلِكَ وَبَالُهُ .

وعقوبته أن يُحرَمَ رائحة الصدق أن يشمه . فمن أعان الدين أعانه الله ، ومن أعان على

الدين خذله الله .

---

(١) وردت ( الخلق ) والصواب ( الخلف ) .

(٢) هنا شاهد شمرى عجزنا تماماً عن قراءته أو إصلاحه ... وما أكثر خطأ الناسخ في نقل شواهد

الشمر ! !

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا  
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

الإشارة فيه : أن من تفرّس<sup>(١)</sup> في بعض المريدين ضعفاً ، أو رأى في بعض<sup>(٢)</sup> أهل البداية  
رخاوة قصدير أو وجد بعض الناصحين يتكلم بالصدق المحض على من لم يحتمله — فرأى أن يرفق  
بذلك المريد بما يكون ترخيصاً له أو استمالة له أو مداراة أو رضا بتعاطي مباح — فلا بأس به  
فإن حَمَلَ الناس على الصدق المحض مما لم يثبت له كثيرٌ أجر . فالرفق بأهل البداية —  
إذا لم يكن لهم صارم عزم ، ولا صادق جهد — ركنٌ في ابتغاء الصلاح عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

الصوم على ضربين : صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية ، وصوم  
باطن وهو صَوْنُ القلب عن الآفات ، ثم صون الروح عن المساكنات ، ثم صون السرِّ  
عن الملاحظات .

ويقال صوم العابدين شرطه — حتى يَكْمُلَ — صَوْنُ اللسان عن الغيبة ، وصون الطرفِ عن  
النظر بالريبة كما في الخبر : ( مَنْ صَامَ فَلْيَصُمْ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ . . . ) . . . الخبر<sup>(٣)</sup> ، وأما صوم  
العارفين فهو حفظ السر عن شهود كل غيره .

وإن من أمسك عن المفطرات فنهاية صومه إذا هجم الليل ، ومن أمسك عن الأغيار فنهاية  
صومه أن يشهد الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » : الهاء في قوله

(١) وردت بالصاد وهي خطأ من الناسخ .

(٢) وردت ( في أهل بعض البداية ) وواضح أنها خطأ من الناسخ .

(٣) ( إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك : معناه من لم يدع قول الزور والعمل به فليس  
لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه ) .

رواه البخاري وأصحاب السنن عن أبي هريرة .

عليه السلام — لرؤيته — عادة عند أهل التحقيق إلى الحق سبحانه ، فالعلماء يقولون معناه  
عندهم صوموا إذا رأيتم هلال رمضان وأفطروا لرؤية هلال شوال ، وأما الخواص فصومهم لله  
لأن شهودهم الله وفطرم بالله وإقبالهم على الله والغالب عليهم الله ، والذي<sup>(١)</sup> هم به  
محو — الله .

قوله جل ذكره : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ  
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ  
أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

من شهد الشهر صام لله ، ومن شهد خالق الشهر صام بالله ، فالصوم لله يوجب المثوبة ،  
والصوم بالله يوجب القربة . الصوم لله تحقيق العبادة والصوم بالله تصحيح الإرادة . الصوم لله  
صفة كل عابد والصوم بالله نعت كل قاصد . الصوم لله قيام بالظواهر والصوم بالله  
قيام بالضمائر . الصوم لله إمساك من حيث عبادات الشريعة والصوم بالله إمساك  
بإشارات الحقيقة .

من شهد الشهر أمسك عن المفطرات ومن شهد الحق أمسك في جميع أوقاته عن  
شهود المخلوقات .

من صام بنفسه سقى شراب السلسيل والزنجبيل ، ومن صام بقلبه سقى شراب المحاب  
بنعمة الإيجاب .

ومن صام بسِرِّه فهم الذين قال فيهم الله تعالى : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » .  
شراب ياله من شراب !! شراب لا يُدار على الكف لكنه يبدو له من اللطف .  
شراب استثناس لا شراب كاس .

قوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » أى من أفطر لهذه  
الأعداء فعليه صوم عدة أيام بعدد ما أفطر قضاء لذلك . الإشارة لمن سقمت إرادته عن الصحة  
فيرجع إلى غيره إما لرخصة تأويل أو لقلّة قوة واحتمال ، أو عجز للقيام بأعباء أحكام الحقيقة

---

(١) وردت (والذين) وهو خطأ من النسخ .



فليسهل حق تقوى عزيمته وتشد إرادته ، فعند ذلك يستدرك منه ما رخص له بالأخذ بالتأويل ، وتلك منة الله سبحانه وتعالى في التسهيل على أهل البداية ، ثم استيفاء ذلك منهم واجب في آخر الحال .

قوله جل ذكره : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية <sup>(١)</sup> ﴾

..... طعام

مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له

وأن تصوموا خير لكم إن كنتم

تعلمون ﴿ .

الإشارة منه أن مَنْ فيه بقية من القوة للوقوف لمطالبات الحقيقة ويرجع إلى تسهيل الشريعة وينحط إلى رخصة التأويل فعليه الغرامة بواجب الحال وهو الخروج عما بقى له من معلوم مال أو مرسوم حال ويبقى مجرداً للواحد .

[ فصل ] ويقال إنه لما علم أن التكليف يقتضى المشقة خففه عليك ذلك بأن قلل أيام الصوم في قلبك فقال : « أياماً معدودات » أى مدة هذا الصوم أيام قليلة فلا يهولنكم سماع ذكره ، وهذا كقوله تعالى : وجاهدوا في الله حق جهاده . ثم قال : « وما جعل عليكم في الدين من حرج أى لا يلحقكم كثير مشقة في القيام بحق جهاده .

قوله جل ذكره : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن

هدى للناس وبينات من الهدى

والفرقان فمن شهد منكم الشهر

فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على

سفر فعدة من أيام أخر ﴿ .

رمضان يرمض ذنوب قوم ويرمض رسوم قوم ، وشتان بين من تحرق ذنوبه رحمة وبين من تحرق رسومه حقيقته .

---

(١) وقع النسخ في سهو حين أعاد ثلاثة أسطر مما سبق له أن كتبه ، ووقعت هذه الأسطر المعادة بين كلمتي ( فدية ، وطعام ) في الآية السكرية .

شهر رمضان شهر مفاتيح الخطاب ، شهر إنزال الكتاب ، شهر حصول الثواب ، شهر التقريب والإيجاب . شهر تخفيف الكلفة ، شهر تحقيق الزلفة . شهر نزول الرحمة ، شهر وفور النعمة . شهر النجاة ، شهر المناجاة .

قوله جل ذكره : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

أراد بك اليسر ( وأنت تظن ) أنه أراد بك العسر .  
ومن أمارات أنه أراد بعبد اليسر أنه ( أقامه )<sup>(١)</sup> بطلب اليسر ؛ ولو لم يُردَّ به اليسر لما جعله راغباً في اليسر ، قال قائلهم :  
لو لم تُردَّ نيل ما أرجو وأطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلب  
حقق الرجاء وأكد الطمع وأوجب التحقيق حيث قال : « ولا يريد بكم العسر » لينفي عن حقيقة التخصيص مجوزات الظنون .

قوله جل ذكره : ﴿ ولتكلوا العدة ﴾ .

على لسان العلم تكلوا مدة الصوم .  
وعلى لسان الإشارة لتقرنوا بصفاء الحال ( وفاء )<sup>(٢)</sup> ( المال )<sup>(٣)</sup>  
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون « في النفس الأخير ، وتخرجوا من مدة عمركم بسلامة إيمانكم . والتوفيق في أن تكمل صوم شهرك عظيم لكن تحقيق أنه يختم عمرك بالسعادة — أعظم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾

---

(١) جاءت ( أقام ) وقد جعلناها ( أقامه ) ليزداد وضوح المعنى .  
(٢) جاءت ( وفاء ) ونظن أن الواو الأولى زائدة من الناسخ .  
(٣) جاءت ( المال ) وقد اعتاد الناسخ أن يكتب المال مثل المال أي بدون علامة على المد ، وآثرنا هنا أن نضعها ، فالمقصود الإعداد لليوم الآخر بالطاعات والمبادات ، وغاية التمام أن نجتمع بين الحقيقة والشرعية . هذا فضلاً عن أن الإشارة للصوفية ، والصوفية قوم لا مال لهم .

سؤال كل أحد يدل على حاله ؛ لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دين<sup>(١)</sup> ولا عن دنيا ولا عن عقي بل سألوا عنه فقال تعالى : « وإذا سألك عبادي عني » . وليس هؤلاء من جملة من قال : « ويسألونك عن الجبال » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الينابيع » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن المحيض » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الروح » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الخمر والميسر » ، « ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » .

هؤلاء قوم مخصوصون : « وإذا سألك<sup>(٢)</sup> . . . . عبادي عني » .

أى إذا سألك عبادي عني فبماذا تجيبهم ؟ ليس هذا الجواب بلسانك يا محمد ، فأنت وإن كنت السفير بيننا وبين الخلق فهذا الجواب أنا أتولاه « فأني قريب » ( رفع الواسطة من الأغيار عن القربة فلم يقل قل لهم إني قريب بل قال جل شأنه : فأني قريب )<sup>(٣)</sup> .

ثم بين أن تلك القربة ما هي : حيث تقدس الحق سبحانه عن كل اقتراب بجهة أو ابتعاد بجهة أو اختصاص ببقعة فقال : « أجيب دعوة الداع » وإن الحق سبحانه قريب — من الجملة والكافة — بالعلم والقدرة والسمع والرؤية ، وهو قريب من المؤمنين على وجه التبرية والنصرة وإجابة الدعوة ، وجل وتقدس عن أن يكون قريباً من أحد بالذات والبقعة ؛ فإنه أحدي لا يتجه في الأقطار ، وعزيز لا يتصف بالكُنْه والمقدار .

قوله جل ذكره : « أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

لم يعد إجابة من كان باستحقاق زهد أو في زمان عبادة بل قال دعوة الداعي متى دعاني وكيفما دعاني وحينما دعاني ثم قال : « فليستجيبوا لي » هذا تكليف ، وقوله : « أجيب دعوة

(١) تكررت كلمة ( دنيا ) مرتين فرجعنا أن تكون الأولى ( دين ) وتركنا الثانية ( دنيا ) لتقابل مع ( عقي ) .

(٢) وضع الناسخ علامة تشير بوجود كلمات زائدة بين ( سألك ) . . . ( وعبادي ) لحذفنا الزائدة .

(٣) ما بين القوسين تكملة من الهامش استدركها الناسخ فوضعناها في موضعها .

الداع « تعريف وتخفيف ، قدّم التخفيف على التكليف ، وكأنه قال : إذا دعوتني - عبدي - أجبتك ، فأجبتني أيضاً إذا دعوتك ، أنا لا أرضى برّد دعائك فلا ترّض - عبدي - برّدني من نفسك . إجابتي لك بالخير تحملك - عبدي - على دعائي ، ولا دعاؤك يحملني على إجابتك . « فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي » : وليتقوا في ، فإني أجيب من دعائي ، قال قائلهم :

ياعزُّ أقسيم بالذي أنا عبده وله الحجيج وما حوت عرفات<sup>(١)</sup>  
لا أبغى بدلاً سواك خليفة فثقي بقولي والكراهُ ثقات

ثم قال في آخر الآية : « لعلهم يرشدون » أي ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا وصولك إلى إرشادك .

قوله جل ذكره : ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّفْتُ  
إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ  
لِبَاسٌ لَّهُنَّ ، عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ  
تُخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا  
عَنْكُمْ ، فَالآن بَاشِرُوهُنَّ ، وَابْتَغُوا  
مَّا كَسَبَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا  
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ  
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ نِمَّ أُتِمُّوا  
الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .

أخبر أنه — في الحقيقة — لا يعود إليه عائد من أوصاف الخلق ؛ إن كنت في العبادة التي هي حق الحق أو في أحكام العادة من صحة جنسك التي هي غاية النفس والحظ ، فسيان في حالك إذا أورد فيه الإذن .

---

(١) جاءت ( عرفان ) وهي خطأ في النسخ .

نزلت الآية في زلّة بدّرت من الفاروق<sup>(١)</sup> ، فجعل ذلك سبباً رخصته لجميع<sup>(٢)</sup> المسلمين إلى القيامة . وهكذا أحكام العناية .

ويقال علم أنه لا بدّ للعبد عن الحفظ فقسم الليل والنهار في هذا الشهر بين حقه وحفظك ، فقال أما حتى « فأتّموا الصيام إلى الليل » ، وأما حفظك « فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

أخبر أن محل القدرة مقدّس عن اجتلاب الحفظ ، وقال إذا كنتم مشاغل بنفوسكم كنتم محجوبين بكم فيكم ، وإذا كنتم قائمين بناً فلا تعودوا منّا إليكم .  
ويقال غيره الحق سبحانه على الأوقات أن يمزج الجِدُّ بالهزل ، قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إني أحبك وأحب قربك فقال عليه السلام : ذرني يا ابنة أبي أبكر أتعبد ربّي . وقال صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني غير ربّي<sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

---

(١) أي عمر بن الخطاب . قال هشام عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله إني أردت أهلي البارحة على ما يربد الرجل أهله فقالت إنها قد نامت فظننتها تمتل فراقعتها فتزل في عمر ( أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ) وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة ( تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ط الحلبي ) .  
(٢) وردت ( جميع ) .

(٣) للحديث صورة أخرى « لي مع الله وقت لا يسعني فيه شيء غير الله عز وجل » والمعنى صحيح ولكن سنده غير معروف .

إذا تحاكنهم إلى المخلوقين فاعلموا أن الله مطلع عليكم ، وعلمه محيط بكم ، فراقبوا موضع الاستحياء من الحق سبحانه ، ولئن كان المخلوقون<sup>(١)</sup> عالمين بالظهور فالحق - سبحانه وتعالى - متولى السرائر .

قوله جل ذكره : ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ .

الأهلة - جمع هلال - مواقيت للناس ؛ لأشغالهم ومحاسباتهم .  
وهي مواقيت لأهل القصة في تفاوت أحوالهم ؛ فللزاهدين مواقيت أورادهم ، وأما أقوام مخصوصون فهي لهم مواقيت لحالاتهم ، قال قائلهم .  
أعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد كنت قدما لا أعد الليالي

وقال آخر :

ثمان قد مضين بلا تلاقٍ وما في الصبر فضل عن ثمانٍ  
وقال آخر :

شهورٌ ينقضين وما شعرنا بأنصافٍ لهن ولا سِرارٍ<sup>(٢)</sup>  
قوله جل ذكره : ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرُّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لکم تفلحون﴾ .

يعنى ليس البر مراعاة الأمور الظاهرة ، بل البر تصفية السرائر وتنقية الضمائر .

قوله جل ذكره : ﴿وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ .

لنكن نفوسكم عندكم ودائع الحق ؛ إن أمر بأمساكها أمسكوها وصونوها ، وإن أمر

(١) وردت ( المخلوقين ) وهي خطأ من الناسخ لأن اسم كان مرفوع بالواو .

(٢) سِرار النهر وسراره ( بالكسر والفتح ) آخر ليلة فيه ( الوسيط ص ٤٢٨ ) .



بتسليمها إلى القتل فلا تدخروها عن أمره ، وهذا معنى قوله : « وَلَا تَعْتَدُوا » وهو أن تقف حينما أوقفت ، وتفعل ما به أمرت .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾

يعنى عليكم بنصب العداوة مع أعدائى — كما أن عليكم إثبات الولاية والموالاتة مع أوليائى — فلا تُشَفِّقُوا<sup>(١)</sup> عليهم وإن كان بينكم واصلد<sup>(٢)</sup> الرحم وشائج القرابة .

« وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » . أولاً أخرجوا جثثهم ومواليهم من قلوبكم ، ثم ( . . . )<sup>(٣)</sup> عن أوطان الإسلام ليكون الصغار جاريًا عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

والإشارة : أن المحنة التى ترِدُ على القلوب من طوارق الحجب أشد من المحنة التى ترِدُ على النفوس من بذل الروح ، لأن فوات حياة القلب أشد من فوات حياة النفس ، إذ النفوس حياتها بمآلوفاتها ، ولكن حياة القلب لا تكون إلا بالله .

ويقال الفتننة أشد من القتل : أن<sup>(٤)</sup> تنأى عن الله أعظم من أن تنأى عن روحك وحياتك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى تَمْسُكُوا بِمُخَارِبِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم

كذلك جزاء الكافرين ﴿

الإشارة منه : لا تشوش وقتك<sup>(٥)</sup> مع الله إذا كان بوصف الصفات بما تدخله على نفسك

(١) ووردت ( فلا تشفوا ) والمعنى والسياق يرفضانها رفضاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلاءم .

(٢) الواصد والاصد = العهد . مثل الورث والإرث والوحد والأحد وربما كانت أواصر .

(٣) مشبهة فى ص وربما كانت : ثم ( أخرجوهم ) .

(٤) وردت ( تنفى ) والمعنى والسياق يرفضانها رفضاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلاءم .

(٥) قال الدقاق — شيخ القشبرى — فى تعريف الوقت : الوقت ما أنت فيه فإن كنت بالدنيا فوقتك

الدنيا ، وإن كنت بالعقب فوقتك العقب ، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور ، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن .

ويعلق القشبرى على رأى أستاذه قائلاً : يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان . ويقولون الصولى ابن وقته يريدون بذلك أنه مشغول بما هو أولى به فى الحال، قائم بما هو مطالب به فى الحين. ويلبى ألا يفرط المبد فيها يقتضيه حق الشرع .

وإن كانت نوافل من الطاعات ، فإن زاحم مزاحم يشغلك عن الله فاقطع مادة ذلك عن نفسك بكل ما أمكنك لئلا تبقى لك علاقة تصدك<sup>(١)</sup> عن الله .

قوله جل ذكره : ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الإشارة منه : إذا انقطعت عنك غاغة خواطرك وأعداء نفسك ، مما يخرجك عنه وزاحمك ، قلم حديث النفس ودع مجاهداتها ؛ فإن من طوب بحفظ الأسرار لا يتفرغ إلى مجاهدات النفوس بفنون المخالفات<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ

الدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ

إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .

الإشارة من الآية إلى مجاهدات النفوس ؛ فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك .  
أى استوفِ أحكام الرياضات حتى لا يبقى للآثار البشرية شيء ، وتسليم النفس والقلب لله ، فلا يكون معارض ولا منازعٌ مثلك لا بالتوقى ولا بالتلقى ، لا بالتدبير ولا بالاختيار — بحالٍ من الأحوال ؛ تجري عليك صروفه<sup>(٣)</sup> كما يريد ، وتكون<sup>(٤)</sup> محوًّا عن الاختيارات ، بخلاف ما يرد به الحكم ، فاذا استسلمت النفس فلا عدوان إلا على أرباب التقصير ، فأما من قام بحق الأمر تقصى عن عهدة الإلزام .

قوله جل ذكره : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ

وَالْحَرَمَاتِ قِسَاصٌ ، فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

---

(١) وردت ( تصدق ) والمعنى والسياق يرفضانها رفضاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلاءم :

(٢) يريد القشيري بهذه الفقرة أن تنزل على حكم المرحلة التي وصلت إليها ، فإذا اجتاز بك فضل الله مرحلة جهادك مع نفسك إلى ما فوقها فلا تشغلن وقتك إلا بما صرت عليه ، بمعنى أن تنزل على حكم الوقت .

(٣) وردت ( حروفه ) والصواب صروفه ، وقد جاء في الرسالة هذا الشاهد :

(٤) وردت ( يكون ) وهى خطأ من الناسخ .  
تجربى عليك صروفه      وهموم سرك مطرقة      ( الرسالة ص ٦٣ )

الإشارة فيه : إذا تقابل حقان كلاهما لله فَسَلَّمَ الوقت بحكم الوقت ، ودلّ مع إشارات الوقت ، وإياك أن ترجح أحدهما على الآخر بمالك من حظ -- وإن قلّ -- فتُحجَّب عن شهود الحق ، وتَعْنَى بصيرة قلبك . وكلُّ ما كان إلى خلاف هواك أقرب ، وعن استعجابك وسكونك إليه أبعد -- كان ذلك في نفسه أصوب .

« واعلموا أن الله مع المتقين » : الذين اتقوا إيثار هواهم على ما فيه رضاه ، فإذا قاموا لله -- فيما يأتون -- لا لهم فإن الله تعالى بالنصرة معهم ، قال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم » . قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

إنفاق الأغنياء من أموالهم ، وإنفاق العابدين بنفوسهم لا يدخرونها عن العبادات والوظائف ، وإنفاق العارفين بقلوبهم لا يدخرونها عن أحكامه ، وإنفاق المحبين بأرواحهم لا يدخرونها عن حبه .

إنفاق الأغنياء من النعم وإنفاق الفقراء من الهمم .  
إنفاق الأغنياء إخراج المال من الكيس ، وإنفاق الفقراء إخراج الروح عن أنفس النفيس ، وإنفاق الموحِّدين إخراج الخلق من السر .  
قوله تعالى : « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » الإشارة فيه إلى إمساك يدك عن البذل ، فمن أمسك يده وأدّخر شيئاً لنفسه فقد ألقى بيده إلى التهلكة . ويقال : إلى إيثار هواك على رضاه .

ويقال « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » أي الغفلة عنه بالاختيار .

ويقال تَوَهَّمُ أَنَّكَ تعيش من دون لطفه وإقباله لحظَةً .

ويقال الرضا بما أنت فيه من الفترة والحجاب .

ويقال إمساك اللسان عن دوام الاستغاثة في كل نفس .

قوله تعالى : « وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » الإحسان أن ترفق مع كل أحد

إلا معك ؛ فأحسنك إلى نفسك في صورة إساءتك إليها في ظن الاعتماد ، وذلك لارتكابك كل شديدة ، ومقاساتك فيه كل عظمة . والإحسان أيضاً ترك جميع حظوظك من غير بقية ، والإحسان أيضاً تفرغك إلى قضاء حق كل أحد علق عليك حديثه . والإحسان أن تعبدته على غير غفلة . والإحسان أن تعبدته وأنت بوصف المشاهدة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

إتمام الحج على لسان العلم القيام بأركانه وسننه وهيئته ، وإراقة الدماء التي تجب فيها ( دون ) التفصيل في بعض أحوالها .

وفي التفسير أن تحرم بهما من ديرة أهلك<sup>(١)</sup> .

وعلى لسان الإشارة الحج هو القصد ؛ فقصد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق ، فالأول حج العوام والثاني حج الخواص .

وكما أن الذي يحج بنفسه يُحْرِمُ وَيَقِفُ ثم يطوف بالبيت ويسعى ثم يحلق ، فكذلك من يحج بقلبه ؛ فأحرامه بعقد صحيح على قصد صريح ، ثم يتجرد عن لباس مخالقاته وشهواته ، ثم باشماله بشوي صبره وفقره ، وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى ، وإطلاق خواطر المني ، وما في هذا المعنى . ثم الحاج أشعث أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع ، ثم تلبية الأسرار باستجابة كل جزء منك .

وأفضل الحج الشَّجُّ والعَجُّ ؛ الشَّجُّ صَبُّ الدَّمِّ والعَجُّ رفع الصوت بالتلبية ، فكذلك سفك دم النفس بسكاكين الخلاف<sup>(٢)</sup> ، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاثة ، وحسن الاستجابة ثم الوقوف بساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة . وموقف النفوس عرفات وموقف

---

(١) قال شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلة عن علي أنه قال في هذه الآية ( وأتموا الحج والعمرة لله ) قال أن تحرم من ديرة أهلك ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس .

( تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢٣٠ ط الحلبي ) .

(٢) الخلاف هنا معناها ( المخالفة ) أي مخالفة النفس وأهوائها .

القلوب الأسمى والصفات لعزّ الذات (عند) <sup>(١)</sup> للمواصلات . ثم طواف القلوب حول (مشاهدة) <sup>(٢)</sup> العز ، والسعى بالأسرار بين صفّي كشف الجلال ولطف الجمال .

ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيارات ، والمنى والمعارضات . . بكل وجه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

الحصر بأمرين بعدو أو مرض .

والإشارة فيه إن استولى عدو النفس فلم تجد بداً من الإناخة بعقوة الرخص وتأويلات العلم فعند ذلك تتحلل بموجب العذر والاضطرار إذ لا مزاحمة مع الحكم . « والهدى » الذى يهدى به عند التحلل بالعذر ، والخروج عن المعلوم ، وتسليمه للفقراء ، وانتظار أن يزول الحصر فيستأنف الأمر . وإن مرضت الواردات وسقطت القصود وآل الأمر إلى التكليف فليجتهد ألا ينصرف كما أنه فى الحج الظاهر يجتهد ألا ينصرف لكل مرض أو إن احتاج إلى اللبس والخلق وغير ذلك — بشرط الفدية .

ثم إن عجز ، أشرط أن محله حيث حسبه فكذلك يقوم ويقعد فى أوصاف القصد وأحكام الإرادة ، فإن رجع — والعباد بالله — لم يُقَابَلْ إلا بالردّ والصد ، وقيل :

فلا عن قَلْبٍ كَانَ التَّقَرُّبُ بَيْنَنَا وَلَكِنَّ دَهْرَ يُشِيتُ وَيَجْمَعُ

وقال الآخر :

ولستُ — وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ الْفَضَا بِأَوَّلُ رَاجٍ حَاجَةٌ لَا يَنَالُهَا

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ

مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ

أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ

أَوْ نُسُكٍ ﴾ .

(١) وردت ( عن ) فى س ، والأسمى والصفات مقصود بها أسماء الله الحسن وصفاته .

(٢) ترجح أنها فى الأصل ( مشاهد ) جمع مشهد لتناظر ( مشاهد ) الحج .

يَبْذُلُ مَا أَمْكَنَهُ ، وَيُخْرِجُ عَنْ جَمِيعِ مَا يَمْلِكُهُ ، وَعَلَيْهِ آثَارُ الْخُسْرَةِ ، وَاسْتِشْعَارُ  
أَحْزَانِ الْحُجْبَةِ .

« فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا . . . الْحَجُّ : الْإِشَارَةُ مِنْهُ أَنْ يَبْتَهِلَ وَيَجْتَهِدَ بِالطَّوَافِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ ،  
وَالْخِدْمَةِ لِلْفُقَرَاءِ ، وَالتَّقَرُّبِ بِمَا أَمْكَنَهُ مِنْ وَجُودِ الْإِحْتِيَالِ وَالِدَعَاءِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ ﴾  
إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ،  
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ  
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشْرَةٌ  
كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .

فَإِذَا تَجَلَّتْ أَقْمَارُ الْقَصُودِ عَنْ كَشُوفِ التَّعَزُّزِ ، وَانْجَلَّتْ غِيَابَةُ الْحُجْبَةِ عَنْ شَمُوسِ الْوَصْلَةِ  
وَأَشْرَقَ نُورُ الْإِقْبَالِ فِي تَضَاعِيفِ أَيَّامِ الْوُقُوفِ ، فَلَيْسَتْ أَنْفُ لِلْوَصْلَةِ وَقْتًا ، وَلِيَفْرَشَ لِلْقُرْبَةِ بِسَاطًا ،  
وَلِيَجِدِدَ لِلْقِيَامِ بِحَقِّ السَّرُورِ نَشَاطًا ، وَلِيَقُلَّ : حَتَّى عَلَى الْبَهْجَةِ ! فَقَدْ مَضَتْ أَيَّامُ الْمَحَنَةِ .

وَلِيُكْمِلَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، وَلِيَسْتَدِيمَ الْقِيَامَ بِأَحْكَامِ الصَّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ .

« وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » بِالْحُجَابِ لِمَنْ لَمْ يَرِهِ أَهْلَةُ الْوَصْلَةِ وَالْإِقْتِرَابِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ .

كَأَنَّ الْحَجَّ بِالنَّفُوسِ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ لَا يَنْعَقِدُ الْإِحْرَامُ بِهِ إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يَجُوزُ فِعْلُ  
الْحَجِّ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ إِلَّا فِي وَقْتٍ مُخْصٍ ، مِنْ فَاتِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ فَاتِهِ الْحَجِّ — فَكَذَلِكَ حُجَّ  
الْقُلُوبِ لَهُ أَوْقَاتٌ مَعْلُومَةٌ لَا يَصِحُّ إِلَّا فِيهَا ، وَهِيَ أَيَّامُ الشَّبَابِ ؛ فَمَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ إِرَادَةٌ فِي حَالِ  
شَبَابِهِ فَلَيْسَتْ لَهُ وَصْلَةٌ فِي حَالِ مَشْيَبِهِ ، وَكَذَلِكَ مِنْ فَاتِهِ وَقْتُ قَصْدِهِ وَحَالِ إِرَادَتِهِ فَلَا يَصْلِحُ  
إِلَّا لِلْعِبَادَةِ الَّتِي آخَرَهَا الْجَنَّةُ ، فَأَمَّا الْإِرَادَةُ الَّتِي آخَرَهَا الْوَصْلَةُ . . فَلَا .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ .



كذلك الإشارة لمن سلك طريق الإرادة ألا يُعرج على شيء في الطريق ، ولا يمزج إرادته بشيء . فمن نازعه أو عارضه أو زاحه — سلم الكل للكل ، فلا لأجل الدنيا مع أحدٍ يخاصم ، ولا لشيء من حظوظ النفس والجاه مع أحد يزاحم ، قال تعالى : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ .  
تكتفى بعلمه وحكمه عن شهود خلقه وحكم خلقه وعلم خلقه .

قوله جل ذكره : ﴿ وتزودوا فإن خيرَ آ زاد التقوى  
واقنوا يا أولى الألباب ﴾ .

تقوى العامة مجانبة الزلات ، وتقوى الخواص مجانبة الأغيار بالسرائر .

قوله جل ذكره : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا  
فضلاً من ربكم ﴾ .

الإشارة فيه أن ما تبتغي من فضل الله مما يُعينك على قضاء حقه ، ويكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين — فهو محمود . وما تطلبه لاستيفاء حظك أو لما فيه نصيب لنفسك — فهو معول .

قوله جل ذكره : ﴿ فإذا أفضتُم من عرفات فاذكروا  
الله عندَ المشعر الحرام واذكروه  
كما هداكم وإن كنتم من قبله  
لمن الضالين ﴾ .

الإشارة فيه إذا وقفت حتى قمت بحق طلبه فاذكر فضله معك ؛ فلو لا أنه أرادك لما أردته ، ولو لا أنه اختارك لما آثرت رضاه .

قوله جل ذكره : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس  
واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾

الإشارة فيه ألا تعلم نفسك بما تمتاز عن أشكالك في الظاهر ؛ لا بلبسة ولا بخرقه ولا بصفة ،

بل تكون كواحد من الناس ، وإذا خطر ببالك أنك فعلت شيئاً ، أو بك أو لك أو معك شيء فاستغفر الله ، وجدد إيمانك فإنه شركٌ خفيٌ خامرٌ قلبك .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

« قضيتُم مناسِككم » إشارة إلى القيام بحق العبودية .

« فاذكروا الله كذكركم آباءكم » إشارة إلى القيام بحق المحبة .

قضاء المناسك قيامٌ بالنفس .

« فاذكروا الله كذكركم آباءكم » قيامٌ له بالقلب على استدامة الوقت واستغراق العمر .

ويقال كما أن الأغيار يفتخرون بأبائهم ، ويستبشرون بأسلافهم فليكن افتخاركم بنا

واستبشاركم بنا .

ويقال إن كان لأبائكم عليكم حقٌ التربية فحقناً عليكم أوجب ، وأفضلنا عليكم أتم .

ويقال إن كان لأسلافكم مآثر ومناقب<sup>(١)</sup> ، فاستحقاقنا لنعوت الجلال فوق ما لأبائكم

من حسن الحال .

ويقال إنك لا تملُ ذكر أبيك ولا تنساه على غالب أحوالك ، فاستدِمْ ذِكْرنا ،

ولا تُعْترِضْكَ ملالة أو سآمة<sup>(٢)</sup> أو نسيان .

ويقال إن طعنَ في نسبِكَ طاعِنٌ لم ترضَ فكذلك ما تسمع من أقاويل أهل الضلال

والبدعِ فذُبْ عَنَّا .

ويقال الأبُ يُذكرُ بالحرمة والحشمة فكذلك اذكرونا بالهيبة مع ذكر لطيف القرية

بحسن التربية .

وقال « كذكركم آباءكم » ولم يقل أمهاتكم لأن الأب يُذكر احتراماً والأم تُذكر شفقةً

عليها ، والله يَرْحَمُ ولا يُرْحَمُ .

(١) وردت ( مناقب ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت ( مسامة ) وهي خطأ في النسخ .

« أو أشد ذكراً » لأن الحق أحق ، ولأنك قد تستوحش كثيراً عن أبيك ، والحق سبحانه مُنزّه عن أن يخطر ببال من يعرفه أنه بخلاف ما يقتضى الواجب حتى إن كان ذرة .  
وقوله « كذكركم آباءكم » الأب على ما يستحقه والرب على ما يستحقه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا <sup>(١)</sup> وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ ﴾ .

خطاب لوقاله مخلوق لك كان شاكرًا <sup>(٢)</sup> ، ولو أنه شكامتك كما شكاك إليك لساءت الحالة ، ولكن بفضلله أحلك محل أن يشكو إليك فقال : من الناس من لا يجنج قلبه إلينا ، ويرضى بدوننا عنا ، فلا يبصر غير نفسه وحظه ، ولا يمكن إيمان له بربه وحقه .

قوله جل ذكره : ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ .

إنما أراد بها حسنة تنتظم بوجودها جميع الحسنات ، والحسنة التي بها تحصل جميع الحسنات في الدنيا — حفظ الإيمان عليهم في المال ؛ فإن من خرج من الدنيا مؤمناً لا يخلد في النار ، وبفوات هذا لا يحصل شيء . والحسنة التي تنتظم بها حسنات الآخرة — المغفرة ، فإذا غفر فبعدها ليس إلا كل خير .

ويقال الحسنة في الدنيا العزوف عنها ، والحسنة في الآخرة الصون عن مساكنتها . والوقاية من النار ونيران الفرقه إذ اللام في قوله « النار » لام جنس فتحصل الاستعاذة عن نيران الحرقة ونيران الفرقه جميعاً .

ويقال الحسنة في الدنيا شهود بالأسرار وفي الآخرة رؤية بالأبصار .

ويقال حسنة الدنيا ألا يغنيك عنك وحسنة الآخرة ألا يردك إليك .

---

(١) التبس على الناسخ نقل هذه الآية بالآية التي تليها فوضع هنا ( حسنة ) وهي زائدة .

(٢) ترجيح أنها ( شاكر ) في الأصل .

ويقال حسنة الدنيا توفيق الخدمة وحسنة الآخرة تحقيق الوصلة .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ﴾ .  
إن كان خيراً فخير وإن كان غيراً فغير . « والله سريع الحساب » للعوام في الفرصة ،  
واللخواص في كل نفس .

ويقال ذكر فريقين : منهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا ، والثاني يقول في الدنيا والعقبى ،  
وثالث لم يذكرهم وهم الراضون بقضائه ، المستسلمون لأمره ، الساكنون عن كل دعاء واقتضاء .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا الله في أيام معدوداتٍ  
فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ،  
وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ،  
وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ  
تُحْشَرُونَ ﴾ .

هذه صفة أواخر النفس ، وهو الرمي في أيام مني لما قدموا بأركان الحج خفف عنهم  
بأن يحرم في المقام والإفاضة والتعجيل في التفريق  
والإشارة منه أن من خدت نفسه ، وحَيَّ قلبه ، وامتمداد بحقائق الشهود ( سره )<sup>(١)</sup>  
— فَإِنْ سَقَطَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِ الْأَوْرَادِ ففيا هو له مستديم من آداب الحضور عَوْضٌ  
عن الذي يفوت .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى  
مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ .

أخبر أن قوماً أعرض الحق سبحانه وتعالى عن قلوبهم فأعطاهم في الظاهر بسطةً في اللسان  
ولكن ربط على قلوبهم أسباب الحرمان ؛ فهم في غطاء جهلهم ، ليس وراءهم معنى ، ولا على  
قولهم اعتماد ، ولا على إيمانهم اتكال ، ولا بهم ثقة بوجه .

(١) نعلم من مذهب القشيري أن حقائق الشهود متصلة بالسر ، وما دام قد ذكر النفس والقلب فقد  
وجدنا من الضروري للتوضيح ذكر ( سره ) حيث نرجح أنها سقطت من النسخ .

والإشارة إلى أهل الظاهر الذين لم تساعدهم أنوار البصيرة فهم مربوطون بأحكام الظاهر ؛  
لا لهم بهذا الحديث إيمان ، ولا بهذه الجملة استبصار ، فالواجب صون الأسرار عنهم فانهم  
لا يقابلون هذا الحديث إلا بالإنكار<sup>(١)</sup> ، وإن أهل الوداعة<sup>(٢)</sup> من العوام الذين في قلوبهم  
تعظيم لهذه الطريقة ، ولهم إيمان على الجملة بهذا الحديث لأقرب إلى هذه الطريقة من كثير  
من عدّة نفسه من الخواص وهو بمنزل عن الإيمان بهذا الأمر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ  
فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ  
لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ .

الإشارة لمن سعيه مقصور على استجلاب حظوظه ، فهو لا يبالي بما يتحلّ من عرى  
الدين ، وبهي من أسباب الإسلام ، بعدما تشتد حبال دنياهم ، وتتنظم أسباب مناهم ، من حرام  
جمعوه ، وحطام حصّاه . فإذا تخلّوا لوساوسهم وقصودهم الرديّة سعّوا بالفساد بأحكام أسباب  
الدنيا ، واستعاملهم من يستعينون بهم في تمشية أمورهم من القوم الذين نزع الله البصيرة  
من قلوبهم .

« والله لا يحب الفساد » : ما كان فيه خراب الأمور الدينية ونظام الأحوال الدنيوية  
فهو الفساد الظاهر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ  
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ  
وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ .

هؤلاء أقوام استولى عليهم التكبر ، وزال عنهم خضوع الإنصاف ؛ فشمت آنافهم  
عن قبول الحق فإذا أمرته بمعروف قال : ألمثلّي يقال هذا ١٩

---

(١) هنا نلاحظ أن القشيري يرى عدم البوح بأسرار الطريقة وأن الكتبان خير - وهذا موقف هام  
في مسألة على جانب عظيم من الخطورة .

(٢) وردت ( الوداعة ) وترجح أنها الوداعة لأنها أقرب إلى السياق .

وأنا كذا وكذا ! ثم يكبر عليك ( ... )<sup>(١)</sup> فيقول : وأنت أولى بأن تؤمر بالمعروف وتُنهى عن المنكر فإن من حالك وقصتك كذا وكذا .

أو لو ساعده التوفيق وأدركته الرحمة ، وتقلد المنة بمن هداه إلى رؤية خطئه ، ونبيه على سوء<sup>(٢)</sup> وصفه ، لم يطوّر على نصيحة جنبيه وتبقى في القلب — إلى سنين — آثارها .

قال تعالى « فحسبه جهنم » يعني ما هو فيه في الحال من الوحشة وظلمات النفس وضيق الاختيار حتى لا يسعى في شيء غير مراده ، فيقع في كل لحظة غير مرة في العقوبة والمحنة ، ثم إنه منقول من هذا العذاب إلى العذاب الأكبر ، قال الله تعالى : « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر » .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ﴾ .

أولئك الذين أدركتهم خصائص الرحمة ، ونعتهم سوابق القسمة ، فأثروا رضاء الحق على أنفسهم ، واستسلموا بالكلية لمولاهم ، والله رءوف بالعباد : ولأفقه بهم وصلوا إلى هذه الأحوال ، لا بهذه الأحوال استوجبوا رأفته .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ .

كَلَّفَ الْمُؤْمِنَ أَنْ يُسَالِمَ كُلَّ أَحَدٍ إِلَّا نَفْسَهُ فَإِنَّهَا لَا تَتَحَرَّكُ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ سَيِّدِهِ ؛ فَإِنْ مَنَّ سَالِمٌ نَفْسَهُ قَتَرَ عَنْ مُجَاهَدَاتِهِ ، وَذَلِكَ سَبَبُ انْقِطَاعِ كُلِّ قَاصِدٍ ، وَمَوْجِبُ فِتْرَةِ كُلِّ مُرِيدٍ .  
و « خطوات الشيطان » ما يوسوس إليك من عجزك عن القيام باستيفاء أحكام المعاملة ، وترك نزعات لا عبرة بها ، ولا ينبغي أن يلتفت إليها ، بل كما قال الله تعالى : « فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ » ثم أَبْصِرْ ما الذي فعل به حين أَلْقَتْهُ ، وكيف دَدَّه إليها بعدما نَجَّاه .

(١) مثلية .

(٢) وردت ( سواء ) وهي خطأ في النسخ .



قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ

الْبَيِّنَاتِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

الزَّلَّةُ الواحدةُ بعد كشف البرهان أقبحُ من كثيرٍ منها قبل ذلك ، وَمَنْ عُرِفَ فِي الْحَيَاةِ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْأَمَانَةِ . وعنة الأكابر<sup>(١)</sup> إذا حُلَّتْ بِهَا استتصالح بالكلية .

قوله جل ذكره : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

فِي ظُلُمٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاللَّائِكَةُ ﴾ .

استبطأ القومُ قيامَ الساعةِ فأخبروا عن شدة الأمر إذا قامت الساعة بتفصيل ما ذكر .

وتلك أفعال في معنى الأحوال ، يظهرها الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في علو شأنه سبحانه وتعالى ، ونفاذ قدرته فيما يريد . « وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور » أي انتهت ستر الغيب عن صريح التقدير السابق . ولقد استغنت قلوب للوحدين لما فيها من أنوار البصائر عن طلب التأويل لهذه الآية وأمثالها إذ الحق سبحانه مُتَزَّهٌ عن كل انتقال وزوال ، واختصاص بمكان أو زمان ، تقدس عن كل حركة وإتيان<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ سَلِّ بْنِ إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ

آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

فائدة السؤال ليقرر عليهم بالسؤال الحجة ، لا ليقرّر للرسول صلى الله عليه وسلم بسؤالهم ما أشكل عليهم من واضح المحبة .

« ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب » بزوال تلك النعمة . وعند ذلك يعرفون قدرها ، ثُمَّ يَنْدُبُونَهَا وَلَا يَصِلُونَ إِلَيْهَا قَطْ ، قال قائلهم :

سَهَجَرْنِي وَتَرَكْنِي فَتَطْلُبْنِي فَلَا تَجِدُ

---

(١) عنة الأكابر المقصود بها هنا زلات الأكابر ، وعقوبتها اشد ، وقد استدلل القشيري على ذلك في موضع سابق بأن من ترتكب فاحشة من أمهات المسلمين يضاعف لها العذاب ضعفين .

(٢) إشارة إلى ما في الآية الكريمة ( يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ) .

قوله جل ذكره : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
اتَّقُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ  
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

مكروا<sup>(١)</sup> فلم يشعروا ، وحملهم اشتداد الظلمة على بصائرهم على الواقعة في أولياته سبحانه ،  
والسخرية منهم ، وحين تقشعت غواية الجهل عن قلوبهم (.....)<sup>(٢)</sup> علموا من الخاسر  
منهم من الذي كان في ضلال بعيد .

قوله جل ذكره ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ  
النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنْزِلَ  
مَعَهُمُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ  
النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ  
فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ  
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهْدَى اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ  
بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

يعنى الغيبة عن الحق جمعهم ، فلما أتتهم الرسل تبايتوا على حسب ما رزقوا من أنوار  
البصيرة وحرِّموها . ويقال كانوا على ما سبق لهم من الاختيار القديم ، وبمجيء الرسل تهود قوم  
وتنصر قوم ، ثم في العاقبة يردُّ كل واحد إلى ما سبق له من التقدير ، وإن الناس اجتمعوا  
كلهم في علمه سبحانه ثم تفرقوا في حكمه ، فقوم هدام وقوم أغواهم ، وقوم حجهم وقوم

---

(١) ربما كانت في الأصل ( 'مكروا' ) فلم يشعروا ، فالآية تقول ( زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ) فهم لم يشعروا  
بأن زين الدنيا لهم مكر من الله والله خير الماكرين .  
(٢) زائدة .

جذبهم ، وقوم ربطهم بالخلاص وقوم بسطهم بالإحسان ، فلا من المقبولين أمر مكتسب ، ولا لردّ الردودين سبب ، بل هو حكمٌ بتّ وقضاء جُزم .

« قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِرِينَ الْبِأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝ ﴾ .

خلق الله الجنة وصفها بالمصاعب ، وخلق النار وصفها بالشهوات والرغائب ، فمن احتشم ركوب الأهوال بقى عن إدراك الآمال . ثم إن الحق سبحانه ابتلى الأولين بفنونٍ من مقاساة الشدائد ، وكلٌّ من أُلْحِقَ بهم من خلف الأولياء أدخلهم في سلكهم ، وأدرجهم في غمارهم ، فمن ظنَّ غير ذلك فَسَرَّابٌ ظَنَّهُ ماءً ، وحكم لم يحصل على ما ظنه تأويلاً . ولقد مضت سنة الله سبحانه مع الأولياء أنهم لا يُنِيعُونَ بعقوة الظفر إلا بعد إشرافهم على عرصات اليأس ، فحين طال بهم الترقُّبُ صادفهم اللطفُ بغنةٍ وتحقق لهم المبتغى فجأة . قال تعالى « أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ ﴾ .

علموا أن العبد غير منفردٍ بالفاعلية أن يفعل ، فإنَّ العبد ليس له فعل شيء إلا بإذن مولاه فتوقفوا في الإنفاق على ما يشير إليه تفصيل الإذن ، لأنَّ العبودية الوقوفُ حينما أوقفك الأمر .

ويقال لم ينفقوا على إشارات الهوى . وإن ما طالعوه تفاصيل الأمر وإشارات الشرع والواو في هذه الآية في قوله : « والأقربين واليتامى » تشير إلى نوع من الترتيب ؛ فالأولى بمعرفتك والداك ثم أقاربك ثم على الترتيب الذى قاله .

قوله جل ذكره : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

صعبت على النفوس مباشرة القتال ، فبين أن راحت النفوس مؤجلة لأنها في حكم التأديب ، وبالعكس من هذا راحت القلوب فإنها معجلة إذ هي في وصف التقريب ، فالسعادة في مخالفة النفوس ؛ فمن وافقها حاد عن المحبة المثلئ ، كما أن السعادة في موافقة القلوب فمن خالفها زاع عن السنة العليا .

وبشرى ضمان الحق بالبشرى أولى أن تقبل من محذرات هواجس النفوس في حلول العسر وحصول الضرر .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ .

من المعاصى ما يكون أشد من غيره وأصعب في المعنى ، فسوء الأدب على الباب لا يُوجب ما يُوجب على البساط ؛ فإذا حصلت الزلة بالنفس فآثرها بالعقوبة المؤجلة وهى الاحتراق ، وإذا زل<sup>(١)</sup> القلب بالعقوبة معجلة وهى بالفراق ، وأثر الغفلة على القلوب أعظم من ضرر الزلة

---

(١) وردت ( زال ) وهى قطعاً خطأ فى النسخ .

على النفوس ، فإن النفس عن الحظ تبقى ، والقلب عن الحق يبقى

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ  
عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ  
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ  
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الإشارة من هذا أن أهل الغفلة إذا راودوك أرادوا صَرْفَكَ إلى ما هم عليه من الغفلة ،  
فلا يرضون إلا بأن تفسخ عقد إرادتك بما تعود إليه من سابق حالتك ، ومن فسخ مع الله  
عهده مَسَخَ قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا  
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ  
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إن الذين صدقوا في قصدهم ، وأخلصوا في عهدهم ، ولم يرتدوا في الإرادة على أعقابهم ،  
أولئك الذين عاشوا في رَوْحِ الرجاء إلى أن يصلوا إلى كمال البقاء ودار اللقاء .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا  
إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا  
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ .

الخمر ما خامر العقل ، وكما أن الخمر حرام بعينها فالسُّكْر حرام بقوله صلى الله عليه وسلم :  
« حُرِّمَتِ الْخَمْرُ بِعَيْنِهَا ، وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ » ، فمن سَكِرَ من شراب الغفلة استحق  
ما يستحق شارب الخمر من حيث الإشارات ، فكما أن السكران ممنوع من الصلاة فصاحب  
السُّكْر بالغفلة محجوب عن المواصلات وأوضح شواهد الوجود ، فمن لم يَصْدُقْ فَلْيُجَرِّبْ .

ومعنى القمار موجود في أكثر معاملات أهل الغفلة إذا سلكوا طريق الخيل والجداع  
والكذب في المقال . وبذل الصدق والإنصاف عزيز .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ  
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

قل الغفو ما فضل عن حاجتك ، وهذا للخواص يخرجون من فاضل أموالهم عن قدر  
كفايتهم ، فأما خواص الخواص فطريقتهم الإيثار وهو أن يؤثر به غيره على نفسه وبه فاقه  
إلى ما يخرج وإن كان صاحبه الذي يؤثر به غيباً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ  
خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾

إصلاح حالهم بما يكون فيه تأديبهم أتم من إصلاح مالهم ، ثم الصبر على الاحتمال عنهم مع  
بذل النصيح ، و ( مفارقة المال من من أرشادهم خير من الترخص بأن يقول إنه لا يتوجه  
على فرضيهم )<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

فيعامل كلاً على سوا كن قلبه من القصد لا على ظواهر كسبه من جميع الفنون .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ  
وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ  
وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ  
حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ  
مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ، أُولَئِكَ يَدْعُونَ

---

(١) فيها بين قوسين غموض ربما نتج عن خطأ في النقل .





ويقال التوَّابين من الزلة ، والمتطهرين من الغفلة .

ويقال التوَّابين من شهود التوبة ، والمتطهرين من توهم أن شيئاً بالزلة بل الحكم ابتداء من الله تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرِثٌ لَكُمْ فَاثُوا حَرْثَكُمْ  
أَنِّي شَتَمْتُ وَقَدْ جَاءُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

لما كانت النفوس بوصف الغيبة عن الحقيقة أباح لها السكون إلى أشكائها إذا كان  
على وصف الإذن ، فلما كانت القلوب في محل الحضور حرم عليها المساكنة إلى جميع  
الأغيار والمخلوقات .

« وَقَدْ جَاءُوا لَأَنْفُسِكُمْ » من الأعمال الصالحة ما ينفعكم يوم إفلاسكم ، لذلك قال :  
« وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ » فانظروا لأنفسكم بتقديم ما يسركم وجدانه عند ربكم .  
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ  
أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ  
النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

نزُّهوا ذِكْرَ ربكم عن ابتدائه بأي حظ من الحفظ .  
ويقال لا تجعلوا ذكر الله شَرَكاً كَأَيُّ صُطَّادٍ بِهِ حَطَامُ الدُّنْيَا .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ  
وَلَكِنْ يَأْخُذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ما جرت به اللسان على مقتضى السهو فليس له كثير خطرٍ في الخير والشر ، ولكن  
ما انطوت عليه الضمائر ، واحتوت عليه السرائر ، من قصود صحيحة ، وعزائم قوية فذلك  
الذي يؤخذ به إن كان خيراً فجزاءه جميل ، وإن كان شراً فعناؤه طويل .

قوله جل ذكره : ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ  
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾

إذا كان حق صحبة الأشكال محفوظاً عليك — حتى لو أخللت به — وأخذك بحكمه :  
فحق الحق أحق بأن تجب مراعاته . « فإن فاءوا » أى رجعوا إلى إحياء ما أماتوا ، واستدراك  
ما ضيعوا « فإن الله غفور رحيم » فلما تقاصر لسان الزوجة — لكونها أسيراً في يد الزوج —  
توكل الله — سبحانه — الأمر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع إليها أو تسريحها .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

إن مل حق صحبتها ، وأكّد العزم على مفارقتها فإن الله مطلع على حاله وسره ، فإن بدا  
له بادٍ من ندم فلا يلبس بأركان الطلاق فإن الله سبحانه عليم أنه طلقها .  
ولما كان الفراق شديداً عزّى المرأة بأن قال إنه « سميع » أى سمعنا موحش تلك القالة ،  
فهذا تعزية لها من الحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ  
ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ .

أمر المطلقات بالعدة احتراماً لصحبة الأزواج ، يعنى إن انقطعت العلاقة بينكما فأقيموا  
على شرط الوفاء لما سلف من الصحبة ، ولا تقيموا غيره مقامه بهذه السرعة ؛ فاصبروا حتى  
يمضى مقدار من المدة . ألا ترى أن غير المدخول بها لم تؤمر بالعدة حيث لم تقم  
بينهما صحبة ؟

ثم قال جل ذكره : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ  
اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

يعنى إن انقطع بينكما السبب فلا تقطعوا ما أثبت الله من النسب .

ثم قال جل ذكره : ﴿وَبُيُوتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ .

يعنى مَنْ سَبَقَ له الصَّحبة فهو أحق بالرجعة لما وقع فى النكاح من الثلثة  
﴿ فى ذلك إن أرادوا إصلاحاً ﴾ .

يعنى أن يكون القصد بالرجعة استدراك ما حصل من الجفاء لا تطويل العدة عليها بأن  
يعزم على طلاقها بعدما أرجعها .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

يعنى إن كان له عليها حق ما أنفق من المال فلها حق الخدمة لما سلف من الحال .

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ ﴾ .

فى الفضيلة ، ولهن مزية فى الضعف وعجز البشرية .

قوله جل ذكره : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ .

ندب إلى تفريق الطلاق لثلاث تسارع إلى إتمام الفراق ، وقيل فى معناه :

إِنْ تَبَيَّنْتُ أَنَّ عَزْمَكَ قَتْلِي فَدِرْبِي أَضْيَ قَلِيلًا قَلِيلًا

ثم قال جل ذكره : ﴿ فَإِذَا سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ  
بِإِحْسَانٍ ﴾ .

إما صحبة جميلة أو فرقة جميلة . فأما سوء العشرة وإذهاب لذة العيش بالأخلاق الذميمة  
تغيير مرضي فى الطريقة ، ولا محمود فى الشريعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا  
بِمَا آتَيْنَاهُمْ شَيْئاً ﴾ .

فإن فى الخبر « العائد فى هبته كالعائد فى قيئه » والرجوع فيها خرجت عنه خسة .

ثم قال جل ذكره : ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ  
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ .

يعنى إن أردت المرأة أن تتخلص من زوجها فلا جناح عليها فيما تبذل من مال ، فإن النفس تساوى لصاحبها كل شيء ، والرجل إذا فاتته محبة المرأة فلو اعتاض عنها شيئاً فلا أقل من ذلك ، حتى إذا فاتته راحة الحال يصل إلى يده شيء من المال .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>  
هذه آداب يعلمكمها الله ويُسَنُّها لكم ، فحافظوا على حدوده ، وداوموا على معرفة حقوقه .  
قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾<sup>(٢)</sup>

الرجل يشق عليه أن ينكح زوجته غيره فنهى عن اختيار الفراق بغاية الفراق بُغْيَةِ المنع<sup>(١)</sup> لما بين أنها لا تحل له إن فارقها إلا بأن تفعل<sup>(٢)</sup> غاية ما يشق عليه وهو الزواج الثانى ليحذر الطلاق ما أمكنه . ثم قال « فَإِنْ طَلَّقَهَا » يعنى الزوج « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا » يعنى تتزوج بالزوج الأول

والإشارة فيه أن استيلاء المحبة على القلب يهون مقياسه كل شديدة ، فلو انطوى الزوجان بعد الفرقة على التحسر على ما فاتهما من الوصلة ، وبندما على ذلك غاية الندامة فلا جناح عليهما أن يتراجعا ، والمرأة فى هذه الحالة كأنها ( . . . )<sup>(٣)</sup> من الزوج الأول بمكان الزوج الثانى والزوج كالآنى على نفسه فى احتمال ذلك .

ثم قال جل ذكره ﴿ إِنْ ظَنَنْتَ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

يعنى لا يعودان بعد ذلك إلى الفراق ثانياً إذا علما حاجة أحدهما إلى صاحبه ، قال قائلهم :  
ولقد حلفت لئن لقيتكَ مرةً ألا أعود إلى فراقك ثانية

---

(١) وردت ( بغاية المنع ) والأرجح أنها ( مغبية المنع ) فإن السياق يتطلب ذلك .  
(٢) وردت ( يفعل ) والأصوب أن تعود على المرأة لأنها هى التى ستتزوج ثانية وهذا هو ما يشق على الزوج الأول .  
(٣) هناك كلمة رسمها هكذا ( الميشور ) وربما كانت ( المبتور ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَبَلَغْنِ أَجَلَهُنَّ ﴾

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَاحٍ  
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا  
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ  
وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا  
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ  
الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

تضمنت الآية الأمر بحسن العشرة ، وترك المغايظة مع الزوجة ، والمحك على وجه العجاج ؛  
فإنما تخلية سبيل من غير جفاء أو قيام بحق الصحبة على شرط الوفاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَبَلَغْنِ أَجَلَهُنَّ ﴾

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ  
إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمَا بِالْمَعْرِوفِ ذَلِكَ  
يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ  
وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

تضمنت الآية نهى الأولياء<sup>(١)</sup> عن مضارتهن ، وترك حية الجاهلية ، والانقياد لحكم الله  
في تزويج النساء إن أردن النكاح من دون استشعار الأنفة والحية .

بل إذا رضيت بكفوي يخطبها فحرام عليكم ظلمها . والتدويب عن أوصاف البشرية بقهر  
النفس أشد مجاهدة وأصدق معاملة لله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ ﴾

كاملين لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ ﴾

---

(١) الأولياء هنا من ولاية الرجل على المرأة وليست من الولاية في باب التصوف .



غاية الرحمة التي يُضرب بها المثلُ رحمةُ الأمهات ؛ فأمرَ الله سبحانه الأمهاتِ بإكمال الرحمة بإرضاع المولود حَوْلَيْنِ كاملين ، وقطعُ الرضاعة عنه قبل الحولين إشارةً إلى أن رحمة الله بالعبد أتمُّ من رحمة الأمهات .

ثم قال جل ذكره : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

يعنى الأب عليه رزقهن وكسوتهن — أى المرضعات — بالمعروف . لَمَّا يَنْبَغُ عَنْكَ وَجَبَ حَقُّهُنَّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ مَنْ لَكَ كُلُّهُ فَعَلَيْكَ كُلُّهُ .

ثم قال جل ذكره : ﴿ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ إدخارُ المستطاع بِنَحْلٍ ، والوقوفُ — عند العجز — عنذر .  
ثم قال جل ذكره : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ .

فى الإرضاع وما يجب عليه .

﴿ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ .

يعنى الوالد<sup>(١)</sup> بولده يعنى فيما يلزم من النفقة والشفقة . فكما يجب حق المولود على الوالدين يجب حق الوالدين على المولود .

ثم قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا

وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يعنى فطاماً قبل الحولين ، فلا جناح بعدما كان القصد الصلاح . اشتملت الآية على تعهيد طريق الصحبة ، وتعليم محاسن الأخلاق فى أحكام العسرة وإن من لا يَرْحَمَ لا يَرْحَمَ .  
وقال صلى الله عليه وسلم لمن ذكر أنه لم يُقَبَّلْ أولاده : « إِنْ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ شَقِيٍّ » .

---

(١) وردت ( الولد ) والسباق يقتضى أن تكون ( الوالد ) بعد أن تحدث عن ( الوالدة ) .

قوله جل ذكره : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً  
يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر  
وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح  
عليكم فيها فعلن في أنفسهن بالمعروف  
والله بما تعملون خبير﴾

لما كان حق الميت أعظم لأن فراقه لم يكن بالاختيار كانت مدة الوفاء له أطول . وكانت  
عدة الوفاة في ابتداء الإسلام سنة ، ثم رُدَّت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام لتتحق براءة الرحم  
عن ماء الزوج ، ثم إذا انقضت العدة أبيح لها التزوج بزوجة أخرى . والميت لا يستديم وفاءه  
إلى آخر العمر أحد كما قيل :

وكما تبلى وجوه في الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن

قوله جل ذكره : ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من  
خطبة النساء أو كننتم في أنفسكم  
علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن  
لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا  
قولاً معروفاً﴾

أبيح من ذلك ما كان فيه استجلاب للمودة ، وتأسيس لحال الوصلة . وحرّم منه ما فيه  
ارتكاب المحظورات من إلام بذنوب أو عدة بجرم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى  
يبلغ الكتاب أجله ، واعلموا أن الله  
يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا  
أن الله غفور حلِيم﴾

---

(١) وردت بالحاء والصحيح أن تكون بالجيم .

أى تنقضى عدة الأول فإن حرمة الماضى لا تضع .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّبَعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرَهُ ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ ﴾

إن ابتلاء تم بوصيلة<sup>(١)</sup> أشكالكم ثم بدالكُم فلا جناح<sup>(٢)</sup> عليكم فى اختيار الفرقة — إذا أردتم — فإن الذى لا يجوز اختيار فرقته — واحد ؛ فأما صحبة الخلق بعضهم مع بعض فليس بواجب ، بل غاية وصفه أنه جائز .

ولما وقع عليهن اسمكم فنصف المسمى يجب لهن ، فإن الفراق — كيفما كان — فهو شديد ، فجعل ما يستحق من العوض كالخلف لها عند تجرع كأس الفرقة .

فإن لم يكن مسمى فلا يخلو العقد من متعة ؛ فإن تجرع الفرقة — مجرداً عن الراحة — بلاء عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

ثم ذكر أن العفو أتم وأحسن ، إما من جهة المرأة فى النصف المستحق لها ، أو من قبل الزوج فى النصف العائد إليه .

(١) وردت ( بوصيلة ) وربما كانت الباء زائدة وأنها ( بوصلة ) أشكالكم .

(٢) وردت ( فلا جناح ) وهى خطأ من الناسخ ، وقد صححتها ( فلا جناح ) طبقاً للآية ، ويحتمل أيضاً أنها فى الأصل ( فلا مجرم ) .

ثم قال جل ذكره : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

يقال من أخذ بالفضل واقتصر على الفرض فمن قريب بخل<sup>(١)</sup> بالفرض .

ويقال لسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل ، وإن من سُنَّةِ الكرام إذا خفيت عليهم مواضع الكرم أن يشجعوا بصائر الجود لتطالع لطائف الكرم فتتوفر دواعيهم في اقتناء أسباب الفضل .

قوله جل ذكره : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى

وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .

المحافظة على الصلاة أن يدخلها بالهبة ، ويخرج بالتعظيم ، ويستديم بدوام الشهود بنعت الأدب ، والصلاة الوسطى ( أيهم ذكرها على البيت )<sup>(٢)</sup> لتراعى الجميع اعتقاداً منك لكل واحدة أنها هي لثلا يقع منك تقصير في شيء منها .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا

فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ .

أي لا تُخَلُّوا بنجاحاتي لأوقاتها على الوصف الذي أمكنكم فإن ما تحسونه<sup>(٣)</sup> من أعدائكم أنا سلطتهم عليكم ، فإذا خلوتهم بي بقلوبكم قصرت أيديهم عنكم ، وجعلت لكم الظفر عليهم ، ثم إذا زال عنكم الخوف وأمنتم فعودوا إلى استقراركم باستفراغ أوقاتكم في الاعتكاف بحضرتي سرّاً وجهرّاً .

---

(١) يحتمل أنها (بخل) و (مبخل) ، فإذا عرفنا أن الصوفية عموماً يتشدّدون في التبعّد ويتفوقون فيه على الكافة أمكن القول أن المعنى ممكن أن ينصرف إلى بخل بمعنى أن القشيري يحذر من أن الاكتفاء بالفرض قد يؤدي إلى البخل به ، وهذا بدوره يؤدي إلى أن يبخل بشأنه وقد وردت بخل وبخل في السياق فيما بعد - والله أعلم .

(٢) وردت هكذا وقد نقلناها من النص دون تعديل وربما كانت ( أيهم ذكرها عن البيت ) .

(٣) يحتمل أن تكون ( تخشونه ) من أعدائكم وكلاماً مقبول ، وإن كنا نؤثر ( تخشونه ) لتناسب « فَإِنْ خِفْتُمْ » في الآية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ  
أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى  
الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ  
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

كانت عِدَّةُ الوفاة في ابتداء الإسلام سَنَةً مستديمة كقول العرب وفعلهم ذلك حيث  
يقول قائلهم :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكم ومن لبَّاك حولاً كاملاً فقد اعتذر  
ثم نُسِحَ ذلك إلى أربعة أشهر وعشرة أيام إذ لا بد من انتهاء مدة الحداد ولقد قال قائلهم :  
قال : لو ريت لم أعيش قلت : نافقت فأسكت  
أى حى رأيته مات وجداً بميت<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا  
عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

الإشارة ألا تجمعوا عليهن الفراق والحرمان فيتضاعف عليهن البلاء .  
﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم  
تعقلون ﴾ .

الدلائل ، فتأدبوا بما أشير عليكم ، وتفلحوا بما تعقلون من إشارات حكى .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ  
مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

---

(١) في الشعر أخطاء كثيرة وقع فيها الناسخ لحاولنا إصلاحها بقدر الممكن ليعكون مفهوماً .

لما استبعدوا قدرة الله في الإعادة أراهم في أنفسهم عياناً ، ثم لم ينفع إظهار ذلك لمن لم يشهد بصيرته في التوحيد . ومن قويت بصيرته لم يضره عدم تلك المشاهدات فإنهم تحققوا بما أخبروا ، لياً آمنوا به بالغيب .

قوله جل ذكره : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله

سميع عليم ﴾ .

يعنى إن مسكم ألم فتصاعد<sup>(١)</sup> منكم أنين فاعلموا أن الله سميع لا ينكم ، عليم بأحوالكم ، بصير بأموركم . والآية توجب تسهيل ما يقاسونه من الألم ، وقالوا :

إذا ما تمنى الناس رוחاً وراحةً تمنيت أن أشكو إليك فتسمع

قوله جل ذكره : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً

فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ .

يُسمى القرض قرضاً لأنه يقطع<sup>(٢)</sup> من ماله شيئاً ليعطيه للمقرض ، والمتصدق لما يقطع الصدقة من ماله سميت صدقته قرضاً ، فالقرض القطع ، ولكن هذه التسمية لحفظ قلوب الأحاب حيث خاطبك في باب الصدقة باسم القرض ولفظه .

ويقال دلت الآية على عظم رتبة الغنى حيث سأل منه القرض ، ولكن رتبة الفقير في هذا أعظم لأنه سأل لأجله القرض ، وقد يسأل القرض من<sup>(٣)</sup> كل أحد ولكن لا يسأل لأجل كل أحد . وفي الخبر « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند أبي شحمة اليهودى على شعير أخذه لقوت عياله<sup>(٤)</sup> أبصر بمن اقترض ولأجل من اقترض !

ويقال القرض الحسن ما لا تتطلع عليه لجزاء ولا تطلب بسببه العوض .

(١) وردت ( فتصاعد ) وواضح أنها خطأ في النسخ .

(٢) أخطأ الناسخ فجاءت ( يقطع ) وقد اخترنا ( يقطع ) لتناسب القرض ... القطع كما سيذكر بعد .

(٣) وردت ( عن ) والصحيح والملائم للسباق أن يقال ( من ) .

(٤) للحديث بقية ( ... ولم يترك ديناراً ولا درهماً ، ولم يقسم له ميراث ولم يوجد له بيت أثاث ) البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة ( تولى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين ) ، وعن البيهقى بثلاثين صاعاً من الشعير ، والترمذى والنسائى والبيهقى عن ابن عباس بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله . وسنده حسن ، ولم يترك ولا درهماً ، مسلم عن عائشة .



ويقال القرض الحسن ألا يعطى على الغفلة ، وإنما يعطى عن شهود .

ويقال القرض الحسن من العلماء<sup>(١)</sup> إذا كان عند ظهر الغنى ، ومن الأكابر إذا كان بشرط الإيثار يعطى ما لا بد منه .

ويقال القرض الحسن من العلماء عن مائتين خمسة<sup>(٢)</sup> ، وعلى لسان القوم بذل الكل ، وزيادة الروح على ما يبذل .

قوله جل ذكره ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

يقبض الصدقة من الأغنياء قبض قبوله ، ويبسط عليهم بسط خلفه .

ويقال يقبض الرزق أى يضيق ، يبسط الرزق أى يوسع ؛ يقبض على الفقراء ليمتحنهم بالصبر ، ويبسط على الأغنياء ليطالبهم بالشكر .

ويقال يقبض تسلياً للفقراء ليطالبهم حتى لا يروا من الأغنياء ، ويبسط لثلاث يتقلدوا المية من الأغنياء .

ويقال قال للأغنياء : إذا أنا قبضت الرزق على الفقراء فلا تدرهم ، وإذا أنا بسطت عليكم فلا تروا ذلك لفضيلة لكم .

ويقال قبض القلوب بإعراضه وبسطها بإقباله .

ويقال القبض لما غلب القلوب من الخوف ، والبسط لما يغلب عليها من الرجاء .

ويقال القبض لقهره والبسط لبره .

ويقال القبض لسره والبسط لكشفه .

ويقال القبض للمريدين والبسط للمُرادين .

ويقال القبض للمتسابقين<sup>(٣)</sup> والبسط للعارفين .

ويقال يقبضك عنك ثم يبسطك به ،

(١) يقصد القشيري بالعلماء - على لسان الشريعة ، وبالأكابر - على لسان الحقيقة .

(٢) يشير بذلك إلى مقدار زكاة المال وهى ربع العشر .

(٣) ربما كانت « السابقين » إشارة إلى قوله تعالى : « السابقون السابقون أم لك المقربون » .

ويقال القبض حقه ، والبسط حظك .

ويقال القبض لمن تولى عن الحق ، والبسط لمن تجلّى له الحق .

ويقال يقبض إذا أشهدك فَعَلَكَ ، ويبسط إذا أشهدك فضله .

ويقال يقبض بذكر العذاب ويبسط بذكر الإيجاب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ

بعد موسى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ ا

لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ؟ ۞

استقبلوا الأمر بالاختيار ، واقرحوا على نبيهم بسؤال الإذن لهم في القتال ، فلما أُجيبوا

إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التسكسل ، وعرجوا في أوطان التجادل والتغافل . ويقال

إنهم أظهروا التصلب والجد في القتال ذَبًّا عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ حَيْثُ :

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞

فلذلك لم يتم قصدهم لأنه لم يَخْلُصْ — لحق الله — عزهم ، ولو أنهم قالوا وما لنا أَلَّا نُقَاتِلَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأنَّهُ قَدْ أَمَرْنَا ، وَأَوْجِبَ عَلَيْنَا ، فَإِنَّهُ سَيَدَنَا وَمَوْلَانَا ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَمْرُهُ —

لَعَلَّهُمْ وَفَّقُوا لِإِتْمَامِ مَا قَصَدُوهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ

الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم  
والله يُؤتي مُلكه من يشاء والله  
واسع عليم ﴿

نسوا حق الاختيار فنظروا إلى الحال بعين الظاهر فاستبعدوا أن يكون طالوت ملكاً  
لأنه (١) كان فقيراً لا مال له ، فبين لهم أن الفضيلة باختيار الحق ، وأنه وإن عديم المال فقد  
زاده الله علماً ففضلكم بعلمه وجسمه ، وقيل أراد أنه محمود خصال النفس ولم يرد عظيم البنية  
فإن في المثل : « فلان اسم بلا جسم » أي ذكر بلا معنى .

قوله جل ذكره : ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن

يأتبكم التابوت فيه سكينة من ربكم  
وبقية مما ترك آل موسى وآل  
هارون تحمله الملائكة إن في ذلك  
لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾

إن الله سبحانه إذا أظهر نوراً أمدّه بتأييد من قبله ، فلما ملك طالوت عليهم أزال الإشكال  
عن صفته بما أظهر من آياته الدالة على صدق قول نبيهم في اختياره ، فردّ عليهم التابوت  
الذي فيه السكينة ، فاتضح لهم آية ملكه ، وأن نبيهم عليه السلام صدّقهم فيما أخبرهم .  
ويقال إن الله تعالى جعل سكينة بني إسرائيل في التابوت الذي رَضُوا عن الألواح ،  
وعصا موسى عليه السلام ، وآثار صاحب نبوتهم . وجعل سكينة هذه الأمة (٢) في قلوبهم ،  
فقال : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » ثم إن التابوت كان تتداوله أيدي الأعداء  
وغيرهم ؛ فمرة كان يُدفن ومرة كان يُغلب عليه فيُجمل ، ومرة يرد ومرة ومرة . . .  
وأما قلوب المؤمنين فحال بين أربابها وبينها ، ولم يستودعها ملكاً ولا نبياً ، ولا سماء  
ولا هواء ، ولا مكاناً ولا شخصاً ، وقال صلى الله عليه وسلم :

(١) وردت (كأنه) وهي خطأ في النسخ .

(٢) يقصد أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

« قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » يعنى فى قبضة الحق سبحانه ،  
وتحت تغليبهِ وتصريفهِ ، والمراد منه « القدرة » ، وشئان بين أمة سكينتهم فيما للأعداء  
عليه تسلط وأمة سكينتهم فيما ليس لخلق عليه سلطان .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ  
إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ  
مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ  
مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾

الإشارة من هذه الآية أن الله سبحانه ابتلى الخلق بصحبة الخلق وبالذنيا والنفس ،  
ومن كانت صحبته مع هذه الأشياء على حد الاضطراب بمقدار القوام ، وما لا يد منه نجا  
وسلم<sup>(١)</sup> ، ومن جاوز حد الاضطراب وانبط في صحبته مع شيء من ذلك من الدنيا والنفس  
والخلق بموجب الشهادة<sup>(٢)</sup> والاختيار — فليس من الله في شيء إن كان ارتكاب محظور ،  
وليس من هذه الطريقة في شيء إن كان على جهة الفضيلة وماله منه بُدٌ .

ثم قال جل ذكره : ﴿ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾

كذلك الخواص فى كل وقت يقل عددهم ولكن يجل قدرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ  
قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ  
وَجُنُودِهِ ﴾

فنظروا إلى الحال بعين الظاهر فدَاخَلَهُمْ شَيْءٌ من رعب البشرية ، فربط الله على قلوبهم  
بما ذكرهم من نصرة الحق سبحانه لأولياته إذا شاء .

---

(١) هذه درجة فى الاعتدال يقسم بها مذهب القشيري ، يوفق بها بين الشريعة والحقيقة فى النظر إلى  
الدنيا والنفس والناس فى عرف أرباب القلوب .  
(٢) أى أن يشهد الدنيا والنفس والخلق فى شيء من الأشياء والواجب أن يشهد الله فى كل شيء ، غير  
أننا لا نستبعد أنها ربما كانت فى الأصل ( الشهوة ) أى أنه ليس من الله فى شيء من ينظر إلى هذه الأمور  
بشهوة واختيار .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ

فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ

اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

لا بهم ولكن بإذن الله ، بمشيئته وعونه ونصرته ، والله مع الصابرين بالنصرة

والتأييد والقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا

أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

كان أهم أمورهم الصبر والوقوف للعدو ، ثم بعده النصر عليهم ، فإن الصبر حق الحق ،

والنصرة نصيبهم ، فقدّموا تحقيق حقه — سبحانه — وتوفيقه لهم ، ثم وجود حظهم من

النصرة ، ثم أشاروا إلى أنهم يطلبون النصر عليهم — لا للانتقام منهم لأجل ما فاتهم من

نصيبهم — ولكن لكونهم كافرين ، أعداء الله .

فقاموا بكل وجهٍ لله بالله ؛ فلذلك نصروا ووجدوا الظفر .

قوله جل ذكره : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ

جَالُوتَ ، وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ

وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ﴾

هَيَّبَ اللَّهُ الْأَعْدَاءَ بِطَالُوتَ لَمَّا زَادَهُ مِنَ الْبَسْطَةِ فِي الْجِسْمِ وَلَكِنْ عِنْدَ الْقِتَالِ جَعَلَ الظَّفَرَ

عَلَى يَدَيْ دَاوُدَ . وَكَانَ كَمَا فِي الْقِصَّةِ رَبْعَ الْقَامَةِ غَيْرَ عَظِيمِ الْجِثَّةِ ، مَخْتَصِرِ الشَّخْصِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ

مِنَ السِّلَاحِ إِلَّا مِقْلَاعٌ ، وَلَكِنَّ الظَّفَرَ كَانَ لَهُ لِأَنَّ نَصْرَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ كَانَتْ مَعَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

فلم يبق منهم أثر ولا عين ، وقتل داود جالوت . وداود بالإضافة إلى جالوت في الضخامة

والجسامة كان بحيث لا تتوهم غلبته إياه ولكن كما قال قائلهم .

استقبلني وسيفه مسلول وقال لي واحدنا معذول<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

لو تظاهر الخلق وتوافقوا بأجمعهم لهلك المستضعفون لغلبة الأقوياء ولكن شغل بعضهم ببعض ليدفع بشاغلهم شرهم عن قوم .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

لم يكن في علمك ولا في وسع احتيالك الوقوف على هذه الغائبات من الكائنات التي سلفت ، وإنما وقفت عليها بتعريف من قبل الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾

جمعهم الرسالة ولكن تباينوا في خصائص التفضيل ، لكل واحد منهم أنوار ، ولأنوارهم مطارج ، فمنهم من هو أعلى نورا ، وأتم من الرفعة وفورا . فلم تكن فضائلهم استحقاقهم على أفعالهم وأحوالهم ، بل حكم بالحسنى أدركهم ، وعاقبة بالجميل تداركهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ .

---

(١) ربما كانت ( معذول ) .



ولكنهم مُصَرَّفُونَ بالمشيئة الأزلية ، ومسلوبون من الاختيار الذى عليه المدار  
وبه الاعتبار . والعبودية شُدُّ نطاق الخدمة وشهود سابق القسمة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ  
وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

يعنى اغتنموا مساعدة الإمكان فى تقديم الإحسان قبل فتور الجَلَدِ واقتضاء الأمل .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَى الْقَيُّومُ ﴾ .

« الله » اسم تفرّد به الحق — سبحانه فلا سميّ له فيه . قال الله تعالى : « هل تعلم له سمياً »  
أى هل تعرف أحداً غيره تسمّى « الله » ؟

من اعتبر فى هذا الاسم الاشتقاق فهو كالمعارض ، فهذا اسم يدل على استحقاق صفات  
الجلال لا على اشتقاق الألفاظ ، فلا يعارض ما لا يعارض فيه من الأقوال .

قوله « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » : إخبار عن نفى النظير والشبيه ، بما استوجب من التقديس  
والتنزيه . ومن تحقق هذه القالة لا يرى ذرّةً من الإثبات بغيره أو من غيره ؛ فلا يرفع إلى  
غيره حاجته ، ولا يشهد من غيره ذرة ، فَيَصْدُقُ إليه انقطاعه ، ويدم لوجوده انفرادّه ،  
فلا يسمع إلا من الله وبالله ، ولا يشهد إلا بالله ، ولا يُقْبَلُ إلا على الله ، ولا يشتغل إلا بالله ،  
فهو محورُ عما سوى الله ، فمآله شكوى ولا دعوى ، ولا يتحرك منه لغيره عرق ، فاذا استوفى  
الحق عبداً لم يَبْقَ للحفظ — البتة — مساع .

ثم إن هذه القالة تقتضى التحقق بها ، والفناء عن الموسومات بجملتها ، والتحقق بأنه  
لا سبيل لخلق إلى وجود الحق — سبحانه ، فلا وصل ولا فصل ولا قُرْبَ ولا بُعْدَ ،  
فإن ذلك أجمع آفات لا تليق بالقَدَمِ .

وقوله « الْحَى الْقَيُّومُ » : التولى لأمر عباده ، القائم بكل حركة ، و ( المحوى )<sup>(١)</sup> ،  
لكل عين وأثر .

(١) وردت هكذا ويحتمل أن تكون فى الأصل إما ( الحى ) لتلازم مع ( الحى ) أو أن تكون  
( المحرى ) أى القائم أو ( القيوم ) على ملكه :

« لا تأخذه سنة ولا نوم » لأنه أحدي لا ترهقه غفلة ، وصمد لا تمسه علة ، وعزيز لا تقاربه قلة ، وجبار لا تميزه عزلة ، وفرد لا تضيه جثة ، ووتر لا تحده جهة ، وقديم لا تلحقه آفة ، وعظيم لا تدركه مسافة .

تَقَدَّسَ مِنْ جِوَالِهِ جِلَالُهُ ، وَجِلَالُهُ جِوَالُهُ ، وَسَنَاؤُهُ بَهَاؤُهُ ، وَبَهَاؤُهُ سَنَاؤُهُ ، وَأَزَلُهُ أَبَدُهُ ، وَأَبَدُهُ سَرْمَدُهُ ، وَسَرْمَدُهُ قَدَمُهُ ، وَقَدَمُهُ وَجُودُهُ

قوله جل ذكره : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾  
مَلِكًا وَإِبْدَاعًا ، وَخَلْقًا ، اخْتِرَاعًا .

﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾  
من ذا الذي يتنفس بنفس ( . م . ) <sup>(١)</sup> إلا بإجرائه ، أو يتوسل إليه من دون إذنه وإبدائه . ومن ظن أنه يتوسل إليه باستحقاق أو عمل ، أو تذلل أو أمل ، أو قرينة أو نسب ، أو علة أو سبب — فالظنُّ وطنه والجهل مآلفه والغلط غايته والبعد قصاره .

قوله جل ذكره : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ .  
لأنه لا يخرج عن علمه معلوم ، ولا يلتبس عليه موجود ولا معدوم .

﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ .

يعنى من معلوماته ، أى تقاصرت العلوم عن الإحاطة بمعلوماته إلا بإذنه .  
فأى طمع لما فى الإحاطة بذاته وحقه ؟ وأنى تجوز الإحاطة عليه وهو لا يقطعه فى عزه أمد ، ولا يدركه حد ؟ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .  
خطاب لهم على قدر فهمهم . وإلا فأى خطرٍ للأكوان عند صفاته ؟  
جلَّ قَدْرُهُ عَنِ التَّعَزُّزِ بِعَرْشٍ أَوْ كُرْسَى ، وَالتَّجَمُّلِ بِجَنٍّ أَوْ إِنْسَى .

---

(١) مشتبهة فى (ص) ويحتمل أن تكون منطوية لزيادتها فهناك شبه علامة على ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا يثوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾  
كيف تُتَعَبُ المخلوقاتُ مَنْ خَلَقَ الذرة والكونَ بِجملته — له سواء ؛ فلا من القليل له  
نَيْسَرٌ ، ولا من الكثير عليه تَعَسَّرٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾

فإن الحجج لأئمة ، والبراهين ظاهرة واضحة .

﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾

وامتاز الليل بظلامه عن النهار بضياءه ، والحقوق الأزلية معلومة ، والحدود الأولية معلولة  
فهذا بنعت القدم وهذا بوصف العدم .

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾

وطاغوت كل واحد ما يشغله عن ربه

﴿ ويؤمن بالله ﴾

والإيمان حياة القلب بالله

﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾

الاستمسك بالعروة الوثقى الوقوف عند الأمر والنهي ، وهو سلوك طريق المصطفى  
صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

﴿ لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾

فمن تحقق بها سرّاً ، وتعلّق بها جهراً فاز في الدارين وسعيد في السكونين .

قوله جل ذكره : ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾

الولي بمعنى المتولى لأموالهم ، والمتفرد بإصلاح شئونهم ، ويصح أن يكون الولي على وزن  
فعليل في معنى للمفعول فالمؤمنون يقولون<sup>(١)</sup> طاعته . وكلاهما حق : فالأول جمع والثاني فرق ،

---

(١) أخطأ الناسخ فكتبها ( يقولون ) بالقاف ورجح أنها ( يتولون ) بالتاء .

وكلُّ جمعٍ لا يكون مقيداً بفرقٍ وكلُّ فرقٍ لا يكون مؤيداً بجمعٍ فذلك خطأ وصاحبه مبطل<sup>(١)</sup>  
والآية تُفكّلُ عليهما جميعاً .

﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾  
يعنى بحكمه الأزلى صانهم عن الظلمات التى هى الضلال والبدع ، لأنهم<sup>(٢)</sup> ما كانوا فى الظلمات  
فقط فى سابق علمه .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾

ما استهوواهم من دواعى الكفر

﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾  
بإسنيلاء الشُّبَّةِ على قلوبهم ، فيجحدون الربوبية ، أولئك الذين بقوا عن الحق بقاء أبدياً .  
ويقال يخرجهم من ظلمات تدبيرهم إلى سعة شهود تقديره .  
ويقال يخرجهم من ظلمات ظنونهم أنهم يتوسلون أو يصلون إليه بشيء من  
سكناتهم وحركاتهم .  
ويقال يخرجهم من ظلماتهم بأن يرفع عنهم ظلّ أنفسهم ويدخلهم فى ظلّ عنايته .  
ويقال يخلصهم عن حسابان النجاة بهم .  
ويقال يحول بينهم وبين الاعتماد على أعمالهم والاستناد إلى أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ  
أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّىَ الَّذِى يَحْبِبُّ وَيَمِيتُ قَالُ أَنَا أَحِبُّ  
وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى

---

(١) يقصد القشبرى من ذلك أن الفرقى ضرورى وهام ، إذ ينسق للعبد خلاله أن يؤدى ماعليه من  
فرائض ، وهذا ركن أساسى فى مذهب القشبرى وغيره من الشيوخ الثقات .  
(٢) سقطت (ما) والمعنى يتطلّبها .

بالشمس من المشرق قَاتِرِهَا مِنْ  
المغرب فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \*

عَجَّلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ لِأَعْدَائِهِ عِقَابَهُ الْفَرَقَةُ قَبْلَ أَنْ يَعْاقِبَهُمُ بِالْحَرَقَةِ ، وَهَذِهِ الْعِقَابَةُ أَشَدُّ  
أَثَرًا فِي التَّحْقِيقِ — لَوْ كَانَتْ لَمْ عَيْنُ الْبَصِيرَةِ . وَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
انْتَقَلَ مَعَ الْعَدُوِّ الْعَيْنِ مِنَ الْحُجَّةِ الصَّحِيحَةِ إِلَى أُخْرَى ، أَوْضَحَ مِنْهَا — لَا لِخَلْقٍ فِي الْحُجَّةِ —  
وَلَكِنْ لِقَصُورٍ فِي فَهْمِ الْكَافِرِ ، وَمَحْكُوثٍ مَنْ سُدَّتْ بَصَائِرُهُ عَنِ التَّحْقِيقِ تَضْيِيعُ الْوَقْتِ بِلَا فَائِدَةٍ  
تُجْدِي ، لَا بِمَقْدَارٍ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ : أَتَىٰ يَمِجِّي هَٰذِهِ  
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ  
عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ :  
لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ : بَلْ  
لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ  
وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ  
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَىٰ  
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا  
لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ  
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَوْأَلِ جَحْدٍ ، وَلَا قَضِيَّةَ جَهْلِ ، وَلَا دَلَالَةَ شَكٍّ فِي الْقُدْرَةِ ، فَإِنْ هَذَا الْخَبَرُ  
عَنْ عَزِيزِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الشُّكُّ وَالْجَهْلُ ، وَلَكِنَّهُ  
كَانَ سَوْأَلُ تَعْجُوبٍ ، وَأَرَادَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ زِيَادَةَ الْيَقِينِ ، فَأَرَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، بِأَنَّ أَمَاتَهُ

ثم أحياء ثم بعث حماره وهو ينظر إليه ، فازداد يقيناً على يقين . وسؤالُ اليقين من الله ، والحيلةُ في ردِّ الخواطر المشككة ، دَيِّنَ المتعرفين ، ولذلك ( . . . . ) <sup>(١)</sup> الله سبحانه عزيراً في هذه المقالة حتى قدَّر عليه ما طلب من زيادة اليقين فيه . ثم قال « واعلم أن الله على كل شيء قدير » من الإحياء والإماتة أى ازدادت معرفة بذلك ، وأراني من عظيم الآيات ما ازداد به يقيناً ، فإنَّ طعامه وشرابه لم يتغيرا في طول تلك المدة ، وحماره مات بلا عظام . والطعام والشراب بالتغير أولى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بلى ، ولكن ليطمئنَّ قلبي . قال : فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعيّاً ، واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ .

قليل كان في طلب في زيادة اليقين ، فأراد أن يقرن حق اليقين بما كان له حاصلًا من عين اليقين <sup>(٢)</sup> .

وقيل استجلب خطابه بهذه المقالة إلى قوله سبحانه : « أو لم تؤمن قال بلى » كنت أو من ولكنني اشتقتُ إل قولك لي أو لم تؤمن ، فإن بقولك لي « أو لم تؤمن » تطميناً لقلبي . والمحِبُّ أبداً يجتهد في أن يجد خطاب حبيبه على أى وجه أمكنه . .

(١) مشقبة .

(٢) من أقوال القشيري التي تتناثر في كتبه نجد أنه ينظر للمعرفة على أنها ثلاث درجات .

١ — عقلية ونورها البرهان أو علم اليقين .

٢ — قلبية ونورها البيان أو عين اليقين :

٣ — كشفية ونورها العرفان أو حق اليقين ،

ويقول : ( علم اليقين كالنجوم يطلع عليها بدر عين اليقين ، ولكن كل الأنوار تنبهد أمام شمس

حق اليقين ) .

اللطائف — التعبير في التذكير ص ٧٠ — الرسالة ص ٤٣ ؛ ٤٤ والواقع أن القشيري ألزم بهذا

الترتيب التزاماً دقيقاً ولم يتغل عنه في كل ما كتب .



وقيل إنه طلب رؤية الحق سبحانه ولكن بالرمز والإشارة فَمُنِعَ منها بالإشارة بقوله «واعلم أن الله عزيز حكيم» . وإن موسى — عليه السلام — لما سأل الرؤية جهرًا وقال : «رب أرني أنظر إليك» فرُدَّ بالجهر صريحًا وقيل له «لن تراني» .

وقيل إنما طلب حياة قلبه فأشير إليه بأن ذلك بذبح هذه الطيور ، وفي الطيور الأربعة طاووس ، والإشارة إلى ذبحه تعنى زينة الدنيا ، وزهرتها ، والغراب لحرصه ، والديك لمشيته ، والبط لطلبه لرزقه .

ولما قال إبراهيم عليه السلام : أرني كيف تمحي الموتى ؟ قيل له : وأرني كيف تدبج الحي ؟ يعنى إسماعيل ، مطالبة بمطالبة . فلما وفى بما طوب به وفى الحق سبحانه بحكم ما طلب .  
وقيل كان تحت ميعاد من الحق — سبحانه — أن يتخذ خليلاً ، وأما ذلك إحياء الموتى على يده ، فخرى ما جرى .

ووصل بين<sup>(١)</sup> قصة الخليل صلى الله عليه وسلم فيما أراه وأظهره على يده من إحياء الموتى وبين عزير إذ أراه فى نفسه ؛ لأن الخليل يرجح على عزير فى السؤال وفى الحال ، فإن إبراهيم — عليه السلام — لم يرد عليه فى شيء ولكنه تَلَطَّفَ فى السؤال ، وعزير كلمه كلام من يشبه قوله قول المستبعد ، فأراد الحق أن يظهر له أقوى معجزة وأتم دلالة حيث أظهر إحياء الموتى على يده حين التبس على نمرود ما قال إبراهيم — عليه السلام — ربى الذى يحيى ويميت ، فقال «أنا أحيى وأميت» أراد إبراهيم أن يرى الله سبحانه إحياء الموتى ليعلم أنه ليس هو الذى ادعى .

وفى هاتين الآيتين رخصة لمن طلب زيادة اليقين من الله سبحانه وتعالى فى حال النظر<sup>(٢)</sup> .

ويقال إن إبراهيم أراد إحياء القلب بنور الوصلة بحكم التمام ، فقيل له : «أو لم تؤمن» يعنى أما تذكر حال طلبك إيانا حين كنت تقول لكل شيء رأيت «هذا ربى» فلم تدرك كيف بلغناك إلى هذه الغاية ، فكذلك يوصلك إلى ما سمت إليه همته .

(١) جميل من القشدي أن يوضح التماسك والالتصاف فى السياق القرآنى بين قصة وقصة .

(٢) خصوصاً فى مرحلة البداية من أجل تصحيح الإيمان .

والإشارة من هذا أن حياة القلب لا تكون إلا بذبح هذه الأشياء يعنى النفس ؛ فمن لم يذبح نفسه بالمجاهدات لم يحى قلبه بالله .

وفيه إشارة أيضاً وهو أنه قال قطع بيدك هذه الطيور ، وفرق أجزاءها ، ثم ادعهن يأتينك سعيًا ، فما كان مذبحاً بيد صاحب الخلعة ، مقطعاً مفرقاً بيده — فإذا ناداه استجاب له كل جزء مفرق . . كذلك الذى فرق الحق وشتته فإذا ناداه استجاب :

ولو أن فوق تربة ودعوتني لأجبت صوتك ، والعظام رفأت

قوله جل ذكره : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل

الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل

فى كل سنبل مائة حبة والله يضاعف

لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ .

فالخلف لهم الجنة ، والذين ينفقون أرواحهم فى سبيل الله فالخلف عنهم الحق سبحانه ،

وشتان بين خلف من أنفق ماله فوجد مثوبته ، ومن أنفق حاله فوجد قربته ؛ فالإنفاق المال

فى سبيله بالصدقة ، والإنفاق الأحوال فى سبيله بملازمة الصدق ، وبنى كل حظ ونصيب ، فترضى

لجريان حكمه عليك من غير تعيس القلب ، قال قائلهم :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

والإنفاق على ضربين : إنفاق العابدين وإنفاق الواجدين . أما العابدون فإذا أنفقوا

حبة ضاعف لهم سبعين إلى ما ليس فيه حساب ، وأما الواجدون فكما قيل :

فلا حسن نأتى به يقبلونه ولا إن أسأنا كان عندهم محو

قوله جل ذكره : ﴿ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله

ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى

لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف

عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

المن شهود ما تفعله ، والأذى تذكريك — لمن أحسنت إليه — إحسانك .

ويقال ينفقون ما ينفقون ثم لا يشهدون ألبتة أفعالهم ولا أعمالهم .

ويقال كيف يمنون بشيء تستعذرونه وتستحقونه .

ويقال لا يمنون بفعلهم بل يشهدون المنّة لله بتوفيق ذلك عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من

صدقةٍ يتبعها أذىٌ والله غنيٌ حلِيمٌ ﴾

يعنى قولٌ — للفقير المجرد — يرد به من تعرض له بإظهار العذر خير وأتم من صدقة المعجب بفعله ، وما يتبع من إلزام المنّة فيه .

ويقال إقرار منك مع الله بعجزك وجُرمك ، وغفران الله لك على تلك القالة — خيرٌ من صدقةٍ بالمنّ مشوبة ، وبالأذى مصحوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم

بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله رِثاء

الناسِ ولا يثربن بالله واليوم الآخر

فمَثَلُهُ كمثلِ صفوانٍ عليه ترابٌ

فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون

على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي

القوم الكافرين ﴾ .

إنما يُحمَلُ جميلُ المنّة من الحق سبحانه ، فأما من الخلق فليس لأحد على غيره منّة ، فإنّ تحل المنّ من المخلوقين أعظم محنة ، وشهود المنّة من الله أعظم نعمة ، قال قائلهم :

ليس إجلالك الكبار بذلٌ إنما الذلُّ أن تُجِلَّ الصغارا

ويقال أفقر الخلق مَنْ ظنَّ نفسه مويراً فيبين له إفلاسه ، كذلك أقل الخلق قدراً مَنْ ظنَّ أنه على شيءٍ فيبدو له من الله ما لم يكن يحسبه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ  
 مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ  
 كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ  
 فَآتَتْ أُكُوفَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا  
 وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \*  
 أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ  
 مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ  
 وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ  
 فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ،  
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ  
 لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

هذه آيات كثيرة ذكرها الله تعالى على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق : لمن أنفق  
 في سبيل الله ، ولمن أنفق ماله في الباطل ؛ فهؤلاء يحصل لهم الشرف والخلف ، وهؤلاء  
 لا يحصل لهم في الحال إلا الرد ، وفي المال<sup>(١)</sup> إلا التلف . وهؤلاء ظلّ سعيهم مشكوراً ،  
 وهؤلاء يدعون ثبورا ويصنّون سعيّاً هؤلاء تزكو أعمالهم وتنمو أموالهم وتعلو عند الله  
 أحوالهم وتكون الوصلة مآلهم ، وهؤلاء حبّطت أعمالهم وخسرت أحوالهم وختم بالسوء آمالهم  
 ويضاعف عليهم وبآلهم .

ويقال مثلاً هؤلاء كالذي أنبت زرعاً فزكا أصله ونما<sup>(٢)</sup> فصله ، وعلا فرعُه وكثر  
 نفعُه . ومثلاً هؤلاء كالذي خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاعت — على كبره<sup>(٣)</sup> —

(١) وردت ( المال ) والصحيح أنها ( المآل ) على عادة القشيري في المقابلة بين ما يحدث في الدنيا  
 وفي الآخرة ؛ بين الحال والمآل .

(٢) وردت ( نماء ) والصحيح أنها قل ( نما ) ليسجم التركيب الداخلي للأسلوب .

(٣) إشارة إلى ما في الآية : ( وأصابه الكبر ) .

حيلته وتواترت من كل وجه وفي كل وقت محنته . . . . هل يستويان مثلاً ؟ وهل يتقاربان شَبَهاً ؟

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَسَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

لينظر كل واحد ما الذي ينفقه لأجل نفسه ، وما الذي يخرج به بأمر ربه . والذي يخرج عليك من ديوانك : فما كان لحظك فنفائس ملكك ، وما كان لربك فخصائص مالك الذي لله ( فاللَّيْمَةُ لُغْمَتُهُ )<sup>(١)</sup> ، والذي لأجلك فأكثرها قيمة وأكملها نعمة .

ثم أبصر كيف يستر عليك بل كيف يقبله منك بل أبصر كيف يعوضك عليه ، بل أبصر كيف يقبله منك ، بل أبصر كيف يمدحك بل أبصر كيف ينسبه إليك ، الكل منه فضلاً لكنه ينسبه إليك فعلاً<sup>(٢)</sup> ، ثم يؤني عليك عطاءه ويسمى العطاء جزاءً ، يوصحك بتوفيقه برّاً ، ثم يملأ العالم منك شكرياً .

قوله جل ذكره : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

يَعِدُ الشَّيْطَانُ الْفَقْرَ لَفَقْرِهِ ، وَاللَّهُ يَعِدُ الْمَغْفِرَةَ لِكَرَمِهِ .

---

(١) وردت هكذا ( فلغمته لغمته ) ويحتمل ان تكون كما أثبتنا ، أو أن تكون فالقيمة لغيمته بدليل ما بعدها .

(٢) تأمل كيف يرى القشيري قيمة العمل الإنساني : إنه على الحقيقة فضل من الله ولكن من الناحية النسبية فعل للانسان . . . وهذه مسألة هامة تتفرع عنها قضايا كلامية كثيرة يختلف فيها عن المعتزلة .

الشیطانُ یعدمُ الفقرَ فیشیرُ علیکم بإحرازِ المعلوم ، ویقالُ یشیرُ علیکم — بطاعته — بالحرص ؛ ولا فقرَ فوقه .

یعدمُ الفقرُ بالإحالة علی تدبیرکم واختیارکم .

یعدمُ الفقرُ بنسیانِ ما تَعَوَّدْتُمُوهُ من فضله — سبحانه<sup>(١)</sup> .

ویقالُ یعدمُ الفقرُ بأنه لا یزیدُ شکایتک .

ویقالُ یعدمُ الفقرُ بتعلیقِ قلبک بما لا محتاجُ إلیه .

ویقالُ بالنلیسِ علیک رؤیة کفایتہ .

« ویأمرکم بالفحشاء » أی الرغبة فی الدنیا ، ویقالُ بالأسباب التي تقوی الحرص ، ویقالُ بکثرة الأمل ونسیانِ القناعة ، ویقالُ بمناجاة الشهوات ، ویقالُ بإیثار الحظوظ ، ویقالُ بالنظر إلی غیره ، ویقالُ بإخطار شیءٍ سواه ببالك .

ویقالُ بالانحطاط إلی أوطان الرُّخص والتأویلات بعد وضوح الحق .

ویقالُ بالرجوع إلی ما ترکته لله

« والله یعدمُ مغفرة منه وفضلاً » : الفضل الموعود — فی العاجل — القناعة ، وفی الآجل الثواب والجنان والرؤیة والرضوان و ( . . . . )<sup>(٢)</sup> والغفران .

ویقالُ فی العاجل الظفر بالنفس ، ویقالُ فتح باب العرفان ، ونشر بساط القرب ، والتلقى لمکاشفات الأُنس .

قوله جل ذکره : ﴿ یؤتی الحکمة من یشاء ومن یؤتِ

الحکمة فقد أوتی خیراً کثیراً

وما ینذکر إلا أولوا الألباب ﴾

(١) أضفنا ( سبحانه ) لیمتنع اللبس وهی غیر موجودة فی (س) .

(٢) هنا لفظة مشتبهة أقرب ما تكون إلی ( العفو ) ولکننا آثرنا عدم إثباتها فی النص لعدم التأکید .



الحكمة : يحكم عليكم خاطرُ الحقِّ لا داعى النفس ، ونحكم عليكم قواهر الحق لا زواجر الشيطان .

ويقال الحكمة صواب الأمور .

ويقال هي ألا تحكم عليك رعونات البشرية .

( ومن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره )<sup>(١)</sup> .

ويقال الحكمة موافقة أمر الله تعالى ، والسفاهة مخالفة أمره .

ويقال الحكمة شهود الحق والسفاهة شهود الغير

قوله جل ذكره : ﴿ وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذرتم من

نذرٍ فإن الله يعلمه وما للظالمين

من أنصارٍ ﴾

قوم توعدهم بعقوبته ، وآخرون توعدهم بعثوبته .. وآخرون توعدهم بعلمه ، فهؤلاء العوام<sup>(٢)</sup>

وهؤلاء الخواص . قال تعالى : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » فلا شيء يوجب سقوط

العبد من عين الله كمخالفته لهوده معه بقلبه ، فليحذر المرید من إزلال<sup>(٣)</sup> نفسه في ذلك

غاية الحذر .

قوله جل ذكره : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعىّا هي ،

وإن تُخفوها وتؤتوها الفقراء فهو

خيرٌ لكم ، ويكفر عنكم من

سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير ﴾

---

(١) ربما وقع الناسخ في خطأ حين وضع هذه الجملة في هذا المكان ، والأقرب أن تكون بعد كلمة

( زواجر الشيطان ) فنحن نعرف من مذهب القشيري أنه يرى أن الشيطان لا يملك أن يفرى الخلق

( لأنه لو كان قادراً على ذلك لكان يمسك على الهداية نفسه ، ومن عجز أن يحافظ على نفسه كان في إغراء غيره أشد عجزاً ) قال تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » .

(٢) العوام هنا تنصرف إلى الموعودين بالثوبة والمتوعددين بالعقوبة .

(٣) ( إزلال ) بالزاي معناها الايقاع في الزلة والتسبب في ارتكابها ، أوضحناها حتى لا نلتبس

( بإذلال ) ومع ذلك فيمكن قبول ( إذلال ) بالذال إذا فهمنا أن سقوط العبد من عين الله هو ( ذلة ) لنفسه .

إِنْ أَظْهَرْتَ صَحْبَتَكَ معنا وأعلنتَ فلقد جَوَّدْتَ وأحسنْتَ ، وإنْ حَفَظْتَ سِرَّنَا عن دخول الوسائط بيننا صُنَّتْ شروط الوِزَاد ، وشيَّدت من بناء الوصلة العَهاد .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ، وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

لَكَ المَقَامُ المَحْمُودُ ، والوَاءُ المَعْقُودُ ، والرتب الشريفة ، والمنازل العلية ، والسنن للرضية . وأنت سيد الأولين والآخرين ، ولا يدانيك أحدٌ — فضلاً عن أن يساميك ، ولكن ليس عليك هدام فالهداية من خصائص حقنا ، وليس للأغيار منه شظية . يا محمد : أنت تدعوهم ولكن نحن نهديهم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفِفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسَبَاهِمَ ، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْلَافًا ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

أخذ عليهم سلطان الحقيقة كل طريقٍ ، فلا هم في الشرق مذهب ، ولا هم في الغرب مضرب . كيفما نظروا رأوا سرادقات التوحيد محدقة بهم :

كَأَنَّ فُجَاجَ الْأَرْضِ ضَاقَتْ بِرَحْبِهَا عَلَيْهِمْ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

---

(١) من هذه الفقرة يتضح موقف التصوف الإسلامى الحق في نظرتة إلى الرسول صلوات الله عليه وليس في الأمر - كما نرى - جوحٌ أو شطط ( قارن ذلك بنظرة ابن عربى وثلامية ) .

ولا يسلم لهم نفس مع الخلق ، وأننى بذلك ولا خلق ١١ وإذا لم يكن فإثبات ما ليس  
شركاً (سقا) (١) في التوحيد .

والفقير الصادق واقف مع الله بالله ، لا إشراف للأجانب عليه ، ولا سبيل لمخلوق إليه  
تنظره عين الأغيار في لبسة سوى ما هو به ؛ قال تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » ،  
فأما من كان ذا بصيرة فلا إشكال عليه في شيء من أحوالهم . تعرفهم يا محمد — أنت —  
بسيامهم ، فليست تلك السياء مما يلوح للبصر ولكنها سياء تدركها البصيرة . لا إشراف عليهم  
إلا بنور الأحدية .

ويقال « تعرفهم بسيامهم » : استبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم ، وصياح أسرارهم إلى  
العرش ( نشاطاً عنه ) عند قبول ظاهرهم عن الانتعاش (٢) .

ويقال تكسر الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس من هذه لا يسألون الناس إلحافاً ،  
فإن جرى منهم من الخلق بدون الإلحاف سؤال — لما يشير إليه دليل الخطاب — فذلك  
صيانة لهم وأسر قصتهم ، لئلا يلاحظهم الخلق بعين السؤال ، وليس على سرهم ذرة من  
الإثبات للأغيار (٣) .

ويقال : « أخصروا في سبيل الله » : وقفوا على حكم الله ، وأخصروا نفوسهم على طاعته  
وقلوبهم على معرفته ، وأرواحهم على محبته ، وأسرارهم على رؤيته .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار  
سراً وعلانية فلم أجرم عند ربهم  
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

مادام لهم مال لا يفترون ساعة عن إنفاقه ليلاً ونهاراً ، فإذا نفذ المال لا يفترون عن شهوده  
لحظة ليلاً ونهاراً .

(١) مشتبهة وقد أثرنا أن ننقلها كما هي وربما كانت (سقا) أى علة في التوحيد .

(٢) العبارة فيها شيء من غموض نتيجة اشتباه ما بين القوسين ولكن المراد — والله أعلم — أنه بينما  
يبدو ظواهرهم ذابلة بحكم التواضع والانكسار فإن أسرارهم جادة في التسبيح من حول العرش .

(٣) هنا يبدو التشيرى متأثراً بتعاليم أهل الملامة النيسابورية .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ

إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ

مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ

مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحْلَىٰ لِلَّهِ الْبَيْعُ وَحَرْمٌ

الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ

فَاتَّهَىٰ فَلَهُ مَاسِلٌ ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ

وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْأَمْرِ ، وَرَخَّصَ لِنَفْسِهِ بِمَا يَسْأَلُهُ لَهُ خَاطِرُهُ مِنَ التَّأْوِيلِ فَلَا اسْتِقْلَالَ لَهُمْ  
فِي الْحَالِ وَلَا اتِّعَاشَ فِي الْمَالِ ، خَسِرُوا فِي عَاجِلِهِمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا فِي آجِلِهِمْ .

وَمَنْ اتَّبَعَ بِزَوَاجِرِ الْوَعْظِ ، وَكَبَّحَ لِحَاظِ الْهَوَى ، وَلَمْ يُطْلِقْ عَنَانَ الْإِصْرَانِ فَلَهُ الْإِمْهَالُ  
فِي الْحَالِ ، فَإِنْ عَادَ إِلَى مَذْمُومِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ فَلْيَنْتَظِرْ وَأَوْشَكَ الْاِسْتِصْالَ وَفَجَاءَهُ النَّكَالُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَتَحَقَّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرَبِّي الصَّدَقَاتِ

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿

مَا كَانَ بِإِذْنٍ مِنْهُ —سُبْحَانَهُ— مِنَ التَّنَصُّفَاتِ فَفَقِرُوا بِالْخَيْرَاتِ ، وَمَصْحُوبٌ بِالْبَرَكَاتِ .

وَمَا كَانَ بِمُتَابَعَةِ الْهَوَى يُسَلِّطَ عَلَيْهِ الْحَقَّ ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ الْخُسْرَانُ

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرٌ

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿

إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا لَنَا يَكْفِيهِمْ مَا يَجِدُونَ مِنَّا ، لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا

مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿

الاكتفاء بموعد الرب خيرٌ للمسلم من تعليق قلبه بمقصود نفسه .

ومقصودك من تسويات النفس ، وموعدك مما ضمنه الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

إن صاحب الإصرار ليس له عندنا وزن ولا مقدار ، ولا قدرٌ ولا أخطار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى

مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

إذا تقرر عند القاضي إفلاس المحبوس فلا تحل له استدامة حبسه ، وإن ظهرت لدى الحق

حجة المفلس فذلك مرتين بحق خصمه ، ولكنه في إهمال وإنظار . والرب لا يحكم بهذاعليتنا ،

فعلمه بإعسارنا وعجزنا ، وصدق افتقارنا إليه وانقطاعنا له — يرحمنا .

قوله « إلى ميسرة » : ليس للفقير المفلس وجه يحصل له منه شيء إلا من حيث ما جعل

الله سبحانه من سهم الغارمين ، فأما من جهة الغلات فالغلة تدخل من رقاب الأموال والعقود ..

وأنتى للمفلس به ١٩

وأما الربح في التجارة من تقليب رأس المال والتصرف فيه .. فأنتى للمفلس به ١٩

ما بقي للمفلس إلا قول من قال من الفقهاء ( . . . . . )<sup>(١)</sup> وإن كان ضيقاً ،

فذلك لمن بقيت له مئة الحراك أما للمفلس عن قوته — كما هو مفلس عن ماله — ما بقي له وجه

إلا ما يسبب له مولاه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

(١) هنا عبارة مطبوعة .

الرجوع على ضربين : بالأبشار والنفوس غداً عند التوفى ، وبالأسرار والقلوب فى كل نفسٍ محاسبة ؛ نقدٌ ووعد ، فنقدٌ مطالبته أحقُّ بما سيكون فى القيامة من وعده .

وقال للموام : « واتقوا يوماً » وقال للخواص : « وإياى فاتقون »

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ

أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ

وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ

رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ

كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ ضَعِيفًا

أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ

فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ، وَاسْتَشْهِدُوا

شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ إِمَّا تَرْضَوْنَ

مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ

إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ

إِذَا مَا دُعُوا ، وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ

ذَلِكَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ

وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ

تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ،

وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ، وَلَا يُضَارَّ

كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ

فُسُوقٌ بَكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ



الله ، والله بكل شيء عليم \* وإن  
كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كتاباً  
فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم  
بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي آوَتْهُنَّ أَمَانَتَهُ  
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْنُومُوا  
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ  
قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .

أمر الله سبحانه الخلق بالقيام بالصدق ، وعلمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم ، والأخذ  
بالاحتياط والاستشهاد لئلا يُجرى — بعضهم على بعض — حيفاً ، وذلك من مقتضى رحمته  
سبحانه عليهم ، وموجب رفقته بهم كيلا يتخاصموا . فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة  
والإشهاد ، وأمر الشهود بالتحمل ثم بالإقامة .

ومن شرع اليوم ما يقطع الخصومة بينهم فبالحرى أن يجري ما يرفع في الآخرة آثار  
الخصومة<sup>(١)</sup> بينهم ، وفي الخبر المنقول : تواهبا فيما بينكم فقد وهبت منكم مالى عليكم ،  
فإن الكريم إذا قدر غفر .

وفما شرع من الدين<sup>(٢)</sup> رفق بأرباب الحاجات ، لأن الحاجة تمس فيحمله الحال على  
الاحتياط ، ويضيق به الصدر عن الاحتمال ، ويمنعه حفظ التجميل عن الكدية والسؤال ، فأذن  
له في الاستدانة ليَجْبُرَ أمره في الحال ، وينتظر فضل الله في المال ، وقد وعد على الإداة  
الثواب الكثير ، وذلك من لطفه تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وإن تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُوا  
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ

(١) وردت (الحكومة) ونظن أنها خطأ في النسخ وأن الأصل (الخصومة) .

(٢) ضبطناها هكذا وذلك هو الملائم للسياق .

ويعذب من يشاء والله على كل شيء  
قدير .

من للمعاني والدعاوى ، ويقال من القصور والرغائب ، وفنون الحوائج والمطالب .

ويقال ما « تبديه » : العبادة ، « وما تخفيه » : الإرادة .

ويقال ما « تخفيه » : الخطرات و « ماتبديه » : « العبارات » .

ويقال ما « تخفيه » : السكنات والحركات<sup>(١)</sup>

ويقال الإشارة فيه إلى استدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة ، فلا تغفل<sup>(٢)</sup> خطرة  
ولا تحمل وقتك نفساً<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ  
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ  
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ  
مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

هذه شهادة الحق — سبحانه — لنبيه — صلى الله عليه وسلم وعلى آله — بالإيمان ،  
وذلك أتم له من إخباره عن نفسه بشهادته .

ويقال آمَنَ الخلق كلهم من حيث البرهان وآمن الرسول — عليه السلام —  
من حيث العيان .

ويقال آمَنَ الخلق بالوسائط وآمن محمد — صلى الله عليه وسلم — بغير واسطة .

---

(١) ربما كانت في الأصل « تخفيه » السكنات « وتبديه » الحركات وسقطت تبديه من النسخ .  
(٢) وردت ( تغفل ) وربما صحت على أساس أن تغفل ( بمعنى تجلس ) أو بمعنى استخدام العقل ، وهو  
في هذه الحالة آفة تعترض الفناء الكامل .  
(٣) ضبطناها هكذا لأن الانتباه إلى ( النفس ) أمانة عدم اكتمال الفناء .

ويقال هذا خطاب الحق معه ليلة المعراج على جهة تعظيم القدر فقال « آمن الرسول » ،  
ولم يقل آمنت ، كما تقول لعظيم الشأن من الناس : قال الشيخ ، وأنت تريد قلت .  
ويقال آمن الرسول والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولكن شتان بين  
إيمان وإيمان ، الكل آمنوا استدلالاً ، وأنت يا محمد آمنت وصلاً .

قوله جل ذكره ﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾  
لكمال رحمته بهم وقهم على حد وسعهم ودون ذلك بكثير ، كل ذلك رفق منه وفضل .  
﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾

من الخيرات .

﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

ما تكسبه من التوبة التي تنجى من كسب (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ  
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا  
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

كان إذا وقعت حاجة كلموه بلسان الوسطة . قالوا « يا موسى ادع لنا ربك » وهذه  
الامة قال لهم : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » .

وكانت الامم (السالفة) (٢) إذا أذنبوا احتاجوا إلى مضي مدة لقبول التوبة ، وفي هذه  
الامة قال صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » .

وكانت الامم السالفة منهم من قال اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، وهذه الامة اختصت بإشراق  
أنوار توحيدهم ، وخصائضهم أكثر من أن يأتي عليه الشرح .

---

(١) قد يبدو للوهلة الأولى ان القشيري في استخراج إشارته من ( لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت )  
يتجه إنجازاً بخالفاً للتفسير التقليدي ، ولكن الواقع ان إشارة القشيري مرتبطة بمذهبه في أن الله خالق  
كل شيء حتى أفعال العباد ، فهو خالق التوبة وحين يتقبلها تعود (على) العبد ، انظر مثلاً تفسيره ( ويتوب  
عليكم ) من سورة النساء .. من هذا الكتاب ) .

(٢) ( السالفة ) موجودة في الهوامش فأنتنناها في موضعها من المتن .

قوله جل ذكره : ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾

في الحال

﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾

في المآل

﴿وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

في جميع الأحوال إذ ليس لنا أحد سواك ، فأنت مولانا فاجعل النصر لنا على ما يشغلنا عنك .

ولما قالوا « ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » خَسَفَ الله ذنوبهم بدل خسف المتقدمين ، فأبدل ذنوبهم حسنات بدل مسخهم ، وأمطر عليهم الرحمة بدل ما أمطر على المتقدمين من الحجارة .

والحمد لله رب العالمين .

## السورة التي بذكر فيها آل عمران

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

اختلف أهل التحقيق في اسم « الله » هل هو مشتق من معنى أم لا ؟ فكثير منهم قالوا إنه ليس بمشتق من معنى ، وهو له سبحانه على جهة الاختصاص<sup>(١)</sup> ، يجري في وضعه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره ، فاذا قرع بهذا اللفظ أسماء أهل المعرفة لم تذهب فهمهم ولا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه وحقه . وحق هذه القالة أن تكون مقرونة بشهود القلب فاذا قال بلسانه « الله » أو سمع بأذانه شهد بقلبه « الله » .

وكما لا تدل هذه الكلمة على معنى سوى « الله » لا يكون مشهوداً قائلها إلا « الله » فيقول بلسانه « الله » ، ويعلم بفؤاده « الله » ، ويعرف بقلبه « الله » ، ويحب بروحه « الله » ،

---

(١) وردت (الاقتصاص) .

ويشهد بسرّه « الله » ، وينمق<sup>(١)</sup> بظاهره بين يدي الله ، ويتحقق بسرّه الله ، ويخلو بأحواله الله وفي الله ؛ فلا يكون فيه نصيب لغير الله ، وإذا أشرف على أن يصير محوّا في الله بالله تداركه الحق سبحانه برحمته فيكاشفه بقوله<sup>(٢)</sup> الرحمن الرحيم استبقاء لمهجّتهم أن تتلف ، وإرادة في قلوبهم أن تنق ؛ فالتلف سنة منه سبحانه لثلا يفنى أولياؤه بالسكينة .

قوله جل ذكره : ﴿الم \* الله﴾

أشار بقوله ألف إلى قيامه بكفايتك على عموم أحوالك ، فأنت في أسر الغفلة لا تهتدي إلى صلاحك ورشدك ، وهو بحر ما يجبرك ، وكاف بما ينصرّك ، فبغير سؤالك — بل بغير علمك بحالك — يكفيك من حيث لا تشعّر ، ويعطيك من غير أن تطلب .

والإشارة من اللام إلى لطفه بك في خفي السرّ حتى أنه لا يظهر عليك محل المنة فيما يشبك فيه . والإشارة من الميم لمواقفة جريان التقدير بمنعقات الطلّبة من الأولياء ، فلا يتحرك في العالم شيء ، ولا تظهر ذرة إلا وهو بمحل الرضا منهم حتى أن قائلاً لو قال في قوله : « كل يوم هو في شأن » إن ذلك الشأن تحقيق مراد الأولياء — لم يكن ذلك بعيد .

ويقال تفرّق عن القلوب — باستماع هذه الحروف المقطعة التي هي خلاف عادة الناس في التخاطب — كل معلوم ومرسوم ، ومعتاد وموهوم ، من ضرورة أو حسن أو اجتهاد ، حتى إذا خلت القلوب عن الموهومات والمعلومات ، وصنّى الأسرار عن المعنادات والمعهودات يرّد هذا الاسم وهو قوله : « الله » على قلب مقدّس من كل غيّر ، وسير مصنّى عن كل كيف ؛ فقال « الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

فهو الذى لا يلهو فيشتغل عنك ، ولا يسهو فتبقى عنه ، فهو على عموم أحوالك رقيب سرّك ؛ إن خلوت فهو رقيبك ، وإن توسّطت انخلّق فهو رقيبك<sup>(٣)</sup> ، وفي الجملة — كيفادارت بك الأحوال — فهو حبيبك .

(١) إستخدم القشيري هذا الفعل في موضع بمائل عند قوله ( تذكير ماسلف من الإنعام فتح لباب التلق في اقتضاء أمثاله في المستقبل ) وفي موضع آخر ( فيحمله صدق الإرادة على التلق والتضرع من ٢٤٨ من هذا الجزء .

(٢) وردت ( بقو ) .

(٣) وردت فهو ( قريبك ) والمعنى يحتملها ولكن الانسجام في الأسلوب يتطلب ( رقيبك ) مكررة

قوله جل ذكره : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ .

وما كنت يا محمد تدري ما الكتاب ، ولا قصة الأحباب ، ولكننا صادفك اختيار أزل  
فألقاك في أمر عجيب شأنه ، جلي برهانه ، عزيز محله ومكانه .

﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

أى محققاً لموعوده لك في الكتاب على ألسنة الرسل عليهم السلام .

﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ من قبل

هتدى للناس وأنزل الفرقان .

أى إنا وإن أنزلنا قبلك كُتُبَنَا على المرسلين فما أخلينا كتاباً من ذكرك ، قال قائلهم :

وعندي لأحبابنا الغائبين صحائف ذكرك عنوانها

وكما أتمنا بك أنوار الأنبياء زيناً بذكرك جميع ما أنزلنا من الأذكار .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

شديد ﴾ .

وهو ذلُّ الحجاب ، ولكنهم لا يشعرون .

« والله عزيز » على أوليائه « ذو انتقام » من أعدائه ، عزيز يطلبه كل أحد ، ولكن

لا يجده — كثيراً — أحد .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ

وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

لا يتنفس عبداً نفساً إلا والله سبحانه وتعالى مُحْصِيهِ<sup>(١)</sup> ، ولا تحصل في السماء والأرض

ذرة لا وهو سبحانه مُحَدِّثُهُ ومُبْدِيهِ ، ولا يكون أحد بوصف ولا نعت إلا هو متوليهِ .

هذا على العموم ، فأمّا على الخصوص : فلا رَفَعَ أحدٌ إليه حاجةً إلا وهو قاضيها ،

ولا رجع أحدٌ إليه في نازلة إلا وهو كافيها .

---

(١) وردت ( محببة ) وهي خطأ من الناسخ .



قوله جل ذكره : ﴿ هو الذى يُصَوِّرُكُمْ فى الأرحام  
كيف يشاء ﴾ .

هذا فيما لا يزال من حيث الخلقه ، وهو الذى قدّر أحوالكم فى الأزل كيف شاء ،  
وهذا فيما لم يزل من حيث القضاء والقسمه .

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾

فلا يُعقَّبُ حكمه بالنقض ، أو يُعارضُ تقديره بالإهمال والرفض .

قوله جل ذكره : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه

آيات محكمات هن أم الكتاب  
وأخر متشابهات فأما الذين  
فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه  
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ،  
وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون  
فى العلم يقولون آمنا به ، كل ثمين  
عند ربنا ، وما يذكر إلا أولوا  
الألباب ﴾

جنس عليهم الخطاب ؛ فمن ظاهر واضح تنزيهه ، ومن غامض مشكل تأويله . القسم  
الأول لبسط الشرع واهتداء أهل الظاهر ، والقسم الثانى لصيانة الأسرار عن اطلاع الأجانب  
عليها ، فسبيل العلماء الرسوخ فى طلب معناه على ما يوافق الأصول ، فما حصل عليه للموقوف  
فمقابل بالقبول ، وما امتنع من التأثير فيه بمحاول الفكر سلّوه إلى عالم الغيب .

وسبيل أهل الإشارة والفهم إلقاء السمع بحضور القلب ، فاستنح لفهومهم من لائح  
التعريفات بنوا ( عليه )<sup>(١)</sup> إشارات الكشف .

---

(١) فى ص ( بنوا على ) والأصوب ( بنوا عليه ) حتى تناسك العبارة لأن الإشارة تلبنى على التعريف .

إِنْ ( طُولِبُوا )<sup>(١)</sup> باستدامة السُّرْطَى السَّرَّ تَخَارَسُوا عَنْ النُّطْقِ ، وَإِنْ أُمِرُوا بِالْإِظْهَارِ والنَّشْرِ أَطْلَقُوا بَيَانَ الْحَقِّ ، وَنَطَقُوا عَنْ تَعْرِيفَاتِ الْغَيْبَةِ ، فَأَمَّا الَّذِينَ أُيِّدُوا بِأَنْوَارِ الْبَصَائِرِ فَسْتَضِيئُونَ بِشِعَاعِ شَمْسِ الْفَهْمِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَلْبَسُوا غِطَاءَ الرِّيبِ ، وَحَرَمُوا لَطَائِفَ التَّحْقِيقِ ، فَتَنْقَسِمُ بِهِمُ الْأَحْوَالُ وَتَتَرَجَّمُ بِهِمُ الظُّنُونُ ، وَيَطِيحُونَ فِي أَوْدِيَةِ الرِّيبِ وَالتَّلْيِيسِ ، فَلَا يَزْدَادُونَ إِلَّا جَهْلًا عَلَى جَهْلٍ ، وَنُفُورًا عَلَى شَكٍّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾

وَمَنْ وَجَدَ عِلْمَهُ مِنْ اللَّهِ فَيَكُونُ لِيَعَانِهِمْ بَلَا أَحْتِمَالٍ جَوْلَانِ خَوَاطِرِ التَّجْوِيزِ بَلْ عَنْ صَرِيحَاتِ الظُّهُورِ ، وَصَافِيَاتِ الْيَقِينِ . وَأَمَّا أَصْحَابُ الْعُقُولِ الصَّاحِبَةِ فِي صَحْبَةِ التَّنْذِيرِ ، لظهور البراهين و ( . . . )<sup>(٢)</sup> أَحْكَامِ التَّحْصِيلِ .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

مَا أَزْدَادُوا قَرَبًا إِلَّا أَزْدَادُوا أَدْبًا ، وَالْيَازِدُ إِلَى التَّبَاعِدِ أَقْوَى أَسْبَابِ رِعَايَةِ الْأَدَبِ<sup>(٣)</sup> . وَيُقَالُ حِينَ صَدَقُوا فِي حَسَنِ الْاسْتِغَاثَةِ أُمِدُّوا بِأَنْوَارِ الْكِفَايَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

الْيَوْمَ جَمَعَ الْأَحْبَابَ عَلَى بَسَاطَةِ الْإِقْتِرَابِ ، وَغَدَاً جَمَعَ الْكَافَّةَ لِحُلِّ الشُّوَابِ وَالْعُقَابِ ،

(١) فِي ص ( طَالِبُوا ) وَالْأَوْفَى أَنْ تُبْنَى لِلْمَجْهُولِ مِثْلُ ( أُمِرُوا ) الَّتِي بَعْدَهَا ، لِأَنَّ فَاعِلِيهِمْ حَبِلْتُمْ مَفْتُودَةٌ .

(٢) مُشْتَبِهَةٌ .

(٣) رِعَايَا يَقْصِدُ الْقَشِيرَى مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّهُمْ أَبْدَأُ طَامِعُونَ فِي الْهَدَايَةِ مُحْتَاجُونَ - لَا لِأَعْمَالِهِمْ - بَلْ لِفَضْلِ اللَّهِ ، وَمَهْمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ مَا زَالُوا بِعِيدِينَ عَنِ التَّنَامِ ، وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ تَنْسَجِمُ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مَعَ سَابِقَتِهَا « مَا أَزْدَادُوا قَرَبًا إِلَّا أَزْدَادُوا أَدْبًا » .

اليوم جمع الأسرار لكشف الجلال والجمال ، وغداً جمع الأبرار لشهود الأحوال ، ومقاساة ما أخبر عنه من تلك الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾

فلا فداء ينفعهم ، ولا غناء يدفعهم ، ولا مال يُقبلُ منهم ، ولا حجاب يُرفع عنهم ، ولا مقال يسمع فيهم ، بهم يُسعرُ الجحيم ، ولم الطرد الأليم ، والبعد والحميم .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

أصرُّوا في العتوِّ على سننهم ، وأدمنَّا لهم في الانتقام سنننا ، فلا عن الإصرار أقلموا ، ولا في الميار طمعوا ، ولعمري إنهم هم الذين ندموا ونحسروا على ما قدَّموا — ولكن حينما وجدوا الباب مسدوداً ، والندم عليهم مردوداً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُنْحَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

أخبرهم أنهم يفوتهم حديث الحق في الآجل<sup>(١)</sup> ، ولا تكون لهم لذة عيش في العاجل ، والذي يلقونه في الآخرة من شدة العقوبة بالحرقة فوق ما يصيبهم في الدنيا من الغيبة عن الله والفرقة<sup>(٢)</sup> ، ولكن سقيمت البصائر فلم يحسوا بأليم العقاب .

---

(١) يشير القشيري بهذا إلى الآية الكريمة « لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم » .  
(٢) أما الخواص فيرون رؤية الله منتهى آمالهم ، وصداء عنهم أشد عليهم من عذاب السعير ، يقول البسطامي : « قد خواس من عباده لو حجبتهم في الجنة عن رؤيته ساعة لاستفاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار »

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِىَ التَّقَاتِ ۖ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأًى الْعَيْنِ ۖ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولَى الْأَبْصَارِ ۝ ﴾

إذا أراد الله إِمضاء أمرٍ قَلَّ الكثير في أعين قوم ، وكَثُرَ القليل في أعين قوم ، وإذا لبَّس على بصيرة قوم لم ينفعهم نفاذ أبصارهم ، وإذا فتح أسرار آخرين فلا يضرهم انسداد بصرهم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ ﴾

يذكر بعض الشهوات على ما سواها مما هو في معناها ، وفي الجملة ما يحجبك عن الشهود فهو من جملة ما . وأصعب العوائق في هذه الطريق الشهوة الخفية . وأداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدودٌ عندم في جملة الشهوة الخفية . ومن المقاطع المشكلة السكون إلى ما يلقاك به من فنون تقرييبك ، وكأنه في حال ما يناجيك يناغيك ، فإنه بكل لطيفة يصفك (فيطريك)<sup>(٢)</sup> وتحتها خُدَعٌ خافية . ومن أدركته السعادة كاشفه بشهود جلاله وجماله (لا)<sup>(٣)</sup> بإثباته في لطيف أحواله وما يخصه به من أفضاله وإقباله .

---

(١) من هنا نفهم أن ترتيب ملكات الاطلاع عند التشيرى هو على هذا النحو : البصر ثم البصيرة ثم السر  
(٢) مستدركة في الهامش فأثبتناها في موضعها .  
(٣) نظن أن ( لا ) زائدة لأن السعادة التي تدرك العبد لا تتم إلا ( بإثباته في . . ) .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَنبِئْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ  
اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ  
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ  
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

بَيِّنَ فَضِيلَةَ أَهْلِ التَّقْوَى عَلَى أَرْبَابِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ لَهُمْ مُتَابَعَةٌ لِلنَّبِيِّ وَمُوَافَقَةٌ لِهَوَى  
وَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ؛ أَنْزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مَنَزِلَهُ ، وَأَوْصَلَهُ  
إِلَى مَا لَهُ أَهْلُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاغْفِرْ لَنَا  
ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾  
أَيُّ يَنْقُطِعُونَ إِلَيْنَا بِالْكَلِمَةِ ، وَيَتَضَرَّعُونَ بَيْنَ أَيْدِينَا بِذِكْرِ الْحَمْنِ وَالرِّزْيَةِ ، أُولَئِكَ  
يُنَالُونَ مِنَ الْقُرْبَةِ وَالْخُصُوصِيَّةِ ، وَالْدَّرَجَاتِ الْعُلَى ، وَالْقِسْمِ الْمَرْضِيَّةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِتِينَ  
وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾  
الصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ ، وَذَلِكَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ :

صَبْرٌ عَلَى مَا أُمِرَ بِهِ الْعَبْدُ ، وَصَبْرٌ عَمَّا نَهِيَ عَنْهُ وَصَبْرٌ هُوَ الْوُقُوفُ تَحْتَ جَرِيَانِ حَكْمِهِ  
عَلَى مَا يَرِيدُ ، إِمَّا فِي فَوَاتِ مَحْبُوبِكَ أَوْ هَجُومِ مَا لَا تَسْتَطِيعُهُ <sup>(١)</sup> .

فَإِذَا تَرَقَّيْتَ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ - بِالْأَلَا تَصِيبُكَ مَشَقَّةٌ أَوْ تَنَالُ رَاحَةً - فَذَلِكَ رِضًا لَا صَبْرًا <sup>(٢)</sup> .  
وَيُقَالُ الصَّابِرِينَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَالصَّادِقِينَ ، فِيمَا عَاهَدُوا اللَّهَ .  
وَالْقَائِتِينَ ، بِنَفْسِهِمْ بِالْإِسْتِقَامَةِ فِي مَحَبَةِ اللَّهِ .

(١) فَوَاتِ الْمَحْبُوبِ صَدُّهُ عَنْكَ وَهَجْرُهُ لَكَ ، وَالْهَجُومُ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُهُ هُوَ الَّذِي ( يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بِقُوَّةِ  
الْوَقْتِ مِنْ غَيْرِ تَصْنَعٍ مِنْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَصَرَّفَهُ الْهَوَا جَمٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فَوْقَ مَا يَفْجُؤُهُ حَالًا وَقُوَّةً ، أُولَئِكَ  
سَادَاتُ الْوَقْتِ ) الرِّسَالَةُ ص ٤٤ .  
(٢) لَاحِظِ الْفَرْقَ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ .

و « المستغفرين » عن جميع ما فعلوه لرؤية تقصيرهم في الله<sup>(١)</sup>

ويقال : « الصابرين » بقلوبهم و « الصادقين » بأرواحهم و « القانتين » بنفوسهم ، و « المستغفرين » بالسنتهم .

ويقال « الصابرين » على صدق القصود و « الصادقين » في العهود و « القانتين » بحفظ الحدود و « المستغفرين » عن أعمالهم وأحوالهم بمجد استيلاء سلطان التوحيد .

ويقال « الصابرين » الذين صبروا على الطلب ولم يتعللوا بالهرب ولم يحتشموا من التعب ، وهجروا كل راحة وطلب . وصبروا على البلوى ، ورفضوا الشكوى ، حتى وصلوا إلى المولى ، ولم يقطعهم<sup>(٢)</sup> شيء من الدنيا والعنى .

و « الصادقين » الذين صدقوا في الطلب فقصدوا ، ثم صدقوا حتى وردوا ، ثم صدقوا حتى شهدوا ، ثم صدقوا حتى وجدوا ، ثم صدقوا حتى فقدوا . . فترتيبهم قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود<sup>(٣)</sup> .

و « القانتين » الذين لازموا الباب ، وداوموا على تجميع الاكتساب ، وتركوا المحاب ، ورفضوا الأصحاب إلى أن تحققوا بالاقتراب .

و « المنفقين » الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ، ( ثم جادوا بميسورهم من الأموال )<sup>(٤)</sup> ، ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ، ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل الآجل ، استهلاكاً عند القرب والوصال بما لقوا من الاضطلام والاستئصال<sup>(٥)</sup> .

و « المستغفرين » عن جميع ذلك إذا رجعوا إلى الصحو عند الاسحار يعني ظهور الإسفار ، وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الأقطار .

---

(١) قارن ذلك بما يحكيه المناوى في ( طبقاته ) وابن الجوزى في ( صفة الصفوة ) عن رابعة أنها كانت تردد : ( استغفارنا يحتاج إلى استغفار لعدم الصدق فيه ) .

(٢) قواطع الدنيا معروفة أما قواطع العقبى فهي تعليق العمل المبدول بالاجر ، إما الطمع في المثوبة أو الخوف من العقوبة .

(٣) هذا تلخيص دقيق للمعراج الروحي ينبغي أن نتحمل عنده لحسن فهمه واستيعابه .

(٤) مشتركة فيما بين السطور فأثبتناها في موضعها .

(٥) الاستئصال هو الذي عبر عنه القشيري في رسالته بقوله : ( كأس تصطبهم منهم ونفسيهم ونختطفهم ولا تبقيهم ، كأس لا تبقى ولا نذر ، نعوذ بالكلية ، ولا تبقى شظية من آثار البشرية ) الرسالة ص ٤٣



قوله جل ذكره : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

أَيَّ عِلْمِ اللَّهِ وَأَخْبَرَ اللَّهُ وَحَكَّمَ اللَّهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق ، وأَوَّلُ مَنْ شَهِدَ بِأَنَّهُ اللَّهُ — اللَّهُ ، فشَهِدَ فِي آزَالِهِ بِقَوْلِهِ وَكَلَامِهِ وَخُطَابِهِ الْأَزَلِيِّ ، وَأَخْبَرَ عَنْ وَجُودِهِ الْأَحَدِيِّ ، وَكَوْنِهِ الصَّمَدِيِّ ، وَعَوْنِهِ الْقَيُّومِيِّ ، وَذَاتِهِ الدِّيمُومِيِّ ، وَجَلَالِهِ السَّرْمَدِيِّ ، وَجَمَالِهِ الْأَبَدِيِّ . فقال : « شَهِدَ اللَّهُ » ثم في آيَّادِهِ ، « شَهِدَ اللَّهُ » أَيَّ بَيِّنَ اللَّهِ بِمَا نَصَبَ مِنَ الْبَرَاهِينِ ، وَأُثْبِتَ مِنْ دَلَائِلِ الْيَقِينِ ، وَأَوْضَحَ مِنَ الْآيَاتِ ، وَأَبَدَى مِنَ الْبَيِّنَاتِ . فَكُلُّ جُزْءٍ مِنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَفَطَرَ ، وَمِنْ كَسَمِ الْعَدَمِ أَظْهَرَ ، وَعَلَى مَا شَاءَ مِنَ الصِّفَةِ الذَّاتِيَةِ حَصَلَ ، مِنْ أَعْيَانٍ مُسْتَقِلَّةٍ ، وَآثَارٍ فِي ( ثَانِي ) <sup>(١)</sup> وَجُودِهَا مُضْمَحَلَةٌ ، وَذَوَاتٍ لِلْعِلَاقَةِ قَابِلَةٌ ، وَصِفَاتٍ فِي الْمَحَالِّ مُتَعَاقِبَةٌ — فَهُوَ لَوْجُودِهِ مُفْصِّحٌ ، وَلِرُبُوبِيَّتِهِ مُوَضِّحٌ ، وَعَلَى قِدَمِهِ شَاهِدٌ ، وَلِلْعُقُولِ مُخْبِرٌ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ ، عَزِيزٌ ، مُجِدٌّ ، شَهِدَ سُبْحَانَهُ بِجَلَالِ قُدْرِهِ ، وَكَمَالِ عِزِّهِ ، حِينَ لَا يَجِدُ وَلَا جُهْدَ <sup>(٢)</sup> وَلَا عِرْقَانِ لِلْمَخْلُوقِ وَلَا عَقْلٍ ، وَلَا وَفَاقٍ ، وَلَا كُفْرٍ ، وَلَا حَدِثَانٍ ، وَلَا غَيْرٍ ، وَلَا إِلْحَادٍ ، وَلَا شِرْكَ ، وَلَا فَهْمٍ وَلَا فِكْرٍ ، وَلَا سَمَاءٍ وَلَا فُضَاءٍ ، وَلَا ظَلَامٍ وَلَا ضِيَاءٍ ، وَلَا وَصُولَ لِلْمَزْدُوجَاتِ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا فَضُولَ بِاخْتِلَافِ الْأَفَاتِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾

لَمْ يُؤَيِّدْ شَهَادَتَهُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ بَلْ أَسْعَدَهُمْ وَأَيَّدَهُمْ ، حِينَ وَفَّقَهُمْ بِشَهَادَتِهِ وَصَدَّقَهُمْ ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ وَجْدَانِيَّتِهِ أَرْشَدَهُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾

وَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَنِي آدَمَ إِذْ عَلَّمُوا جَلَالَ قُدْرَتِهِ ، وَعَرَفُوا نَعْتَ عِزَّتِهِ فَأَكْرَمَهُمْ حَيْثُ قَرْنَ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِمْ ، فَشَهِدُوا عَنْ شُهُودٍ وَتَعْيِينَ ، لَا عَنْ ظَنٍّ وَتَخْمِينٍ ، إِنْ لَمْ يَدْرِكُوهُ — الْيَوْمَ —

(١) رُبَمَا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ فِي ( شَانٍ ) وَجُودِهَا ... بِتَخْفِيفِ الْهَمْزِ .

(٢) رُبَمَا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ ( جَعُودٌ ) ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا ( جُيُودٌ ) فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ الْجُيُودَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْكَمِّيَّةَ .

(٣) رُبَمَا قَصَدَ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ وَضَدَهُ ، وَرُبَمَا كَانَتْ ( لِلدَّرَجَاتِ ) .

ضرورة وحسباً ، لم يعتقدوه ظناً وحدساً ؛ تعرّف إليهم فعرفوه ، وأشهدهم فلذلك شهدوا ، ولو لم يقل لهم إنه من هو لَمَّا عرفوا من هو .

ولكن العلماء يشهدون بصحة عقولهم ، والمؤخّذون يشهدون بعد خلودهم ؛ فهم كما قيل :

مُسْتَهْلَكُونَ بَقَرِ الْحَقِّ قَدْ هَمَدُوا      وَاسْتَنْطَقُوا بَعْدَ افْتِنَائِهِمْ بِتَوْحِيدِ

فَالْمُجَرِّى عَلَيْهِمْ مَا يَبْدُو مِنْهُمْ — سَوَاهُمْ ، وَالْقَائِمُ عَنْهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ وَبِهِ — غَيْرُهُمْ ، وَلَقَدْ كَانُوا لَكُنْهِمْ بَانُوا ، قَالَ قَائِلُهُمْ :

كِتَابِي إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَوْتِي بِمِلَّةٍ      وَلَمْ أَدْرِ أَنِّي بَعْدَ مَوْتِي أَكْتُبُ

وأولو العلم على مراتب : فَمِنْ عُلُومٍ نَعْتُهُ وَفَاقَ وَرَهْبَانِيَّةَ ، وَمِنْ عَالَمٍ وَصَفَهُ فَنَاءَ وَرَبَّانِيَّةَ ، وَعَالَمٍ يَعْرِفُ أَحْكَامَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَعَالَمٍ يَعْلَمُ أَخْبَارَهُ وَسُنَنَهُ وَأَثَرَهُ ، وَعَالَمٍ يَعْلَمُ كِتَابَهُ وَيَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ وَتَأْوِيلَهُ ، وَمَحْكَمَهُ وَتَنْزِيلَهُ ، وَعَالَمٍ يَعْلَمُ صِفَاتِهِ وَنَعْوَتَهُ وَيَسْتَقْوِي حُجَجَهُ وَتَوْحِيدَهُ بِمُحَدِّثٍ يَخْرُجُهُ ( . . . )<sup>(١)</sup> ، وَعَالَمٍ لَاطِفُهُ حَتَّى أَحْضَرَهُ ثُمَّ كَاشَفَهُ فَقَهَرَهُ ، فَالْأَسْمَ بَاقِيً ، وَالْعَيْنَ مَحْوً ، وَالْحَكْمَ طَارِقَ وَالْعَبْدَ مُحَقَّقً ، قَالَ قَائِلُهُمْ .

بَنُو حَقٍّ غَدَوْا بِالْحَقِّ صِرَافًا      فَنَعْتَ الْخَلْقَ فِيهِمْ مُسْتَوْرٌ

وليست الإشارة من هذا إلا إلى فنائهم عن إحساسهم ، وعند علمهم بأنفسهم ، فأما أعمالهم<sup>(٢)</sup> أعيانهم فمخلوقة ، وما يفهم بذواتهم من أحوالهم فمبسوقة ، وذات الحق لا توصف بقبول حدثان ، وصفات ذاته لا تقبل اتصالاً بالغير ولا انفصالاً عن الذات ، تقدّس الحق عن كل ضدّ وندّ ، ووصل وفصل ، وجمع وفرق ، وعين وخلق ، وملك وفلك ، ورسم وأثر ، وعبد وبشر ، وشمس وقر ، وشخص وغيّر .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

(١) مشتبّهة .

(٢) ترجّح أنه في الأصل ( وأعيانهم ) وأن الواو سقطت من الناسخ أى أنهم وما يصنعون — من خلق الله ، وذلك الأصل من الأصول الكلامية عند القشيري .

الدينُ الذي يرتضيه ، والذي حكم لصاحبه بأنه يجازيه ويمليه ، وبالفضل يُلْقِيهِ — هو الإسلام .

والإسلام هو الإخلاص والاستسلام ، وما سواه فردود ، وطريق النجاة على صاحبه مسدود .

قوله جل ذكره : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ .

جاءهم العلم الذي عليهم حجة ، لا للمعرفة التي لها بيان ومحجة ، فأصروا على الجحود ، لأنهم حُجِبُوا عن محل الشهود

قوله جل ذكره : ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد ﴾ .

طَالِعُهُمُ بعين التصريف كيلا يفترق بك الحال في شهود اختلافهم وتباين أطوارهم ؛ فَإِنَّ مَنْ طَالَعَ الكائنات بعين القدرة علم أن المُشْتَدَّ للكل — على ما اختص به كل واحد من الكل — واحد .

فَأَذَعُهُمْ جهراً بجهر ، واشهد تصريفنا لإيهم سراً بسر ، واشغل لسانك بنصحهم ، وفرغ قلبك عن حديثهم ، وأفرد سرك عن شهودهم ، فليس الذي كلفناك من أمورهم إلا البلاغ ، والمُجْرَى للأمور والمبدي — نحن .

قوله جل ذكره : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين

يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم  
بعذاب أليم .

إن الذين ربطناهم بالخلدان ووسعناهم بوصف الحرمان — أخبرهم بأن إعراضنا عنهم  
مؤبد ، وأن حكمنا سبق بنقلهم عن دار الجنان إلى دار الهوان ، من الخلدان والحرمان  
إلى العقوبة والنيران .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين حبّطت أعمالهم  
في الدنيا والآخرة وما لهم من  
ناصرين ﴾

أولئك الذين ليس لهم — اليوم — توفيق بأعمالهم ، ولا غداً لتحقيق لأمالهم ، وما ذلك  
إلا لأنهم فقدوا في الدارين نصرتنا ، ولم يشهدوا عزّاًنا وقدرتنا .

قوله جل ذكره : ﴿ ألم ترّ إلى الذين أوتوا نصيباً من  
الكتاب يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله  
ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم  
وهم معرضون ﴾

امتنعناك بدعوة من سبق علمنا بأنهم لا يستجيبون ، فاصبر على ما أمرت فيهم ، واعلم  
سوء أحوالهم ، فإنهم أهل التولى عن الإجابة ، لأنهم فقدوا منا حسن التجلي بسابق الإرادة .

قوله جل ذكره : ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسّ النار  
إلا أياماً معدودات ، وغرّم في دينهم  
ما كانوا يفترون ﴾

عاقبناهم في الدنيا بالاستدراج حتى حكموا لأنفسهم بالنجاة وتخفيف العقاب ، وسوف  
يعلمون تضاعف البلاء عليهم ، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون .  
ظن المخطئون حكماً . . .

﴿ فكيف إذا جعناهم ليومٍ لا ريب  
فيه ووفيت كل نفسٍ ما كسبت  
وهم لا يُظلمون ﴾

هذه كلمة تعجب لما أخبر به عن تعظيم الأمر ، وتفخيم الشأن عند بهتة عقولهم ودهشة  
أسرارهم ، وانقطاع دواعيهم ، وانخلاع قلوبهم من مكانها ، وتراقبها إلى تراقبهم ، ثم ما يلقونه  
من الحساب والعقاب ، والعذاب والعقاب ، وعدم الإكرام والإيجاب ، وما في هذا الباب .  
وقيامة الكفار يوم الحشر ، وقيامه الأحياء في الوقت ، ولشرح هذا تفسير طويل <sup>(١)</sup>  
قوله جل ذكره : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾

«اللهم» معناها يا الله والميم في آخرها بدل عن حرف النداء وهو يا . فهذا تعليم الحق كيفية  
الثناء على الحق ، أى صفنى بما أستحقه من جلال القدر فقل : يا مالك الملك لا شريك لك  
ولا معين ، ولا ظهير ولا قرين ، ولا مقاسم لك في الذات ، ولا مساهم في الملك ،  
ولا معارض في الإبداع .

﴿ تَوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ  
الملك من تشاء ﴾

حتى نعلم أن الملك لك ، والملك من المخلوقين من تدل له ، ومزوع الملك ممن تكبر  
عليه ، فتجمل الخلق في تدلهم للحق ، وعزهم في محوهم فيه ، وبقاؤهم في فناهم به  
﴿ وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾

بعز ذاتك .

﴿ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾

بخذلانك

وتعز من تشاء بأن تهديه ليشهدك ويوحده ، وتذل من تشاء بأن يجحدك ويفقدك . وتعز

---

(١) من كلام القشيري في هذا الخصوص في موضع آخر من هذا الكتاب :  
( والقيامة عند هؤلاء تقوم كل يوم غير مرة بالهجر والنوى والفراق ، وليس لها كاشف غير سبجانه )

من تشاء بيئن إقبالك ، وتذل من تشاء بوحشة إعراضك . وتعز من تشاء بأن تولسه بك ،  
وتذل من تشاء بأن توحشه عنك . وتعز من تشاء بأن تشغله بك ، وتذل من تشاء بأن تشغله  
عنك . وتعز من تشاء بسقوط أحكام نفسه ، وتذل من تشاء بغلبة غاغة نفسه . وتعز من تشاء  
بطوالع ألسه وتذل من تشاء بطوارق<sup>(١)</sup> نفسه . وتعز من تشاء ببسطه بك ، وتذل من تشاء  
بقبضه عنك .

وتؤتى الملك من تشاء بشد نطاق خدمتك ، وتترزع الملك ممن تشاء بنفيه عن بساط  
عبادتك<sup>(٢)</sup> . تؤتى الملك من تشاء بإفراد سره لك وتترزع الملك ممن تشاء بأن تربط قلبه  
بمخلوق ، وتعز من تشاء بإقامته بالإرادة ، وتذل من تشاء برده إلى ما عليه أهل العادة .

﴿ بيدك الخير ﴾

ولم يذكر الشر حفظاً لأداب الخطاب ، وتفاوتاً بذكر الجميل ، وتطيراً من ذكر السوء .  
﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾

من الحجب والجذب ، ( والنصرة )<sup>(٣)</sup> والخذلان ، والأخذ والرد ، والفرق والجمع ،  
والقبض والبسط .

قوله جل ذكره : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوجِلُ النَّهَارَ  
فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَتَرْزُقُ مِنْ  
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

---

(١) الطوارق في اللفظ ما يطرق بالليل ، وروى عن النبي (ص) أنه كان يدعو : « وأعوذ بك من شر  
طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير » .  
وعن بعض المشايخ : يطرق سمي علم من علوم أهل الحقائق فلا أدعه أن يدخل قلبي إلا بعد أن أعرضه  
على الكتاب والسنة . ( المبع للطومى ص ٤٢٢ ) .  
(٢) وردت ( عبادك ) والأصوب أن يقال ( عبادتك ) لأن العبودية لا تلتقي عن مخلوق ، أما العبادة  
فهي حالة مخصوصة يمان عليها المبدأ أو لا يمان ، فالمبدأ إما في العبادة أو في العادة :  
(٣) أضفنا هذه الكلمة من عندنا حتى يتم الانسجام الداخلي للأسلوب ويكون المعنى أوضح ، ونحن  
في هذه الإضافة - كدأبنا دائماً - متمثلين النهج الذي يسلكه القشيري في مثل هذا الموضع .



توَلَجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ حَتَّى يَغْلِبَ سُلْطَانُ ضِيَاءِ التَّوْحِيدِ فَلَا يَبْقَى مِنْ آثَارِ النَّفْسِ وَظُلُمَاتِهَا شَيْءٌ ، وَتَوَلَجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ حَتَّى كَانَ شَمْسُ الْقُلُوبِ كُشِفَتْ ، أَوْ كَانَ اللَّيْلُ دَامَ ، وَكَانَ الصَّبْحُ فَقْدَ .

وَتَخْرُجُ الْحَيَ مِنَ الْمَيِّتِ حَتَّى كَانَ الْفِتْرَةُ لَمْ تَكُنْ ، وَعَهْدُ الْوَصَالِ رَجَعَ فَنِيًّا ، وَعُودُ الْقُلُوبِ صَارَ غَضًّا طَرِيًّا .

وَتَخْرُجُ لِلْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى كَانَ شَجَرَةُ الْبَرِّمِ أَوْرَقَتْ شَوْكًا وَأَزْهَرَتْ شَوْكًا ، وَكَانَ الْيَأْسُ لَمْ يَجِدْ خَيْرًا ، وَلَمْ يَشْمِ رِيحًا ، وَتَقْلِبُ أَفْئِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

﴿ وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءِ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

حَتَّى لَا ( كَدْرٌ )<sup>(١)</sup> وَلَا جُهْدٌ وَلَا عَرَقٌ جَبِينٍ ، وَلَا تَعَبٌ يَمِينٍ . لَيْلُهُ رَوْحٌ وَرَاحَةٌ ، وَنَهَارُهُ طَرِبٌ وَبَهْجَةٌ ، وَسَاعَاتُهُ كَرَامَاتٌ ، وَلَحَظَاتُهُ قُرْبَاتٌ ، وَأَجْناسُ أَعْمَالِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ لَا يَحْصُرُهَا لِسَانٌ ، وَلَا يَأْتِي عَلَى اسْتِنْصَاءِ كُنْهَيْهَا عِبَارَةٌ وَلَا بَيَانٌ .

وَفِيهَا لَوْحُنَا مِنْ ذَلِكَ تَقْيِيهِ عَلَى طَرِيقِ كَيْفِيَةِ الْإِفْصَاحِ عَنْهُ .

وَيُقَالُ لِمَا قَالُ : « وَتَنْزِعُ لِلْمَلِكِ مِنْ تَشَاءِ أَنْ كَسَرَ خَمَارُ كُلِّ ظَنٍّ أَنَّهُ مَلِكٌ لِأَنَّهُ شَاهِدُ مَلِكِهِ يَرْضُ لِلزَّوَالِ فَعَلِمَ أَنَّ التَّنْذِلَ إِلَيْهِ فِي اسْتِبْقَاءِ مَلِكِهِ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْإِعْجَابِ وَالْإِدْلَالِ .

وَيُقَالُ الْمَلِكُ فِي الْحَقِيقَةِ — مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ بِالْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ عَنْ شُهُودِ مَنْ هُوَ لِلْمَلِكِ عَلَى الْحَقِيقَةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ لِلْوَالَاةِ فِي اللَّهِ وَالْمَعَادَاةِ فِي اللَّهِ .

وَأَوْلَى مَنْ تَسُوْمُهُ الْمُهْجَرَانُ وَالْإِعْرَاضَ عَنِ الْكُفَارِ — نَفْسُكَ ؛ فَإِنَّهَا بِمَجْبُولَةٍ عَلَى

---

(١) رُجِحَ أَنَّهَا ( كَدٌّ ) بِدُونِ رَاءٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْمَعْنَى يَتَقَبَّلُ كُلِّيهِمَا .

المجوسية حيث تقول : لى ومنى وبى<sup>(١)</sup> ، وقال الله تعالى . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ<sup>(٢)</sup> » .

وإن الإيمان فى هذه الطريقة عزيز ، ومن لا إيمان له بهذه الطريقة من العوام — وإن كانوا قد بلغوا من الزهد والجهد مبلغاً عظيماً — فليسوا بأهل لموالاةك ، والشكل بالشكل أليق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾<sup>(١)</sup> ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ﴿

صحبة الحق سبحانه وقربته لا تكون مقرونة بصحبة الأضداد وقربتهم — ألبتة .  
« ويحذركم الله نفسه » : هذا خطاب للخواص من أهل المعرفة ، فأما الذين نزلت رُبَّتْهُمْ  
عن هذا فقال لهم : « واتقوا النار التى . . . » وقال : « واتقوا يوماً ترجعون . . . » إلى غير ذلك من الآيات .

ويقال : « يحذركم الله نفسه » أن يكون عندهم أنكم وصلتم ؛ فإن خفايا المكر تغرى  
الأكابر ، قال قائلهم :

وَأَمِنْهُ فَاتَّاحَ لِي مِنْ مَأْمَنِ مَكْرًا ، كَذَا مَنْ يَأْمَنُ الْأَحْبَابَا

ويقال « يحذركم الله نفسه » لأن يجرى فى وهم أحد أنه يصل إليه مخلوق ، أو يطاء بساطاً  
العزُّ قَدَمُ همة بشر ، جلَّتْ الأحدية وعزَّتْ !  
وإن من ظن أنه أقربهم إليه فى الحقيقة أنه أبعدهم عنه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ تَخْضَعُوا لِىَ صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ ﴾<sup>(٢)</sup>

---

(١) وإلى هذا يشيرون حين يقولون ( التوحيد إسقاط الیاءات ) الرسالة من ١٤٩ . لأن التوحيد الحق لا يقتضى عمورك بما سوى الموحَّد ، ولكن النفس مجبولة على الدعوى . وهذا شرك خفى .  
(٢) سورة التوبة آية ١٢٣ .

وما في الأرض والله على كل شيء  
قدير \*

لا يَمُزُّبُ معلوم عن علمه ، فلا تَحْكُمُ من نازلة بك تسوءك ، فمن قريب سيأتيك الغوث  
والإجابة ، وعن قريب سيزول البلاء والمحنة ، وَيُعْجِلُ المدد والكفاية .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ  
خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ  
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

وَدَّ أهل الطاعات أَنْ لو استكثروا منها ، وَدَّ أهل المخالفات أَنْ لو كبهوا لجامهم عن  
الركض في مباديهم ، قال قائلهم :

ولو انني أُعْطِيتُ من دهرى المني وما كلُّ مَنْ يُعْطَى المني بِمُسَدَّدٍ  
لَعَلْتُ لَأَيَّامٍ مَضَيْنَ : ألا ارجى وقلتُ لَأَيَّامٍ أُتَيْنَ ألا ابعدى

قوله جل ذكره : ﴿ ويحذركم الله نفسه والله رءوف  
بالعباد ﴾ .

الإشارة من قوله : « ويحذركم الله نفسه » للعارفين ، ومن قوله « والله رءوف بالعباد »  
للمستأنفين ، فهؤلاء أصحاب العنف والعنوة ، وهؤلاء أصحاب التخفيف والسهولة .

ويقال لما قال : « ويحذركم الله نفسه » اقتضى أسمع هذا الخطاب تحويلهم<sup>(١)</sup> فقال  
مقرونًا به « والله رءوف بالعباد » لتحقيق تأميلهم ، وكذلك سُنَّته يطعمهم<sup>(٢)</sup> في  
عين ما يروعههم .

ويقال أفنهم بقوله « ويحذركم الله نفسه » ثم أحيهم وأبقاهم بقوله « والله رءوف بالعباد »

(١) ربما يقصد القشيري تحويلهم من الخوف إلى الرجاء ، فيمد أن خوفهم نفسه أطمعهم في رافته .

(٢) وردت ( يطعمهم ) وواضح أنها خطأ في النسخ فأصلعناه بما يلائم السياق .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي  
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

« تحبون الله » فرق ، و « يحببكم الله » جمع .  
« تحبون الله » مشوب بالعلة ، و « يحببكم الله » بلا علة ، بل هو حقيقة الوصلة .  
ومحبة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه ، وتحمله تلك الحالة على موافقة أمره على الرضا دون  
الكراهية ، وتقتضى منه تلك الحالة إثاره — سبحانه — على كل شيء وعلى كل أحد .  
وشرط المحبة ألا يكون فيها حظٌ بحال ، فمن لم يَفَنَّ عن حظوظه بالكلية فليس له من  
المحبة شظية .

ومحبة الحق للعبد إرادته إحسانه إليه ولطفه به ، وهي إرادة فضلٍ مخصوص ، وتكون  
بمعنى ثنائه سبحانه عليه ومدحه له ، وتكون بمعنى فضله الخصوص معه ، فعلى هذا تكون  
من صفات فعله .

ويقال شرط المحبة امتحاء كليتك عنك لاستهلاكك في محبوبك ، قال قائلهم .  
وما الحب حتى تنزف العين بالبكا وتخرس حتى لا تجيب للناديا  
وهذا فرق<sup>(١)</sup> بين الحبيب والخليل ؛ قال الخليل : « فمن تبعني فإنه مني » .  
وقال الحبيب : « فاتبعوني يحببكم الله » .  
فإن كان مُتَّبِعُ الخليل « منه » إفضالاً فإن متابع الحبيب محبوب الحق سبحانه ،  
وكفى بذلك قرينة وحالا .

ويقال قطع أطعام الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتداهم وإمامهم سيد الأولين والآخرين  
محمد صلى الله عليه وسلم .

ويقال في هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير معلولة وليست باجتلاب طاعة ، أو التجرد

---

(١) وردت ( فراق ) وهي خطأ من الناسخ ، إذ المراد التفرقة بين موقف المصطفى ( من ) وإبراهيم  
عليه السلام .

عن آفة لأنه قال يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، بين أنه يجوز أن يكون عبد له فنون كثيرة  
ثم يحب الله ويحبّه الله .

ويقال قال أولاً : « يحبكم الله » ثم قال : « ويغفر لكم ذنوبكم » والوار يقتضى الترتيب  
ليُعلم أن المحبة سابقة على الغفران ؛ أولاً يحبهم ويحبونه (وبعده) يغفر لهم ويستغفرونه ،  
فالمحبة توجب الغفران لأن العفو يوجب المحبة .

والمحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبّ الأسنان<sup>(١)</sup> وهو صفاؤها .

والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب في السر .

ويقال أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب .

والحب حرقان حاء وباء ، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن ، فالحب  
لا يدّخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

أمرهم بالطاعة ثم قال : « فإن تولوا » أى قصّروا فى الطاعة بأن خالفوا ، ثم قال : « فإن الله  
لا يحب الكافرين » لم يقل العاصين بل قال الكافرين ، ودليل الخطاب أنه يحب المؤمنين  
وإن كانوا عصاة<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ اللَّهُ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ  
إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾  
ذرية بعضها من بعض والله  
سميع عليم

اتفق آدم وذريته فى الطينة ، وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذى هو من قبيله ، لا بالنسب  
ولا بالسبب .

(١) وردت ( الإنسان ) وهى خطأ من النسخ ( أنظر الرسالة ص ١٥٨ ) .

(٢) فالؤمن العاصى منزلة بين المنزلتين : الإيمان والكفر - لى نظر القشبرى المتكلم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَت امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ، وَإِنِّي مَخَشِيئُهَا مَرِيمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ .

المحرَّرُ الذي ليس في رِقٍّ شيء من المخلوقات ، حرَّره الحق سبحانه في سابق حكمه عن رق الاشتغال بجميع الوجوه والأحوال . فلما نذرت أم مريم ذلك ، ووضعتها أنثى خجلت ، فلما رأتها قالت « ربِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ » وهي لا تصلح أن تكون محرراً فقال تعالى : « وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ » ولعمري ليس الذكر كالأنثى في الظاهر ، ولكن إذا تقبَّلها الحق — سبحانه وتعالى — طلع عنها كل أعجوبة .

ولما قالت « إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا » قالت « فَتَقَبَّلْ مِنِّي » باستعجاب ، وظهرت آثار القبول عليها وعلى ابنها ، ونجا بحديثها عالمٌ وهلك بسببها عالمٌ ، ووقعت الفتنة لأجلهما في عالم .

قالت : « وَإِنِّي مَخَشِيئُهَا مَرِيمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » استجارت بالله من أن يكون للشيطان في حديثها شيء بما هو الأسهل ، لتنام ما هم به من أحكام القلوب .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾

حيث بلغها فوق ما تَمَنَّتْ أمها ، ويقال تقبَّلها بقبول حسنٍ حتى أفرد لها لطاعته ، وتولَّاهَا بما تولَّى به أوليائه ، حتى أفضى جميع مَنْ في عصرها العَجَبَ من حُسْنِ توليه أمرها ، وإن كانت بنتاً .



ويقال القبولُ الحسنُ حُسْنُ تربيته لها مع علمه — سبحانه — بأنه يُقال فيه بسببها ما يُقال ، فلم يُبالِ بِقُبْحِ مقال الأعداء .

أجد الملامة في هوالكِ لذِبةً حُبًّا لذكركِ فليمنى اللومُ  
وكما قيل :

ليقل من شاء ما شاء فإني لا أبالي

ويقال القبول الحسن أن ربَّها على نعت العصمة حتى كانت تقول : « إني أعود بالرحمن منك إن كنت تقياً » .

« وأنبأها نباتاً حسناً » حتى استقامت على الطاعة ، وآثرت رضاه — سبحانه — في جميع الأوقات ، وحتى كانت الثمرة منها مثل عيسى عليه السلام ، وهذا هو النبات الحسن ، وكفلها زكريا . ومن القبول الحسن والنبات الحسن أن جعل كافلها والقيَمَ بأمرها وحفظها نبياً من الأنبياء مثل زكريا عليه السلام ، وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام : إن رأيتَ لى طالباً فكنْ له خادماً .

قوله جل ذكره : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ : يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

من أمارات القبول الحسن أنها لم تكن توجد إلا في المحراب ، ومن كان مسكنه وموضعه الذي يتعبَّد فيه وهناك يوجد المحراب — فذلك عبْدٌ عزيز .

ويقال من القبول الحسن أنه لم يطرح أمرها كُلَّهُ وشغلها على زكريا عليه السلام ؛ فكان إذا دخل عليها زكريا ليتعهد لها بطعام وجدَّ عندها رزقاً ليعلِّمَ العاملون أن الله — سبحانه — لا يُلقِي شُغْلَ أوليائه على غير<sup>(١)</sup> ، ومن خدم ولياً من أوليائه كان هو في رفق الولي لا إله

(١) وردت على ( عين ) وهي خطأ في النسخ .

تكون عليه مشقة لأجل الأولياء . وفي هذا إشارة لمن يخدم الفقراء أن يعلم أنه في رفق الفقراء .  
ثم كان زكريا عليه السلام يقول : **أَتَى لَكَ هَذَا ؟** لأنه لم يكن يعتقد فيها امتحاق تلك  
للمنزلة ، وكان يخاف أن غيره يغلبه وينتهز فرصة تعهدها ويسبقه بكفاية شغلها ، فكان يسأل  
ويقول : **أَتَى لَكَ هَذَا ؟ ومن أتاك به ؟**

وكانت مريم تقول : **هو من عند الله** لا من عند مخلوق ، فيكون لزكريا فيه راحتان :  
إحداها شهود مقامها وكرامتها عند الله تعالى ، والثانية أنه لم يغلبه أحد على تعهدها ، ولم يسبق  
به . قوله « **كلما دخل عليها زكريا المحراب** » فلفظة **كلما** للتكرار <sup>(١)</sup> وفي هذا إشارة : وهو أن  
زكريا عليه السلام لم يَدَّرْ **تَعَهَّدَهَا** — وإن وجد عندها رزقا — بل كل يوم وكل وقت كان  
يتفقد حالها لأن كرامات الأولياء ليست مما يجب أن يدوم ذلك قطعاً ، فيجوز أن يظهر الله  
ذلك عليهم دائماً ، ويجوز ألا يظهر ، فما كان زكريا عليه السلام يعتمد على ذلك فيترك تفقد  
حالها ، ثم كان يُجَدِّدُ السؤال عنها بقوله : **« يا مريم أَتَى لَكَ هَذَا ؟ »** لجواز أن يكون الذي  
هو اليوم لا على الوجه الذي كان بالأمس ، فإنه لا واجب على الله سبحانه <sup>(٢)</sup>

وقوله : **« إن الله يرزق من يشاء بغير حساب »** إيضاح عن عين التوحيد ، وأن رزقه  
للعباد ، وإحسانه إليهم بمقتضى مشيئته ، دون أن يكون مُعَلَّلاً بطاعتهم ووسيلة عباداتهم .

قوله جل ذكره : **﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾**

أى لما رأى كرامة الله سبحانه معها ازداد يقيناً على يقين ، ورجاء على رجاء ، فسأل الولد  
على كبر سنه ، وإجابته إلى ذلك كانت تقضاً للعادة .

(١) أى لتكرار زيارة زكريا لها مرة بعد مرة .

(٢) هنا إشارة دقيقة تتصل بمذهب القشيري — الذى يخالف المعتزلة — أنه لا وجوب على الله فى إجابة  
المطيع ، لأن طاعة المطيع ليست زينة لله ، ومعصيته ليست شيئاً لله ، وإنما المعول عليه فضل الله وهذا  
لا علاقة له ، ولا وجوب على الله فيه .

ويقال إن زكريا عليه السلام سأل الولدَ ليكونَ عوناً له على الطاعة ، ووارثاً من نسله في النبوة ، ليكون قائماً بحق الله ، فلذلك استحق الإجابة ؛ فإن السؤال إذا كان لحق الحق — لا لحظ النفس — لا يكون له الرد<sup>(١)</sup> .

وكان زكريا عليه السلام يرى الفاكهة الصيفية عند مريم في الشتاء ، وفاكهة الشتاء عندها في الصيف ، فسأل الولد في حال الكبر ليكون آية ومعجزة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ ﴾ .

لما سأل السؤال ، ولأزم الباب أتته الإجابة .

وفيه إشارة إلى أن من له إلى الملوك حاجة فعليه بملازمة الباب إلى وقت الإجابة .

ويقال حكم الله — سبحانه — أنه إنما يقبل بالإجابة على من هو مُعَانِقٌ لخدمته ، فأما مَنْ أَعْرَضَ عن الطاعة ألقاه في ذلِّ الوحشة .

قوله جل ذكره : ﴿ أَنْ اللَّهُ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

قيل سمَّاه يحيى لحياة قلبه بالله ، ولسان التفسير أنه حي به غفر أمه .

ويقال إنه سبب حياة من آمن به بقلبه .

قوله : مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ : أن تصديقه بكلمة « الله » فيما تعبد به أو هو مكوّن بكلمة الله .

وقوله « وسيداً » : السيد من ليس في رق مخلوق ، تحرّر عن أسر هواه وعن كل مخلوق ، ويقال السيد من تحقق بعلوّيته سبحانه ، ويقال السيد من فاق أهل عصره ، وكذلك كان يحيى عليه السلام .

---

(١) الرد هنا معناها الرفض .

ويقال سيد لأنه لم يطلب لنفسه مقاما ، ولا شاهدًا لنفسه قَدْرًا . ولما أخلص في تواضعه  
لله بكل وجه رَقَّاه على الجملة ، وجعله سيدا للجميع .

وقوله « وحسورا » أى مُعْتَقًا من الشهوات ، مكفيا أحكام البشرية مع كونه من جملة  
البشر . ويقال متوقيا عن المطالبات ، مانعا نفسه عن ذلك تعززا وتقربا ، وقيل منعه  
استتصالات بواده الحقائق عليه فلم يبق فيه فضلٌ لحظٌ .

« ونبيا من الصالحين » أى مستحقا لبلوغ رتبهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ  
وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ  
قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

قيل كان بين سؤاله وبين الإجابة مدة طويلة ولذلك قال : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ؟

ويحتمل أنه قال : بأى استحقاقٍ منى تكون لى هذه الإجابة لولا فضلك ؟

ويحتمل أنه قال أَنَّى يَكُونُ هذا : أَعْلَى وجه التبنى أم على وجه التناسل ؟

ويحتمل أنه يكون من امرأة أخرى سوى هذه التى طغنت فى السن أو من جهة  
التسرى بمملوكة ؟ أم من هذه ؟

فقيل له : لا بَلَّ من هذه ؛ فإنكما قاسيتما وحشة الافراد معا ، فكذلك تكون بشارة  
الولد لكما جميعا .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ

أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾

طلب الآية ليعلم الوقت الذى هو وقت الإجابة على التعيين لا لشكٍ له فى أصل الإجابة .

وجعل آية ولايته<sup>(١)</sup> فى إمساك لسانه عن المخلوقين مع انطلاقها مع الله بالتسبيح ، أى  
لا تمتنع عن خطابى فإننى لا أُمْنَعُ أوليائى من مناجاتى .

---

(١) وردت (دلالتة) وقد تكون مقبولة فى المعنى أيضا .

قوله جل ذكره : ﴿واذكر ربك كثيرا﴾ .

بقلبك ولسانك في جميع أوقاتك .

﴿وسبح بالعشي والإبكار﴾ .

في الصلاة الدائمة .

قوله جل ذكره : ﴿واذ قالت الملائكة يا مريم إن الله

اصطفاك وطهرتك واصطفاك على

نساء العالمين﴾ .

يجوز أن يكون هذا ابتداء خطاب من الملائكة على مريم من قبلهم رفعا بشأنها ، ويجوز أن تكون قد سمعت كلامهم وشاهدتهم ، ويجوز أنها لم تشاهدهم وأنهم هتفوا بها : إن الله اصطفاك بتفضيلك ، وإفرادك من أشكالك وأندادك ، وطهرتك من الفحشاء والمعاصي بحميل العصاة ، وعن مباشرة الخلق<sup>(١)</sup> ، واصطفاك على نساء العالمين في وقتك .

وفائدة تكرار<sup>(٢)</sup> ذكر الاصطفاء : الأول اصطفاك بالكرامة والمنزلة وعلو الحالة والثاني اصطفاك بأن تحملي بعيسى عليه السلام من غير أب ، ولم تشبهك امرأة — ولن تشبهك — إلى يوم القيامة ، ولذلك قال « على نساء العالمين » .

قوله جل ذكره : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي

مع الراكعين﴾ .

لازمي بساط العبادة ، وداومي على الطاعة ، ولا تقصري في استدامة الخدمة ، فكما أفردك الحق بمقامك ، كوني في عبادته أو حد زمانك .

قوله جل ذكره : ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾

---

(١) ربما يقصد القشيري من ذلك أنه أبعدا عن أن يباشرها الزوج شأن نساء العالمين .

(٢) لاحظ كيف يلتبس القشيري معنى متجدداً لكلمة تتكرر بلفظها — لأنه لا يرى أن في القرآن تكراراً إلا لداع متجدد .

وما كنتَ لديهم إذ يُلقون  
أقلامهم أيهم يكفلُ مريمَ وما كنتَ  
لديهم إذ يختصمون ﴿١﴾

أى هذه القصص نحن عرفنا كهاو (خا) طبنالك بمعانيها ، وإن قصصنا نحن عليك  
هذا — فعزيزُ خطابنا ، وأعزُّ وأتمُّ من أن لو كنتَ مشاهداً لها .

قوله جل ذكره : ﴿١﴾ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله  
يُبشِّرُكِ بكلمةٍ منه اسمُه المسيح  
عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا  
والآخرة ومن المقربين . وَيُكَلِّمُ  
الناسَ في المهدِ وكهلاً ومن  
الصالحين ﴿٢﴾

لم يُبشِّرْها بنصيب لها في الدنيا ولا في الآخرة من حيث الحفظ ، ولكن بشَّرها  
بما أثبت في ذلك من عظيم الآية ، وكونه نبياً لله مؤيداً بالمعجزة .

ويقال عرِّفها أن مَنْ وقع في تغليب القدرة ، وانتهى عند حكمه يَلْقَى من عجائب القدرة  
ما لا عهد به لأحد . ولقد عاشت مريم مدةً بجميل الصيت ، والاشتهار بالعفة ، فشوش  
عليها ظاهر تلك الحال بما كان عند الناس بسبب استحقاق ملام ، ولكن — في التحقيق —  
ليس كما ظنَّه الأغبياء<sup>(١)</sup> الذين سكروا أبصارهم من شهود جريان التقدير .

وقيل إنه ( ..... )<sup>(٢)</sup> عرِّفها ذلك بالتدرج والتفصيل ، فأخبرها أن ذلك  
الولد يعيش حتى يُكَلِّمَ الناس صبيّاً وكهلاً ، وأن كيد الأعداء لا يؤثر فيه .  
وقيل كهلاً بعد نزوله من السماء .

ويقال ربط على قلبها بما عرِّفها أنه إذا لم ينطق لسانها بذكر براءة ساحنها يُنطقُ الله  
عيسى عليه السلام بما يكون دلالة على صدقها وجلالتها .

(١) وردت ( الأغبياء ) والمعنى والبقا يرفضاتها .

(٢) مشبهة .



قوله جل ذكره : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ  
وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۚ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ  
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾

كما شاهدت ظهور أشياء ناقضة للعادة في رزقنا فكذلك ننقض العادة في خلق ولدٍ من  
غير مسيس بشر .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا ﴾

أى أراد إمضاء حكم .

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

فلا يتعسر عليه إبداء ولا إنشاء .

ولما بسطوا فيها لسان الملامة أنطق الله عيسى عليه السلام وهو ابن يومٍ حتى قال :

﴿ أَنَّى قَدْ جِئْتُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُعَلِّمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ \* وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي

إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُمْ بآيَةٍ مِنْ

رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ

وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ

فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ

إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾

وتلك آياته الظاهرة ، ودلالاته القاهرة الباهرة من إحياء الموتى ، وإبراء الأكْمه

والأبرص ، والإخبار عما عملوه مُسرِّين به ، إلى غير ذلك من معجزاته . وأخبر أنه

مصدق لما تقدمه من الشرائع ، ومختص بشريعة تنسخ بعض ما تقدمه ، وأقرم على البعض — على ما نطق به تفصيل القرآن .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ ..... الآية .

حين بلغهم الرسالة واختلفوا — فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه وهم الأكثرون — علم أن النبوة لا تنفك عن البلاء وتسليط الأعداء ، فقطع عنهم قلبه ، وصدق إلى الله قصده ، وقال لقومه : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ لِيَسَاعِدُونِي عَلَى التَّجَرُّدِ لِحَقِّهِ وَالْخُلُوصِ فِي قَصْدِهِ ؟ فقال مَنْ ابسطت عليهم آثار العناية ، واستخلصوا بآثار التخصيص : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد علينا بالصدق ، وليس يشك عليك<sup>(١)</sup> شيء مما نحن فيه .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

وأما الباقون فجدوا في الشقاق ، وبالغوا في العداوة ، ودشوا له المكائد ، ومكروا ولكن أذاقهم الله وبال مكرهم ، فتوهموا أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه ، وذلك جهل منهم ، ولَبَسُ عَلَيْهِمُ . فَاللَّهُ — سبحانه — رفع عيسى عليه السلام نبيه ووليّه ، وَحَقُّ الطَّرْدِ وَاللَّعْنُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَهَذَا مَكْرُهُ بِهِمْ : ﴿ وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذِهِ الصَّلَافَ مِنْ يَدِكَ ﴾ الإشارة<sup>(٢)</sup> فيه إلى متوفيك عنك ، وقابضك منك ، ورافعك من نعوت البشرية ، ومطهرك من إرادتك بالكلية ، حتى تكون مُصَرِّقًا بِنَا لَنَا ، ولا يكون عليك من

---

(١) ترجح أنها في الأصل : « يشكلك ( علينا ) شيء مما نحن فيه » ، لأن هذا الترجيح يقوى المعنى ، إذ يفصح عن مدى صحة إيمانهم ، أما إذا كانت ( عليك ) فيكون المعنى أن أنصاره طمأنوه عن أنفسهم ، وطلبوا إليه ألا يستشكل ( عليه ) أمر من أمورهم ، بدليل ما أفصحوا عنه في الآية التالية .  
(٢) نخدم هذه الإشارة في إبراز وتدعيم واحدة من أخطر قضايا الفكر الديني .

اختيارك شيء ، ويكون إسبال التولى عليك قائماً عليك . وبهذا الوصف كان يظهر على يده إحياء الموتى ، وما كانت تلك الأحداث حاصلة إلا بالقدره — جَلَّتْ .  
ويقال طَهَّرَ قلبه عن مطالعة الأغيار ، ومشاهدة الأمثال والآثار ، في جميع الأحوال والأطوار .

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

بالنصرة والقهر والحجة .

ومتبعوه مَنْ لم يُبَدِّل دِينَهُ وَمَنْ هو على عقيدته في التوحيد — وهم المؤمنون ، فَبِهِمْ على الحق ، إلى يوم القيامة لهم النصرة ، ثم إن الله سبحانه يحكم — يوم القيامة — بينه وبين أعدائه . فَأَمَّا الكفار ففي الحُجُبِ وَأَمَّا المؤمنون ففي النعيم .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ تَلَوَّهَ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ  
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾

ذلك تَلَوَّهَ عَلَيْكَ يا محمد ، نعرفك معانيه بما نوحى إليك ، لا بتكلفك ما تصل إلى عليه ، أو بتعلمك من الأمثال ، أو استنباطك ما تنزع من الاستدلال .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ  
آدَمَ . . . ﴾ الآية

خَصَّهْمَا<sup>(١)</sup> بتطهير الروح عن التناسخ في الأصلاب وأفرد آدم بصفة البدء ، وعيسى عليه السلام بتخصيص نفخ الروح فيه على وجه الإعزاز ، وهما وإن كانا كبيرى الشأن فنقص الحدثان والمخلوقية لازم لهما :

﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ . . . ﴾ الآية

---

(١) وردت ( خصها ) والصحيح خصهما لعودة الفعل على آدم وعيسى عليهما السلام .

الحق من ربك يا محمد ، فلا تُشكَّنْ في أنه — سبحانه — لا يماثله في الإيجاد أحدٌ ، ولا على إثبات بينه لمخلوق قدرة . والموجودات التي ( . . . )<sup>(١)</sup> وجودها عن كتم العدم — من الله مبدؤها وإليه عودها .

قوله جل ذكره ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ . . . . . ﴾ الآية  
يعنى بعدما ظهرت على صديق ما يقال لك ، وتَحَقَّقَتْ بقلبك معرفة ما خاطبك ، فلا تحشم من حملهم على المباهلة ، وثقْ بأن لك القهر والنصرة ، وأنا توليناك ، وفي كنف قُرْبنا آويناك ، ولو أنهم رغبوا في هذه المباهلة لأحرقت الأودية عليهم نيراناً مؤججة ، ولكن أخر الله — سبحانه — ذلك عنهم لعله بمن في أصلابهم من المؤمنين<sup>(٢)</sup> .  
والإشارة في هذه الآية لمن نزلت حاكه عن أحوال الصديقين ، فإنه إذا ظهرت أنوارهم انخست آثار هؤلاء فلا إقرار ، ولا عنهم آثار .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾  
لا يتسلط على شواهد التوحيد غبار شبهة ، ولا يدرك سر حكمه وهم<sup>(٣)</sup> مخلوق ، ولا بدانيه معلوم يحصره الوجود ، أو موهوم يصوره التقدير<sup>(٤)</sup> .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾  
فإن تولوا — يا محمد — فإنه لا ثبات عند شعاع أنوارك لشبهة مبطل .  
« فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ » إماً يحتاجهم<sup>(٥)</sup> ، أو يحلم<sup>(٦)</sup> حتى إذا استمكن ظنهم يأخذهم بغتة وهم لا ينصرون .

(١) مشبهة .

(٢) هذا تعليل ممتنع لإمهال المخالفين .

(٣) وردت ( وهو ) وهي خطأ من الناسخ ، ونظن أن الأصل ( وم ) وهي مناسبة للسياق .

(٤) للقشيري عبارة في نفس الموضوع وردت في مستهل رسالته : « وكل ما تصوره الأوهام فأنه

بخلاف ذلك » .

(٥) وردت ( يحتاجهم ) وهي خطأ من الناسخ .

(٦) وردت ( ويحكم ) والملائم للمعنى ( أو يحلم ) من الحلم ، ويكون المعنى على هذا الأساس أنه إما أن

يمجل بانتقامه فيحتاجهم أو يمهلهم بحله ثم يفتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ  
سواء بيننا وبينكم . . . . ﴾ الآية

هي كلمة التوحيد وإفراد الحق سبحانه في إنشاء الأشياء بالشهود .  
وقوله : « ألا نعبد إلا الله » : لا تطالع بسرك مخلوقاً . وكما لا يكون غيره معبودك  
فينبغي ألا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك ، وهذا هو اتقاء الشرك ، وأنت أول الأغيار  
الذين يجب ألا تشهدهم .

« ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً » ويظهر صدق هذا بترك المدح والذم لهم .  
ونفى الشكوى والشك عنهم ، وتنظيف السر عن حسابان ذرة من المحو والإثبات منهم  
قال صلى الله عليه وسلم « أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد » .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل<sup>(١)</sup>  
فإن الذي على قلوبهم من المشاق أشد . وأما أهل البداية فالأمر مضيق عليهم في الوطائف  
والأوراد ، فسيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب ، لفراغهم بقلوبهم من المعاني<sup>(٢)</sup> ، فمن  
ظن بخلاف هذا فقد غلط .

والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله جل ذكره :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ  
فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ . . . الآية .

ضرب على خليله — صلوات الله — تقاب الضنة وحجاب الغيرة ، فقطع سببه عن  
جميعهم بعد ادعاء الكل فيه ، وحكم بتعارض شبهاتهم ، وكيف يكون إبراهيم — عليه السلام —  
على دين من أتى بعده ١٩ إن هذا تناقض من الظن .  
ثم قال :

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

(٢) المتصود من ( المعاني ) هنا كل ما تميل إليه النفس ، والنفس محل المطولات .

به عِلْمٌ ، فَلَيْمَ تُحَاجُّونَ فِيهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ  
عِلْمٌ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾

يعنى ما كان فى كتابكم له بيان ، ويصح أن يكون لكم عليه برهان ، فخصَّهم فى ذلك  
إمّا بحق وإمّا بباطل ، فالذى ليس لكم البتة عليه دليل ولا لكم إلى معرفته سبيل فكيف  
تصدِّقون للحكم فيه ، وادَّعاء الإحاطة به ١٤

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا  
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾

الحنيف المستقيم على الحق ، والأحنف هو المستقيم فى حلقة الرُّجُل ، ويسمى مائل القدم  
بذلك على التفاضل (١) . وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً لا مائلاً عن الحق ، ولا زائغاً عن الشرع ،  
ولا مُعَرَّجاً على شئ فيه نصيب للنفس ، فقد سلَّم ماله ونفسه وولده ، وما كان له به جملة —  
إلى حكم الله وانتظار أمره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا ،  
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

لما تفرقت الأهواء والبدع وصار كل حزب إلى خطأ آخر ، بقى أهل الحق فى كل عصر  
وكل حين ووقت على الحجة المثلى ، فكانوا حزباً واحداً ، فبعضهم أولى ببعض . وإبراهيم  
صاحب الحق ، ومن دان بدينه — كمثل رسولنا صلى الله عليه وسلم وأمته — على الدين الذى  
كان عليه إبراهيم عليه السلام وهو توحيد الله سبحانه وتعالى .

« وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » لأنهم تولَّوا دينه ، ووافقوا توحيده ، وولاية الله إنما تكون  
بالمؤمن والنصرة والتخصيص والتقربة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
لَوْ يَضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾

من حلت به فتنة ، وأصابته محنة ، واستهوته غواية — رضى لجميع الناس ما حلَّ به ،

---

(١) فكلية حنيف من الأضداد = مستقيم ومائل .



قَآهل الكُتاب يرِيدون بالمُؤمنين أَن يزيغوا عن الحق ، ولكن أبا الله إِلا أَن يتم نوره ،  
وَأَن يعودَ إِلَهِم وبألُ فعلهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ  
بآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾

قِيلَ<sup>(١)</sup> بعثه — صلى الله عليه وسلم — على صحة نبوته<sup>(٢)</sup> ، فما الذى يحملكم على غيكم  
حتى جحدتم ما علمتم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ  
بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴾

تكتُمون الحق فى شأن محمد عليه السلام وأنتم تعلمون أَنه النبى الصادق ، وهل هذا  
إلا حكم الخذلان وقضية الحرمان ، ثم أخبر أَن منهم من يناقق فى حالته ، فيريد أَن يدفع عنه أذى  
المسلمين ، ولا يخالف إخوانه من الكافرين ، فتواصوا فيما بينهم بموافقة الرسول عليه السلام  
والمسلمين جهراً ، والخلوص فى عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سراً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا  
وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴾

فبين الله سبحانه أَن نفاقهم كُشِفَ للمسلمين ، وَأَن ذلك لا ينفعهم أمّا فى الدنيا فلا إطلاع  
الله نبيه عليه السلام والمؤمنين — عليه ، وأمّا فى الآخرة فَلَفَقْدِ إِخْلَاصِهِمْ فِيهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَوَمِّنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ الآية .

---

(١) فى ص ( قيل ) وهى خطأ فى النسخ ، ويكون المعنى أَنتم — يا أهل الكتاب — تشهدون قبل بعثه  
على صحة نبوته ...

(٢) فى ص ( نبوة ) وهى خطأ فى النسخ .

يحتمل أن يكون هذا ابتداء أمر من الله سبحانه للمسلمين ، والإشارة فيه ألا تعاشرُوا الأضداد ، ولا تفشوا أسراركم للأجانب .

﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ ﴾

فهو الذى يختص من يشاء بأتوار التعريف ، ويختص من يشاء بالخذلان والحرمان .

قوله جل ذكره : ﴿ يختص برحمته من يشاء والله

ذو الفضل العظيم ﴾

يختص من يشاء بغيرون إنعامه ، فالرحمة على هذا سبب لتخصيص النعمة لمن أراد . ولا بد من إضمار فيحتمل أن يختص بالرحمة من يشاء فلا تجرى الرحمة مجرى السبب فالرحمة على هذا التأويل تكون بمعنى النبوة وتكون بمعنى الولاية .

وبمعنى العصمة وجميع أقسام الخيرات التى يختص — بشيء منها — عبداً من عباده ، فيدخل تحت قوله : يختص برحمته ، أى بنعمته .

فقوم اختصهم بنعمة الأخلاق وقوم اختصهم بنعمة الأرزاق ، وقوم اختصهم بنعمة العبادة وآخرين بنعمة الإرادة ، وآخرين بتوفيق الظواهر وآخرين بمطاء الأبدان ، وآخرين ببقاء الأسرار ، قال تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

ويقال لما سمعوا قوله : « يختص برحمته من يشاء » ، علموا أن الوسائل ليست بهادية<sup>(١)</sup> ، وإنما الأمر بالابتداء والمشية .

ويقال يختص برحمته من يشاء بالفهم عنه فيما يكشفه به من الأسرار ويلقيه إليه من فنون التعريفات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ

بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ

تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ .. الآية

---

(١) وصدق الرسول الكريم حين قال : « إنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا . إلا أن يتغمدني الله برحمته « رواه الشيخان عن عائشة

أخبر أنهم — مع ضلالتهم وكفرهم — متفاوتون في أخلاقهم ، فكُلُّهم خَوَنَةٌ في أمانة الدِّين ، ولكنَّ منهم من يرجع إلى سداد للمعاملة ؛ ثم وإن كانت معاملتهم بالصدق فلا ينفعهم ذلك في إيجاب الثواب ولكن ينفعهم من حيث تخفيف العذاب ؛ إذ الكفار مُطَالِبُونَ بتفصيل الشرائع ، فإذا كانوا في كفرهم أقلَّ ذنباً كانوا بالإضافة إلى الأخسرين أقلَّ عذاباً ، وإن كانت عقوبتهم أيضاً مؤبَّدة .

ثم بيَّن أنه ليس الحكم إليهم حتى إذا :

﴿ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ ﴾

فلا تجرى عليهم هذه الحالة ، أو تنفعهم هذه القالة ، بل الحكم لله تعالى .

قوله جلَّ ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ

ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي  
الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ  
إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ ، وَلَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

الذين آثروا هوامهم على عُقْبَاهُمْ ، وقدَّموا مناهم على موافقة مولاهم أولئك لا نصيب لهم في الآخرة ؛ فللاستمتاع بما اختاروا من العاجل خسروا في الدارين .

بقوا عن الحق ، وما استمتعوا بحظٍّ ، جَمَعَ عليهم فنون اليمْحَن ولكنهم لا يدرون ما أصابهم : لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكِّيهم ، ثم مع هذا يُخَلَّدُهم في العقوبة الأبدية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمُ  
بِالْكِتَابِ لِيُخَسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ،  
وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَقُولُونَ  
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ  
اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ  
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

الإشارة من هذه الآية إلى المبطلين في الدعاوى في هذه الطريقة .

يزينون العبارات ، ويطلقون ألسنتهم بما لا خبرَ في قلوبهم منه ، ولا لهم بذلك تحقيق ،  
تلييناً على الأغبياء والعوام وأهل البداية ، يوهمون أن لهم تحقيق ما يقولونه بألسنتهم .  
قال تعالى في صفة هؤلاء « لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب » ، كذلك أرباب  
التليس والتدليس ، يروّجون قائلهم على المستضعفين ، فأما أهل الحقائق فأسرارهم عندهم  
مكشوفة .

قال الله تعالى « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ، أى يعلمون أنهم كاذبون ،  
كذلك أهل الباطل والتليس في هذه الطريقة يتكلمون عن قلوب خربة ، وأسرار محجوبة ،  
نعوذ بالله من استحقاق المقت !

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ  
وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ  
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ،  
وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ  
تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ  
تَدْرُسُونَ ﴾ .

أى ليس من صفة مَنْ اخترناه للنبوّة واصطفيناه للولاية أن يدعو الخلق إلى نفسه ،  
أو يقول بإثبات نفسه وحظه ، لأن اختياره — سبحانه — إياهم للنبوّة يتضمن عصمتهم عمّا  
لا يجوز ، فتجوز ذلك في وصفهم منأفٍ لحالم ، وإنما دعاء الرسل والأولياء — للخلق —  
إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو معنى قوله تعالى : « ولكن كونوا ربّانيين » أى إنما أشار بهم  
على الخلق بأن يكونوا ربّانيين ، والربّانى منسوبٌ إلى الرب كما يقال فلان دقيانى ولحيانى  
... وبابه .

وهم العلماء بالله العلماء في الله القائمون بفنائهم عن غير الله ، المستهلكة حظوظهم ،  
المستغرقون في حقائق وجوده عن إحساسهم بأحوال أنفسهم ، ينطقون بالله ويسمعون بالله ،  
وينظرون بالله ، فهم بالله محو عمّا سوى الله .

ويقال الرباني من ارتفع عنه ظلُّ نفسه ، وعاش في كنف ظلِّه — سبحانه .  
ويقال الرباني الذي لا يُشَبَّهُ غيرُ ربِّه مَوْحِدًا ، ولا يشهد ذرة من المحو والإثبات لغيره .  
أو من غيره .

ويقال الرباني من هو بحَقٍّ في وجوده — سبحانه — ومحو عن شهوده ، فالقائم عنه  
غَيْرُهُ ، والمُجَرِّى لِمَا عليه سواه .

ويقال الرباني الذي لا تُؤَثَّرُ فيه تصاريِفُ الأقدار على اختلافها .  
ويقال الرباني الذي لا تُغَيِّرُهُ محنة ولا تُضَرُّهُ نعمة — فهو على حالة واحدة  
في اختلاف الطوارق .

ويقال الرباني الذي لا يتأثر بورود واردة عليه ، فَمَنْ استنظقت رقة قلبه ، أو استمالة  
هجوم أمر ، أو تفاوتت عنده أخطار حادث — فليس برباني .

ويقال إنَّ الرباني هو الذي لا يبالي بشيء من الحوادث بقلبه وسِرِّه ، ومن كان لا يقصر  
في شيء من الشرع بفعله .

« بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » من توالى إحسانى إليكم ، وتضاعف  
نعمتى لديكم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة  
والنبيين أربابا أيا أمركم بالكفر بعد  
إذ أنتم مسلمون ﴾ .

أى لا تنسبون إليهم ذرة من الإثبات في الخير والشر .

ويقال يعرفكم حدُّ البشرية وحقُّ الربوبية .

ويقال يأمركم بتوقيهم من حيث الأمر والشرعية ، وتحقير قدر الخلق — بالإضافة<sup>(١)</sup>  
إلى الربوبية . « أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » أيا أمركم بإثبات الخلق بعد  
شهود الحق ؟

---

(١) وتحقير قدر الخلق ( بالإضافة إلى الربوبية ) معناها ( بالنسبة إلى ) جلال الربوبية وعظمتها .

ويقال «أيامكم بمطالعة الأشكال، ونسبة المحدثان إلى الأمثال، بعد أن لاحت في أسراركم أنوار التوحيد، وطلعت في قلوبكم شمس التفريد».

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾ الآية

أخذ الله ميثاق محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء عليهم السلام، كما أخذ ميثاقهم في الإقرار بربوبيته — سبحانه، وهذا غاية التشريف للرسول عليه السلام، فقد قرّن اسمه باسم نفسه، وأثبت قدره كما أثبت قدر نفسه، فهو أوجد الكفاة في الرتبة، ثم سهل سبيل الكفاة في معرفة جلاله بما أظهر عليه من المعجزات.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الإشارة فيه: فمن حاد عن سنته، أو زاغ عن اتباع طريقته بعد ظهور دليله، ووضح معجزته فأولئك هم الذين خبثت درجاتهم، ووجب المقت عليهم لجحدهم، وسقوطهم عن تعلق العناية بهم.

قوله جل ذكره: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ...﴾ أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً...﴾

من لاحظ على غير الحقيقة، أو طالع سواه في توم الأهلية<sup>(١)</sup> كراء السراب ظنه ماء فلما أتاه وجده هباء. ومغالط الحسابات مقطعة مشككة فمن حلّ بها نزل بوادٍ قفر.

«وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً» لإجراء حكم الإلهية على وجه القهر عليهم.

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا،

---

(١) الأهلية معناها الاستحقاق، استحقاق كل تقديس، ولا نستبعد أنها في الأصل الألوهية لأن السياق يسير متحدثاً عن البشر الذين يقولون للناس كونوا عباداً لنا، وعن الملائكة والنبیین ووجوب عدم اتخاذهم أرباباً.



وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل  
 وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي  
 موسى وعيسى والنبيون من ربهم  
 لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن  
 له مُسلمون \*

آمنّا بالله لا بنفوسنا أو حولنا أو قوتنا .

وآمنّا بما أنزل علينا بالله ، وأنّا لا نفرّق بين أحدٍ منهم — بالله سبحانه — لا بحولنا  
 واختيارنا ، وجهدنا<sup>(١)</sup> واكتسابنا ، ولولا أنه عرفّنا أنه من هو ما عرفنا وإلا فمتى  
 علمنا ذلك ؟<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : \* ومن يتنغ غير الإسلام ديناً قلن  
 يُقبل منه وهو في الآخرة من  
 الخاسرين \* .

من سلّك غير الخمود تحت جريان حكمه سيلاً زلّت قدمه في وهدة<sup>(٣)</sup> من المغاليط  
 لا مدى لقرها .

ويقال من توّسل إليه شيء دون الاعتصام به فخُسرانه أكثر من ربحه .  
 ويقال من لم يَفْضَ عن شهود الكل لم يصل إلى من به الكل .  
 ويقال من لم يَمْشِ تحت راية المصطفى صلى الله عليه وسلم المُعْظَم في قدره ، المُعَلَّى في وصفه ،  
 لم يُقْبَلْ منه شيء ولا ذرة .

قوله جل ذكره : \* كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد

(١) وردت (وجهدنا) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) قارن ذلك بعبارة ذي النون المصري : عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي . ( الرسالة

ص ١٥٦ ) .

(٣) أنخطأ الناسخ حين كتبها ( وحدة ) بالحاء .

إيمانهم وشهدوا أن الرسول حقٌ  
.....، ..... الآية ﴿

مَنْ أبعده عن استحقاق الوصلة في سابق حكمه فحق يقربه من بساط الخدمة بفعله في وقته ؟  
ويقال : الذي أقصاه<sup>(١)</sup> حكم ( الأول )<sup>(٢)</sup> متى أدناه صدق العمل ؟ والله غالبٌ على أمره .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله  
والملائكة والناس أجمعين ﴾

أولئك قصارى حالهم ما سبق لهم من حكمه في ابتداء أمرهم ، ابتداءؤهم ردُّ القسمة ،  
ووسائطهم الصدُّ عن الخدمة ، ونهايتهم المصير إلى الطرد والمنلة .

﴿ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب  
ولا هم يُنظرون ﴾

خالدين في تلك المنلة لا يفتر عنهم العذاب لحظة ، ولا يخفف دونهم الفراق ساعة .

﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك  
وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾

أولئك هم الذين تداركتهم الرحمة ، ولم يكونوا في شق السبق من تلك الجملة ، وإن كانوا  
في توهم الخلق من تلك الزمرة .

قوله جل ذكره : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم  
نم ازدادوا كفراً لن نقبل توبتهم  
وأولئك هم الضالون ﴾

الإشارة منه : أن الذين رجعوا إلى أحوال أهل العادة بعد سلوكهم طريق الإرادة ،

---

(١) وردت ( أقصاه ) ونحن نرجح أن تكون ( أقصاه ) بالصاد حتى تتلاءم مع ( أدناه ) التي جاءت  
بعدها — فذلك أقرب إلى طبيعة أسلوب القشيري في هذا السياق .  
(٢) هكنا كتبها الناسخ ، ونحن نميل إلى أنها في الأصل ( الأزل ) .  
فالقشيري يعتقد أن الأقسام سبقت في الأزل وأن قيمة الإنسان مرتبته بذلك ،

وآثروا الدنيا ومطاوعة الهوى على طلب الحق سبحانه وتعالى ، ثم أنكروا على أهل الطريقة ، وازدادوا في وحشة ظلماتهم — لن تُقبلَ توبتهم ، « وأولئك هم الضالون » عن طريق الحق فإنه لا يقبل الأمانة بعد ظهور الخيانة . وعقوبتهم أنهم على ممر الأيام لا يزدادون إلا نفرة قلب عن الطريقة ، ولا يتحسرون على ما فاتهم من صفاء الحالة . ولو أنهم رجعوا عن إصرارهم لها لُقبِلت توبتهم ، ولكن الحق سبحانه أجرى سنته مع أصحاب الفترة في هذه الطريقة إذا رجعوا إلى أصول العادة ألا يتأبفوا على ما مضى من أوقاتهم .

قال تعالى : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة » وإن المرتد عن الإسلام لأشدَّ عداوة للمسلمين من الكافر الأصلي ، فكذلك الراجع عن هذه الطريقة لأشدَّ إنكاراً لها وأكثر إعرافاً عن أهلها من الأجنبي عنها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَالِهِمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

الإشارة منه : لمن مات بعد فترته — وإن كانت له بداية حسنة — فلا يحشر في الآخرة مع أهل هذه القصة ، ولو تشفع له ألف عارف ، بل من كمال السكر به أنه يلقي شبهه في الآخرة على غيره حتى يتوهم معارفه من أهل المعرفة أنه هو — فلا يخطر ببال أحد أنه ينبغي أن يشفع له .

قوله جل ذكره : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

لما كان وجود البر مطلوباً ذكر فيه « من » التي للتبويض فقال : « مما تحبون » ، فمن أراد البر فلينفق مما يحبه أى البعض ، ومن أراد البار فلينفق جميع ما يحبه . ومن أنفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من الحق تعالى ، ومن كان مربوطاً بحظوظ نفسه لم يحفظ بقرب ربه . ويقال إذا كنت لاتصل إلى البر إلا بإففاق محبوبك فتى تصل إلى البار وأنت تؤثر عليه حظوظك . « وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم » منهم من ينفق على ملاحظة الجزاء

والعوض ، ومنهم من ينفق على مراقبة دفع البلاء والحزن ، ومنهم من ينفق اكتفاء بعلمه ،  
قال قائلهم :

ويهنر للمعروف في طلب العلى لتذكر يوماً — عند سلمى — شمائله  
قوله جل ذكره : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّبًى لِّبَنى إِسْرَآئِيلَ  
إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ  
قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ، قُلْ فَأْتُوا  
بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \*  
فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الأصل فى الأشياء ألا يشرع فيها بالتحليل والتحريم ، فإلا يوجد فيه حدٌ فذلك من  
الحق — سبحانه — توسعة ورفقة إلى أن يحصل فيه أمر وشرع ؛ فإنَّ الله — سبحانه —  
وسَّعَ أحكام التكليف على أهل النهاية<sup>(١)</sup> ، فسبيلهم الأخذ بما هو الأسهل لتمام ما هم به من أحكام  
القلوب ، فإن الذى على قلوبهم من المشاق أشد . وأما أهل البداية فالأمر مضيقٌ عليهم فى  
الوظائف والأوراد ؛ فسبيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب لفراغهم بقلوبهم من المعانى ،  
فمن ظنَّ بخلاف هذا فقد غلط .

والإشارة من هذه الآية أيضاً فى قوله : « فمن افتري على الله الكذب » إلى أحوال  
أهل الدعاوى والمغاليط ؛ فإنهم يخلون بنفوسهم فينسبون إلى الله — سبحانه — هواجسها ،  
والله برئ عنها . وعزيزٌ عبدٌ يفرق بين الخواطر والهواجس .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ  
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الخروج إلى الله بالكلية ، والتسليم لحكمه من غير أن تبقى بقية ؛ فأثبت  
فردة فى الحساب من الحدثان شركاً — فى التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى

---

(١) أهل النهاية هم العوام ، وأهل البداية هم الخواص .

بِسَكَّةٍ مُبَارَكًا وَهَدًى الْعَالَمِينَ •  
فِيهِ آيَاتٌ يَتَذَكَّرُ لَهَا إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ  
دَخَلَ كَانَ آمِنًا ، وَلَقَدْ عَلِمَ عَلَى النَّاسِ  
حُجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ،  
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ  
الْعَالَمِينَ ❦

البيت حَجَرَةٌ والعبد مَدْرَةٌ ، فَرَبَطَ المدرة بالحجرة ، فالمدرة مع الحجر .  
وتعزّز وتقدّس من لم يزل .

ويقال البيت مطاف النفوس ، والحق سبحانه مقصود القلوب !

البيت أطلال وآثار وإنما هي رسوم وأحجار ولكن :  
تلك آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ويقال البيت حجر ، ولكن ليس كل حجر كالذي يجانسه من الحجر .  
حَجَرٌ ولكن لقلوب الأحباب مزعج بل لأكباد الفقراء منفع<sup>(١)</sup> ، لا بل لقلوب قوم  
مُشَلِّجٌ مبهج ، وقلوب الآخرين منفع مزعج .  
وهم على أصناف : بيت هو مقصد الأحباب ومزارهم ، وعنده يسمع أخبارهم  
ويشهد آثارهم .

بيت من طالعه بعين التفرقة عاد بسمر خراب ، ومن لاحظته بعين الإضافة حظى بكل تقريب  
وإيجاب ، كما قيل :

إن الديار — وإن صمتت — فإن لها عهداً بأحبائنا إذ عندها نزولنا

بيت من زاره بنفسه وجد ألطافه ، ومن شاهده بقلبه نال كشوفاته .

---

(١) نفع الأربء أناره والناجفة الريح الشديدة ، فيكون معنى منفع شديد الإنارة .

ويقال قال سبحانه : « وطهر بيتي » وأضافه إلى نفسه ، وقال هاهنا : « إن أول بيت وضع للناس » وفي هذا طرف من الإشارة إلى عين الجمع <sup>(١)</sup> .

وسميت (بكة) لآزدحام الناس ، فالكل يتناجزون على البدار إليه ، ويزدحمون في الطواف حوالية ، ويبدلون المهج في الطريق لوصولوا إليه .

والبيت لم يخاطب أحداً منذ بُني بُنية ، ولم يستقبل أحداً بخطوة ، ولا راسل أحداً بسطر في رسالة ، فإذا كان البيت الذي خلقه من حجر — هذا وصفه في التمزز <sup>(٢)</sup> — فما ظنك بمن البيت له . قال صلى الله عليه وسلم مخبراً عنه سبحانه : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري » .

ويقال إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل إليه من ناحية من نواحيه إلا بقطع للمفاوز والمتاهات فكيف تطمع أن تصل إلى رب البيت بالهويني دون تحمل المشقات ومفارقة الراحة ؟ ١

ويقال لا تعلق قلبك بأول بيت وضع لك ولكن أفرّد سيرك لأول حبيب آثر .  
ويقال شتان بين عبد اعتكف عند أول بيت وضع له وبين عبد لازم حضرة أول عزيز كان له .

ويقال ازدحام الفقراء بهمهم حول البيت ليس بأقل من ازدحام الطائفين بقدمهم ، فالأغنياء يزورون البيت ، ويطوفون بقدمهم ، والفقراء يبقون عنه فيطوفون حوله بهمهم .  
ويقال الكعبة بيت الحق سبحانه في الحجر ، والقلب بيت الحق سبحانه في السر ، قال قائلهم :

لست من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بينه والمقام  
وطوافي إجمالة السر فيه وهو ركني إذا أردت استلاما  
فالطائف تطوف بقلوب العارفين ، والحقائق تعتكف في قلوب الموحدين ، والكعبة مقصود العبد بالحج ، والقلب مقصود الحق بإفراده إياه بالتوحيد والوجد .

---

(١) ربما كان في الأصل ( ... الإشارة إلى عين الجمع ، « وأول بيت وضع للناس » إشارة إلى الفرق ) في الأول نسب البيت إلى نفسه ، وفي الثاني أشار إلى وضعه للناس .  
وسقطت هذه العبارة الأخيرة من النسخ .  
(٢) وردت ( التمزز ) والسياق يتطلب ( التمزز ) .



قوله جل ذكره : ﴿مباركاً مهدى للعالمين﴾

بركاته اتصال الألفاظ والكشوفات ، فمن قصده بهمة ، ونزل عليه بقصده هداً إلى طريق رُشديه .

قوله جل ذكره : ﴿فيه آيات بينات﴾

ولكن لا تدرك تلك الآيات بأبصار الرءوس ولكن ببصائر القلوب ، ومقام إبراهيم — في الظاهر — ما تأثر بقدمه ، وفي الإشارة : ما وقف التحليل عليه السلام بهمة .  
ويقال إن شرف مقام إبراهيم لأنه أثر التحليل ، ولأثر التحليل خطر عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾

يقال من دخل مقام إبراهيم كان آمناً ، ومقام إبراهيم التسليم ، ومن كان مسلماً أموره إلى الله لم يبق له اختيار ، وكان آمناً ؛ فالأمن ضده الخوف ، والخوف إنما يكون على ألا يحصل مرادك على ما تريد ، فإذا لم تكن للعبد إرادة واختيار فأى مسأغ للخوف في وصفه ؟

ويقال إن الكناية<sup>(١)</sup> بقوله (دخله) راجعة إلى البيت ، فمن دخل بيته — على الحقيقة — كان آمناً ، وذلك بأن يكون دخوله على وصف الأدب ، ولا محالة أدب دخول البيت تسليم الأمور إلى رب البيت ، فإن من لم يكن صاحب تسليم فهو معارض للتقدير . ودخول البيت إنما الأدب فيه أن يكون دخولاً على التسليم دون المعارضة والنزاع فيؤول إلى المعنى المتقدم .

وإن جعلت الإشارة من البيت إلى القلب فمن دخل قلبه سلطان الحقيقة أمين من نوازع البشرية وهو اجس غافة النفس ، فإن من التجأ إلى ظل الملك لم يمتط إليه محنورا .

ويقال لا يكون دخول البيت — على الحقيقة — إلا بخروجك عنك ، فإذا خرجت عنك صح دخولك في البيت ، وإذا خرجت عنك أمنت .

ويقال دخول بيته لا يصح مع تعريضك في أوطانك ومماهدك ، فإن الشخص الواحد

---

(١) يعتمد بها ضمير الغائب في (دخله) .

لا يكون في حالة واحدة في مكانين ؛ فمن دخل بيت ربّه فبالحرى أن يخرج عن معاهد<sup>(١)</sup> نفسه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

شرط الغنى ألا يدخر عن البيت شيئاً من ماله ، وشرط الفقير ألا يدخر عن الوصول إلى بيته نفساً من روحه .

ويقال الاستطاعة فنون ؛ فستطيع بنفسه وماله وهو الصحيح السليم ، ومستطيع بغيره وهو الزمّن للعصوب ، وثالث غفل الكثيرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نمت كل مخلص مستحق فإن بلاياه لا تحملها إلا مطاياها .

ويقال حج البيت قرض على أصحاب الأموال ، ورب البيت قرض على الفقراء فرض حتم ؛ فقد ينسد الطريق إلى البيت ولكن لا ينسد الطريق إلى رب البيت ، ولا يمنع الفقير عن رب البيت .

ويقال الحج هو القصد إلى من تعظمه : فقاصد بنفسه إلى زيارة البيت ، وقاصد بقلبه إلى شهود رب البيت ، فشتان بين حج وحج ، هؤلاء تحلهم عن إحرامهم عند قضاء منسكهم وأداء فريضهم ، وهؤلاء تحلهم عن إحرامهم عند<sup>(٢)</sup> شهود ربهم ، فأما القاصدون بنفوسهم فأحرموا عن المعبودات من محرمات الإحرام ، وأما القاصدون بقلوبهم فإنهم أحرموا عن المساكنات وشهود الغير وجميع الأنام .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

ضرب رقم الكفر على من ترك حج البيت ، ووقعت بسبب هذا القول قلوب العلماء في كد التأويل ، ثم قال : « فإن الله غني عن العالمين » وهذا زيادة تهديد تدل على زيادة تخصيص .

ويقال إن سبيل من حج البيت أن يقوم بأداب الحج ، فإذا عقد بقلبه الإحرام يجب أن

---

(١) أى مألوفات نفسه .

(٢) وردت ( عن ) والصحيح ( عند ) .

يفسخ كل عقد يصدّه عن هذا الطريق ، وينقض كل عزم يردّه عن هذا التحقيق ، وإذا طهرّ  
تَطَهَّرَ عن كل دنسٍ من آثار الأغيار بماء الخجل ثم بماء الحياء ثم بماء الوفاء ثم بماء الصفاء ،  
فإذا تجرّد عن ثيابه تجرّد عن كل ملبوسٍ له من الأخلاق الذميمة ، وإذا لبّي بلسانه وجب  
ألا تبقى شعرةٌ من بدنه إلا وقد استجابت لله . فإذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسيره حيث  
وقفه الحق بلا اختيار مقام ، ولا تعرض لتخصيص ؛ فإذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه ،  
وعرف له تعالى حقّه على نفسه ، ويتعرّف إلى الله تعالى بتبرّيه عن مُنْتَه (١) وحوّله ،  
والحق سبحانه يتعرّف إليه بِمَنْتَه وطوّله ، فإذا بلغ المشعر الحرام يذكر مولاه بنسيان نفسه ،  
ولا يصحّ ذكره لربه مع ذكره لنفسه ، فإذا بلغ مني نقي عن قلبه كل طلبٍ ومُنَى ، وكلّ  
شهوةٍ وهوى .

وإذا رمى الجمار رمى عن قلبه وقذف عن سره كل علاقة في الدنيا والعقبى .  
وإذا ذبح ذبح هواه بالكلية ، وتقرب به إلى الحق سبحانه ، فإذا دخل الحرم عزّم  
على التباعد عن كل مُحَرَّم على لسان الشريعة وإشارة الحقيقة .  
وإذا وقع طَرَفُهُ على البيت شهد بقلبه ربّ البيت ، فإذا طاف بالبيت أخذ سيره بالجولان  
في اللسكوت

فإذا سعى بين الصفا والمروة صَفَّى عنه كل كدورة بشرية وكل آفة إنسانية .  
فإذا حَلَقَ قطع كل علاقة بقيت له .  
وإذا تحلّل من إحرام نفسه وقصده إلى بيت ربه استأنف إحراماً جديداً بقلبه ، فكما  
خرج من بيت نفسه إلى بيت ربه يخرج من بيت ربه إلى ربه تعالى .  
فمن أكل نسكاً فإنما عمل لنفسه ، ومن تكاسل فإن الله غنى عن العالمين وقال صلى الله  
عليه وسلم : « الحاج أشعث أغبر » ، فمن لم يتحقق بكمال الخضوع والذوبان عن كليته فليس  
بأشعث ولا أغبر .

(١) ضبطناها هكذا لأن القشيري يميز بين ( المينة ) للحق و ( المنة ) للبد .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

بآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾

الخطاب بهذه الآية لنا كيد الحجة عليهم ، ومن حيث الحقيقة والقهر يسد الحجة عليهم ،  
فهم مدعوون — شرعاً وأمرأ ، مطرودون — حكماً وقهراً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُؤْهَا

عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

كيف يصد غيره مَنْ هو مصدودٌ في نفسه ؟ إنَّ في هذا لَـسِيراً للربوبية .

قوله جل ذكره ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾

الوحشة ليست بلازمة لأصحابها ، بل هي متعدية إلى كل من يحوم حول أهلها ، فمن أطاع

عدو الله إلى شؤم صحبة ( الأعداء )<sup>(١)</sup> ألقاه في هدمته .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ

يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾

لا ينبغي لمن أشرقت في قلبه شمسُ العرفان أن يوقع الكفرُ عليه ظلاً ، فإنه إذا أقبل

النهارُ من هاهنا أدبر الليلُ من هاهنا .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِم . . . ﴾ الآية إنما يعتصم بالله مَنْ وَجَدَ العصمة من الله ، فأما

---

(١) مكتوبة ( إلا ) وسقطت بقية الكلمة فأكلناها ( الأعداء ) وربما ( الأجانب ) أو ماني معانها

طبقاً لما نعرفه عن اتجاه القشيري في مواضع مماثلة .

مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَتَى يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ ؟ فَالْهُدَايَةُ مِنْهُ فِي الْبِدَايَةِ تَوْجِبُ اعْتِصَامَكَ فِي النِّهَايَةِ ، لَا الْاعْتِصَامُ مِنْكَ يَوْجِبُ الْهُدَايَةَ .

وَحَقِيقَةُ الْاعْتِصَامِ صِدْقُ اللَّجْوِ إِلَيْهِ ، وَدَوَامُ الْفِرَارِ إِلَيْهِ ، وَاسْتِصْحَابُ الْاسْتِغَاثَةِ إِلَيْهِ . وَمَنْ كَشَفَ عَنْ سِرِّهِ غَطَاءَ التَّفَرُّقَةِ تَحَقَّقَ بِأَنَّهُ لَا لِغَيْرِ اللَّهِ خَزَاةٌ أَوْ مِنْهُ سَيْنَةٌ ، فَهَذَا الْإِلْسَانُ يَعْتَصِمُ بِهِ مِمَّنْ يُعْتَصَمُ بِهِ ؛ قَالَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » .

وَمَنْ اعْتَصِمَ بِنَفْسِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ مُحَوَّاً عَنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ فِي اعْتِصَامِهِ — فَالشِّرْكُ وَطَنُهُ وَلَيْسَ بِشَعْرٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

حَقُّ التَّقْوَى أَنْ يَكُونَ عَلَى وَفْقِ الْأَمْرِ لَا يَزِيدُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ وَلَا يَنْقُصُ .

هَذَا هُوَ الْمُعْتَمِدُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ فِيهِ ، وَأَمْرُهُ عَلَى وَجْهَيْنِ : عَلَى وَجْهِ الْحَتْمِ وَعَلَى وَجْهِ النَّدْبِ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي النَّهْيِ عَلَى قَسَمَيْنِ : تَحْرِيمٍ وَتَنْزِيهِ ، فَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةِ هَذَا أَنْ يَكُونَ حَقُّ تَقَاتِهِ أَوَّلًا اجْتِنَابَ الزَّلَّةِ ثُمَّ اجْتِنَابَ الْغَفْلَةِ ثُمَّ التَّوَقُّي عَنْ كُلِّ خَلَةٍ ثُمَّ التَّنَقُّي مِنْ كُلِّ عِلَّةٍ ، فَإِذَا تَقَيَّيْتُ عَنْ شُهُودِ تَقْوَاكَ بَعْدَ اتِّصَافِكَ بِتَقْوَاكَ فَقَدْ اتَّقَيْتَ حَقَّ تَقْوَاكَ .

وَحَقُّ التَّقْوَى رَفْضُ الْعَصْيَانِ وَنَقْيُ النِّسْيَانِ ، وَصَوْنُ الْمَهْرُودِ ، وَحِفْظُ الْحُدُودِ ، وَشُهُودُ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْإِسْلَاحُ عَنْ أَحْكَامِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْحَمْدُ نَحْتِ جَرِيَانِ الْحُكْمِ بَعْدَ اجْتِنَابِ كُلِّ جُرْمٍ وَظَلَمٍ ، وَاسْتِشْعَارُ الْآفَةِ عَنْ التَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعِنِكَ دُونَ صَرْفِ كَرَمِهِ ، وَالتَّحَقُّقُ بِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ أَحَدًا بِعِلَّةٍ وَلَا يَرُدُّ أَحَدًا بِعِلَّةٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

لَا تُصَادِقَنَّكَ الْوَفَاةُ إِلَّا وَأَنْتُمْ بِشَرَطِ الْوَفَاءِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم  
أعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم  
بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا  
حفرة من النار فأنقذكم منها ،  
كذلك يُبَيِّنُ الله لكم آياته  
لعلكم تهتدون \* .

الاعتصامُ بحبله — سبحانه — التمسك بآثار الواسطة — العزيز صلوات الله عليه —  
وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسنة .

ويصح أن يقال : الخواص يُقال لهم « اعتصموا بحبل الله » ، وخاص الخاص قيل لهم  
« واعتصموا بالله » ، ولَمِنْ رَجِعَ عند سوانحه إلى اختياره واحتياله ، أو فكرته وامتلأه ،  
أو معارفه وأشكاله ، والتجأ إلى ظل تدبيره ، واستضاء بنور عقله وتفكيره<sup>(١)</sup> — فرفوع عنه  
ظل العناية ، وموكل إلى سوء حاله .

وقوله : « ولا تفرقوا » : التفرقة أشد العقوبات وهي قرينة الشرك .

وقوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » . وكانوا أعداء حين كانوا قاطعين  
بمخطوئهم ، مُعْرِجِينَ على ضيق البشرية ، متزاحمين بمقتضى شُحِّ النفوس .  
« قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ » : بالخلاص من أسْرِ المكنونات ، ودَفَعَ الأخطار عن أسرارهم ،  
فصار مقصودهم جميعاً واحداً ؛ فلو أَلَفَ أَلَفَ شخص في طلبٍ واحدٍ — فهم في الحقيقة واحد .  
« فأصبحتم بنعمته إخوانا » نعمته التي هي عصمته إياكم ، إخواناً مُتَّفِقِي القصد والهمة ،  
متفانين عن حظوظ النفس وخبايا البخل والشح .  
« وكنتم على شفا حفرة من النار » : بكونكم نحت أسْرِ مُنَاكَم ، وورباط  
حظوظكم وهواكم .

(١) واضح أن القشيري يرى أن الالتجاء إلى العقل والفكر كوسيلة للوصول يمد قاطعا من القواطع ،  
لأن العقل آفات — ذكرها القشيري في مواضع مختلفة — تجعله غير جدير بأن يعتمد عليه العبد في معرفة  
الحقائق العليا ؛ إن مهمة العقل عند هذا الباحث لا تتجاوز منطقة البداية — عند نصحيح الإيمان .



ه فأتقذكم منها : بنور الرضاء ، والحدود عند جريان القضاء ، وتلك حقاً هي المكاة  
المعطى والدرجة الكبرى ، ويدخل في هذه الجملة ترك السكون إلى ما منك من المناقب  
والثقى ، ولعل والحجا ، والتحصيل والنهى ، والفرار إلى الله - عز وجل - عن كل  
غير وسوى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى  
الخير ويأْمُرُونَ بالمعروف وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾  
هذه إشارة إلى أقوام قاموا بالله لله ، لا تأخذهم لومة لائم ، ولا تقطعهم عن الله  
استقامة إلى علة ، وقفوا بجلتهم على دلالات أمره ، وقصروا أنفاسهم واستغرقوا أعمارهم  
على تحصيل رضاء ، عملوا لله ، ونصحوا الدين لله ، ودعوا خلق الله إلى الله ، قريحت  
تجارتهم ، وما خسرت صفقتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا  
وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ  
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾  
هؤلاء أقوام أظهر عليهم في الابتداء رقوم الطلب ، ثم وسهم<sup>(١)</sup> في الانتهاء بكى  
الفرقة ، فباتوا في شق الأحباب ، وأصبحوا في زمرة الأجانب<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ  
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ  
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ  
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ  
\* وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ  
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(١) الرقم نعت يجرى في الابتداء والوسم نعت يجرى في الأبد بما جرى في الأزل .  
(٢) تأمل الدقة في استعمال ( باتوا ) وكيف تعبر عن البداية ؛ ثم ( أصبحوا ) لتعبر عن النهاية .

أرباب الدَّعَاوَى تسودُّ وجوههم ، وأصحاب المعانى تبيض وجوههم ، وأهل  
الكشوفات غداً تبيض بالإشراق وجوههم ، وأصحاب الحجاب تسودُّ بالحجبة وجوههم ،  
فتعلوها غبرة ، وترهقها قنرة .

ويقال من ابيض — اليوم — قلبه ابيض — غداً — وجهه ، ومن كان بالضد  
فحالته العكس .

ويقال من أعرض عن الخلق — عند سواتحه — ابيض وجهه بروح التفويض ،  
ومن علق بالأغيار قلبه عند الحوائج اسودَّ عيَّاه بغبار الطمع ، فأما الذين ابيضت وجوههم  
ففى أنس وروح ، وأما الذين اسودَّت وجوههم ففى عن ونوح .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُلَاوَهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ  
وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾  
والله ما فى السموات وما فى الأرض  
والى الله ترجع الأمور ﴿

نُديمُ مخاطبتنا معك على دوام الأوقات فى كل قليل وكثير ، عمارة لسبيل الوداد :  
﴿ وما الله يريد ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ وأنى يجوز الظلم فى وصفه تقديراً ووجوداً — والخلق  
كلهم خلقه — والحكم عليهم حكمه ؟

والله ما فى السموات وما فى الأرض ملكاً ، والى الله ترجع الأمور حكماً .

قوله جل ذكره : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ  
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

لما كان المصطفى صلوات الله عليه أشرف الأنبياء كانت أمته — عليه السلام —  
خير الأمم . ولما كانوا خير الأمم كانوا أشرف الأمم ، ولما كانوا أشرف الأمم كانوا  
أشوق الأمم ، فلما كانوا أشوق الأمم كانت أعمارهم أقصر الأعمار ، وخلقهم آخر  
الخلق لئلا يطول مكثهم تحت الأرض . وما حصلت خيريتهم بكثرة صلواتهم

وعباداتهم ، ولكن بزيادة إقبالهم ، وتخصيصه لإياهم . ولقد طال وقوف المتقدمين بالباب ولكن لما خرج الإذن بالدخول تقدم المتأخرون .

وكم - باسطين إلى وُصِلنا أَكْفَهُمْ لم ينالوا نصيباً

قوله جل ذكره : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

المعروف خدسه الحق ، والمنكر صحبة النفس .

المعروف إثارة حق الحق ، والمنكر اختيار حظ النفس .

المعروف ما يُزِلُّكَ إليه ، والمنكر ما يحجبك عنه .

وشرط الأمر بالمعروف أن يكون متصفاً بالمعروف ، وحق النأي عن المنكر أن يكون منصرفاً عن المنكر .

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

لو دَخَلَ الكَافَّةُ نَحْتِ أَمْرِنَا لَوَصَلُوا إِلَى حَقِيقَةِ الْعِزِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَكِنْ بَعُدُوا عَنِ الْقَبُولِ فِي سَابِقِ الْإِخْتِيَارِ فَصَارَ أَكْثَرُهُمْ مُوسِمًا بِالشَّرِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ كَلَّا يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلَكُمُ يُولَوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

إن الحق سبحانه وتعالى لا يسلط على أوليائه إلا بمقدار ما يصدق إلى الله فرارهم ، فإذا حق فرارهم أكرم لديه قرارهم ، وإن استظالوا على الأولياء بموجب حسابهم انعكس الحال عليهم بالصغار والمهوان .

قال جل ذكره : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَمَا تَقِفُوا ﴾

إلا بِحَبْلٍ من الله وَحَبْلٍ من  
الناسِ وباءوا بفضبٍ من الله \*  
وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكُ  
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ،  
وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ ، ذَلِكُ  
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \*

عَلَّمَ الْهَجْرَانِ لَا يَنْكُتُمْ ، وَصَحَّةُ الْبُعْدِ لَا تَنْخَفِي ، ودليل القطيعة لا يستتر ، فهم في صغار  
الطرد ، وذُلُّ الرد ، يعتبر بهم أولو الأبصار ، ويفتر بهم أضرابهم من الكفار الفجار .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيَسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ  
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ \*

كما غَايَرَ بين النور والظلام مغايرة تضاد فكذلك أثبت منافاة بين أحوال الأولياء  
وأحوال الأعداء ، ومتى يستوى الضياء والظلمة ، واليقين والتهمة ، والوصلة والفرقة ، والعباد  
والألفة ، والمعتكف على البساط والمنصرف عن الباب ، والمتصف بالولاء والمنحرف عن  
الوفاء ؟ هيهات يلتقيان ! فكيف يتفقان أو يستويان ؟ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾

لن يخيبَ عن بابه قاصد ، ولم يخسرْ عليه ( تاجر )<sup>(١)</sup> ، ولم يستوحشْ معه مصاحب ،  
ولم يذلْ له طالب .

(١) هكذا في ص ، وربما استوحاها القشيري من الآية ( اشترؤا الضلالة بالهدى فا ربحتم تجارتهم )  
فيكون المعنى — والله أعلم — من أثر الله على كل شيء فقد ربحتم تجارتهم وما خسر .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ  
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،  
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴾

لا في الحال لم بدل ولا في المال عنهم خلف . في عاجلهم خيروا ، وفي آجلهم في قطع  
وهجر ، وبلاء وخسر ، وعذاب ونكر :

تبدلت وتبدلنا واحسرة لمن ابتغى عوضاً لسلوى فلم يجد

قوله جل ذكره : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ  
حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ  
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ  
يُظْلَمُونَ ﴾

ما وجدوا ميراث ما بذلوا لغير الله إلا حسرات متتابعة ، وما حصلوا من حساباتهم إلا على  
محن مترادفة ، وذلك جزاء من أعرض وتولى

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً  
مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ،  
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ  
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، وَمَا تُخْفِي صدورُهم  
أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ  
كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

الركون إلى الضد — بعد تبين للشاق — إغاة على الحال بما لا يبلغه كيد العدو ، فأشار  
الحق — سبحانه — على المسلمين بالتحرز عن الاعتراض ، وإظهار البراءة عن كل غير ،  
ودوام الخلوص للحق — سبحانه — بالقلب والسر . وأخير أن مضادات القوم للرسول

صلى الله عليه وسلم أصلية غير طارئة عليهم ، وكيف لا ؟ وهو صلوات الله عليه محل الإقبال  
ومحل الإعراض ، ومتى يجتمع الليل والنهار ؟

قوله جل ذكره : ﴿ هَآأَنَّمْ أَوْلَآءُ نَحْبُونَهُمْ وَلَا يَجْبُونَكُمْ ،  
وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ، وَإِذَا  
لَقَوْكُمْ قَالُوا : آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا  
عَصَوْا عَلَيْكُمْ إِلَّا نَآمِلَ مِنَ الْغِيْظِ ﴾

أنتم بقضية كرمكم تصفون — عن الكدورات — قلوبكم ؛ فتغلبكم الشقة عليهم ،  
وهم — لعتوهم وخلفهم — يكيدون لكم ما استطاعوا ، وفرط وحشهم لا ترشح منهم  
إلا قطرات غيظهم . ففرغ — يا محمد — قلبك منهم .

﴿ قل موتوا بغيظكم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
بذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

دَعَهُمْ يَتَفَرَّدُوا بِمِقَاسَةِ مَا دَاخِلَهُمْ مِنَ الْغِيْظِ ، وَاسْتَرِيحُوا بِقُلُوبِكُمْ عَمَّا يَحِلُّ بِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ  
أَوَّلَى بِعِبَادِهِ ؛ يُوْصِلُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ،  
وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ،  
وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ،  
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ  
كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ  
مَحِيطٌ ﴾

الإشارة من هذه الآية إلى المنصرفين عن طريق الإرادة ، الراجعين إلى أحوال أهل  
العادة ؛ لا يعجبهم<sup>(١)</sup> أن يكون لمريد نفاذ ، وإذا رأوا فترةً لقاصد استراحوا إلى ذلك . وإنَّ  
الله — بفضله ومنتته — يُتِمُّ نوره على أهل عنايته ، وَيَدْرُ الظَّالِمِينَ الزَّائِعِينَ<sup>(٢)</sup> عن سبيله  
في عقوبة بعادهم ، لا يبالى بما يستقبلهم .

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( لا يعجبكم ) والسياق والمعنى يرفضانها .

(٢) وردت ( الدائمين ) بالثاقف وهي خطأ من الناسخ .



قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ

الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

أَقَامَهُ — صلى الله عليه وسلم — بتبويئه الأماكن للقتال ، فانتدب لذلك بأمره ثم أظهر في ذلك الباب مكنونات سيره ، فالمدار على قضائه وقدره ، والاعتبار بأجرائه واختياره .

قوله جلَّت قدرته : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يُتَرَدُّ الجميع في صدار الاختيار ؛ كأنَّ الأمر إليهم في نفهم وإثباتهم ، وفعلهم وتركهم ، وفي الحقيقة لا يتقلبون إلا بتصرف القبض ، وتقليب القدرة <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ

فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ .

تذكير ماسلف من الإِنْعَام فتح لباب التملق في اقتضاء أمثاله في المُسْتَأْنَف <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ

أَنْ يُبَدِّلَ كُمْ رَبُّكُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ

مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَلِّينَ \* بَلَى ، إِنْ

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا

يُبَدِّلْ كُمْ رَبُّكُمْ بَخْمَةِ آلَافٍ مِّنَ

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

كان تسكين الحق سبحانه لقلب المصطفى — صلى الله عليه وسلم — بلا واسطة من الله

---

(١) خلاصة معنى هذه العبارة التي قد تبدوا غامضة — أن التعبير القرآني ظاهره نسبة الأفعال للإنسان — وهذا من وجهة نظر الصوفي تعبیر بالفرق ، والحقيقة أن كل شيء مرجعه إلى الله حيث يكون التعبير عنه بالجمع ، وقد تقدم معنى الجمع والفرق في هامش آخر .

(٢) المُسْتَأْنَف = المستقبل .

— سبحانه ، والربط على قلوب المؤمنين بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم — فلو لا بقية بقيت عليهم ملودهم في حديث النصرة إلى إنزال الملك ، وأننى بحديث الملك — والأمر كله بيد الملك ١٢ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ .

أجرى الله — سبحانه — سنته مع أوليائه أنه إذا ضعفت نيّاتهم ، أو تناقضت (١) إرادتهم أو أشرفت (٢) قلوبهم على بعض فترة — أراهم من اللطاف ، وفنون الكرامات ما يقوّى به أسباب عرفاتهم ، وتناكد به حقائق يقينهم .

فعلى هذه السنة أنزل هذا الخطاب . ثم قطع قلوبهم وأسرارهم عن الأغيار بالكلية فقال : « وما النصر إلا من عند الله » .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ .

إن الله لا يُشْمِتُ بأوليائه عدوّاً ، فالؤمن وإن أصابته نكبة ، فعدوه لا محالة يكبته (٣) الله في الفتنه والعقوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .  
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ .  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

(١) وردت ( تناقضت ) ولا يمنع أن تكون بالصاد حتى ينسجم النقص مع الضعف .

(٢) وردت بالثاف وهي خطأ في النسخ .

(٣) هكذا في (س) وهي صحيحة ولكننا لا نستبعد أن تكون في الأصل ( يكبته ) حيث جاء هذا الفعل في الآية الكريمة التي نحن بصدد ما .

الإله من له الأمر والنهي ، فلما لم يكن له في الإلهية نظير لم يكن له — ( صلى الله عليه وسلم )<sup>(١)</sup> — من الأمر والنهي شيء .

ويقال جرّده — بما عرفه وخاطبه — عن كل غير ونصيب ودعوى ، حيث أخبر أنه ليس له من الأمر شيء ، فإذا لم يجوز أن يكون لسيد الأولين والآخرين شيء من الأمر فمن نزلت رتبته عن منزلته فمتى يكون له شيء من الأمر ؟

ويقال استأثر ( بستر عبادته في حكمه )<sup>(٢)</sup> فقال أنا الذي أتوب على من أشاء من عبادي وأعذب من أشاء ، والعواقب عليك مستورة ، وإنك — يا محمد — لا تدري سرى فيهم .

ويقال أقامه في وقت مقاماً فقال : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » رمى بقبضة من التراب فأصاب جميع الوجوه ، وقال له في وقت آخر : « ليس لك من الأمر شيء » ثم زاد في البيان فقال : « والله ما في السموات وما في الأرض » . فإذا كان الملك ملكه ، والأمر أمره ، والحكم حكمه — فمن شاء عذبه ، ومن شاء قرّبه ، ومن شاء هداه ، ومن شاء أغواه .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا

أضعافاً مضاعفةً واتقوا الله لعلكم

تفلحون ﴾ واتقوا النار التي أعدت

للكافرين ﴾ .

حرّم الربا على العباد ومنه إقراض الواحد باثنين تستردّهما ، وسأل منك القرض الواحد بسبعائة إلى مالا نهاية له ، والإشارة فيه أن الكرم لا يليق بالخلق وإنما هو صفة الحق سبحانه .

« واتقوا النار التي أعدت للكافرين » : دليل الخطاب أن المؤمنين لا يعذب بها ، وإن عذب بها مدّة فلا يخلد فيها .

قوله جل ذكره : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾

(١) أضفناها لتوضيح المعنى .

(٢) ربما كانت في الأصل هكذا ( بسر حكمه في عبادته ) لأنه بعد قليل يقول ( لا تدري سرى فيهم ) أى أن المستأثر به هو السر ، وكذلك كلمة ( ستر عبادته ) مرفوضة فالأولى أنه يستر الحكم ، أو العواقب كما جاء بعد قليل .

قَرَنَ طاعة الرسول صلوات الله عليه بطاعة نفسه تشریفاً لِقَدْرِهِ ، ونخفياً على الأمة حيث رُدُّهم إلى صحبة شخص من أنفسهم ، فإنَّ الجنسَ إلى الجنسِ أَسْكَنُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ .

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الذين ينفقون  
في السَّراءِ والضَّراءِ والكَاظِمِينَ  
الغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \*

معناه سارعوا إلى عملٍ يوجب لكم المغفرة ، فتقسمت القلوب وتوهمت أن ذلك أمرٌ شديد فقال صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » وإنما توجب المغفرة التوبةُ لأن العاصي هو الذي يحتاج إلى الغفران .

والناس في المسارعة على أقسام : فالعابدون يسارعون بِقَدَمِهِمْ في الطاعات ، والعارفون يسارعون بِهَمَمِهِمْ في القربات ، والعاصون يسارعون بِنَدَمِهِمْ بِتَجَرُّعِ الحسرات . فَمَنْ سَارَعَ بِقَدَمِهِ وجد مثوبته ، ومن سارع بِهَمَمِهِ وجد قربته ، ومن سارع بِنَدَمِهِ وجد رحمته .

ولما ذكر الجنة وصفها بسعة العرض ، وفيه تنبيه على طولها لأن الطول في مقابلة العرض ، وحين ذكر المغفرة لم يذكر الطول والعرض ، فقوموا قالوا : المغفرة من صفات الذات وهي بمعنى الرحمة فعلى هذا فمغفرته حُكْمُهُ بالتجاوز عن العبد وهو كلامه ، وصفة الذات تنقدس عن الطول والعرض .

ومن قال : مغفرته من صفاتِ فِعْلِهِ قال لكثرة الذنوب لم يصف الغفران بالنهاية ، إشارةً إلى استغراقه جميع الذنوب .

قوله جل ذكره . ﴿ الذين ينفقون في السَّراءِ والضَّراءِ ﴾ \*

لا يدخرون عن الله شيئاً ، ويؤثرونه على جميع الأشياء ، ينفقون أبدانهم على الطاعات وفنون الأوراد والاجتهاد ، وأموالهم في إفشاء الخيرات وابتغاء القربات بوجوه الصدقات ،

وقلوبهم في الطلب ثم دوام المراجعة ، وأرواحهم على صفاء المحبّات والوفاء على عموم الحالات ،  
وينفقون أسرارهم على المشاهدات في جميع الأوقات<sup>(١)</sup> ، ينتظرون إشارات المطالبات ،  
متشمرين للبدار إلى دقيق المطالعات<sup>(٢)</sup>

قوله : « والكاظمين الغيظ » : يتجاوزون عن الخلق لملاحظاتهم إياهم بعين النسبة ،  
وأقوام يحلمون على الخلق علماً بأن ذلك بسبب جرّهم فيشهدونهم بعين التسلط ، وآخرون  
يكظمون الغيظ تحقّقاً بأن الحق سبحانه يعلم ما يقاسون فيهنّ عليهم التحمل ، وآخرون فنوا  
عن أحكام البشرية فوجدوا صافي الدرجات في الذلّ لأن نفوسهم ساقطة فانية ، وآخرون  
لم يشهدوا ذرة من الأغيار في الإنشاء والإجراء ، فعملوا أن النشئ الله ؛ فزالت خصوماتهم  
ومنازعاتهم مع غير الله لأنهم لمّا أفردوه بالإبداع اتقادوا لحكمه ؛ فلم يروا معه وجهاً غير  
التسليم لحكمه ، فأكرمهم الحق سبحانه ببرد الرضاء ، فقاموا له بشرط الموافقة .  
قوله « والعافين عن الناس » فرضاً<sup>(٣)</sup> رأوه على أنفسهم لا فضلاً منهم على الناس ،  
قال قائلهم :

رُبَّ رَايِمٍ لِي بِأَحْجَارِ الْأَذَى لَمْ أَجِدْ بُدّاً مِنَ الْعُطْفِ عَلَيْهِ

« والله يحب المحسنين » والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه .. هذا في معاملة الحق ،  
وأما في معاملة الخلق فالإحسان أن تدعّ جميع حقك بالكلية كم كان على من كان ، وتقبل  
( . . . )<sup>(٤)</sup> منه ولا تقلده في ذلك منة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا  
لذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ،

(١) سقطت الواو فأثبتناها .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( المطالبات ) أيضاً ، ونظراً لأن المطالعة مرتبطة بالكشف والكشف  
مرحلة متأخرة . فقد تركنا الأولى ( المطالبات ) وصوبنا الثانية ( المطالعات ) .

(٣) وردت ( قرضاً ) والصواب بالفاء فهكذا يرشدنا السياق ، والشاهد الشرعي بعده .

(٤) مثلية .

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون \*  
أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم  
وجنات تجري من تحتها الأنهار  
خالدين فيها ونعيم أجراً العاملين ﴿١﴾

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « قُلْ لِلظَّالِمَةِ حَقٌّ لَا يَذْكُرُونِي فَإِنِّي أُوجِبْتُ أَنْ  
أَذْكُرَ مَنْ ذَكَرَنِي ، وَذِكْرِي لِلظَّالِمَةِ بِالْعَنَةِ » . وقال لظَّالِمَةِ هذه الأمة :

« أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله » ثم قال في آخر الآية : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » .  
ويقال فاحشة كلُّ أحد على حسب حاله ومقامه ، وكذلك ظلمهم . وإن خطوط المخالفات  
ببéal الأكبر كيف فعلها من الأغيار ، قال قائمهم :

أنت عيني وليس من حق عيني فضُّ أجفانها على الأقداء<sup>(١)</sup>

فليس الجرم على البساط كالذنب على الباب .

ويقال فعلوا فاحشة بركونهم إلى أفعالهم ، أو ظلموا أنفسهم بملاحظة أحوالهم ، فاستغفروا  
لذنوبهم بالتبري عن حركاتهم وسكناتهم علماً منهم بأنه لا وسيلة إليه إلا به ، فخلصهم  
من ظلمات نفوسهم . وإن رؤية الأحوال والأفعال لظلمات عند ظهور الحقائق ، ومن طهره  
الله بنور العناية صانه عن التورط في المغاليط البشرية<sup>(٢)</sup> .

« أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم » برؤهم إلى شهود الربوبية ، وما سبق لهم من الحسنی  
في سابق القصة .

« وجنات تجري من تحتها الأنهار » مؤجلاً من الفرديس ، ومُعجلاً في روح المباحات  
وتمام الأنس .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا ﴾

---

(١) البيت لابن الرومي يمين صديقه أبا القاسم التوذي الشطرنجي .

(٢) القشيري في هذه الفقرة متأثر بتعاليم أهل الملامة النيسابورية الذين يعلنون حرباً لا هوادة فيها  
على كل دهن نفس حتى لينعولون ستر حياتهم الباطنية بفعل ما يوجب ملامة الناس ، وكل ذلك في سبيل  
كسر النفس وعدم استشعار العبد لأي فضل منه :



في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة  
المكذبين \* هذا بيان للناس وهدى  
وموعظة للمتقين \*

يعنى اعتبروا بمن سلف ، وانظروا كيف فعلنا بمن وآلى وكيف انتقمنا من عادى ،  
وقوله تعالى « هذا بيان للناس » : بيان لقوم من حيث أدلة العقول ، ولآخرين من حيث  
مكاشفات القلوب ، ولآخرين من حيث تجلى الحق فى الأسرار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

يعنى إذا قلتم بالله ( ووصلتم<sup>(١)</sup> ) بالله فلا ينبغي أن تخافوا من غير الله ، ولا تهنوا  
ولا تضعفوا فإن النصره من عند الله ، والغالب الله ، وما سوى الله فليس منهم ذرة  
لا منهم سينة .

قوله : « إن كنتم مؤمنين » أى ينبغي للمؤمن ألا تظله مهابة من غير الله .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ  
قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ  
النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
الظَّالِمِينَ ﴾

إن نالكم فينا مشقة فالذين تقدموكم لقوا مثل ما لقيتم ، ومثوا بمثل ما به منيتم ، فمن صبر  
منهم ظفر ، ومن ضجر من حبل ما لقي خسر ، والأيام نوب والحالات دُول ، ولا يخفى  
على الحق شيء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ  
الْكَافِرِينَ ﴾ .

---

(١) لا نستبعد أنها ( وصلتم ) من صال يصول ، ويدعم ذلك حرف الجر بعده ، وكذلك السياق .

اختبارات الغيب سبك<sup>(١)</sup> للبعد فباختلاف الأطوار يخلصه من المشائب فيصير كالذهب الخالص لا خَبَثَ فيه ، كذلك يصفو عن العلل فيتخلص لله .

« ويمحق الكافرين » في أودية التفرقة . ( وأما الزبد فيذهب جفاء )<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾

من ظنَّ أنه يصل إلى محل عظيم من دون مقاساة الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الهلاك ، وإنَّ من عرف قدر مطلوبه سهَّلَ عليه بذلُ مجهوده : ( ..... ) وهو بلذاته على من يظن بخلق العذار<sup>(٣)</sup> وقال قائلهم :

إذا شام الفتي برق الممانى فاهونُ فائتِ طيبُ الرقاد

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾

طوارق التمني بعد الصبر على احتمال المشاق ولكن :

إذا انسكبت دموعٌ في خُدودٍ تبينُ من بكى<sup>(٤)</sup> من تباكى

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَقْلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ

(١) وودت (شبك) ورجح أنها (سبك) فالسباق يدهم ذلك .

(٢) ترجح أن هذه الآية موضوعة هنا خطأ وأن مكانها عقب ( لا خبث فيه ) ليتناسك المعنى .

(٣) هكذا في (ص) والصحيح أنه :

وما جاد دهر بلذاته على من يظن بخلق العذار

وهو لأبي نواس في ملاحاة له مع مسلم بن الوليد .

(٤) جاءت في الشطر ( تبين من بكى ) وهي خطأ في النسخ .

على حقيقه فلن يضر الله شيئا  
وسيجزي الله الشاكرين ﴿

إن الرسل موقوفون حيناً وقِفُوا ، ونخبِرون عما عُرِفُوا بمقدار ما عَرَفُوا ؛ فإذا أُيدُوا  
بأنوار البصائر أطلعوا على مكنونات السرائر بطلائف التلويح بمقدار ما أُعطُوا من الإشراف  
بوظائف البلوغ .

« أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » لما تَوَفَّى للمصطفى - صلى الله عليه وسلم -  
سقطت البصائر إلا بصيرة الصديق رضى الله عنه فأمدَّ الله بقوة السكينة ، وأفرغ عليه قوة  
التولى فقال . « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات » فصار الكلُّ مقهورين تحت سلطان  
قائه لما انبسط عليهم من نور حالته ، كالشمس بطلوعها تندرج في شمعها أنوار الكواكب  
فيستتر فيها مقادير مطارح شعاع كل نجم .

وإنما قال : « أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ » لأنه صلى الله عليه وسلم مات . وقيل أيضاً لأنه قال :  
« ما زالت أسكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان قطعت أبهرى »<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ  
ثَوَابَ الدُّنْيَا نَفْثَ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ  
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نَزَّهَ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ  
الشَّاكِرِينَ ﴾ .

الأنفاس محصورة ؛ لازيادة فيها ، ولا نقصان منها .

« ومن يرد ثواب الدنيا نفث منها » : للصالحين العاقبة وللآخرين الغفلة .

« ومن يرد ثواب الآخرة نزه منها » : وثواب الآخرة أوله الغفران ثم الجنان ثم الرضوان .

---

(١) وفي البخارى بلفظ « ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع  
أبهرى من ذلك السم » قال المقرئ : « وهذا قاله فى مرض موته » .

(٢) أخطأ الناسخ إذ أضاف ( وسيجزى الله ) وقد التبس عليها ختام الآية السابقة .

« وسيجزي الله الشاكرين » : وجزاء الشكر الشكر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ  
كَثِيرًا قَاتًا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا  
وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ .

إن الذين درجوا على الوفاء ، وقاموا بحق الصفاء ، ولم يرجعوا عن الطريق ، وطالبوا  
نفوسهم بالتحقيق ، وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق — وجدوا محبة الحق سبحانه ميراث  
صبرهم ، وكان الخلف عنهم الحق عند نهاية أمرهم ، فما<sup>(١)</sup> زاغوا عن شرط الجهد ، ولا زاغوا  
في حفظ العهد ، وسلموا تسلياً ، وخرجوا عن الدنيا وكان كل منهم للعهد مقبلاً مستديماً ، وعلى  
شرط الخدمة والوداد مستقبلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا  
اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ،  
وَتَبَتْ أْقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الكَافِرِينَ ﴾ .

تحققوا بحقائق المعنى فخرسوا<sup>(٢)</sup> عن إظهار الدعوى ، ثم نطقوا بلسان الاستغفار ،  
ووقفوا في موقف الاستحياء ، كما قيل :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَنَامَ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾

وأقل ذلك القناعة ثم الرضا ثم العيش معه ثم الألس في الجلوس بين يديه ثم كمال الفرح  
بلقائه ، ثم استقلال السر بوجوده .

(١) أخطأ الناسخ إذ نقلها ( فلما زاغوا ) وهذا بخلاف المعنى المراد ، والصحيح ( فما )

(٢) وردت بالخاء والصواب أن تكون بالخاء ، فالمعنى يتطلب ذلك ويقوى به .

﴿ وَحَسَنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ بِحَسَنِ  
الْمَحْسِنِينَ ﴾ .

يعنى دخولهم الجنة وهم محررون عنها ، غير داخلين فى أسرها .

ويقال ثواب الدنيا والآخرة الغيبةُ عن الدارين برؤية خالقها<sup>(١)</sup> .

ولما قال « ثواب الدنيا » قال فى الآخرة « وحسن ثواب الآخرة » فوجب أن يكون  
لثواب الآخرة مزية على ثواب الدنيا حيث خصّه بوصف الحسن ، وتلك المزية دوامها وتماها  
وثمارها ، وأنها لا يشوبها ما ينافيها ، ويوقع آفةً فيها .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ  
كَفَرُوا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا  
خاسرين ﴾ بل الله مولاكم وهو خير  
الناصرين ﴾ .

يعنى إن طاعتم الأضداد جرّوكم إلى أحوالهم<sup>(٢)</sup> ، فالقوكم فى ظلماتهم ، بل الله مولاكم :  
نصركم ومعينكم وسيدكم ومصلح أموركم ، « وهو خير الناصرين » : لأنه يعينكم على أنفسكم  
ليكفئكم شرّها ، ومن سواه يزيد فى بلائكم إذا ناصروكم لأنهم يعينون أنفسكم عليكم .  
« وهو خير الناصرين » لأن من سواه يمن عليك بنصرته إياك ، وهو يجازيك على  
استنصارك به .

ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن تُعطيه شيئاً من كرائمك ثم قد  
ينصرك وقد لا ينصرك ، فإذا استنصرتَه — سبحانه — يعطيك كلَّ لطيفة ، ولا يرضى  
بالألا ينصرك .

قوله جل ذكره : ﴿ سَنُلْقِيْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) الغيبة فى المصطلح الصوفى من مقوماتها ألا يحس العبد بوارد من تذكر ثواب أو تفكر  
فى عقاب ، وعلى حسب الغيبة عن الخلق يكون ( حضور ) العبد بالحق .

(٢) وردت ( أحوالكم ) وهذا خطأ فى النسخ .

الرعبَ بما أشركوا بالله ما لم ينزل  
به سلطاناً ومأواهم النار وبئس  
مئوى الظالمين ﴿

إنَّ الله سبحانه خصَّ نبيَّنا — صلى الله عليه وسلم — بإلقاء الرعبِ منه في قلوب  
أعدائه ، قال عليه السلام : « نُصِرْتُ بالرعب » . فكذلك أجرى هذه السُّنة مع أوليائه ؛  
يطرح الهيبة منهم في القلوب ، فلا يكاد يكون محق إلا ومنه — على المبطلين وأصحاب  
الدعوى والتمويه — هيبةٌ في القلوب وقهرٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ  
تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ  
وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ  
مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾

( إنه سبحانه يجازيك على استنصارك به ، ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن  
عطيه شيئاً من كرائمك ثم قد ينصرك وقد لا ينصرك ، فاذا استنصرت به — سبحانه —  
يعطيك كل لطيفة ، ولا يرضى ألا ينصرك ) . (١)

الإشارة من هذه الآية إلى أن الحق سبحانه أقام أوليائه بحق حقه ، وأقدمهم عن تحصيل  
حظوظهم ، وقام سبحانه بكفائتهم بكل وجه ، فمن لازم طريق الاستقامة ، ولم يزغ عن حده  
ولم يزغ في عهده ، فإنه سبحانه يصدق وعده له بحمیل الكفاية ودوامها ، ومن ضلَّ عن  
الاستقامة — ولو خطوة — عثر في مشيته ، واضطربت عليه — بمقدار جرِّمه — حاله  
وكفايته ، فمن زَادَ زَيْدَ لَه ، ومن نَقَصَ نَقْصَ لَه .

قوله جل ذكره : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ

---

(١) ما بين القوسين سبق وروده عند تفسير « وهو خير الناصرين » في ختام الآية قبل السابقة ،  
ولا ندري هل أعادها القشيري هنا لتفسير « ولقد صدقكم الله وعده » أم أن الناسخ قد وقع في التكرار  
سهواً أثناء الكتابة ؟



يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم  
ليبتليكم ولقد عفا عنكم ، والله  
ذو فضل على المؤمنين ﴿٢٨٦﴾

قيمة كل أحد إرادته ؛ فمن كانت همته الدنيا فقيمته خسيصة حقيرة كاللدينا ،  
ومن كانت همته الآخرة فشريف خطره ، ومن كانت همه ربانية فهو سيد وقته .

ويقال من صفا عن إرادته وصل إليه ، ومن وصل إليه أقبل — بلطفه — عليه ،  
وأزلفه بمحل الخصوصية لديه .

قوله : « ثم صرفكم عنهم » : الإشارة منه أنه صرف قوماً عنه فشغلهم بغيره عنه ،  
وآخرون صرفهم عن كل غير فأفردهم له ؛ فالزاهدون صرفهم عن الدنيا ، والماعبدون  
صرفهم عن اتباع الهوى ، والمريدون صرفهم عن المني ، والموحدون صرفهم عما هو  
غير سوى .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ  
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ  
غَمًّا بِغَمٍّ لَّنْكِ لَا تَعْرُزُونَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ  
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ  
\* ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ  
أَمْنَةً نُعَاسًا يَفْشِي طَائِفَةً مِنْكُمْ ،  
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ  
بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ يَقُولُونَ  
هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنْ  
الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ؛ يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ  
مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا  
مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ

لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين  
كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم  
وليبتلي الله ما في صدوركم ،  
وليُمحص ما في قلوبكم ، والله عليم  
بذات الصدور \* .

قوله : « إذ تصعدون » الإشارة من هذه الآية لأقوام تقع لهم فترة ، ودواعي الحق سبحانه — من أنفسهم ، ومن جميع الأقطار حتى كأن الأحجار من الشوارع والذين من الجدران — تناديه : لا تفعل يا عبد الله ! وهو مُصِرٌّ في ليه ، مقيمٌ على غيئه ، جاحدٌ لما يعلم أنه هو الأحقُّ والأولى من حاله ، فإذا قضى وطره واستوفى بهيمته ، فلا محالة يمسك من إرسال عنانه ، ويقف عن ركضه في ميدانه ، فلا يحصل إلا على أنفاسٍ منصاعدة ، وحسراتٍ متواترة ؛ فأورثه الحق — سبحانه — وحشةً على وحشة . حتى إذا طال في التحسر مقامه تداركه الحق — سبحانه — بجميل لطفه ، وأقبل عليه بحسن عطفه ، وأنقذه من ضيق أسره ، ونقله إلى سعة عفوه وفضله ، وكثيرٌ من هؤلاء يصلون إلى محل الأكابر ثم يقفون بالله لله ( . . . . . )<sup>(١)</sup> ويقومون بالله لله بلا انتظار تقريب ولا ملاحظة ترحيب .

قال تعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً يغشى طائفةً منكم وطائفةً قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » : فأهل التحقيق والتوحيد يصلون بعد فتراتهم<sup>(٢)</sup> إلى القول بترك أنفسهم ، وغسل أيديهم منهم ، ورفع قلوبهم عنهم فيعيشون بالله لله ، بلا ملاحظة طمع وطلبة ، بل على عقيدة اليأس عن كل شيء . عليه أكّدوا العهد ، وبدّلوا اللفظ<sup>(٣)</sup> ، وتركوا كل نصيب وحظ ، وهذه صفة من أنزل عليه الأمانة .

فأما الطائفة التي أهمتهم أنفسهم — فبقوا في وحشة نفوسهم ، ومن عاجل عقوبتهم سوء

(١) مشتبه .

(٢) وردت ( فتراتهم ) بالطاء والأصوب أن تكون بالياء لأن الفترة وقت مقاساة ومعاناة فهي تتلاءم مع ( وتجرع حسراتهم ) .

(٣) اللفظ هنا معناها الملاحظة ، ملاحظة النفس أو ملاحظة الموضع .

عقيدتهم في الطريقة بعد إيمانهم بها ، قال تعالى : « وَتَقَلُّبُ أَعْيُنِهِمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَالْمُؤْمِنِينَ »  
أول مرة .

والإشارة في قوله تعالى : « هل لنا من الأمر من شيء » لهؤلاء أنهم يتحذرون في أمرهم  
فلا إقبال لهم على الصواب بالحقيقة ، ولا إعراض بالسكينة ، يحيلون قدرتهم على سوء اختيارهم ،  
ويضيفون صفوة - لو كانت لقلوبهم - إلى اجتهدهم ، وينسون ربهم في الحالين ، فلا يبصرون  
تقدير الحق سبحانه . قال تعالى :

« قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ » : فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْمُنْشَأَ اللَّهُ اسْلَخَ عَنْ اخْتِيَارِهِ وَأَحْوَالِهِ  
كَالسَّلَاحِ الشَّعْرَ عَنِ الْعَجِينَ ، وَسَلَّمْ أُمُورَهُ إِلَى اللَّهِ بِالسَّكِينَةِ . وَأَمَارَةٌ مَنْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ أَنَّ  
يَسْتَرْجِعُ مِنْ كَدِّ تَدْبِيرِهِ ، وَيَعِيشُ فِي سَعَةِ شُهُودِ تَقْدِيرِهِ .

وقوله : « يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك » : لَمْ يُخْلَصُوا فِي عَقَائِدِهِمْ ، وَأَضْمَرُوا خِلَافَ  
مَا أَظْهَرُوا ، وَأَعْلَنُوا غَيْرَ مَا سَتَرُوا ، وَأَحَالُوا السَّكَائِنَاتِ عَلَى أَسْبَابِ تَوَهُمِهَا .

قال تعالى : « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَى مِصْرَاجِهِمْ » :  
أخبر أن التقدير لا يزاحم<sup>(١)</sup> ، والقدر لا يكابر ، وأن السكائنات محتومة ، وأن الله  
غالب على أمره .

وقوله : « وليبتلي الله ما في صدوركم » : فأما أهل الحقائق فإنه تعالى ينتزع من قلوبهم  
كل آفة وحجة ، ويستخلص أسرارهم بالإقبال والزلزلة ، فتصبح قلوبهم خالصة من الشوائب ،  
صافية عن العلائق ، منفردة للحق ، مجردة عن الخلق ، محررة عن الحفظ والنفس ، ظاهرة  
عليها آثار الإقبال ، غالباً عليها حسن التولي ، بادية فيها أنوار التجلي .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ  
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ  
عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ »

(١) وردت بالهاء والصواب أن تكون بالهاء .

الإشارة من هذه الآية إلى أحوال من سَقِمَتْ إِرَادَتُهُمْ ، وَضَعُفَتْ نِيَّتُهُمْ ، وقادهم الهوى ،  
وَمَلَكَتْهُمْ الْفَتْرَةُ .

قَابَلَهُمْ نَصْحُ النَّاصِحِينَ ، ودعوة للمنى ، ووساوس الشياطين فركنوا إلى الغيبة ، وآثروا  
الهوى على التقى فبقوا عنه ، ولم يتهنؤوا بما آثروه عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا  
فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى ، لَوْ كَانُوا  
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْمَلَ اللَّهُ  
ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
وَيُحِبُّ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

مَنْ تَعَوَّدَ أَنْ يَنْتَلِفَ عَلَى مَاضِيهِ وَسَالِفِهِ ، أَوْ يَتَدَبَّرَ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَآئِفِهِ ، فَأَقْلُ عَقُوبَةٍ لَهُ ضِيقُ  
قَلْبِهِ فِي تَفْرِقَةِ الْهَمُومِ ، وَامْتِحَاءِ نَعْتِ الْحَيَاةِ <sup>(١)</sup> عَنْ قَلْبِهِ لِفُغْلَتِهِ وَقَالَتِهِ لَيْتَ كَذَا وَلَعَلَّ كَذَا ،  
وَعَمْرَةُ الْفِكْرَةِ فِي لَيْتَ وَلَعَلَّ — الْوَحْشَةُ وَالْحَسْرَةُ وَضِيقُ الْقَلْبِ وَالتَّفْرِقَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمُ  
لَنَغْفِرَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَلَنَجْزِيَنَّكُمْ  
مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَئِنْ مُتُّمُ أَوْ قُتِلْتُمْ  
لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

بذل الروح في الله خير من الحياة بغير الله ، والرجوع إلى الله خير لمن عرف الله من  
البقاء مع غير الله ، وما يؤثره العبد على الله فغير مبارك ، إِنْ شِئْتَ : والدنيا ،  
وَإِنْ شِئْتَ : والعقبى .

قوله ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمُ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ : إِذَا كَانَ لِلصَّيْرِ إِلَى اللَّهِ طَابَ الْمَسِيرُ

---

(١) حياة القلب عمارته بالله وقد وردت في مطلع الإشارة التالية ، ولا يستبعد أنها (الحياة) فهي  
مقبولة أيضاً .

إلى الله : وإنَّ سَفَرَهُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا نَحْطُ رَحَالَنَا لِمُقَاسَاتِهَا أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ۱  
 قوله جل ذكره . ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ  
 فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ  
 حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،  
 وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ  
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

جرّده عن أو صاف البشرية ، وأفردّه بما ألبسه من نعت الربوبية ، وأخبر أن ما يلوح  
 إليه فن أنوار التولى ، لا من آثار الوفاق والتبرى ، ولولا أنه استخلصه بما ألبسه وإلا متى  
 كان بتلك الصفة ؟ ۱

ويقال إن من خصائص رحمته — سبحانه — عليه أن قَوَاهُ حَتَّى صَحْبِهِمْ ، وصبر  
 على تبليغ الرسالة إليهم ، وعلى ما كان يقاسيه من اختلافهم — مع سلطان ما كان مستغرقاً له  
 ولجميع أوقاته من استيلاء الحق عليه ، فلولا قوة إلهية استأثره الحق بها وإلا متى أطاق صحبتهم ؟ ۱  
 ألا ترى إلى موسى عليه السلام لما كان قريب العهد بسماع كلامه كيف لم يصبر على  
 مخاطبة أخيه فأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ؟

ويقال لولا أنه صلى الله عليه وسلم شاهدتهم محوّاً فيما كان يجزى عليهم من أحكام  
 التصريف ، وتحقق أن منشأها الله — لما أطاق صحبتهم .

قوله تعالى : « وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » : لو سَقَيْتَهُمْ صِرْفَ  
 شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لهم حظّ لتفرقوا عنك ، هائمين على وجوههم ، غير  
 مطيقين للوقوف لحظة ، « فاعفُ عنهم » فيما يكون تقصيراً منهم في حقك وتوقيرك ،  
 وما عثرت عليه من تفریطهم في خدمتنا وطاعتنا — فانتصّب لهم شفيعاً إلينا .

ويقال « فاعفُ عنهم » فاعف — أنت — عنهم فإن حكمت حكمتنا ، فانت لا تغفرو  
 إلا وقد عفونا . ثم رده عن هذه الصفة بما أثبتته في مقام العبودية ، ونقله إلى وصف التفرقة

فقال : ثم قِفْ في محل التبدل مبتهلاً إلينا في استغفارهم . وكذا سُنَّتُهُ — سبحانه — مع أنبيائه عليهم السلام وأوليائه ، يردُّهم من جمع إلى فرق ومن فرق إلى جمع ، فقوله : « فاعف عنهم » جمع ، وقوله : « واستغفر لهم » فرق .

ويقال « فاعف عنهم » ونجاوز عنهم في حقوقك ، ولا تكتفِ بذلك ما لم تستغفر لهم إكمالاً للكرم ، ولهذا كان يقول : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

ويقال ما يُقَصِّرون في حقك تعلق به حقان : حقك وحقى ، فاذا عفوت أنت فلا يكفي هذا القدر بل إن لم أتجاوز عنهم في حقى كانوا مستوجبين للعقوبة ، فمن أَرْضَى خصمه لا يَنْجِرْ حاله ما لم يغفر الله له فيما ترك من أمره .

وقوله « واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » أى أثبت لهم محلاً ؛ فإنَّ المعفو عنه في صدور الخجلة لا يرى لنفسه مقام الكرامة ، فاذا شاورهم أزلت عنهم انكسارهم ، وطيبَّتْ لهم قلوبهم .

ويقال تَجَنَّسُوا في أحوالهم : فَمِنْ مُقَصِّرٍ في حقه أَمْرٌ بِالْعَفْوِ عنه ، ومن مرتكب لذنوبه أَمْرٌ بِالِاسْتِغْفَارِ له ، ومن مطيع غير مقصر أَمْرٌ بِمُشَاوَرَتِهِ .

ثم قال : « فاذا عزم فتوكل على الله » أى لا<sup>(١)</sup> تتكل على رأى مخلوق وِكل الأمور إلى ، فإننا لا نخليك عن تصريف القبضة بحال .

وحقيقة التوكل شهود التقدير ، واستراحة القلوب عن كد التدبير .

« إن الله يحب المتوكلين » يذيقهم برِّد الكفاية ليزول عنهم كل لُغْبٍ<sup>(٢)</sup> وَنَصَبٍ ، وإنه يعامل كلاً بما يستوجبه ؛ فقوم يغنيهم — عند توكلهم — بعطائه ، وآخرون يكفيهم — عند توكلهم — ببلقائه ، وقوم يرضيهم في عموم أحوالهم حتى يكتفون ببقائه ، ويقفون معه به له — على تلوينات<sup>(٣)</sup> قدره وقضائه .

(١) سقطت ( لا ) من النسخ .

(٢) وردت ( لقب ) بالثقاف والصواب أن تكون ( لغب ) بالفين ، وربما كانت في الأصل ( تعب )

(٣) اللفظة رديئة الخط ، ويحتمل أنها ( تقلبات ) ، وتلوين الأحوال مصحوب — حسب الاصطلاح

الصوى — يتقلب الأحوال ، ولهذا فالمنى يتقبل كلا اللفظين .



قوله جلّ ذكره : ﴿ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ،  
وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ  
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

المؤمنون نصرته لم بالتوفيق للأشباح ثم بالتحقيق للأرواح .

ويقال ينصركم الله بتأييد الظواهر وتسديد<sup>(١)</sup> السرائر .

ويقال للنصرة إنما تكون على العدو ، وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك .  
والنصرة على النفس بأن تهزم دواعي مُنتهاها بعواصم رحمته حتى تنقُضَ جنود الشهوات بهجوم  
وفود المنازلات فتبقى الولاية لله خالصةً من شبهات الدواعي التي هي أوصاف البشرية ،  
وشهوات النفوس وأمانيتها ، التي هي آثار الحجة وموانع القربة .

« إِنْ يَخْذُلْكُمْ » الخذلان التخلية مع المعاصي ، فَمَنْ نَصَرَهُ قبض على يديه عن تعاطي  
المكروه ، ومن خَذَلَهُ ألقى حبله على غاربه ، وَوَكَّلَهُ إلى سوء اختياره ، فيفترق عليه الحال  
في أودية الشهوات ، فمرة يُشْرِقُ غير محتشم ، وتارة يُغْرِبُ غير مُحْتَرَم ، ألا ومن سبَّه الحق  
فلا آخذُ بيده ، ومن أسلمه<sup>(٢)</sup> فلا مجير له .

« وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » : في وجدان الأمان عند صدق الابتهاال ، وإسبال  
ثوب<sup>(٣)</sup> العفو على هناة الجرم عند خلوص الالتجاء ، بالنبرى من المنة والحول .

ويقال لما كان حديث النصره قال : « فَلَا غَالِبَ لَكُمْ » ، ولما كان حديث الخذلان  
لم يقل « فَلَا نَاصِرَ لَكُمْ » بل قال بالتلويح والرمز : « فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِنْ بَعْدِهِ » :  
وفي هذا لطيفة في مراعاة دقائق أحكام الخطاب .

---

(١) من السداد .

(٢) أى أسلمه إلى نفسه :

(٣) وردت ( ثواب ) ، والملائم للأسبال : ( ثوب ) ولذلك آثرناها .

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان لنبي أن يغل ومن يغل يغل  
 يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى  
 كل نفس ما كسبت وهم  
 لا يظلمون ﴾

نزهة<sup>(١)</sup> أحوال الأنبياء عن الدّس بالخلفيات ، فمن حملناه من الرصالة إلى عبادنا بوصليها  
 إلى مستحقها واجباً ، ولا يعنى بشأن حميم له من دون أمرنا ، ولا يمنع نصيب أحدهم أمرناه  
 بإيصاله إليه ، بمقد ينطوى عليه . ألا ترى كيف قال : « اذهب فواره » لأبي طالب  
 لما قال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : مات عمك<sup>(٢)</sup> الضال . وكيف قبل الوحش قاتل  
 حمزة لما أسلم ؟

ويقال ما كان لنبي من الأنبياء صلوات الله عليهم أن يضع أسرارنا في غير أهلها ،  
 بل يُنزّلون كل أحدهم عند ما يستوجه ، وفي الأثر « أمرنا أن ننزل الناس منازلهم »

قوله جل ذكره : ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء  
 بسخط من الله وماواه جهنم وبئس  
 المصير ﴾ هم درجآت عند الله ،  
 والله بصير بما يعملون ﴾

لا يستوى من رضى عنه في آزاله ومن سخط عليه فخذله في أحواله ، وجعله منكلاً  
 على أعماله ، ناسياً لشهود أفضاله ، واتباع الرضوان بمفارقة ما رُجِر عنه ، ومعاقة ما أُمر به ،  
 فمن تجرد عن المزجور ، وتجلّد في اعتناق الأمور فقد اتبع الرضوان ، واستوجب الجنان .

(١) أخطأ الناسخ فكتبها ( نوح ) بالخاء :

(٢) « اذهب فواره وكفته وواره غفر الله له ورحمه » هكذا أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علي  
 رضي الله عنه :

وفي السيرة الحلبية : إن هذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة  
 عن علي قال : لما مات أبو طالب أخبرني النبي (ص) بموته فبكى وقال :

« اذهب ففسله وكفته وواره غفر الله له ورحمه » .

وانظر أيضاً « أسنى المطالب في نجات أبي طالب » لزيني دحلان ط طهران سنة ١٣٨٢ ( ص ٤١ ) .

« هم درجات عند الله » : أي هم أصحاب درجات في حكم الله ، فمن سعيد مقرب ، ومن شقي مبعد .

قوله جل ذكره : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

أَجْزَلُ لَدَيْهِمُ الْعَارِفَةُ ، وَأَحْسَنُ إِلَيْهِمُ النِّعَمُ حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِثْلُ الْمُصْطَفَى سَيِّدِ الْوَرَى  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ، وَعَرَّفَهُمْ دِينَهُمْ ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ بَرَاهِينَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ بِكُلِّ وَجْهِ  
فَلَا نِعْمَةَ شُكْرُوا ، وَلَا حَقَّهَ قَرُّوا ، وَلَا بِمَا أُرْسِلُوا اسْتَبْصَرُوا ، وَلَا عَنْ ضَلَالَتِهِمْ أَقْصَرُوا ..  
هَذَا وَصَفُ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ جَحَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا . وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَتَقَلَّدُوا الْمِثْلَ فِي الْإِخْتِيَارِ ،  
وَقَابَلُوا الْأَمْرَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَنْ كُنْهِ الْقُدْرَةِ ، فَسَعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاسْتَوْجِبُوا مِنْ  
اللَّهِ الْكَرَامَةَ وَالزُّلْفَى .

قوله جل ذكره: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ  
مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ  
أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ﴾

عادة الخلق نسيان ما منهم من الخطأ والعصيان ، والرجوع إلى الله بالتهمة فيما يتصل بهم من الحزن والخسران ، وفنون المكارة والافتتان ، وإنَّ مَنْ تعاطى ( ... )<sup>(١)</sup> الإجرام لتحقيق بآلا ينسى حلول الانتقام .

قوله جل ذكره : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن

الله وليعلم المؤمنين • وليعلم الذين  
 ناققوا وقيل لهم تعالى قاتلوا  
 في سبيل الله أو اذفموا قالوا : لو نعلم  
 قتالاً لا تبغناكم ، هم لكفر  
 يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون  
 بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله  
 أعلم بما يكتمون \*

هوّن على المؤمنين وأصحاب البصائر ما لقوا من عظيم الفتنة يوم أحد ، بأن قال إن ذلك  
 أجمع كان بإذن الله ، وإنّ بلاء يصيب بإذن الله لمن العسل أحلى ، ومن كل نعيم أشهى .  
 ثم أخبر أن الذين لم يكن لهم في الصحبة خلوص كيف تعللوا وكيف تكسلوا :  
 وكذا للؤلؤ إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكنا

قوله تعالى : « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم » فلا جرّم (سقوا العسل ودسّوا له  
 فيه الحنظل) <sup>(١)</sup> ، ومكروا ومكر الله والله خبر الماكرين .

قوله جل ذكره : ﴿والذين قالوا لإخوانهم وقعدوا  
 لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن  
 أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾

الذين ركنوا إلى ما سوّلت لهم نفوسهم من إيشار الهوى ، ثم اعترضوا على من يصرف  
 أحكام القضاء وقالوا لو تحرّزّا عن البروز للقتال لم يسقطوا عن درجة السلامة .. كذمومة  
 تلك الظنون ، ولذاهبة عن شهود التحقيق تلك القلوب .

(١) هكذا يمكن أن تقرأ هذه العبارة لوبي الفعلان فيها للمعلوم ، أما لو بنينا للمجهول فإن الجزء الثاني  
 منها يكون (ودس لهم فيه الحنظل) . فالفاعل في الحالة الأولى يكون ضميراً يعود على المنافقين ، ونائب  
 الفاعل في الحالة الثانية يكون المولى عز وجل وما جاء في النسخة (س) يرجح الثانية ، وإن كنا  
 نميل للأولى .

قُلْ لَمْ — يا محمد — استديموا لأنفسكم الحياة ، وادفعوا عنها هجوم الوفاة !

ومتى تقدرون على ذلك ؟ هيهات هيهات !

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمْوَاتًا بَلْ أحياء عند ربهم يرزقون

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ

مَنْ خَلْفَهُمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَأَهِمْ يَحْزَنُونَ ﴾

الحياة بذكر الحق بعد ما تشلف النفوس في رضاه الحق أتم من البقاء بنعمة الخلق مع

الخفية عن الحق .

ويقال إن الذي وارثه الحى الذى لم يزل فليس يميت — وإن قُتِلَ :

وإن كانت العبدان للموت أنشئت قتل امرئ في الله — لاشك — أفضل

قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » : من علم أن أحياءه ينتظرونه

وهم في الرقة والنعمة لا يهنأ بعيش دون التأهب والإلمام بهم والنزول عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

حيلة استبشارهم وموجبه فضل من الله ونعمة منه ، أى لولا فضله ونعمته بهم ولما متى

استبشروا ؟ فليس استبشارهم بالنعمة إنما استبشارهم بأنهم عبادُه وأنه مولاهم<sup>(١)</sup> ، ولولا فضله

ونعمته عليهم لما كانت لهم هذه الحالة .

---

(١) يقول الدقاق — شيخ القشيري وصهره — ليس أشرف من العبودية ، ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ، وقد وصف بها الرسول (ص) في أشرف أوقاته في الدنيا ، قال تعالى « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى » .

لا تدعى إلا بيا عبدا فإنه أشرف أسمائى (الرسالة ص ١٠٠)

قوله جل ذكره : ﴿الذين استجابوا لله والرسول من

بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا

منهم واتقوا أجر عظيم﴾

للاستجابة مزية وفضيلة على الإجابة من حيث الإشارة لا من مقتضى العريية<sup>(١)</sup> وهو أنه يستجيب طوعاً لا كرهاً ، فهم استجابوا لله من غير انطواء على تحمل مشقة بل بإشارة القلب ومحبة الفؤاد واختيار الروح واستجلاء<sup>(٢)</sup> تحمل الحكم . فالاستجابة للحق بوجوده ، والاستجابة للرسول — عليه السلام — بالتخلق بما شرع من حدوده .

استجابة الحق بالتحقق بالصفاء في حق الربوبية ، واستجابة الرسول عليه السلام بالوفاء في إقامة العبودية .

« من بعد ما أصابهم القرح » : في ابتداء معاملتهم قبل ظهور أنوار التجلي على قلوبهم ، وابتسام الحقائق في أسرارهم .

« للذين أحسنوا منهم » : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه . . . — وهو للشاهدة والتقوى — . . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك »<sup>(٣)</sup> — وهو المراقبة في حال المجاهدة .  
« أجر عظيم » لأهل البداية مؤجلاً ، ولأهل النهاية مُعجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس

قد جمعوا لكم فأنشؤم فزادهم إيماناً

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

لم يلتبس على ظواهرهم شيء من أحوال الدنيا إلا انفتحت لهم — في أسرارهم — طوابع من الكشوفات ، فازدادوا يقيناً على يقين .

---

(١) أى على مقتضى صيغ الاشتقاق في اللغة .

(٢) في من ( استجلاء ) والصواب أن تكون بالخاء .

(٣) « أعبد الله كأنك تراه . . . » رواه الطبراني عن أبي الدرداء ، وحسن البيهقي مسنده ، وضعفه المنذرى . قال الحافظ العراقي : رجاله ثقات وفيه انقطاع « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، واحسب نفسك في الموتى ، واتق دهوة المظلوم ، وفي الحلية عن زيد بن أرقم .



ومن أمارات اليقين استقلالُ القلوب بالله عند انقطاع الثمني من الخلق في توهم  
الإنجاد والإعانة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ  
لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَهُ  
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

كنا سنة الحق — سبحانه — مع مَنْ صدَّق في التجائه إليه أن يهد مقلبه في ظل كفايته ،  
فلا البلاء يمسّه ، ولا العناء يصيبه ، ولا النصب <sup>(١)</sup> يُظِلُّه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ  
أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ ، وَخَافُوا إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

الإشارة في تسليط دواعي الشيطان على قلوب الأولياء صدق فرارهم إلى الله ؛ كالصبي الذي  
يخوف بشيء يفرغ الصبيان ، فإذا خاف لم يهتد إلى غير أمه ، فإذا أتى إليها آوته إلى نفسها ،  
وضمته إلى تحرها ، وألصقت بخدمته خدّها .

كذلك العبد إذا صدق في ابتاله إلى الله ، ورجوعه إليه عن مخالفته ، آواه إلى كنف  
قربته ، وتداركه بحسن لطفه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي  
الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ،  
يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي  
الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

زاد في قوة قلبه بما جدّ له من تأكيد العهد ، بأنه لا يُشْمِتُ به عدواً ، ولا يوصل  
إليه من رقبيلهم سوءاً .

(١) في من (النصب) والصواب (النصب) فالعنى يتطلب ذلك .

(٢) هنا أضلّف الناصخ — سهواً — لفظة (الله) لحذفها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ  
لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴾ .

إِنْ أَضَرُّوا فَمَا أَضَرُّوا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ أَصَرُّوا فَمَا أَصَرُّوا إِلَّا عَلَى خَسْرَانِهِمْ :  
فَمَا نَحْنُ عَذِّبُنَا بِجَعْدِ دِيَارِهِمْ وَلَا نَحْنُ سَاقِتُنَا إِلَيْهِمْ نَوَازِعُ  
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا بُعِثَ  
لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّهُمْ لُبُغْلٌ يُزَادُوا  
إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

من تمام المكر بهم ، وللبالغة في عقوبتهم أننا نعدّ بهم وهم لا يشعرون ، نستدرجهم من  
حيث لا يعلمون ؛ بُعِثَ لَهُمْ فَيُظَنُّونَ ذَلِكَ إِنْعَامًا ، وَلَا يَحْسِبُونَهُ انتِقَامًا ، فإذا برزت لهم كوامنُ  
التقدير عند مغاراتها علموا أنهم لفي خسران ، وقد اتضح لكلّ ذى بصيرة أن ما يكون  
سببَ العصيان وموجبَ النسيان غيرُ معدودٍ من جملة الإنعام .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى  
مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ  
الطَّيِّبِ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ  
عَلَى الْغَيْبِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ  
رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ  
وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا وَتَنَقَّوْا فَلَكُمْ  
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

جمعهم اليومَ من حيث الأشخاص والمباني ، ولكنه فرّقهم في الحقائق والمعاني ؛ فبينَ  
طَيِّبَةٍ سَجِيئَةٍ ، ومن خبيثةٍ طَيِّبَتُهُ . وهم وإن كانوا مشائب<sup>(١)</sup> ففي بصيرة الخواص هم ممتازون<sup>(٢)</sup> .

(١) مشائب = أخلاط .

(٢) ممتازون هنا مرتبطة بالفعل ( يميز ) الذي في الآية الكريمة أى لأنهم معروفون عندنا ؛ يميز  
طبيهم مهملة كانوا أخلاطاً .

« وما كان الله ليطلعكم على الغيب » : فإن أسرار الغيب لا تظهر للمتوثنين بأدناس البشرية ، وإن الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جلّ وقلّ ، فيختص من يشاء من أنبيائه بمعرفة بعض أسرارهِ :

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ

الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم ، سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا به يوم القيامة ، والله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير ﴾

من آثر شيئاً على الله لم يبارك له فيه ؛ فلا يدوم له — في الدنيا — بذلك استمتاع ، ولا للعقوبة عليه — في الآخرة — عنه دفاع .

والبخل — على لسان العلماء — منع الواجب ، وعلى مقتضى الإشارة إبقاء شيء ولو ذرة من المال أو نفساً من الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد ﴾

هذا الخطاب لو كان بين المخلوقين لكان شكوى . والشكوى إلى الأولياء من الأعداء سنةٌ الأحباب .

ويقال علم أن في المؤمنين من يغتاب الناس ، وذلك قبيح من قائلهم ، فأظهر قُبْحاً فوق ذلك ليتصاغر قبح قول المؤمنين بالإضافة إلى قبح قول الكفار ، فكأنه قال : لئن قبحت قائلهم في الاغتياب فأقبح من قولهم قول الكفار حيث قالوا في وصفنا ما لا يليق بنعمتنا .

وفيه أيضاً إشارة إلى الداء إلى الخلق ، والنجاوز عن الخضم ، فإن الله — سبحانه —  
لم يسلبهم ما أولام مع قبيح ما ارتكبوه من التقصير في حقوقه .

قوله : « سنكتب ما قالوا » : هذه الكلمة من موجبات الخجلة لأهل التقصير بأدق  
إشارة ؛ بمعنى أنهم وإن نسوا أحوالهم وأقوالهم فإننا ننشر لهم ما كتبنا عليهم قال قائلهم :

صحائفُ عِنْدِي لِلْعَنَابِ طَوِيَّتُهَا      سَتُنَشِّرُ يَوْمًا وَالْعَنَابُ يَطُولُ  
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا      فَإِنْ نَلَقَى يَوْمًا فَسَوْفَ أَقُولُ

قوله : « ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » هذا لو كان من مخلوق  
مع مخلوق/لأشبه العذر مما عمله به ، فكأنه — سبحانه — يقول : « عبيد : هذا الذي تلقاه  
— اليوم — من العقوبة لأن الذنب لك ، ولولم تفعله لما عذبتك » .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا

أَلَا نُوْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ  
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ  
قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ، فَلَمْ  
تُتْلَمُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ — سبحانه — فيما تعللوا به من ترك الإيمان ، فقالوا : لقد أمرنا ألا نصدق  
أحدًا إلا لو أتانا بقربان يتقرب به إلى السماء ، وتنزل نار من السماء ، فتأخذ القربان عيانًا ببصر ،  
فقال تعالى : قل لم إن من تقدمني من الأنبياء عليهم السلام أتوكم بما اقترحتم على من القربان ،  
ثم لم تؤمنوا ، فلو أجبتمكم إليه لن تؤمنوا بي أيضاً ؛ فإن من أقصته السوابق — فلو خاطبته  
الشمسُ بلسان فصيح ، أو سجدت له الجبالُ فرآها بلعظه صحيح — لم يبلغ العرفان في قلبه ،  
وما ازداد إلا شكاً على شك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ

قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ  
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ .

أى عادة الكفار تكذيب الرسل : وعلى هذا النحو درج سلفهم ، وبهديهم  
اقتدى خلفهم .

قوله جل ذكره : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ  
أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ  
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ،  
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

أى كأس الموت توضع على كف كل حي فمن تحلها طيبةً نفسه أوزنته سُكَّرَ الوجد ،  
ومن تجرّعها على وجه التعبس ، وقع في وهدة الرد ، ووُسمَ بكى الصد ، ثم يوم القيامة :  
فمن أُجبر من النار وصل إلى الراحة الكبرى ، ومن صُلّي بالسعير وقع في المحنة الكبرى .  
« وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » : لأن ما هو آتٍ فقريب .

قوله جل ذكره : ﴿ لَتَبْلُوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ  
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى  
كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ  
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

كفاهم أكثر أسباب الضرر بما أخبرهم عن حلولها بهم قبل الهجوم ، وعرفهم أن خير  
الأمرين لهم إثبات الصبر واختيار السكون تحت مجارى الأقدار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ  
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ  
وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ  
مَا يَشْتَرُونَ ﴾

أخبر أنهم أبرموا عهدهم أن لا يزولوا<sup>(١)</sup> عن وفائه ، ولكم تقضوا أسباب الذمائم بما صاروا إليه من الكفران ، ثم تبين أن ما اعتاضوا من ذهاب الدين من أعراض يسيرة لم يُبارك لهم فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

إن من باشر رؤية الخلق قلبه ، ولا حظهم بسره فلا تظن أن عقوبتهم مؤخره إلى يوم القيامة ، بل ليسوا من العذاب — في الحال — بمفازة ، وأي عذاب أشد من الرد إلى الخلق والحجاب عن الحق ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

الإشارة من هذه الآية هاهنا إلى غناه — سبحانه — عما في الكون ، وكيف يحتاج إليهم ؟ ولكنهم لا يجدون عنه خلفاً ، ولا عليه بدلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ .

الآيات التي تعرف الحق سبحانه وتعالى بها إلى العوام هي التي في الأقطار من العبر والآثار ، والآيات التي تعرف بها إلى الخواص فالتى في أنفسهم . قال سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ

---

(١) وردت ( ان لا يزالوا ) وترجح انها في الأصل ( ان لا يزولوا ) لأن هذه مناسبة للمراد من الآية ، ومن سياق المعنى ، ولو كان حرف الجر ( على ) بعدها لتبنا ( لا يزالوا ) .



آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، فالآيات الظاهرة توجب علم اليقين ، والآيات الباطنة توجب عين اليقين .

والإشارة من اختلاف الليل والنهار إلى اختلاف ليالي العباد ؛ فليالي أهل الوصلة قصيرة ، وليالي أهل الفراق طويلة ؛ فهذا يقول :

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصافٍ لمن ولا سرار  
ويقول :

صباحك مكر والمساء خمار فمت وأيام السرور قصار  
والثاني يقول :

ليالي اقر الظاعنين ( . . . . ) شَكَّوْتَ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ  
وثالث ليس له خبر عن طول الليل ولا عن قصره فهو لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِ يقول :  
لستُ أُدرى أطلالَ لَيْلِي أَمْ لَا ؟ كيف يدري بذاك من يَتَقَلَّى ؟  
لو تَفَرَّغْتُ لاسْتَطَالَةَ لَيْلِي وَرَعَيْتُ النُّجُومَ كُنْتُ مُحِلًّا

قوله تعالى : « لأولى الألباب » : أولو الألباب هم الذين صَحَّتْ عقولهم عن سُكْرِ الغفلة .  
وأَمارة مَنْ كان كذلك أن يكون نظره بالحق ؛ فإذا نظر من الحق إلى الحق استقام نظره ،  
وإذا نظر من الخلق إلى الحق انتكست نعمته ، وانقلبت أفكاره مُورِثةً للشبهة .  
قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً . . . » الآية :

استغرق الذكرُ جميعَ أوقاتهم ؛ فإن قاموا فبذكركه ، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا  
فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر ، فيقومون بحق ذكره ويقعدون عن إخلاف أمره ،  
ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها والدعوى فيها <sup>(١)</sup> .

ويذكرون الله قياماً على بساط الخدمة ثم يقعدون على بساط القرية .

وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ فِي بَدَايَةِ قِيَامِهِ عَنِ التَّقْصِيرِ لَمْ يَسْلَمْ لَهُ قَعُودٌ فِي نَهَائِهِ بِوصف الحضور .

---

(١) القشيري هنا مستفيد من رأى استاذه الإمام ابن فورك في « قياماً وقعوداً » في الآية الكريمة  
( الرسالة ص ١١١ ) .

والذكر طريق الحق — سبحانه — لنا سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق  
الذكر ، وإن لم يكن فيه سوى قوله : « أنا جليس من ذكرني » لكان ذلك كافياً .

والذاكرون على أقسام ، وذلك لتباين أحوالهم : فذكر يوجب قبض الذاكر لما يذكره  
من نقص سلف له ، أو قبض حصل منه ، فيمنعه خجله عن ذكره ، فذلك ذكر قبض .

وذكر يوجب بسط الذاكر لما يجد من لذائذ الذكر ثم من تقرب الحق إياه بمجمل  
إقباله عليه .

وذاكر هو محو في شهود مذكوره ، فالذكر يجري على لسانه عادة ، وقلبه مضطرب  
فيما بداله .

وذاكر هو محل الإجلال يأتي من ذكره ويستقدر وصفه<sup>(١)</sup> ، فكأنه لتصاغره عنه  
لا يريد أن يكون له في الدنيا والآخرة (ثناء)<sup>(٢)</sup> ولا بقاء ، ولا كون ولا بهاء ، قال قائلهم :

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني قلبي وروحي وسرى عند ذكركا  
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكرك إياكا

والذكر عنوان الولاية ، وبيان الوصلة ، وتحقيق الإرادة ، وعلامة صحة البداية ، ودلالة  
صفاء النهاية ، فليس وراء الذكر شيء ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ، ومُنشأة  
عن الذكر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾

التفكير نعمة كل طالب ، وثمرته الوصال بشرط العلم ، فإذا سلم الذكر عن الشوائب

---

(١) هذا النوع من الذكر يلتقي بتعاليم أهل الملامة النيسابورية الذين لا ينظرون لأي عمل إلا من  
حيث رؤية التقصير فيه .

(٢) ربما كانت ( فناء ) وإن كان المعنى يتقبل كليهما .

ورد صاحبه على مناهل التحقيق ، وإذا حصل الشهود والحضور مما صاحبه عن الفكر إلى حدود الذكر ، فالذكر سرمد<sup>(١)</sup> .

ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكرة زهداً فيها .  
وفكر العابدين في جيل الثواب فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة فيه .  
وفكر العارفين في الآلاء والنعم فيزدادون محبة للحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

التفسير يشير إلى مباح الأسرار في بحار التعظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ

أُخْزِيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

مَنْ ابْتَلَيْتَهُ فِي الْآجِلِ بِالْحَرَقَةِ فَقَدْ أُخْزِيْتَهُ ، وَمَنْ ابْتَلَيْتَهُ بِالْفِرْقَةِ فِي الْعَاجِلِ فَقَدْ أَشْقَيْتَهُ ،  
وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ يَمُنُّ الْوَصْلَةَ فَقَدْ آوَيْتَهُ وَأَذْنَبْتَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ

أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ

لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَكُفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا

مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾

يعنى أجبنا الداعي ولكن أنت الهادي ، فلا تَكِلْنَا إلينا ، ولا ترفع ظل عنايتك عنا .

والإيمان الدخول في مَوجِبَاتِ الْأَمَانِ ، وإنما يؤمن بالحق من أَمْنَهُ الْحَقِّ ، فَأَمَانٌ

الحق للعبد — الذى هو إجارتة — يوجب إيمان العبد بالحق الذى هو تصديقه ومعرفته .

---

(١) [ سأل أبو عبد الرحمن السلمي الشيخ الدقاق . أذكر أم أم الفكر ؟

فقال الدقاق : ما الذى يقع لك منه ؟

فأجاب السلمي : عندي الذكر أم من الفكر لأن الحق سبحانه يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر

وبما وصف به الحق سبحانه أم مما اختص به الخلق فاستحسنه الدقاق [ الرسالة ص ١١١ .

وقد ذكرنا هذه الرواية هنا : أولا لتوضح الفرق بين الذكر والفكر وثانياً لتبرز قول القشيري :

﴿ الذكر سرمد ﴾ أى مستدام .

« وتوفنا مع الأبرار » : وهم المختصون بحقائق التوحيد ، القائمون لله بشرائط  
التفريد ، الواقفون مع الله بخصائص التجريد .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ  
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ  
لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

حَقَّقْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْوَسَائِطِ<sup>(١)</sup> مِنْ إِكْمَالِ التَّعْمَى ( ..... )<sup>(٢)</sup> وَغُفْرَانِ  
كُلِّ مَا سَبَقَ مِنَّا مِنْ مَنَابِعَاتِ الْهَوَى .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ  
عَمَلًا عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى  
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا  
وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا  
فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفُرَنَّ  
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ  
الثَّوَابِ ﴾

كيف لا يستجيب لهم وهو الذي لَقَّيْنَهُمُ الدَّعَاءَ ، وهو الذي ضمن لهم الإجابة ، ووَعَدَهُ  
جَمِيلُ الثَّوَابِ عَلَى الدَّعَاءِ زَائِدٌ عَلَى مَا يَدْعُونَ لِأَجْلِ الْحَوَائِجِ .

« فالذين هاجروا » : يعني الديار والمزار ، وجميع المخالفين والمواقفين من الأغيار .  
« وأخرجوا من ديارهم » : إلى مفارقة معاheim من مألوفاتهم .  
« وأودوا في سبيلي » : عُيِّرُوا بِالْفَقْرِ وَالْمَلَامِ ، وفتنوا بفنون المحن والآلام .

---

(١) يقصد الرسل عليهم السلام .

(٢) مشبهة .

« وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا » : ذاقوا من اختلاف الأطوار الحلو والمر .  
« لَا كُفِرَ عَنْهُمْ سِيئاتِهِمْ » : يعنى لنعطيتهم فوق آمالهم وأكثر ، مما استوجبوه  
بأعمالهم وأحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَلَقُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي  
الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ بِهِمْ  
وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

لا تتداخلك تهمة بأن لم عندنا قدراً وقيمة إنما هي أيام قلائل وأنفاس معدودة ،  
ثم بعدها حسرات مترادفة ، وأحزان متضاعفة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتُ  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾

الذين وسعهم بذل الفرقة بنست حالتهم ، والذين زفوا قدماً لأجلنا فنعمت الحالة  
والزلفة ؛ وصلوا إلى الثواب المقيم ، وبقوا في الوصلة والنعيم ، وما عند الله مما ادخرنا لم  
خير مما آملوه باختيارهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ  
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ  
إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ اللَّهُ لَا يَشْرُونَ بآيَاتِ  
اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ، أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ ﴾

يريد من ساعدتهم القسمة بالحسنى فهم مع أولياء الله نعمة كما كانوا معهم قسمة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ ﴿١﴾

الصبر فيما تفرد به العبد ، والمصابرة مع العدو .

والرباط نوع من الصبر ولكن على وجه مخصوص .

ويقال أول الصبر التصبر ، ثم الصبر ثم المصابرة ثم الاصطبار وهو نهاية<sup>(١)</sup> .

ويقال اصبروا على الطاعات وعن المخالفات ، وتصابروا في ترك الهوى والشهوات ،  
وقطع المنى والعلاقات ، ورابطوا بالاستقامة في الصلابة في عموم الأوقات والحالات .

ويقال اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم ، ورابطوا بأسراركم .

ويقال اصبروا على ملاحظة الثواب ، وصابروا على ابتغاء القربة ، ورابطوا في محل  
الدنو والزلفة — على شهود الجمال والعزة .

والصبر مُرٌّ مذاقه إذا كان العبد يتحسّاه على الغيبة ، وهو لذيذ طعمه إذا شربه على  
الشهود والرؤية .

« وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » : الْفَلَاحُ الظَّفَرُ بِالْبُغْيَةِ ، وَهِمَّتُهُمُ الْيَوْمُ الظَّفَرُ  
بِنَفْسِهِمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتِمُّ خَلَاصُهُمْ ، وَإِذَا ظَفَرُوا بِنَفْسِهِمْ ذَبَحُوهَا بِسِوْفِ الْمَجَاهِدَةِ ،  
وَصَلَبُوهَا عَلَى عِيدَانِ الْمَكَابِدَةِ ، وَبَعْدَ فَنَائِهِمْ عَنْهَا يَحْصُلُ بِقَاؤُهُمْ بِاللَّهِ .

---

(١) يمكن أن يجد القارئ في صفيح القشيري حول مادة (س ب ر) انه — وهذا شأنه دائماً —  
يحاول أن يؤسس المصطلح الصوفي على دعائم لغوية تعتمد على الفروق الدقيقة بين صيغ الاشتقاق المختلفة  
من المادة الواحدة ؛ فصيغة المفاعلة فيها المشاركة ، وصيغة التفعّل فيها تكلف يلائم البداية . . . . . وهكذا .



## السورة التي يذكر فيها النساء

بسم الله الرحمن الرحيم.

اختلفوا في الاسم عن ماذا اشتق ؛ فمنهم من قال إنه مشتق من السمو وهو العلو . ومنهم من قال إنه مشتق من السمة وهي الكفة .

وكلاهما في الإشارة : فمن قال إنه مشتق من السمو فهو اسم من ذكره سمت رتبته ، ومن عرفه سمت حالته ، ومن صحبه سمت همته ؛ فسمو الرتبة يوجب وفور المثوبات والبركات ، وسمو الحالة يوجب ظهور الأنوار في الأسرار ، وسمو الهمة يوجب التحرز عن رِقِّ الأغيار .

ومن قال أصله من السمة فهو اسم من قصده وسم بسمه العبادة<sup>(١)</sup> ، ومن صحبه وسم بسمه الإرادة ، ومن أحبه وسم بسمه الخواص ، ومن عرفه وسم بسمه الاختصاص . فسمه العبادة توجب هيبة النار أن ترمى صاحبها بشررها ، وسمه الإرادة توجب حشمة الجنان أن تطمع في استرقاق صاحبها - مع شرف خطرها ، وسمه الخواص توجب سقوط العُجب من استحقاق القربة للماء والطينة على الجملة<sup>(٢)</sup> ، وسمه الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة .

ويقال اسم من أصله سما عنده ( عن ) الأوهام قدره ( سبحانه )<sup>(٣)</sup> . ومن فاصله وسم بكي الفرقة قلبه .

---

(١) هنا حدث اضطراب من الناسخ فإخطأ في النقل وقد رتبنا الكلام في النصف الأول من الفقرة حسب الترتيب الوارد في النصف الثاني منها والذي يبدأ « فسمه العبادة توجب .... الخ » . ذلك الترتيب الذي يتماشى مع المذهب العام للتشيرى في كل مصنفاته .

(٢) يقصد تشريف الإنسان على جملة المخلوقات ، فالإنسان وحده - دون سائر الكائنات - هو الذي خوطب بلبادل الذكر والمحبة مع الحق جل شأنه .

(٣) وضعنا ( عن ) و ( سبحانه ) ليمتنع اللبس ، وما غير موجودين في النص ( يقول التشيرى في رسالته : ما يصوره وهك فاقه بخلاف ذلك ) .

وعلى هذه الجملة يدل اسمه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

الناس اسم جنس ، والاشتقاق فيه غير قوى . وقيل معى الإنس إنساً لظهوره <sup>(١)</sup> فعلى هذه الإشارة : يَأْمَنُ ظَهْرُكَ عَنْ كَتَمِ الْعَدَمِ بِحَكْمِ تَكْلِيفِ ، ثُمَّ خَصَصْتُ مَنْ شِئْتُ مِنْكُمْ بِتَشْرِيفِ ، وَحَرَمْتُ مَنْ شِئْتُ مِنْكُمْ هِدَايَتِي وَتَعْرِيفِي : وَتَقَلَّتْكُمْ إِلَى مَا شِئْتُ بَلْ أَوْصَلْتُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُ بِحَكْمِ تَصْرِيفِي .

ويقال لم أظهِرْ مَنْ الْعَدَمِ أَمْثَالَكُمْ ، وَلَمْ أَظْهِرْ عَلَى أَحَدٍ مَا أَظْهِرْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ أَحْوَالِكُمْ .  
ويقال سُمِّيَتْ إِنْسَانًا لِنِسْبَاتِكَ ، فَإِنْ نَسِيتْنِي فَلَا شَيْءَ أَحْسَنُ <sup>(٢)</sup> مِنْكَ ، وَإِنْ نَسِيتَ ذِكْرِي فَلَا أَحَدَ أَحْطَ <sup>(٣)</sup> مِنْكَ

ويقال مَنْ نَسِيَ الْحَقَّ فَلَا غَايَةَ لِمُحَنَّتِهِ ، وَمَنْ نَسِيَ الْخَلْقَ فَلَا نِهَايَةَ لِمَلُوكِ حَالَتِهِ

ويقال يقول الْمُذْنِبِينَ : يَأْمَنُ أَلْسِيَّتَ عَهْدِي ، وَرَفَضْتُ وَدِي ، وَتَجَاوَزْتُ حَدِّي حَانَ لَكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى بَابِي ، لِنَسْتَحِقُّ لَطْفِي وَإِحْسَانِي . ويقول الْعَارِفِينَ ، يَأْمَنُ نَسِيَّتَ فِينَا حَقِّكَ ، وَصُتَّ عَنْ غَيْرِنَا لِحَقِّكَ وَلِلْفُطْكَ — لَقَدْ عَظَّمْ عَلَيْنَا حَقُّكَ ، وَوَجَبَ لَدَيْنَا نَصْرُكَ <sup>(٤)</sup> ، وَجَلَّ عِنْدَنَا قَدْرُكَ . .

(١) حتى يقابل (الجن) لاختلافه . وربما كان قصد القشيري إلى ذلك .

(٢) وردت (أحسن) بالصاد ، وربما يقبلها على أساس أن الله يعاتب عبده : إِنْ نَسِيتْنِي فَأَنْتَ رَهِيمٌ ذَلِكَ (أحسن الكائنات بمحبتي) .

(٣) وردت (أحسن) بالضاد وربما كانت أحسن .

(٤) وجب واستوجب والابحجاب عند القشيري ترد بمعنى الاستحقاق ، وعليها أن نتأمل الدقة في استعمال (لدينا) ولم يقل (علينا) فلا وجوب على الله — بخلاف المترلة .

ويقال يا من أُنسِتَ<sup>(١)</sup> بنسيم قرني ، واستروحت إلى شهود وجهي ، واعتززت بجلال قدرى — فأنت أجلُّ عبادى عندى .

قوله : « اتقوا ربكم » : التقوى جماع الطاعات ، وأوله ترك الشرك وآخره اتقاء كل غير ، وأول الأغيار لك نفسك ، ومن اتقى نفسه وقف مع الله بلا مقام ولا شهود حال ، و ( وقف ) لله . . لا لشهود حظ في الدنيا والعقبى .

قوله : « الذى خلقكم من نفس واحدة » : وهو آدم عليه السلام ، وإذا كنا مخلوقين منه وهو مخلوق باليد فنحن أيضا كذلك ، لما ظهرت مزية آدم عليه السلام به على جميع المخلوقين والمخلوقات فكذلك وصفنا ، قال تعالى : « أولئك هم خير البرية » .

ولفظ « النفس » للعموم والعموم يوجب الاستغراق .

قوله : « وخلق منها زوجها » : حكم الحق — سبحانه — بمساكنة الخلق مع الخلق لبقاء النسل ، ولرد المثل إلى المثل فربط الشكل بالشكل .

قوله . « وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء » : تعرّف إلى العقلاء على كمال القدرة بما ألاح من براهين الربوبية ودلالات الحكمة ، حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد ، على اختلاف هيتهم ، وتفاوت صورهم ، وتباين أخلاقهم ، وإن اثنين منهم لا يتشابهان ، فلكل وجه في الصورة والخلق ، والهمة والحالة ، فسبحان من لا حدّ لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته .  
ثم قال : « واتقوا الله » تكرير الأمر بالتقوى يدل على تأكيد حكمه .

وقوله : « نساء لون به والأرحام » : أى اتقوا الأرحام أن تقطعوها ، فمن قطع الرحم قطع ، ومن وصلها وصل .

« إن الله كان عليكم رقيبا » : مطلعا شهيدا ، يعد عليك أنفاسك ، ويرى حواسك ، وهو متولٍ خطراتك ، ومنشئ حركاتك وسكناتك . ومن علم أنه رقيب عليه فبالحرى أن يستحي منه .

---

(١) لاحظ كيف يربط القشيري بين الناس ( والأنسر ) بعد أن ربطها ( بالإنس ) فدار الكلام كله على لفظة ( الناس ) التى وردت في الآية الكريمة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا

الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ

إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾

مَنْ أَقِيمَ بِمَحَلِّ الرِّعَايَةِ فِجَاءً عَلَى رِعِيَّتِهِ فَخَصَّهُ رَبُّهُ ؛ فَإِنَّهُ — سُبْحَانَهُ — يَنْتَقِمُ لِعِبَادِهِ مَا لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ . فَوَلِّ الْيَتِيمَ إِنْ أَنْصَفَ وَأَحْسَنَ لِحَقِّهِ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى فَخَصَّهُ اللَّهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ

فَانْكَحُوا مَا طَلَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

مَنْثًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ

أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أُدْنَىٰ أَلَّا تَعْرُلُوا \*

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

أَبَاحَ اللَّهُ لِلرِّجَالِ الْأَحْرَارِ التَّزْوِجَ بِأَرْبَعٍ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَوْجَبَ الْعَدْلَ بَيْنَهُنَّ ، فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرَاعِيَ الْوَاجِبَ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَقُومُ بِحَقِّ هَذَا الْوَاجِبِ آثَرُ هَذَا الْمُبَاحِ ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَقْصُرُ فِي الْوَاجِبِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لِهَذَا الْمُبَاحِ ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ مُسْتَوْلٍ عَنْهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا

فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾

دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ طَعَامَ الْفَتَيَانِ <sup>(١)</sup> وَالْأَسْخِيَاءَ مَرِيءٌ لَأَنَّهُمْ لَا يُطْعِمُونَ إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ ،

وَطَعَامُ الْبَخْلَاءِ رَدِيءٌ <sup>(٢)</sup> لَأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنَّمَا يُطْعِمُونَ عَنْ تَكَلُّفٍ لَا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَعَامُ السَّخِيِّ دَوَاءٌ وَطَعَامُ الْبَخِيلِ دَاءٌ » .

---

(١) الْفَتَيَانُ جَمْعُ فَتًى . وَالْفَتْوَةُ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الصُّوفِيَّةِ عِمَادُهُ الْإِيْثَارُ وَالْبَذْلُ وَالصَّفْحُ وَالْعَفْوُ ، وَالْأَنْفَاءُ عَمَّا فِي الْكَوْنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنِ السُّلُوكِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلنَّفْسِ أَنْ تَرْضَاهَا ، وَأَنْ تَتَعَلَّى بِهَا حَتَّى يَنْهَبُ الْعَبْدُ لَهَا هُوَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ ، وَأَنْ يَكُونَ إِيْثَارُهُ لِلَّهِ وَبَذْلُهُ لِلَّهِ وَرُوحُهُ لِلَّهِ ، لِأَنَّ مِنْ يَوْمَرُ بِالْإِثْرَامِ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ لَا يَضُنُّ بِأَضْعَافِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَقِّ .

(٢) مُشْتَبِهَةٌ وَلَكِنَّهَا أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى (رَدِيءٍ) وَتَدْرُجُ فِيهَا مَعَ التَّحْفِظِ ، وَالْمَعْنَى بِتَقْبَلُهَا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ  
اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ، وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا  
وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

السُّفَهَاءُ من ينعك عن الحق ، ويشغلك عن الرب .

والسُّفَهَاءُ من العيال والأولاد من تؤثر حظوظهم على حقوق الله تعالى .

قوله : « الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا » : حفظ التجمل في الحال أجدى عليكم من التعرض  
للتبذل والسؤال ، والكذبة والاحتيال . وإنما يكون البذل خيراً من الإمساك عند تحوُّر  
القلب والثقة بالصبر . فأما على نية الكذبة وأن تجعل نفسك وعيالك كلاً على الناس فحفظك  
ما جعله الله كفايةً لنفسك أولى ، ثم الجود بفاضل كفايتك .

قوله : « وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا » : إذا كان ذات يدك يتسع  
لكفاية يومهم ويفضل<sup>(١)</sup> فلا تدخره عما تدعو إليه حاجتهم معلومك خشية فقر في الغد ،  
فإن ضاقت يدك عن الإنفاق فلا يتسعين<sup>(٢)</sup> لسانك بالقبيح من المقال .

ويقال إذا دعتك نفسك إلى الإنفاق في الباطل فأنت أسفه السفهاء فلا تطيع نفسك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَابْتَاعُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا  
النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا  
فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُوهَا  
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ، وَمَنْ  
كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ  
فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ  
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ  
بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾

(١) يفضل وفاضل هنا بمعنى يزيد وزيادة .

(٢) لاحظ المقابلة الجلية في تعبير العشري بين ( ضاقت يدك ) و ( ويتع لسانك )

إيناس الرشيد العفة والديانة ، والسخاء والصيانة ، وصحبة الشيوخ ، والحرص على مشاهدة الخير ، وأداء العبادات على قضية الأمر .

ويقال الرشيد من أهدى إلى ربه ، وعندنا نسخ له ( حاجة ) من حوائج لا يسكن على حوله وقوته ، وتديره واختياره .

قوله جل ذكره : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان

والأقربون وللنساء نصيب مما ترك

الوالدان والأقربون مما قلّ منه

أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾

حكم الميراث لا يختلف بالفضل والمنقبة ، ولا يتفاوت بالعيب والنقص والذنب ؛ فلو مات رجل وخلف ابنين تساويا في الاستحقاق وإن كان أحدهما برّاً تقيّاً والآخر فاجراً عصياً ، فلا للثقي زيادة لتقواه ، ولا للفاجر بخس لفجوره ، والمعنى فيه أن الميراث ابتداء عطية من قبل الله ، فيتساوى فيه البر والفاجر . كذلك حكم الإيمان ابتداء عطية للمسلمين : قال الله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ، ثم قال : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم ... » الآية .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا حضر القسمة أولو القربى

واليتامى والمساكين فارزقوهم منه

وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾

يريد إذا حضر قسمة الميراث ذوو السهمان<sup>(١)</sup> والمستحقون ، وحضر من لا نصيب لهم في الميراث من المساكين فلا تحرمهم من ذلك . فإن كان المستحق مؤلّياً عليه ، فعِدوهم وعداً جميلاً وقولوا : « إذا بلغ الصبي قلنا له حتى يعطيك شيئاً » وهذا معنى قوله : « وقولوا لهم قولاً معروفاً » . وفي هذا إشارة لطيفة للمذنبين إذا حضروا لمرسته غداً ، والحق سبحانه يفر للمطيعين ويعطيهم ثواب أعمالهم ، فمن كان منكم من فقراء المسلمين لا يحرمهم الفقران

(١) السهمان ج سهم .



إن شاء الله بعدما كانوا من أهل الإيمان ، وكذلك يوم القسمة لم تكن حاضراً ، ولا لك استحقاق سابق فبفضله ما أهلك لمعرفته مع علمه بما يحصل منك في مستأنف أحوالك من ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ

خلفهم ذرية ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ

فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾

بَيِّنَ في هذه الآية أن الذي ينبغي للمسلم أن يدخره لعياله <sup>(١)</sup> التقوى والصالح لا المال ، لأنه

لم يقل فليجمعوا المال وليكثرُوا لهم العقار وليخلفوا الأثاث بل قال : « فليتقوا الله »

فانه يتولى الصالحين

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى

ظُلُمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَيَصِلُونَ سَعِيرًا ﴾

إنما تولى الحق سبحانه خصمية اليتيم ، لأنه لا أحد لليتيم غيره ، وكلُّ من وكلَّ أمره إليه فتبرأ من حوله وقوته فالحق سبحانه ينتقم له بما لا ينتقم لنفسه <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرُ مِثْلُ

حَظِّ الْأُنثَى إِن كَانَ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ

اِثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثًا مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ

وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ

لَهُ وَلَدٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ

أَبَوَاهُ فَلَأُمُّهُ الثُّلَاثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ

فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي

بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

(١) وردت ( العبارة ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) هذه إشارة موجبة إلى الأولياء ، فهم لا سند لهم من جاء أو سلطان أو مخلوق فإذا تعرضوا

للأذى تولى الله عنهم خصومة المؤذى .

الوصية هاهنا بمعنى الأمر ، فانه سبحانه جعل الميراث بين الورثة مستحقاً بوجهين :

١. — الفرض ٢ — التعصيب ، والتعصيب أقوى من الفرض لأن العَصْبَةَ قد تستغرق جميع المال أما أكثر الفروض فلا يزيد على الثلثين ، ثم إن القسمة تبدأ بأصحاب الفروض وهم أضعف استحقاقاً ، ثم العَصْبَةُ وهم أقوى استحقاقاً . قال صلى الله عليه وسلم :

« مَا أَبَقْتُ الْفَرَائِضَ فَلِأَوَّلَى عَصْبَةٍ ذَكَرَ » <sup>(١)</sup> كذلك أبدأً منته ، كما في قوله تعالى :

« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » أعطاهم الكتاب بلفظ الميراث ثم قدم الظالم على السابق ، وهو أضعف استحقاقاً إظهاراً للكرم مع الظالم لأنه مُنْكَسِر القلب ولا يحتمل وقته طول المدافعة .

وقوله « للذكر مثل حظ الأنثيين » . لو كان الأمر بالقياس لكانت الأنثى بالتفضيل أولى لضعفها ، ولعجزها عن الحراك ، ولكن حُكْمَهُ — سبحانه — غيرُ معلَّل <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَلِيظًا حَكِيمًا ﴾

الأبناء ينفعونكم بالخدمة ، والآباء بالرحمة ، والآباء في حال ضعفك في بداية عمرك ، والأبناء في حال ضعفك في نهاية عمرك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يَوْصِينَ بِهِ أَوْ دَيْنٍ ، وَلَهُنَّ الرِّبْعُ

(١) صحيح البخارى ٨ ص ٢٦٩ « أَلْحَقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَإِنْ بَقِيَ فَهُوَ لِأَوَّلَى رَجُلٍ ذَكَرَ »  
(٢) تحتاج هذه العبارة إلى بعض توضيح . وربما كان أفضل تحديد لها ما يذكره ذو النون المصرى :  
« علة كل شيء صنعه ، ولا علة له » ثم ما يوضحه أبو نصر السراج في اللمع حيث يقول : « معنى هذا القول — والله أعلم — أن وجود النقصان في كل شيء مصنوع كائن ، لأنه لم يكن مكاناً ، وليس في صنع المصانع لمصنوعات ، علة ، وقال بعضهم :  
يا شغافى عن السفاهة وإن كنت علقى (اللمع ص ١٤٠)

مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ،  
 فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّنُنُ  
 مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا  
 أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً  
 أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ  
 وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا  
 أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ  
 مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ  
 غَيْرِ مُضَارٍّ ، وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَلِيمٌ \*

الإشارة في ثبوت الميراث للأقربين من الورثة بالنسب؛ والسبب أن الميت إذا مات تحمل  
 القريب أحزانه فموضع الله الوارث على ما يقاسيه ويخامر قلبه من التوجع مال الموروث . .  
 وكذا سُنَّته — سبحانه — التعويض على مقاساة الأذى — جوداً منه لا وجوباً عليه (١) —  
 كما توهم قوم . وكلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ نَسَبًا أَوْ أَقْوَى سَبَبًا مِنَ الْمَيِّتِ كَانَ أَكْثَرَ اسْتِحْقَاقًا  
 لِمِيرَاثِهِ ، وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

وما بات مطويًا على أريحية ( . . . . )

( . . . ) عقب النوى \* موت القى ظل مغرماً (٢)

قوله جل ذكره : \* تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ

(١) يلح التشيرى دائماً في نبي كل وجوب على الله ، كما لاحظنا ذلك في مواضع شتى بينما لا يمنع المعتزلة من  
 وجوب للثوبة للمطيع — عليه ، ووجوب العقوبة للعاصي — عليه .  
 (٢) توجد في البيت كلمات فارسية ( انكه شاد شود در عطاء ادن ) =  
 أصبح حينئذ مسروراً بالعطاء . ومعنى البيت غير واضح .

تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك  
الفوز العظيم ﴿ ٢٠٠ 》 .

حدوده : أوامره ونواهيه ، وما تعبد به عباده .

وأصل العبودية حفظ الحدود ، وصون العهود ، ومن حفظ حده لم يصبه مكروه ولا آفة ،  
وأصل كلُّ بلاء مجاوزة الحدود .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ  
حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله  
عذاب مهين ﴾

وإنما هما عقوبتان : معجلة ومؤجلة ، ويقترن بهما جميعاً الذلُّ ، فلو اجتهد الخلاق على إذلال  
للعاصي بمثل الذل الذي يلحقهم بارنسكاب المعصية لم يقدموا<sup>(١)</sup> عليها : لذلك قال قائلهم :  
من بات<sup>(٢)</sup> مُبِلًا<sup>(٣)</sup> بذنب أصبح وعليه مدلته ، فقلت ومن أصبح مُبِرًّا بغير ظلٍّ  
وعليه مهابته

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ  
فَأُشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ  
فَإِنْ شَهِدُوا فَأُصْبِحْنَ فِي الْبُيُوتِ  
حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْبُيُوتُ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ  
لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ .

إنما اعتبر في ثبوت الفاحشة — التي هي الزنا — زيادة الشهود إسبالاً لستر الكرم .

(١) وردت ( لم يقدموا ) والملائم للمعنى أن تكون ( لم يقدموا ) مما يرجح أن الناسخ قد أخطأ .

(٢) وردت ( من مات ) والسياق يقتضي ( بات ) ، ( وأصبح ) ، وظل .

(٣) وردت ( مسلماً ) وهي خطأ من الناسخ .

على إتمام العباد ، فإن إقامة الشهود — على الوجه الذى فى الشرع لإثبات تلك الحالة — كالمستعذر<sup>(١)</sup> .

وفى قوله — صلى الله عليه وسلم — لما عز لما قال له : يا رسول الله — صلوات الله عليك — إننى زنت فطهرنى . فقال : لعلك قبلت .. ثم قال فى بعض المرات : « استنكوه »<sup>(٢)</sup> .  
فى هذا أقوى دليل لما ذكرت من إسبالة السر على الأعمال القبيحة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأْتُوهُمَا  
فَإِنْ تَابَا وَأُصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾

الأمر بفنون العقوبات لهم على فعل ذلك أبلغ<sup>(٣)</sup> شىء فى الردع والمنع منه بالرفع ، لعل العبد يحذر ذلك فلا يستحق التعذيب الأعظم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ  
فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ  
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

لأستغفار مع الإصرار<sup>(٥)</sup> ؛ فإن التوبة مع غير إقلاع سمه الكذابين .

وقوله : « السوء بجهالة » : يعنى عمل عمل الجهال .

---

(١) يدل هذا رأى — فى نظرنا — أولاً على فهم صائب لما وراء الحدود الشرعية من مرام بعيدة ، ويدل ثانياً على سعة صدر الصوفية فى الصفح عن أرباب الخطايا ، وستر معائب الخلائق ، ولقد أحسن الحسن البصرى حين قال : النصيحة على الملأ فضيحة .

(٢) وفى صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٩٨ عن ابن عباس : لما أتى معاذ بن مالك النبي ( ص ) قال له لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت ... الخ قال نعم فعند ذلك أمر برجه ( ومعنى استنكوه : أى ابحثوا فى فقه عن نكبة الجمر فربما يكون ثملاً ) .

(٣) وردت ( بلغ ) وهى خطأ فى النسخ

(٤) أخطأ الناسخ فى كتابة الآية فجاءت ( من قربة ) ، ( السوء بجهالة ) .

(٥) أخطأ الناسخ فكتبها ( الاسرار ) بالسين والمعنى يرفضها .

وذنّب كل أحدٍ يليق بحاله ، فالخواص ذنوبهم حسباتهم أنهم بطاعتهم يستوجبون محلاً وكرامة ، وهذا وَهْنٌ في المكاة ؛ إذ لا وسيلة إليه إلا به .

قوله « ثم يتوبون من قريب » : على لسان أهل العلم : قبل الموت ، وعلى لسان المعاملة : قبل أن تنعود النفس ذلك فيصير لها عادة ، قال قائلهم :

قلتُ للنَّفْسِ إنْ أردتِ رجوعاً فارجعي قبل أن يُسدَّ الطريقُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون

السيئات حتى إذا حضر أحدهم

الموت قال إني تبتُ الآن

ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك

أُعَذِّبُنَا لَهُمُ عَذَاباً أليماً ﴾

يعني إذا كُشِفَ الغطاء وصارت المعارف ضرورية<sup>(١)</sup> أُغْلِقَ بابُ التوبة ؛ فإن من شرط التكليف أن يكون الإيمان غيبياً . ثم إن في هذه الطريقة إذا عُرِفَ بالخيانة لا يشم بعده حقيقة الصدق . قال داوود — عليه السلام — في آخر بكائه لما قال الله تعالى لِمَ تَبْكِي يا داوود ، وقد غفرت لك وأرضيت خصمك<sup>(٢)</sup> وقبلت توبتك ؟

فقال : إلهي ، الوقت الذي كان بي رُدُّه إلى

فقال : هيهات يا داوود ، ذاك وُدُّ قد مضى !!

وفي معناه أنشدوا :

فَخَلَّ سَبِيلَ الْعَيْنِ بِعَدِكَ لِلْبُكَاءِ فَلَيْسَ لِأَيَّامِ الصَّفَاءِ رَجُوعُ

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ

---

(١) المعرفة الضرورية — عند القشيري — هي التي تنال في الانتهاء أما في الابتداء فهي معرفة كسبية والأولى تشبه الشمس والثانية تشبه السراج ، فإذا طلعت الشمس انبسط شعاعها على السراج ( الرسالة ص ١٤٩ )

(٢) وردت ( خصمك ) ولكن الإرضاء حسبنا نعلم من قصة داود كان لخصمه ، لذلك رجحنا أن نكون ( خصمك ) فأرضاء الخصم ملائم لقبول التوبة والغفران



أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَمْنُوا هُنَّ  
 لَتَنْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا  
 أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ،  
 وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ  
 فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ  
 فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿

التلبيسُ على المستضعفين ، والتدليسُ على أهل السلامة والوداعة من المسلمين — غيرُ  
 محودين عند الله . فمن تعاطى ذلك انتقم الله منه ، ولم يبارك له فيها يَخْزَلْ من أموال الناس  
 بالباطل والاحتيال . ومن استصغر خصمه في الله فأهون ما يعاقبه الله به أَنْ يَحْرِمَهُ الوصولَ  
 إلى ما يأمل من محبوبه .

وقوله : « وعاشروهن بالمعروف » : أى بتعاليم الدين والتأديب بأخلاق المسلمين وحُسنِ  
 الصحبة على كراهة النفس ، وأن تحتمل أذاهن ولا تحملن كلف خدمتك ، وتتغامى عن  
 مواضع خجلتهن .

قوله : « فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا . . . » كل ما كان على نفسك أشقُّ  
 كانت عاقبته أهنأ وأمرأ .

واعلم أن الحقَّ سبحانه لم يُطْلَعْ أحداً على غَيْبِهِ ، فأكثر ما يعافه الإنسان قد تكون  
 الخيرة فيه أتم . وقد حكم الله — سبحانه — بأن مخالفة النفس توصل صاحبها إلى أعلى  
 المنازل ، وبالعكس ذلك موافقتها ، كما أن مخالفة القلوب توجب عمى البصيرة ، وبالعكس ذلك  
 موافقتها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ  
 زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا ،  
 فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ  
 بِهَتَانَا وَإِنَّمَا مِيقَاتُكُمْ \* وكيف تأخذونه

وقد أفضى بعضكم إلى بعض  
وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً \*

يعلمهم حسن العهد ونعت الكرم في العشرة ، فيقول لا نجتمع الفرقة واسترداد المال عليها ، فإن ذلك ترك الكرم ؛ فإن خولت واحدة مالا كثيراً ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسيراً في جنب ما أذقتها من الفراق .

قوله : « وكيف تأخذونه . . . » : يعنى أن للصحبة السالفة حرمة أكيدة ، فقفوا عند مراعاة الذمام ، وأوفوا بموجب الميثاق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِمَّنِ الْنِّسَاءُ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ ﴾

تشير الآية إلى حفظ الذمام ، والوقوف على حد الاحترام ، فإن السجية تتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره ، فهي الأبناء عن تخطى حقوق الآباء في استغراق منكوحة الأب .

قوله جل ذكره : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ، وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ، وَأُمَّهَاتُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرِبَائِيكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ

الأختين إلا ما قد سلف إن الله  
كان غفورا رحيما ﴿١﴾

تكلّف انتزاع المعاني التي لأجلها حصل هذا التحريم محال من الأمر ؛ لأن الشرع  
غير مُعَلَّل<sup>(١)</sup> ، بل الحق تعالى حرّم ما شاء على من شاء ، وكذلك الإباحة ، ولا علة  
للشرائع بحال ، ولو كانت المحرّمات من هؤلاء محللات [محرمات] <sup>(٢)</sup> لكان ذلك سائغا .

قوله جل ذكره : ﴿ والمحصّنات من النساء إلا ما ملكت

أيما نكم كتاب الله عليكم ، وأحل  
لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا  
بأموالكم مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ  
فما استمتعتم به منهن فآتوهن  
أجورهن فريضة ولا جناح عليكم  
فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ،  
إن الله كان عليما حكيما ﴾ .

إذا حافظت الحدود ، وراعت العهود ، وحصل التراضي بين النساء بحكم الشرع فلا يكون  
فيه للخلق خصيصة ، ولا من الحق سبحانه منه تبعية ، فذلك مباح طلق .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن لم يستطع منكم طولا أن

يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ فَمَنْ  
مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَاكُمْ  
الْمُؤْمَنَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ  
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ  
أَهْلِهِنَّ ، وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ  
مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مَتَخَدَتٍ

(١) نطن أن هذه النظرة التي يأخذ بها التشريعي أمور التشريع قابلة للنقاش .

(٢) هذه كلمة زائدة ولم يلبه الناسخ إلى زيادتها ، وربما كانت في الأصل : « والمحللات محرمات » وحدث سقوط

أَخْذَانِ فَإِذَا أُخْصِنَ فَإِنْ أَتَيْنِ  
بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنِ نَصْفُ مَا عَلَى  
الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِأَنَّهُنَّ خَشِينَ  
الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \*

الرخص جعلت للمستضعفين ، فأما الأقوياء فأمرهم الجِدَّة ، والأخذ بالاحتياط والتضييق ؛  
إذ لا شغل لهم سوى القيام بحق الحق ، فإن كان أمر الظاهر يشغلهم عن مراعاة القلوب فالأخذ  
في الأمور الظاهرة بالسهولة والأخف أولى من الاستقصاء فيما يمنع من مراعاة السر ، لأنه ترك  
بعض الأمور لما هو الآثم والأجل ، فمن نزلت درجته عن الأخذ بالأوثق والأحوط فبإباح له  
الانحدار إلى وصف الترخص<sup>(١)</sup> .

ثم قال في آخر الآية : « وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ » : يعني على مقاساة ما فيه الشدة ، وفي  
هذا نوع استمالة للعبيد حيث لم يقل اصبروا بل قال : « وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لما عرف النبي — صلى الله عليه وسلم — وأمنته أخباراً من مضي من الأمم ، وما عملوا ،  
وما عاملهم به انتظروا ما الذي يفعل بهم ؛ فإن فيهم أيضاً من ارتكب ما لا يجوز ، فقالوا : ليت  
شعرنا بأي نوع يعاملنا ... أبا نخسف أو بالمسخ أو بالعذاب أو بماذا ؟

فقال تعالى : « وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » نمرؤكم ما الذي عملنا بهم .

---

(١) القاعدة « أَنْ اللَّهُ يَجِبُ أَنْ تُوْنِي رُخْصُهُ كَمَا تُوْنِي عَزَائِمُهُ » ولكن القسري يرى بالنسبة لأرباب  
الأحوال أن ( الرخصة في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال ، وهؤلاء الطائفة ( = الصوفية )  
ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، ولهذا قيل إذا انحط الفقير من درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة  
فقد فسح عهده مع الله تعالى ، ونقض عهده فيما بينه وبينه سبحانه ) الرسالة ص ١٩٩ .

« ويتوب عليكم » أما أنتم فأتوب عليكم ، أما من تقدم فلقد دمرت عليهم .  
ويقال « يريد الله ليبين لكم » : أى يكشفكم بأسراره فيظهر لكم ماخفى على غيركم .  
ويقال يريد الله ليبين لكم انفرادَه — سبحانه — بالإيجاد والإبداع ، وأنه ليس  
لأحد شيء .

« ويهديكم سنن الذين من قبلكم » طريقة الأنبياء والأولياء وهو التفويض والرضاء ،  
والاستسلام للحكم والقضاء .

وقيل « ويتوب عليكم » أى يتقبل توبتكم بعدما خلق توبتكم ، ثم يُثيبكم على ما خلق  
لكم من توبتكم <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد  
الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا  
ميلاً عظيماً ﴾ يريد الله أن يخفف  
عنكم ويخفف الإنسان ضعيفاً .

عزل بهذا الحديث حديث الأولين والآخرين .

ومن أراد الله توبته فلا يُشمت به عدواً ، ولا يناله فى الدارين سوء .

« ويريد الذين يتبعون الشهوات . . . » : إرادتهم منكوسة ، وهى عند إرادة الحق  
— سبحانه — ضائعة مردودة .

« ويريد الله أن يخفف عنكم » : يعنى ثقل الأوزار بمواترة الأوراد إلى قلوبكم ، ويقال  
يريد الله أن يخفف عنكم مقاساة المجاهدات بما يلج لقلوبكم من أنوار المشاهدات .

ويقال يريد الله أن يخفف عنكم أتعاب الخدمة بحلاوة الطاعات .

ويقال يخفف عنكم كلف الأمانة بحملها عنكم .

---

(١) واضح من هذا الكلام أن الفضل كله لله ، هو الذى يخلق توبة العبد وهو الذى يليه على توبته ،  
وقد ربطنا بين هذا وبين ما ذكره القشيري عند ( لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ) التى جاء ذكرها  
فيما سبق ( من هذا الكتاب ص ٢١٦ )

ويقال يخفف عنكم أتعاب الطلب بروح الوصول .

« وخلق الإنسان ضعيفاً » : وصف بهذا فقرهم وضُرَّهم ، و ( . . . ) <sup>(١)</sup> بها عذرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً

عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا \* وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ عَدُوًّا ظَلَمًا فَنُفِئْهُ

نَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* .

كل نفقة كانت لغير الله فهي أكل مالٍ بالباطل .

ويقال القبض إذا كان على غفلة ، والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة <sup>(٢)</sup> ، فكل ذلك

باطل ، « وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ » : يعنى بارتكاب الذنوب ، ويقال تعريضها لمساخطته سبحانه .

ويقال بنظركم إليها وملاحظتكم إياها .

ويقال باسئحسانكم شيئاً منها بإيثارها دون رضا الحق .

ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فإننا لا نُخلِّيه من عقوبة شديدة ، وهو أن نكلها إلى

صاحبها ، ونلقى حبلاً على غاربها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ

نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ

مُدْخَلَ كَرِيمٍ \* .

الكبائر — على لسان العلم — هاهنا الشرك بالله ، وعلى بيان الإشارة أيضاً الشركُ

---

(١) مثلية .

(٢) والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة ، أى لو كان ما تبدله وأنت تشهد نفسك دون أن تشهد الحق ،

فهو عمل ضائع ، لأنك حينئذ ستحسب قدراً لنفسك .



الْخَفِيِّ . ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق ، واستحلاء قبولهم ، والتودد إليهم ، والإغماض على حق الله بسببهم <sup>(١)</sup> .

ويقال إذا سلم العهد فما حصل من مجاوزة <sup>(٢)</sup> الحد فهو بعيد عن التكفير .  
ويقال أكبر الكبائر إثباتك نفسك فإذا شاهدت نفسك <sup>(٣)</sup> تَخَلَّصْتَ <sup>(٤)</sup> من أسر المحن . « وندخلكم » في أموركم « مدخلا كريماً » إدخالاً حسناً لا ترون منكم دخولكم ولا خروجكم وإنما ترون المَصْرَفَ لكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَسْتَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ

عَلَى بَعْضٍ ، لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا  
اَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا  
اَكْتَسَبْنَ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ،  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ .

لسان المعاملة أن الأمر بالتعنى لا بالتعنى ، ولسان التوحيد أن الأمر بالحكم والقضاء لا بالإرادة والمشي . ويقال اسلكوا سبيل من تقدمكم في قيامكم بحق الله ، ولا تتعرضوا لنيل ما خُصَّوا به من فضل الله . قوموا بحق مولاكم ولا تقوموا بمتابعة هواكم واختيار مناكم .  
ويقال لا تمنوا <sup>(٥)</sup> مقام السادة دون أن تسلكوا سبيلهم ، وتلازموا سيرهم ، وتعملوا عملهم .. فإن ذلك جورٌ من الظن .

ويقال كن طالب حقوقه لا طالب نصيبك على أي وجه شئت : دنيا وآخرة ( وإلاً ) <sup>(٦)</sup>  
أشركت في توحيديك من حيث لم تشعر .

---

(١) ربما يشترك كثير من الباحثين في هذا الرأي مع القشيري ولكنه عند أهل الملامة عنصر أساسي وخطير في تعاليمهم ، حيث يزيد إلى درجة استجلاب سخط الناس ولومهم للعبد .  
(٢) وردت ( بالراء ) وهي خطأ في النسخ ، ويكون المعنى إن الله ينفّر بمجاوزة الحد على شرط سلامة العهد وعدم الشرك .

(٣) وردت ( ففيها ) وهي خطأ في النسخ .  
(٤) وردت بالتاء المربوطة لا المفتوحة وهي خطأ في النسخ .  
(٥) وردت بالهاء لا بالميم والصحيح أنها بالميم ويتأيد ذلك بقوله بعد قليل ( لا تمنّ مقامات الرجال ) .  
(٦) إضافة من يستقيم المعنى ، إذ واضح أنها سقطت من النسخ .

ويقال لا تفتنّ مقامات الرجال فإن لكل مقام أهلاً عند الله ، وهم معدودون ؛ فما لم يمت واحد منهم لا يورث مكانه غيره ، قال تعالى : « جعلكم خلائف » والخليفة من يخلف من تقدمه ، فإذا تمّنت مقام ولي من الأولياء فكأنك استعجلت وفاته ؛ على الجملة تمنيت أو على التفصيل ، وذلك غير مُسلم .

ويقال خودك تحت جريان حكمة — على ما سبق به اختياره — أخطى لك من تعرضك لوجود مناك ، إذ قد يكون خفتك في مُنتك .

ويقال من لم يؤدّب ظاهره بفنون المعاملات ، ولم يهذّب باطنه بوجوه<sup>(١)</sup> المنازلات فلا ينبغي أن يتصدّى لنيل المواصلات ، وهيئات هيات متى يكون ذلك !

« واسألوا الله من فضله » : الفرق<sup>(٢)</sup> بين التمني وبين السؤال من فضله من وجوه : يكون التمني للشيء مع غفلتك عن ربك ؛ فتتني بقلبك وجود ذلك الشيء من غير توقعه من الله ، فإذا سألت الله فلا محالة تذكره ، والآخر أن السائل لا يرى استحقاق نفسه فيحمله صدق الإرادة على التملق والتضرع ، والتمني يخلو عن هذه الجملة .

والآخر أن الله نهى عن تمنّي ما فضل الله به غيره إذ معناه أن يسلب صاحبك ما أعطاه ويعطيك إياه ، وأباح السؤال من فضله بأن يعطيك مثل ما أعطى صاحبك .

ويقال لا تمنّ العطاء وسلّ الله أن يعطيك من فضله الرضا بفقد العطاء وذلك أتم من العطاء ، فإن التحرّر من رِق الأشياء أتم من تملكها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا زَكَرَ

الوالدان والأقربون والذين عَقَدْتَ

إِيمَانُكُمْ فَأَتَوْمُ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝

جعل للعاقدة في ابتداء الإسلام نظيرة النسب في ثبوت لليراث بها فنسخ حكم الميراث

---

(١) وردت ( بوجوده ) والصواب أن الدال زائدة لبئلام المعنى مع ( فتون ) كذلك فإن ( بوجوده المنازلات ) غير مستقيمة .

(٢) لاحظ كيف تدرى بحوث القشيري التي من هذا القبيل علوم اللفظ والبلاغة .

وبقي حكم الاحترام ، فإذا كانت للمعاقدة بين الناس بهذه الثابتة فما ظنك بالمعاهدة مع الله ؟ .  
قال الله تعالى : « رجالٌ صدَقُوا ما عاهدوا الله عليه » وأنشدوا :

إنَّ الألى ماتوا على دين الهوى وجدوا المنيةَ منهلاً معسولاً

قوله جل ذكره : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله

بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتي يخافون نشوزهن فمظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً » .

خص<sup>(١)</sup> الرجال بالقوة فزيد بالمثل عليهم ؛ فالمثل على حسب القوة . والعبرة بالقلوب والهم لا بالنفوس والجثث .

قوله : « واللاتي يخافون نشوزهن فمظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن » : أى ارتقوا في تهذيبهن بالتدريج والرفق ، وإن صلح الأمر بالوعظ فلا تستعمل العصا بالضرب ، فالآية تتضمن آداب العشرة .

ثم قال : « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » : يعنى إن وقفت في الحال عن سوء العشرة ( ..... )<sup>(٢)</sup> ورجعت إلى الطاعة فلا تنتقم منها عما سلف ، ولا تمتنع من قبول عذرهما والتأني عليها .

يقال : « فلا تبغوا عليهن سبيلاً » بمجاوزتك عن مقدار ما تستوجب<sup>(٣)</sup> من قمتك .

---

(١) جاءت ( حنر ) أى أخطأ الناسخ فنقل نقطة الحاء إلى الضاد .

(٢) هنا ثلاث كلمات زائدة وضع الناسخ علامة مميزة للتنبيه على ضرورة حذفها لتكرارها بدون داع .

(٣) أى تستحق المرأة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا  
حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا  
إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ،  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ .

يقال لك عليها الطاعة بالبدن ، فأما المحبة والميل إليك بالقلب فذلك إلى الله ،  
فلا تكلفها مالا يرزقك الله منها ، فإن القلوب بقدره الله ، يُحِبُّ إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَيُبْغِضُ  
إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ .

ويقال « فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا » أى لا تنسَ وفاءها فى الماضى بنادر<sup>(١)</sup>  
جفاء يبدو فى الحال فربما يعود الأمر إلى الجليل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى  
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ  
ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ  
بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُكُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ  
كَانَ مُخْتَلًا فُخْرًا ﴾ الذين يبخلون  
ويأمرؤن الناس بالبخل ويكتمون  
ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا  
للكافرين عَذَابًا مُهِينًا ﴾

قوله « وَاعْبُدُوا اللَّهَ » : العبودية معاقبة الأمر ومفارقة الزجر<sup>(٢)</sup> .

« وَلَا تَشْرِكُوا » الشُّرْكُ تَجْلِيهِ اعتقادُ معبودٍ سواه ، وَخَفِيهِ : ملاحظةُ موجودٍ سواه ،

---

(١) لا نستبعد أنها وبما كانت فى الأصل (ببادر) والمعنى يتقبل (نادر) و (بادر) فكلاما يدل على قدر  
من الحفاء لا يستحق الاهتمام ويستوجب العفو .  
(٢) أى طاعة ما أمرك به وترك ما نهاك عنه .

والتوحيد أن تعرف أن الحادثات كلها حاصلة بالله ، قائمة به ، فهو مجربها ومنشئها ومبقيها ،  
وليس لأحد قوة ولا شظية ولا سينة ولا شمة من الإيجاد والإبداع .

ودقائق الرياء وخفايا المصانعات وكوامن الإعجاب والعمل على رؤية الخلق ، واستحلاء  
مدحهم والذبول تحت رذم وذمهم — كل ذلك من الشبرك الخلقى .

قوله : « وبالوالدين » الإحسان إلى الوالدين على وجه التدرج إلى محبة فإنك أمرت  
أولاً بحقوقهما لأنها من جنسك ومنهما تربيتك ، ومنهما تصل إلى استحقاق زيادتك وتتحقق  
بمعرفتك . وإذا صلحت للصحبة والعشرة مع ذوى القربى والفقراء والمساكين واليتامى  
ومن فى طبقهم — رقيت عن ذلك إلى استيجاب محبته — سبحانه .

قوله : « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب . . . الآية » من جيرانك  
( . . . )<sup>(١)</sup> فلا تؤذهما بعصيانك ، وراعى حقهما بما تولى عليهما من إحسانك .

فإذا كان جار دارك مستوجباً للإحسان إليه ومراعاة حقه فجار نفسك — وهو قلبك —  
أولى بالأفضلية ولا تغفل عنه ، ولا تمكن حلول الخواطر الرديئة به .

وإذا كان جار نفسك هذا حكمة فجار قلبك — وهو روحك — أولى أن تحامى على  
حقها ، ولا تمكن لما يخالفها من مساكنتها ومجاورتها . وجار روحك — وهو سرك —  
أولى أن ترعى حقه ، فلا تمكنه من الغيبة عن أوطان الشهود على دوام الساعات .

قوله : « وهو معكم أينما كنتم » الإشارة منه غير ملتبسة على قلوب ذوى التحقيق .

قوله : « الذين يبخلون . . . الآية » : البخل على لسان العلم منع الواجب ، وعلى بيان  
الإشارة ترك الإيثار فى زمان الاضطراب . وأمر الناس بالبخل معناه منعهم عن مطالبات  
الحقائق فى معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع ، وبيان هذا أن يقع بلسانك الانسلاخ عن  
الملائق وحذف فضولات الحالة فمن نصحه بأن يقول : « ربما لا تقوى على هذا ، ولأن تكون  
مع معلومك الحلال أولى بأن تصير مكدياً ، وربما تخرج إلى سؤال الناس وأن تكون كلاً على

---

(١) مشبهة .

المسلمين — ويرَوِي له في هذا الباب الأخبار والآثار أمثال هذا . . . . . « فلولا بخله <sup>(١)</sup> المستكن في قلبه لأعانه بهيمته فيما يسبح لقلبه <sup>(٢)</sup> بَدَلْ أَنْ يَمْنَع عَنْهُ مَا (يَجِبُ أَنْ) يَقُولُ فِي مَعْرِضِ النَّصِيحَةِ . وَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَدْرَكَهُ عَاجِلُ الْمَقْتِ حَيْثُ أَطْلَفَا شَرَّ إِرَادَةِ ذَلِكَ الْمُسْتَفْضَعِ بِمَا هُوَ عِنْدَ نَفْسِهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ وَشَفَقَةٌ فِي الشَّرْعِ .

وقوله : « وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » : إِنْ كَانَ اللَّهُ أَغْنَاهُمْ عَنْ طَلَبِ الْفَضِيلَةِ بِمَا خَوَّلَهُمْ وَأَتَاهُمْ كَتَمُوا ذَلِكَ طَمَعًا فِي الزِّيَادَةِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْإِذْنِ .  
وَيُقَالُ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِذَا سَأَلَهُمْ مَرِيدٌ شَيْئًا عِنْدَهُمْ فِيهِ نَجَاتُهُ ، وَضَنُوا عَلَيْهِ بِإِرْشَادِهِ .

وَيُقَالُ يَخْلُ الْأَغْنِيَاءُ بِمَنْعِ النِّعْمَةِ ، وَيَخْلُ الْفُقَرَاءُ بِمَنْعِ الْهَمَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾

أَدْخَلَ هَؤُلَاءَ أَيْضًا تَحْتَ قَوْلِهِ : « إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَجِبُ مِنْ كَانَ مَخْتَالًا فَخُورًا » فَعَقِبَتْهُمْ فِي الْعَاجِلِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ جِهَةِ مُجِيبِيهِ ، وَكَفَى بِذَلِكَ مَحْنَةً .

وَالْمَخْتَالُ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ وَالْمَرَاتِي الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَكِلَاهُمَا مُسَوِّمَانُ بِالشَّرْكِ الْخَفِيِّ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الْمُشْرِكِينَ . وَالْفَخُورُ مِنَ الْإِبِلِ كَالْمَصْرَاةِ مِنَ الْغَنَمِ وَهُوَ الَّذِي سُدَّتْ أَخْلَافُهُ لِيَجْتَمَعَ فِيهَا الدَّرُّ <sup>(٣)</sup> فَيَتَوَهَّمُ الْمُشْتَرِي أَنْ جَمِيعَ ذَلِكَ مَعْتَادُهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، فَكَذَلِكَ الَّذِي يَرَى مِنْ نَفْسِهِ حَالًا وَرَتَبَةً وَهُوَ فِي ذَلِكَ مَدْعٍ وَهُوَ الْفَخُورُ ، وَاللَّهُ لَا يَجِبُهُ ، وَكَذَلِكَ الْمَرَاتِي الَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ .

---

(١) حَاولَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَصَحِّحَهَا فِي الْهَامِشِ فُطِنَ أَنَّ سَوَابِهَا ( تَجَمُّلُهُ ) وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا ( يَخْلُهُ ) .  
(٢) يَسْتَعْمِلُ الْقَشِيرِيُّ الْفِعْلَ ( يَسْبَحُ ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا يَرِدُ الْقَلْبَ مِنْ خَوَاطِرٍ قَدْ تَصَبَّحَ هَوَاجِسُ فَنَشْدِهِ نَحْوَ الْمَلَاتِقِ وَالْحَلَاتِقِ ، وَقَدْ تَسْكُونُ الْهَامَا مِنْ قَبْلِ الْحَقِّ سَبْعَانَهُ فَتَهْدِيهِ السَّبِيلَ .  
(٣) الدَّرُّ = الْإِبْنُ الْغَزِيرُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم  
الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان  
الله بهم عليماً ﴾

ليس في إيمانهم بالله عليهم مشقة ، بل لو آمنوا وصلوا إلى عز الدنيا والآخرة ، ولا يحملهم  
على الإعراض عنه إلا قلة الوفاء والحرمة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ مَنْتَالُ خَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ  
حَسَنَةٌ يَضَاعِفُهَا وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

لا ينقص من ثوابهم شيئاً بل يبتدئهم — من غير استحقاقهم — بفضله ، ويضاعف  
أجورهم على أعمالهم ؛ فأما الظلم فمحالٌ تقديره في وصفه لأن الخلق خلقه ، والمُلك ملكه .  
والظالم من يعتدى حداً رُسيمَ له — وهو في وصفه محالٌ لعزّه في جلال قدره .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
بشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا \*  
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا  
الرَّسُولَ لو تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ  
وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

إذا كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — الشهيد على أمته ، وهو الشفيع لهم ، فإنما  
يشهد بما يُبقي للشفاعة موضعها .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾ الآية : يحصلون على ندم ثم لا ينفعهم ،  
ويعضون على أناملهم ثم لا يسكن عنهم جزعهم ، فيتقنمون بخيمار الذل ، وينقلبون إلى أوطان  
المحن <sup>(١)</sup> والضر .

---

(١) وردت ( المحسن ) والسين زيادة من الناسخ والصواب ( المحن ) .



قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ  
وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ  
وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى  
تَغْتَسِلُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى  
سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ  
أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً  
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا  
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا  
غَفُورًا ﴾

النَّهْيُ عَنْ مَوْجِبِ السُّكْرِ مِنَ الشَّرَابِ لَا مِنَ الصَّلَاةِ ، أَيْ لَا تَصَادِفُكُمْ الصَّلَاةُ وَأَنْتُمْ  
بِصِفَةِ السُّكْرِ ، أَيْ امْتَنَعُوا عَنْ شُرْبِ مَا يُسْكِرُ فَإِنَّكُمْ إِنْ شَرَبْتُمْ مَكْرَمًا ، ثُمَّ إِذَا صَادَفُكُمْ  
الصَّلَاةُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ لَا تُقْبَلُ مِنْكُمْ صَلَاتُكُمْ .  
وَالسُّكْرُ ذَهَابُ الْعَقْلِ وَالْإِسْتِشْعَارِ ، وَلَا تَصَحُّ مَعَهُ الْمُنَاجَاةُ مَعَ الْحَقِّ .  
الْمُصَلِّيُ يَنَاجِي رَبَّهُ ، فَكُلُّ مَا أَوْجِبَ لِلْقَلْبِ الذَّهُولُ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ مُلْحَقٌ بِهَذَا مِنْ حَيْثُ  
الْإِشَارَةُ ، وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ حَصَلَ ، وَالسُّكْرُ عَلَى أَقْسَامٍ :  
فَسُكْرٌ مِنَ الْخَمْرِ وَسُكْرٌ مِنَ الْغَفْلَةِ لِاسْتِيلَاءِ حُبِّ الدُّنْيَا .

وَأَصْعَبُ السُّكْرِ مَسْكُوكٌ مِنْ نَفْسِكَ فَهُوَ الَّذِي يَلْقِيكَ فِي الْفِرْقَةِ عَنْهُ ، فَإِنَّ مَنْ مَسَكَ مِنَ الْخَمْرِ  
فَقَصَارَاهُ الْفِرْقَةُ — إِنْ لَمْ يُفْقَرْ لَهُ . وَمَنْ سَكَ مِنْ نَفْسِهِ فَخَالَهُ الْفِرْقَةُ — فِي الْوَقْتِ — عَنِ الْحَقِيقَةِ .  
فَأَمَّا السُّكْرُ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ الْقَوْمُ <sup>(١)</sup> فَصَاحِبُهُ مُحْفُوظٌ عَلَيْهِ وَقْتُهُ حَتَّى يَصِلَى وَالْأَمْرُ  
مُخَفَّفٌ عَلَيْهِ : ( فَإِذَا خَرَجَ عَنِ الصَّلَاةِ هَجَمَ عَلَيْهِ غَالِبُهُ فَاخْتَلَفَهُ عَنْهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُحْفُوظًا ) <sup>(٢)</sup>  
عَلَيْهِ أَحْكَامُ الشَّرْعِ ( فَشَوْبٌ بِحِظٍّ ) <sup>(٣)</sup> .

(١) أَيْ السُّكْرُ عِنْدَ الصُّوْفِيَّةِ .

(٢) هَذَا الَّذِي بَيْنَ قَوْسَيْنِ مُسْتَدْرَكٌ فِي هَامِشِ الصَّفْحَةِ وَضَعْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ النَّصِّ .

(٣) ( فَشَوْبٌ بِحِظٍّ ) وَضَعْنَاهُ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ هُنَا مُسْتَفِيدَيْنِ مِنْ أَقْوَالِ الْقَشِيرِيِّ فِي مَوَاضِعٍ مُنَاطِرَةٍ =

وقوله تعالى : « ولا جُنُباً إلا عابري سبيل . . . الآية » : أذن للمضطر أن يترخص في عبور المسجد وهو على وصف الجنابة ، فإذا عرج زائداً على قدر الضرورة فمُعَاتَبٌ غير معذور ، وكذلك فيما يحصل من معاذير الوقت في القيام بشرائط الوقت فرفوعة عن صاحبه المطالبة به .

ثم إنه — سبحانه — بفضله جعل التيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند عَوَزِ الماء كذلك النزول إلى ساحات الفرق عن ارتقاء ذرة<sup>(١)</sup> الجمع — بِقَدَرٍ ما يحصل من الضعف — بِدَلٍّ لأهل الحقائق .

ثم إن التيمم — الذي هو بَدَلُ الماء — أعمُّ وجوداً من الماء ، وأقلُّ استعمالاً من الأصل ، فإن كل من كان أقرب كانت المطالبات عليه أصعب .

ثم في الظاهر أمرنا باستعمال التراب وفي الباطن باستشعار الخضوع واستدامة الذبول<sup>(٢)</sup> . وردَّ التيمم إلى التقليل ، وراعى فيه صيانةً لرأسك عن التراب ولقدمك ؛ فإنَّ العزَّ بالمؤمن — ومولاه باستحقاق الجلال — أولى من الذلِّ لما هو مفلس فيه من الحلال ، ولئن كان إفلاسه عن أعماله يوجب له التذللُ فعرفانه بجلال سيِّده يوجب كلَّ تعزُّزٍ وتَجَمُّلٍ .

قوله جل ذكره ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ

الْكِتَابِ يَشْكُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ

أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ \* وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى

بِاللَّهِ نَصِيراً \* مِنَ الَّذِينَ هَادُوا

يُحَوِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ

غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ

---

== في مصنفاته الأخرى ، وذلك نظراً لانبهام الكلمتين هنا لرداءة خط النسخ ( انظر حديث القشيري عن السكر في الرسالة ص ٤١ ) .

(١) ترجع أنها في الأصل ( ذروة الجمع ) وأن الواو قد سقطت من النسخ .

(٢) لأن فيه تذكيراً للإنسان بأصله .

وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا  
سَبِّعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْتَعِمْ وَانْظُرْنَا  
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ  
لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾

ومكروا مكرًا ولم يشعروا وجهة مكرم أن أعطوا الكتاب ثم حرّموا بركات الفهم  
حتى حرفوا وأصرّوا .

قوله : « من الذين هادوا . . . » الآية : تركوا حشمة الرسول — صلى الله عليه وسلم —  
ورفضوا حرمة ، فعوقبوا بالشك في أمره ، ولذلك لم يترك أحد حشمة ( محشم )<sup>(١)</sup> إلا حيل  
بينه وبين نيل بركات محبته وزوائد خدمته . ولو أنهم عاجلوا في نفي ما دأخلهم من الحسد  
وقابلوا حاله بالتبجيل والإعظام لوجدوا بركات متابعته ، فأسعّدوا به في الدارين ، وكيف  
لم يكونوا كذلك وقد أقصتهم السوابق فأقعدتهم القسمة عن بساط الخدمة ؟ وإن من قعدت  
به الأقدار لم ينهض به الاحتيال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا  
بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ  
أَنْ نَطْغِيَنَّ وَجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى  
أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ  
السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

مصرف القلوب عن الإرادة إلى أحوال أهل العادة حتى كانت دواعيه يتوفر في رفض  
الدنيا فعاد لا يصبر عن جميعها<sup>(٢)</sup> ومنعها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ

(١) ترجح أن هذه الكلمة زائدة من النسخ ، أو ربما كان الأصل ( حشمةٌ مُحْتَشِمٌ ) .

(٢) وردت ( جميعها ) وهي خطأ في النسخ .

مادون ذلك لمن يشاء ، ومن  
يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً \*

العوام طولبوا بترك الشرك الجلي ، والخواص طولبوا بترك الشرك الخفي ، فمن توسل  
إليه بعمله ويظنه منه ، أو توهم أن أحكامه — سبحانه — معلولة بحركاته وسكناته ، أو راعى  
خلقاً أو لاحظ نفساً فوطنه الشرك عند أهل الحقائق <sup>(١)</sup> .

والله لا يغفر أن يُشرك به وكذلك من توهم أن مخالفته حصلت من غير تقديره فهو  
ملتحق به .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ  
بِاللَّهِ يَزْكُونَ مِنْ شَاءٍ وَلَا يُظْلَمُونَ  
شَيْئاً ﴾ انظر كيف يفترون على  
الله الكذب ، وكفى به إثماً  
مبيناً \*

من ركن إلى تزكية الناس له ، واستحلى قبول الخواص له — فضلاً عن العوام — فهو  
من زكى نفسه ، ورؤية النفس أعظم حجاب ، ومن توهم أنه يتكلفه يزكى نفسه : بأوراده  
أو اجتهاده ، بحركاته أو سكناته — فهو في غطاء جهله .

قوله : « انظر كيف يفترون . . . » الآية : الإشارة إلى من أطلق لسان الدعوى من  
غير تحقيق ، والمفتري — في قائلته في هذا الأمر — لا ينطق بشيء إلا أجبه الآذان  
وانزجرت له القلوب ، فإذا سكت عاد إلى قلب خراب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً  
مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ  
وَالطَّاغُوتِ ، ويقولون للذين كفروا  
هؤلاء أهدى من الذين آمنوا

---

(١) يقول زكريا الأنصاري شارح الرسالة : ( من كانت أفعاله لله تعالى وشاهدتها طاعة له تعالى فهو  
في التفرقة ومن شاهدتها جارية عليه فضلاً من الله فقد شاهدتها بالله فهو في الجمع ) هامش ( ٣٩ ) .

سيلا \* أولئك الذين لَعَنَهُمُ اللهُ ،  
وَمَنْ يَلْعَنُ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ  
نَصيراً ﴿

طاغوتُ كُلِّ أَحَدِ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ وَجِبْتُهُ وَ ( . . . . ) (١) مفصوده من الأغيار ، فمن  
لاحظ شخصاً أو طالع سيباً أو عرجاً على عِلَّةٍ أو أطاع هوىً ، فذلك جبته وطاغوته . وأصحاب  
الجبب والطاغوت يستوجبون اللعن ؛ وهو الطرد عن بساط العبودية ، والحجاب عن  
شهود الربوبية .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا  
لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا \* أَمْ  
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ  
مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا  
عَظِيمًا \* فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ  
مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿

مَنْ جُبِلَ عَلَى الشُّحِّ لَا يَزْدَادُ بِسَعَةِ يَدِهِ إِلَّا تَأْسَفًا عَلَى رَاحَةِ يَنَاحِيهِ الْخَلْقِ ، كَأَنَّ مَنْ شَرِبَ  
قَطْرَةَ مَاءٍ قَدْ تَحَسَّى بِلِ رَشَفٍ مِنْ مَاءِ حَيَاتِهِ !

قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ . . . . ﴾ : بل ينكرون تخصيص الحق سبحانه لأوليائه  
بما يشاء حسداً من عند أنفسهم فلا يقابلونهم بالإجلال ، وَهِنَّهُ اللهُ سبحانه مع أوليائه مضت  
بالتعزيز والتوقير لهم . ودأبُ الكافرين جرى بالارتباب في القدرة ؛ فمنهم من آمن بهم ،  
ومنهم من ردَّ ذلك وجحد ، وكفى بعقوبة الله منتقماً عنهم .

قوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ : الْمُلْكُ الْعَظِيمُ معرفة الْمَلِكِ ، ويقال هو الْمُلْكُ  
عَلَى النَّفْسِ .

---

(١) متشبهة .

ويقال الإشراف على أسرار المملكة حتى لا يخفى عليه شيء .

ويقال الاطلاع على أسرار الخلق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ

نُصْلِبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

العذاب ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿

الإشارة منه إلى الجاحدين لآيات الأولياء ؛ يُقيمهم بوصف الصغار ويبقيهم في وحشة

الإنكار<sup>(١)</sup> ؛ كلاً لاح لقلوبهم شيء من هذه القصة<sup>(٢)</sup> جرّهم إنكارهم إلى ترك الإيمان بها

والإزراء بأهلها على وجه الاستبعاد ، فهم مؤبدة عقوبتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأنهار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا

أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا

ظَلِيلًا ﴿

هم اليوم في ظل الرعاية ، وغداً في ظل الحماية والكفاية ، بل هم في الدنيا والعقبى

في ظل العناية .

والناس في هذه الدنيا متفاوتون : فمنهم من هو في ظل رحمته ، ومنهم من هو

في ظل رعايته ، ومنهم من هو في ظل كرامته ، ومنهم من هو في ظل عنايته ، ومنهم من

هو في ظل قربته .

---

(١) وردت ( الأفكار ) بالفاء والصواب — حسب المعنى والسياق — وكما جاء بعد قليل في ( وجرم إنكارهم ) أن تكون ( الإنكار ) .

(٢) يقصد من ( القصة ) : التصوف وأهله .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا  
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ  
بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ \*  
إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

ردُّ الأمانات إلى أهلها تسليم أموال<sup>(١)</sup> الخلق لهم بعد إشرافك عليها بحيث  
لا تفسد عليهم .

ويقال لله — سبحانه وتعالى — أماناتٌ وُضِعَتْ عِنْدَكَ ؛ فردُّ الأمانة إلى أهلها  
تسليمها إلى الله — سبحانه — سالمةٌ مِنْ خِيَانَتِكَ فِيهَا ؛ فالخيانة في أمانة القلب ادعاؤك  
فيها ، والخيانة في أمانة السرِّ ملاحظتك إياها .

والْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ تَسْوِيَةُ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ فِي الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ ، وَأَلَّا تَحْمِلَكَ مَخَافَةُ  
حَقِّهِ عَلَى انتقامِ لِنَفْسٍ .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ  
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى  
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا﴾ .

قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تَفْخِيمًا لِمَنْ شَأْنُهُ وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ .  
وَأَمَّا أُولُو الْأَمْرِ — فَعَلَى لِسَانِ الْعِلْمِ — السُّلْطَانُ ، وَعَلَى بَيَانِ الْمَعْرِفَةِ الْعَارِفُ ذُو الْأَمْرِ  
عَلَى الْمُسْتَأْنَفِ ، وَالشَّيْخُ أُولُو الْأَمْرِ عَلَى الْمُرِيدِ ، وَإِمَامُ كُلِّ طَائِفَةٍ ذُو الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ .

---

(١) وردت (أحوال) والصواب أنها (أموال) لأن الأحوال لا تكون ودائع للناس عندك بل أموالهم



ويقال الولي أولى بالمريد (من المريد) <sup>(١)</sup> للمريد .

قوله : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله » على لسان العلم — إلى الكتاب والسنة ، وعلى بيان التوحيد فوض ذلك ووكلَ علمه إلى الله سبحانه ، وإذا اختلف الخاطران في قلب المؤمن فإن كان له اجتهد العلماء تأمل ما يسنح لخاطره بإشارة فهمه ، ومن كان صاحب قلب ووكلَ ذلك إلى الحق — سبحانه — وراعى ما خوطب به في سرائره ، وألقيَ — بلا واسطة <sup>(٢)</sup> — في قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

أظهروا الإخلاص ، وناقضوا في السر ، ففضحهم — سبحانه — على لسان جبريل عليه السلام بقوله : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » أى برفضه . فمن حاد عن طريقه ورجع إلى غير أستاذه استوجب الحرمان والدم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ .

كل شئ سوى كلمة الحق فهو خفيف على المنافقين ، فأما التوحيد فلا يسمع كلمته إلا مخلص ، وأهل الفترة في الله وأصحاب النفرة لا يسمعون ما هو الحق ؛ لأن خلاف الهوى يشق على غير الصديقين . وكما أن ناظر الخلق <sup>(٣)</sup> لا يقوى على مقابلة الشمس فكذلك

(١) هذا استدراك موجود في هامش الصفحة أثبتناه في موضعه من النص .

(٢) تأمل جيدا ( بلا واسطة ) فهذا وصف هام للمعرفة عند الصوفية ، يميزها ويكشف جوهرها .

(٣) أى العين .

الناقضون لم يطبقوا الثبات له — صلى الله عليه وسلم — فلذلك كان صدودهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فكيف إذا أصابهم مُصيبةٌ بما

قدّمت أيديهم ثم جاءوك بحلفون

بأنّ الله إنّ أردنا إلا إحساناً ونوفيقاً ﴾ .

تَضَرُّعُ غير المخلص عند هجوم الضر<sup>(١)</sup> لا أصل له ، فلا ينبغي أن يكون به اعتبار لأن

بقاءه إلى زوال المحنة ، والمصيبة العظمى ترك المبالاة ( بما يحصل من التقصير )<sup>(٢)</sup> .

ويقال من المصيبة أن يحقّك وقتك فيما لا يجدي عليك<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم

فأعرض عنهم وعظّمهم وقلّ لهم في

أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ .

أَبْسَطُ لم لسان الوعظ يقتضى الشفقة عليهم ، ولكن انقيض بقلبك عن المبالاة بهم

والسكون إليهم ، واعلم<sup>(٤)</sup> أن من لا نكون نحن له لا يفي عنه أن تعينه<sup>(٥)</sup> شيئاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليطاع بإذن

الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ .

ما أمرنا الرسل إلا بدعوة الخلق إلينا .

---

(١) وردت ( الضرورة ) والصواب ( الضر ) فالمعنى يقتضى ذلك ويؤيد أن الخطأ في النسخ .

(٢) ما بين قوسين تسكلة وجدناها ضرورة لتوضيح المعنى فاستفدنا مما جاء في موقف مشابه في الرسالة

من ٣٤ حيث يقول ( وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ) .

(٣) من أقوالهم في الوقت : الوقت مبرد يسحقك ولا يحقّك ، والوقت سيف فكما أن السيف قاطع

فلوقت بما يعضبه الحق ويجره غالب .

(٤) وردت ( ما علم ) وهي خطأ في النسخ ، وربما كانت ( فاعلم ) في الأصل واشتبهت على الناسخ .

(٥) ( أن تعينه ) المصدر المؤول من ان والفعل ( أى عونك له ) يقع فاعلاً للفعل ( يفي ) .

وقوله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك » . لو جعلوك ذريعتهم لوصلوا إلينا ، ويقال  
لو لازموا التذلل والافتقار وركبوا مطية الاستغفار لأناخوا بعقوة المبار .

قوله جل ذكره : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

فيما شجرَ بينهم ثم لا يجدوا في  
أنفسهم حرجاً مما قضيت ،  
ويسلكوا تسليماً ﴾ .

سدَّ الطريق — إلى نفسه — على الكفاة إلا بعد الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ،  
فمن لم يمش تحت رايته فليس له من الله نفس .

ثم جعل من شرط الإيمان زوال المعارضات بالكلية بقلبك .

قوله : « ثم لا يجدوا . . . » : فلا بُدَّ لك من ( . . . )<sup>(١)</sup> تلك المهالك بوجه ضاحك ،  
كما قال بعضهم :

وحبيب إن لم يكن منصفاً كنت منصفاً أتحمسى له الأمر وأسقيه ما صفا  
إن يقل لي إن شقَّ اخترتُ رضا لا تكلفاً .

قوله جل ذكره : ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقْتلوا أنفُسكم

أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه  
إلا قليلٌ منهم ، ولو أنهم فعلوا  
ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدَّ  
تثبيتاً \* وإذا لا تينا من لدنا أجرٌ  
عظيماً \* ولهديناهم صراطاً مستقيماً ﴾

أخبر عن سُقم إخلاصهم وقوة إفلاسهم ، ثم أخبر الله بعمله بتقصيرهم .

خلام عن كثير من الامتحانات ثم قال ولو أنهم جنحوا إلى الخدمة، وشدوا نطاق الطاعة

---

(١) هنا كلمة ناقصة ربما كانت ( مواجهة ) أو ( مقابلة ) تلك المهالك بوجه ضاحك .

لكن ذلك خيراً لهم من إصرارهم على كفرهم واستكبارهم . ولو أنهم فعلوا ذلك لآتيناهم من عندنا ثواباً عظيماً ، ولأرشدناهم صراطاً مستقيماً ولأوليناهم عطاءً مقبلاً .

والأمر — على بيان الإشارة — يرجع إلى مخالفة الهوى وذبح النفوس بمنعها عن المألوفات ، والخروج من ديار ( تَقْبِلُ النَّفْسُ )<sup>(١)</sup> ، ومفارقة أوطان ( إرادة )<sup>(٢)</sup> الدنيا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ  
مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا ۝

جعل طاعة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — مفتاح الوصول إلى مقامات النبيين والصديقين والشهداء على الوجه الذي يصح للأمة وكفى له عليه السلام بذلك شرفاً .

ثم قال : « ذاك الفضل من الله » : جرد عليهم محلهم عن كل علة واستحقاق وسبب ؛ فإن ملاح لهم وأصابهم صرف فضله وابتداء كرمه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ

فَإِنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ وَافِرُوا جَمِيعًا ۚ  
وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَدِّلَنَّهُ فَاِنْ أَصَابَكُمْ  
مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ  
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ۚ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ  
مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَأْلَتْنِي كُنْتُ مَعَهُمْ  
فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا ۝

---

(١) وضع الناسخ ( تقبل النفس ) في مكان خاطيء . يهيم المعنى إذ وضعها قبل ( على بيان الإشارة ) والصواب أن تكون في مكانها الذي اخترناه حتى يستقيم السياق .

(٢) وودت ( اراد ) بدون همز للألف وبدون ناء مربوطة فاخترنا ( إرادة ) لئلا يمتدح السباق .

الفرار إلى الله من صفات القاصدين ، والفرار مع الله من صفات الواصلين ؛ فلا يجد الفرار مع الله إلا من صدق في الفرار إلى الله . والفرار من كل غير شأن كل مؤحد .  
قوله تعالى : « وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِبَطْنٍ ... » الآية : أى لم تستقر عقائدهم على وصف واحد ، فكانوا مرتبطين بالخطوط ؛ فإذا رأوا مكروهاً بطل المسلمين شكروا وقالوا : الحمد لله الذى حفظنا من متابعتهم فكان يصيبنا ما أصابهم ، وإن كانت لكم نعمة وخير سكنوا إليكم ، وتمنوا أن لو كانوا معكم ، خسروا فى الدنيا والآخرة : فهم لا كافر قبيح ولا مؤمن مخلص .

قوله : « كَانَ لَمْ نَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ » : يعنى طرحوا حشمة الحياة فلم يراعوا حرمتكم .  
قوله جل ذكره : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

مَنْ لَمْ يَقْتُلْ نَفْسَهُ فِي نَفْسِهِ لَا يَصِحُّ جِهَادُهُ بِنَفْسِهِ ؛ فأولاً (إخراج خطر الروح) <sup>(١)</sup> من القلب ثم تسليم النفس للقتل .

وقوله « فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » يعنى بقاءنا بعده خير له من حياته بنفسه لنفسه ، قال قائلهم :

ألست لى عِوَضاً مَنِ ؟ كفى شَرَفًا      فما وراءك لى قصدٌ ومطلوب

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾

(١) هكذا فى النسخة (ص) وربما كان المقصود أنك لا تستطيع أن تبذل نفسك إلا إذا قويت على قهرها والتهوين من خطرهما .

أى شيء يمنعكم عن القتال في سبيل الله ؟ وما الذى لا يرغّبكم في بذل للمهجة (١) لله ؟ وماذا عليكم لو بذلتم أرواحكم في الله والله ؟ أتخافون أن نخسروا على الله ؟ أم لا تعلمون أنكم تُخسرون إلى الله ؟ فلم لا تكتفون ببقائه بعد فنائكم في الله ؟

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون في سبيل الله  
والذين كفروا يقاتلون في سبيل  
الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان  
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

المخلصون لله لا يؤثرُونَ شيئاً على الله ، ولا يضرّون بشيء عن الله ، فهم أبدأ على نفوسهم  
لأجل الله ، والذين كفروا على العكس من أحوال المؤمنين . ثم قوّاهم وشجّعهم بقوله :  
« قاتلوا أولياء الشيطان » أى لا تُضْمِرُوا لهم مخافة ، فإنى متوليكم وكافيكم على أعدائكم .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا  
أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ  
إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ  
كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا  
رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ  
لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾

أَخْرَجُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ أُمُورِكُمْ ، وَكَلُّوها إلى مَعْبُودِكُمْ .

ويقال اقصروها عن أخذ الحرام والنصرف فيه .

ويقال امْتَنِعُوا عن الشهوات .

ويقال « كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ » إلا عن رَفْعِهَا إلى الله في السُّؤال بوصف الابتهاال .

---

(١) وردت ( المهجة ) بالحاء وهذا خطأ في النسخ وصوابها ( المهجة ) لملأمتها للسياق .

فلما كتب عليهم القتال استنقلوا أمره ، واستعجلوا لطفه . والعبودية في ترك الاستئصال ،  
ونفي الاستعجال ، والتباعد عن التبرم والاستئصال .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ

خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

مَكَّنَكَ مِنَ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ : « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ » ، فلم يعدّها شيئاً لك ثم لو تصدّقتَ منها  
بِشَقِّ تَمْرَةٍ لَتَخَلَّصْتَ مِنَ النَّارِ ، وحظيت بالجنة ، وهذا غاية الكرم .

واستقلال الكثير من نفسك — لأجل حبيبك — أقوى أمارات مُحِبِّكَ .

ويقال لما زهّدَهم في الدنيا قلّلها في أعينهم ليهون ( عليها <sup>(١)</sup> ) تركها .

ويقال قل متاع الدنيا بجملتها قليل ، والذي هو نصيبك منها أقلُّ من القليل ، فحق  
يناقشك لأجلها ( بالتحليل ) <sup>(٢)</sup> ، لو سلّم عهدك من التبديل ؟

وإذا كانت قيمة الدنيا قليلة فأخس من الخسيس من رضى بالخسيس بدلاً عن النفيس .

وقد اختلف المؤمن من الكون بالتدرّج . فقال أولاً : « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ

خَيْرٌ » ( فأحفظهم ) <sup>(٣)</sup> عن الدنيا بالعقبى ، ثم سلّمهم عن الكونين بقوله : « وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى » .

قوله جل ذكره : ﴿ أَيُّهَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ

وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ، وَإِنْ

تُصِيبُهُمْ حَسَفَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا

هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادِبُونَ

بِفَقْهِهِمْ حَدِيثًا ﴾

(١) الضمير في ( عليها ) يعود على أعينهم ، وربما كانت في الأصل ( عليهم ) فيعود الضمير على الزهاد .

(٢) ترجح أنها في الأصل ( التحليل ) إشارة إلى قوله ( ص ) حلالها حساب وحرامها عقاب .

(٣) ترجح أنها في الأصل ( فاختطفهم ) عن الدنيا بالعقبى ثم سلّمهم . . . فهذا أقرب إلى مراحل تدرّج  
الفناء الصوفي .



للموت فرح للمؤمن ، فالتعبير عن قُرْبِهِ بِإِشَارَةٍ لَهُ ، لَأَنَّهُ سَبَبٌ يُوصلُهُ إِلَى الْحَقِّ ، وَمَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ .

ويقال إذا كان الموت لا بد منه فلا استسلام لحكمه طوعاً خيراً من أن يحمل كرها .

ثم أخبر أنهم — لضعفِ بصرهم ومرض عقائدهم — إذا أصابهم حسنةٌ فرحوا بها ، وأظهروا الشكر ، وإن أصابهم سيئة لم يهتدوا إلى الله فجري فيهم العرق المجوسي<sup>(١)</sup> فأضافوه<sup>(٢)</sup> إلى المخلوق ، فرد عليهم وقال : قل لم يا محمد كل من عند الله خلقاً وإبداعاً ، وإنشاء واختراعاً ، وتقديراً وتيسيراً .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

ما أصابك من حسنة فمن الله فضلاً ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك كسباً وكلاهما من الله سبحانه خلقاً<sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

هذه الآية تشير إلى الجمع لحال الرسول — صلى الله عليه وسلم — فقال سبحانه طاعته طاعتنا ، فمن تقرب منه تقرب منا ، ومقبوله مقبولنا ، ومردوده مردودنا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ

(١) لعل القسري يقصد بذلك إلى أنهم بنسبتهم شيئاً لغير الله يشركون ، ويتأولون عن التوحيد .

(٢) أخطأ الناسخ فنقلها ( فأذاقوه ) فصور بناها بما يلائم السياق .

(٣) هذا تلخيص دقيق لرأى القسري فيها يصيب العباد .

عندك بَيَّتَ طائفةٌ منهم غير الذي  
تقولُ ، والله يكتب ما يُبَيِّتُونَ ،  
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ،  
وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾

يعنى إذا حضروك <sup>(١)</sup> استسلموا في مشاهدتك ، فإذا خرجوا انقطع عنهم نور إقبالك ،  
فمادوا إلى ظلمات ، كما قالوا :

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضنى عاد إلى نكسة

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ  
عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا  
كَثِيرًا ﴾ وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن  
أو الخوف أذاعوا به ولو ردُّوه  
إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم  
لَعَلَّهِ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ ،  
وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ  
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾

تدبيرُ إشارة المعاني بغوص الأفكار ، واستخراجُ جواهر المعاني بدقائق الاستنباط .

قوله : « وإذا جاءهم أمرٌ . . . » : لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من ينقل إليه  
أسرارهم فأظهروا السرَّ بعضهم لبعض . فأما المؤمنون فعالمُ أسرارهم مولاهم ، وما يسنح لهم  
خاطبُوه فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السرِّ لمخلوق ؛ فسامعُ نجواهم الله ، وعالمُ خطابهم الله .

قوله تعالى : « ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم . . . » أى لو بثوا <sup>(٢)</sup>

(١) أخطأ الناسخ فنقلها ( حفروك ) فصوبناها بما يلائم السياق .

(٢) كتبها الناسخ ( بثوا ) فصوبناها بما يلائم السياق : ( بثوا أسرارهم ) .

أسرارهم عند من هو ( . . . )<sup>(١)</sup> ومن هو من أهل القصد لأزالوا عنهم الإشكال ، وأمدوم بنور الهداية والإرشاد<sup>(٢)</sup> .

« ولولا فضل الله » مع أوليائه لهموا في كل وادٍ من التفرقة كأشكالهم في الوقت .  
قوله جل ذكره : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾

إِسْتَقِيمَ معنا بتسليم الكل منك إلى أمرنا ؛ فإنك — كما لا يقارنك أحدٌ في رتبك لعلوك على الكل — فنحن لا نكلف غيرك بمثل ما تكلفت ، ولا نُحْمِلُ غيرك ما نَحْمِلُ لا نفرادك عن أشكالك في القدوة<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴾

الشفيع يخلص المشفوع له خاله . ويستوجب الشفيع — من الله سبحانه على شفاعته — عظيم الرتبة ، ومن سعى في أمرنا بالفساد نُحْمِلُ الوزرَ واحتقبت الآثم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَمُجِبُوا بِأَحْسَنَ

---

(١) مشبهة ، وما بعدها قد يكفي عنها .

(٢) في هذا الخصوص بحث القشوي في إحدى وصاياه على ألا يفضي المرید بذات نفسه إلا لأواب الطريقة من الشيوخ ؛ إذ يقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب غير هذه الطريقة . فحجج أهلها — في مسائلهم — أظهر من حجج كل أحد ، وقواعد مذاههم أقوى من قواعد كل مذهب ، والذي للناس غيب فهو لهم ظهور فهم من أهل الوصال ، والناس أهل استدلال الرسالة ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) لا نستبعد أيضاً أنها في الأصل ( القدرة ) لتلائم التكليف والتحمل ؛ والمعنى يتحمل ( القدوة ) و ( القدرة ) .

منها أوردوها إن الله كان على كل  
شئ حسيباً \*

تعليم لهم حسن العشرة وآداب الصحبة . وإن من حملك فضلاً صار ذلك — في ذمتك —  
له قرضاً ، فأما زدت على فعله وإلا فلا تنقص عن مثله .

قوله جل ذكره : ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم  
القيامة لا ريب فيه ومن أصدق  
من الله حديثاً ﴾

هذا الخطاب يتضمن نفياً وإثباتاً ، فالنفي يعود إلى الأغيار ويستحيل لغيره ما نفاه ،  
والإثبات له بالإلهية ويستحيل له النفي فيما أثبتته .

قوله جل ذكره : ﴿ فما لكم في المناقين فيتنين والله  
أرؤسهم بما كسبوا أثر يدون  
أن تهتدوا من أضل الله ، ومن  
يضل الله فلن نجد له سبيلاً ﴾

( . . . . ) (١) العهد فيهم أنهم أعدائي ، لا ينالون مني في الدنيا والعقبى رضائي ، وإنكم  
لا تنفدون بهمكم من أقمته بقسمتي (٢) فإن المدار على القسم دون ( . . . . ) (٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ وادّوا لو تكفرون كما كفروا  
فكونون سوءاً فلا تتخذوا منهم  
أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله  
فإن تولوا فخذوهم واقتلوا حيث  
وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً  
ولا نصيراً \* إلا الذين يصلون

---

(١) مشبهة .

(٢) أي ما قسمته له في سابق الأزال لا قدرة للمخلوق على تغييره .

(٣) سقطت كلمة من الناسخ ربما كانت ( الاحتيال ) وربما كانت ( الهمم ) فكلاماً يفيد أنه لا منجاة  
لإنسان بعمله وحده بل المدار على القسمة .

إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق  
أو جاءكم حصرت صدورهم أن  
يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء  
الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن  
اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم  
السلم فما جعل الله لكم عليهم  
سبيلاً ﴿

الإشارة إلى أرباب التخليط والأحوال السقيمة يتمنون أن يكون الصديقون منهم ،  
وهيات أن يكون لئناهم تحقيق ١ ومادام المخالفون لكم غير موافقين فبائنوهم وخالفوهم  
ولا تطابقوهم بحال ، ولا تعاشرهم ، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ؛ وموافقك لك  
في قصدك خير لك من مخالف على الكره تعاشره .

قوله : « إلا الذين يصلون إلى قوم . . . » الإشارة من هذه الآية أن عند الاعتذار  
أذن في معاشره في الظاهر <sup>(١)</sup> رفقاً بالمستضعفين .

« فإن اعتزلوكم . . » الإشارة منه أنه إذا عاشركم من ليس من أهل القصة معرجين  
في أوطان نصيبهم فلا تدعوهم إلى طريقكم وسلّموا لهم أحوالهم . فإن أمكنكم أن تلاحظوهم  
بعين الرحمة بحيث تؤثر فيهم همتكم <sup>(٢)</sup> وإلا فسلّموا لهم أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن  
يأمنوك ويأمنوا قومهم كلّا ردّوا  
إلى الفتنّة أُرّ كسوا فيها فإن لم  
يعتزلوكم ويُلْقُوا إليكم السلم ويكفوا  
أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث

(١) أي أن الصحبة والمعاشره ينبغي ألا يصل أمرها إلى حد المساكنة ، لأن صحبة الحق أولى من كل  
غير . . . وهذا مبدأ نادى به القشيري وطبقه على نفسه إبان محنته الأليمه .  
(٢) وردت ( همتهم ) وهي خطأ من الناسخ لأن المعنى يتطلب ( همتكم )

تَقِفُسُوهُمْ وَأُولِئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ  
عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١﴾

إن من وام الجمع بين الضدين خاب سعيه ، ولم يرتفع عزمه ، فكما لا يكون شخص واحد منافقاً ومسلماً لا يكون شخص واحد مريداً للحق ومقياً على أحكام أهل العادة . فإن الإرادة والعادة ضدان<sup>(١)</sup> ، والواجب مباينة الأضداد ، ومجانبة الأجانب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا  
إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً  
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ  
إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ  
مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ  
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ  
مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ  
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ  
تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .

خفف أمر الخطأ على فاعله حتى حُلَّ موجب قتل الخطأ على العاقلة ؛ فالخواص عاقلة  
المستضعفين من الأمة ، وأهل المعرفة عاقلة المريدين ، والشيوخ عاقلة الفقراء ؛ فسبيلهم أن  
يُحِيلُوا أَثْقَالَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِيهَا يَنْوِيهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ  
جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

كما يُحَرِّمُ قَتْلُ غَيْرِكَ عَلَيْكَ يُحَرِّمُ قَتْلُ نَفْسِكَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ سَعَى فِي دَمِ  
نَفْسِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَنْصَحْ مَرِيدًا بِحَسَنِ وَعَظِهِ وَلَمْ يُعِنِهِ بِهَمَّتِهِ فَقَدْ سَعَى فِي دَمِهِ ، وَهُوَ مَاخُذٌ بِحَالِهِ

(١) الناس — عند القشيري — إما أهل العادة أو أهل الإرادة .

وخلق<sup>(١)</sup> بأن تكون له عقوبة الأذية بالألا يتمتع بما ضنّ به على المرّدين من أحواله : ولقد قال — سبحانه — : يادّود إذا رأيت لى طالباً فكن له (خادماً)<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا<sup>(٣)</sup> إذا ضربتم في سبيل الله فتبَيَّنوا ولا تقولوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُم السَّلامَ لستَ مؤمناً تبغون عرضَ الحياة الدنيا فعندَ الله مغانمٌ كثيرة ، كذلك كنتم مِن قبل فَمَنَ اللهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً ﴾ .

عاشِرُوا الناسَ على ما يُظهِرون من أحوالهم ، ولا تتفرَّسوا فيهم بالبطلان ؛ فإنَّ متوَلَّى الأسرارِ اللهُ<sup>(٤)</sup> . هذا إذا كان غرضُ فاسدٍ يحملُكم عليه من أحكام النفس ، فأما من كان نظره بالله ولم ينسِرْ عليه شيءٌ ، فليَحْفَظْ سِرَّ الله فيما كُشِفَ به ، ولا يظهر لصاحبه ما أراد الله فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غيرُ أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فَضَّلَ اللهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكُلاً وَعَدَ اللهُ الحسنَى ، وَفَضَّلَ اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾ درجاتٍ

---

(١) وردت ( وحقيقة بأن ) وصوابها وحقيق بان ولكنا آثرنا ( وخلق بأن ) حتى يتمتع اللبس .

(٢) مشبهة هنا ولكنها واضحة في موضع سبق ( انظر تفسير آية وأنبتها نباتاً حسناً ص ٢٢٧ )

(٣) سقطت ( آمنوا ) من الناسخ فأثبتناها .

(٤) تدل هذه النظرة على ساحة الصوفية واتساع صدورهم ، فالأصل عندهم أن كل الناس طيبون ، ويجب أن نحسن الظن بهم جميعاً ، ونتقبل ظواهرهم ناركين أسرارهم للمولى سبحانه .



منه وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ  
غَفُورًا رَحِيمًا \* .

الحقُّ سبحانه جمع جميع أوليائه في أفضاله لكنه غَايَرَ بينهم في الدرجات ، فَمِنْ غَفِيٍّ  
ومن عبدٍ هو أغنى منه <sup>(١)</sup> ، ومنٌ كبيرٍ ومن هو أكبر منه ، هذه الكواكب دُرِّيَّةٌ ولكن  
القمرَ فوقها ، وإذا طلعت الشمسُ بهرت الجميع بنورها ١

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي  
أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا  
مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ  
تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا  
فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ  
مَصِيرًا \* .

الإشارة منه إلى من أدركه الأجل وهو في أسرِ نَفْسِهِ وفي رِقِّ شهواته — ليس له عذر  
حيث لم يهاجر إلى ظِلِّ قُرْبَتِهِ ليتخلَّصَ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ <sup>(٢)</sup> إذ لا حجابَ بينك وبين هذا  
الحديث إلا هواك .

قوله جل ذكره : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ  
وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ  
سَبِيلًا \* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ  
عَنَّهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا \* .

الإشارة منه إلى الذين مَلَكَتْهُمُ المَعَانِي فَأَفْتَنَهُمُ عَنْهُمْ ، فَبَقُوا مُضْرِّفِينَ لَهُ ، لا لهم حَوْلٌ  
ولا قوة ، يبدو عليهم ما يُجْرِيهِ — سبحانه — عليهم ، فهم بعد عود نفوسهم بحق الحق يحوُّ  
عَنَّهُمْ ، فلا يهتدون إلى غيره سبيلاً ، ولا يَتَنَفَّسُونَ لغيره نَفْسًا .

(١) واضح أن القشيري يقصد الغنى في الأحوال لا الغنى في الأموال فليس لهذه كبير قيمة .

(٢) وردت هكذا ( هو انفسه ) فصوبناها .

ويقال على موجب ظاهر الآية إن الذين أقعدتهم الأعذار عن الاختيار فمضى أن يفضّل الحق — سبحانه — عليهم بالعفو .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغًا كَثِيرًا وَسَعَةً ، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

مَنْ هَاجَرَ فِي اللَّهِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ ، وَصَحَّ قَصْدُهُ إِلَى اللَّهِ وَجَدَ فَسْحَةً فِي عَفْوَةِ الْكَرَمِ ، وَمُقِيلًا فِي ذَرَى الْقَبُولِ ، وَحَيَاةً وَسَعَةً فِي كَنَفِ الْقَرَبِ .

والمهاجر — في الحقيقة — من هجر نفسه وهواه ، ولا يصح ذلك إلا بانسلاخه عن جميع مراداته ، وَمَنْ قَصَدَهُ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْأَجَلُ قَبْلَ وَصُولِهِ فَلَا يَنْزِلُ إِلَّا بِسَاحَاتِ وَصْلِهِ ، وَلَا يَكُونُ مُحِطٌ رُوحَهُ إِلَّا أَوْطَانُ قَرْبِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾

الْقَصْرُ فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ فِي السَّفَرِ ، وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ الشَّرْعِ عِنْدَ الْخُوفِ (١) ، فَأَقْرَبَ ذَلِكَ مَعَ زَوَالِ الْخُوفِ رَفَقًا بِالْعِبَادِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْفَرْصُ الْقَصْرُ لِأَجْلِ السَّفَرِ عَوَّضُوا بِإِبَاحَةِ النَّفْلِ فِي السَّفَرِ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ دَابَّتُهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِقْبَالٍ ، فَكَذَلِكَ الْمَاشِي ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْإِذْنَ

---

(١) لَأَنَّ فِي مَبْدَأِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ كَانَ غَالِبُ أَسْفَارِهِمْ خُوفٌ . بَلْ مَا كَانُوا يَنْهَضُونَ إِلَّا إِلَى غَزْوٍ أَوْ فِي سَرِيَةٍ خَاصَةٍ ، وَسَائِرُ الْأَحْيَانِ حَرْبٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ . . . . . وَيُرَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَنَسٍ هُنَاكَ فَرَقًا بَيْنَ صَلَاةِ السَّفَرِ وَصَلَاةِ الْخُوفِ ، وَهُوَ يَحْتَجُّ عَلَى قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ وَيَرَاهُ فِي صَلَاةِ الْخُوفِ .  
(تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٤٦) لابن كثير .

في المناجاة مستديمٌ في كل وقت ؛ فإن أردتَ الدخولَ فتي شئت ، وإن أردتَ التباعدَ مترخصاً  
فلكَ ما شئت ، وهذا غاية الكرم ، وحفظُ سُنَّةِ الوفاء ، وتحقيقُ معنى الولاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ  
فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا  
أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا  
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى  
لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا  
حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ  
فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ،  
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى  
مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا  
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾

تدل هذه الآية على أن الصلاة لا ترتفع عن العبد ما دام فيه نفسٌ من الاختيار لا في الخوف  
ولا في الأمن ، ولا عند غلبات أحكام الشرع إذا كنت بوصف التفرقة ، ولا عند استيلاء  
سلطان الحقيقة إذا كنت بعين الجمع .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا  
وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ  
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾

الوظائف الظاهرة موقته<sup>(١)</sup> ، وحضور القلب بالذكر سرمد غير منقطع ؛ أمّا بالرسوم

---

(١) أي حسب ميقات .

فوقنا دون وقت ، وأما بالقلوب فأياكم والغبية عن الحقيقة لحظة كيفما اختلفت بكم الأحوال ..  
الذكرُ كيفما كنتم وكما كنتم ، وأما الصلاةُ فإذا اطمأننتم .

قوله جل ذكره : « ولا تنهوا في ابتغاء القوم . إن  
تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما  
تألمون وترجون من الله ما لا يرجون  
وكان الله عليماً حكيماً » :

قوموا بالله وليكن<sup>(١)</sup> استنادكم في جهادكم إلى الله .

« إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون » : القومُ شاركوكم في إحساس الألم ، ولكن خالفوكم  
في شهود القلب ، وأنتم تشهدون ما لا يشهدون ، وتجدون لقلوبكم ما لا يجدون ، فلا ينبغي  
أن تستأخروا عنهم في الجِد والجهد .

قوله جل ذكره : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ  
لنحكمَ بين الناسِ بما أراك الله  
ولا تكن للخائنين خصيماً \*  
واستغفر<sup>(٢)</sup> الله إن الله كان غفوراً  
رحيماً \* .

لم يأمر<sup>(٣)</sup> بالحكم بينهم على عَمَى ولكن بما أراك الله<sup>(٤)</sup> أى كاشفك به من أنوار  
البصيرة حتى وقفت عليه بتعريفنا إياك وتسديدنا لك ، وكذلك من يحكم بالحق من أمتك .  
قوله : « ولا تكن للخائنين خصيماً » : أى لا تناضل عن أرباب الحظوظ ولكن مع

---

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( ولا يكن ) .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها واستغفروا .

(٣) وردت ( لم يأمركم ) والصواب ( لم يأمرك ) لأن الخطاب كله موجه إلى الرسول ( ص ) .

(٤) يحتاج من ذهب من علماء الأصول بهذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم كان له أن يحكم بالاجتهاد ،  
وفيما رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد عن رجلين من الأنصار اختصما إلى الرسول ( ص )  
في موارث بينهما قد درست وليس عندهما بينة . . . ينتهي الحديث على النحو التالي .

« إني إنما أتقى بينكما برأى فيما لم ينزل عليّ فيه » .

أبناء الحقوق ، ومن جنح إلى الهوى خان فيما أودع نفسه من التقوى ، ومن ركن إلى أنواع نوزاع المني خان فيما طولب به من الحياء لا اطلاع للمولى<sup>(١)</sup> .

« واستغفر الله » لأمتك ؛ فإننا قد كفييناك حديثك بقولنا : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَالًا يَرَوْنَ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ .

هم المؤثرون حظوظهم على حقوقه ، والراضون بالتعريض في أوطان هواهم دون النقلة إلى منازل الرضا ، إن الله لا يحب أهل الخيانة فيندلم — لا جرم — ولا يكرمهم .  
قوله : « يستخفون من الناس » الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون أن الحق مُطْلِعٌ على قلوبهم أولئك الذين وَسَمَّ الله قلوبهم بوسم الفرقة .

قوله جل ذكره : ﴿ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ .

أي تدفع عنهم — بحرمتك — لأنك فيهم ، فكيف حالهم يوم القيامة إذ زالت عنهم بركاتكم أيها المؤمنون ١٩

---

(٢) (يقال إن سبب نزول هذه الآية أن رجلا شك أن طعمة بن أبيرق سرق درعه ، فلما رأى السارق ذلك ألقى الدرع في بيت رجل برىء ، وقال لنفر من عشيرته إني غيبت الدرع في بيت فلان ، فانطلقوا إلى النبي (ص) ليلا فقالوا : يا نبي الله إن صاحبنا برىء . وإن صاحب الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رءوس الناس وجادل عنه ، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك . فقام رسول الله (ص) فبراه وعذره على رءوس الناس ، فأُنزل الله هذه الآية ) وقد حرصنا على إثبات سبب نزولها لأن ما بعدها من الآي مرتبط بهذه الواقعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

« ثم » : حرف يدل على التراخي ؛ أى يزجون<sup>(١)</sup> عمرهم فى البطالات والمخالفات ثم فى آخر أعمارهم يستغفرون الله .

وقوله « يجد الله » : الوجود غاية الحديث<sup>(٢)</sup> ، والعاصى لا يطلب غير الغفران ، ولكن الله — سبحانه يوصله إلى النهاية بفضله — إذا شاء ، فَسُنَّتُهُ تحقيق ما فوق المأمول لمن رجاه .

قوله جل ذكره . ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .

الحق غفي<sup>٣</sup> عن طاعة المطيعين ، وزلة<sup>(٣)</sup> العاصين ، فمن أطاع فحظه حصل ، ومن عصى فحظه أخذ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ .

من نسب إلى برىء ما هو صفته من المخازى عكس الله عليه الحال ، وألبس ذلك البرىء ثواب محاسن راميهِ ، وسحب ذيل العفو على مساويه ، وقلب الحال على للمتعدى بما يفضحه بين أشكالهِ ، فى عامة أحواله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ

---

(١) وردت ( يرجون ) بالراء والصواب بالزاي

(٢) ( التواجد بداية والوجود نهاية والوجد واسطة ، وسمت الأستاذ أبا على الدقاق يقول :

التواجد يوجد استيعاب المبد ، والوجد يوجب استغراق المبد ، والوجود يوجب استهلاك المبد فهو كمن شهد البحر ثم ركب البحر ثم فرق فى البحر ) الرسالة ص ٣٧ .

(٣) وردت ( ذلة ) بالذال والصواب أن تكون بالزاي لأن المناسب للسياق لفظ ضد الطاعة .

لَهَيْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ  
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ  
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ  
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١﴾ .

الفضلُ إحسانٌ غيرُ مستحقٍّ<sup>(١)</sup> ، والإشارة ههنا — من الفضل — إلى عصيته إياه ، فالحقُّ  
— سبحانه — عَصَمَهُ تَخْصِيصًا لَهُ بِتِلْكَ الْعَصْمَةِ ، وَكَأَيْ عَصَمَهُ عَنْ تَرْكِ حَقِّهِ — سُبْحَانَهُ —  
عَصَمَهُ بِأَنْ كَفَّ عَنْهُ كَيْدَ خَلْقِهِ فَقَالَ : « وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ .. » الْآيَةُ .  
كَلَّا ، لَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ سَبِيلٌ إِلَى إِضْلَالِكَ فَأَنْتَ فِي قَبْضَةِ الْعِزَّةِ ، وَمَا يُضِلُّونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَمَا يَضُرُّونَكَ بِشَيْءٍ ، إِذَا الْمَحْفُوظُ مَنَاحِرُوسٌ عَنْ كُلِّ غَيْرٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ  
قَدْ اخْتَصَّكَ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ ، وَاسْتَخْلَصَكَ بِوُجُوهِ الْاِخْتِصَاصِ وَالْإِيجَابِ ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن  
تَعْلَمُ ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ بِشَيْءٍ بِمِثْلِ مَا مَنَّ بِهِ عَلَى مَنْ خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ عِلْمَهُ  
— صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ — بِاللَّهِ بِجَلَالِهِ ، وَعِلْمَهُ بِعِبُودِيَّةِ نَفْسِهِ ، وَمَقْدَارِ حَالِهِ فِي اسْتِحْقَاقِ  
عِزِّهِ وَجَمَالِهِ .

وَيَقَالُ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ مِنْ آدَابِ الْخِدْمَةِ إِذْ لَمْ تَكُن مُلْتَبِسًا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ الْحَقِيقَةِ .  
وَيَقَالُ أَغْنَاكَ عَنْ تَعْلِيمِ الْأَغْيَارِ حَتَّى لَا يَكُونَ لِأَحَدٍ نُورٌ إِلَّا مُقْتَبَسًا مِنْ نُورِكَ ، وَمَنْ  
لَمْ يَمْشِ تَحْتَ رَايَتِكَ لَا يَصِلْ إِلَى جَمِيعِ بَرِّنَا ، وَلَا يَحْظِيَ بِقُرْبِنَا وَوَصْلِنَا .

« وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » : فِي الْآبَادِ ؛ أَنْكَ كُنْتَ — لَنَا بِشَرَفِ الْعِزِّ وَكَرَمِ  
الرَّبُوبِيَّةِ فِي الْأَزَالِ — مَعْلُومًا . وَيَقَالُ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ مِنْ عُلُوقِ رُتْبَتِكَ عَلَى الْكَافَةِ .  
وَيَقَالُ « عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ » أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدَرُ قَدْرُنَا إِلَّا بِمَقْدَارِ مُوَافَقَتِهِ لِأَمْرِنَا  
قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ﴾

(١) لَأَنَّ الْفَضْلَ مَعْنَاهُ الزِّيَادَةُ ، فَرُبَّمَا يَرْمَى الْقَشِيرَى إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ بِسَبَبِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ يَفُوقُ الْمُسْتَحَقَّ



إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ  
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ  
ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ  
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا كَانَتْ بَرَكَاتُهُ تَتَعَدَّى صَاحِبَهُ إِلَى غَيْرِهِ ؛ فَفَضِيلَةُ الصَّدَقَةِ يَتَعَدَّى نَفْعُهَا  
إِلَى مَنْ تَصَلَّى إِلَيْهِ ، وَالْفُتُوَّةُ أَنْ يَكُونَ سَعِيكَ لغيرِكَ ، فِي الْخَيْرِ : « شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ »  
وَكُلُّ أَصْنَافِ الْإِحْسَانِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا لَفْظُ الصَّدَقَةِ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ : « هَذِهِ صَدَقَةٌ تَصَدَّقُهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ  
فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ » (١)

وَالصَّدَقَةُ عَلَى أَقْسَامٍ : صَدَقَتُكَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَصَدَقَتُكَ عَلَى غَيْرِكَ ؛ فَأَمَّا صَدَقَتُكَ ( عَلَى  
نَفْسِكَ فَخَمَلُهَا عَلَى آدَاءِ حَقَّقِهِ تَعَالَى ، وَمَنْعُهَا عَنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ ، وَقَصْرُ يَدِهَا عَنْ أَذِيَةِ الْخَلْقِ ،  
وَصَوْنُ خَوَاطِرِهَا وَعَقَائِدِهَا عَنِ السُّوءِ . وَأَمَّا صَدَقَتُكَ (٢) عَلَى الْغَيْرِ فَصَدَقَةٌ بِالْمَالِ وَصَدَقَةٌ  
بِالْقَلْبِ وَصَدَقَةٌ بِالْبَدَنِ .

فَصَدَقَةٌ بِالْمَالِ بِإِنْفَاقِ النِّعَةِ ، وَصَدَقَةٌ بِالْبَدَنِ بِالْقِيَامِ بِالْخِدْمَةِ ، وَصَدَقَةٌ بِالْقَلْبِ بِحَسَنِ  
النِّيَّةِ وَتَوْكِيدِ الْهَمَةِ .

وَالصَّدَقَةُ عَلَى الْقُرَاءِ ظَاهِرَةٌ لَا إِشْكَالَ فِيهَا ، أَمَّا الصَّدَقَةُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فَتَكُونُ بِأَنْ نَجُودَ  
عَلَيْهِمْ بِهِمْ ، فَتَقْطَعُ رَجَاءَكَ عَنْهُمْ فَلَا تَطْمَعُ فِيهِمْ .

وَأَمَّا لِلْمَعْرُوفِ : فَكُلُّ حَسَنٍ فِي الشَّرْعِ فَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ إِنْجَادُ الْمُسْلِمِينَ وَإِسْعَادُهُمْ  
فَبِمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ ، وَزَلْفَى عِنْدَهُ ، وَإِعْلَاءُ النَّوَاصِي بِالطَّاعَةِ .

---

(١) هَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَمَارٍ .  
وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا جَدِيدٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ  
الْخَطَّابِ ، وَلَا يَحْفَظُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَرِجَالُهُ مَعْرُوفُونَ .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ اسْتِدْرَاكٌ لِي الْهَامِشِ وَضَعْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ النَّصِّ حَسَبِ الْعَلَامَةِ الْمُبْتَزَّةِ .

ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه ، وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ، ولم يخرج بالانتقام لنفسه ، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالهداية إلى ربه ، وأصلح بين الناس بصِدِّقه في حاله . — فإنَّ لسانَ فعله أبلغ في الوعظ من لسان نطقه ، فهو الصِّديق في وقته . ومن لم يؤدِّب نفسه لم يتأدِّب به غيره ، وكذلك من لم يهذِّب حاله لم يهذِّب به غيره .

« ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله » غير مائل به مالا أوحاز لنفسه به حالاً فعن قريب يبلغ رتبة الإمامة في طريق الله ، وهذا هو الأجر الموعود في هذه الآية (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ  
الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ  
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

خواطر الحق سفراؤه تعالى إلى العبد ، فمن خالف إشارات ما طولب به من طريق الباطن استوجب عقوبات القلوب ، ومنها أن يعقَى عن إِبْصَارِ رُشْدِهِ . وكما أن يخالف الإجماع عن الدين خارجٌ فخالف ما عرف من الحقيقة بعد ما تبين له الطريق — ماقط .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ  
بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ إِنْ  
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ  
يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ لَعَنَهُ  
اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخَدِّعُنِي مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا  
مُفْرُوضًا ﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ  
وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيُبَيِّنْ لَكُمْ آيَاتِ الْأَنْعَامِ  
وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ،

(١) نلاحظ في هذه الفقرة أن التفسير يوجه — بطريق غير مباشر — لومه إلى بعض الوعاظ المخترفين الذين ظهروا في عصره وقبل عصره .

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ  
اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مِّينًا ﴿١﴾

قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» : إثبات الغير في توهم ذرة من الإبداع عين  
الشرك ، فلا للعفو فيه مسامح . وما دون الشرك فللعفو فيه مسامح ، ومن توَّسَّلَ إليه سبحانه  
بما توَّهم من نفسه فقد أشرك من حيث لم يعلم . كلاً ، بل هو الله الواحد .

قوله : «إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا» : أوقعوا على الجمادات تسميات<sup>(١)</sup> ، وانخرطوا  
في سلك التوهم ، وركنوا إلى مغاليط الحسبان ، فضَّلُوا عن الحقيقة .

«وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللَّهُ» ، أى ما يدعون إلا إبليس الذى أبغده  
الحق عن رحمته ، وأسحقه<sup>(٢)</sup> ببغده ، وما إبليس إلا مُقَلَّبٌ في القبضة على ما يريد المنشئ ،  
ولو كان به ذرة من الإثبات لكان به شريكاً في الإلهية . كلاً ، إنما يُجْرَى الحقُّ  
— سبحانه — على الخلق أحوالاً ، ويخلق<sup>(٣)</sup> عقيب وساوسه للخلق ضلالاً ، فهو الهادى  
والمُضِلُّ ، وهو — سبحانه — المُصَرِّفُ للكل ، فيخلق ( . . . )<sup>(٤)</sup> في قلوبهم عُقْبَـبَـ  
وساوسه إليهم طول الآمال ، ويُحَسِّنُ في أعينهم قبس الأفعال ، ثم لا يجعل لأمانيتهم تحقيقاً ،  
ولا يعقب لما أمَّلُوهُ تصديقاً ، فهو تعالى مُوجِدُ تلك الآثار جملةً ، ويضيفها إلى الشيطان مرةً ،  
وإلى الكافر مرةً ، وهذا معنى قوله : «وَلَا ضَلالَهُمْ وَلَا مَنِينَهِمْ» . . . الآية ومعنى قوله تعالى  
«يَعْدَمُ وَيَمْنِيهِمْ»

قوله جل ذكره : ﴿يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ  
إِلَّا غُرُورًا﴾ أولئك مأواهم جهنم  
ولا يجدون عنها محيصاً ﴿٢﴾

---

(١) واضح من كلام القشيري أنه يفهم الإناث على أنها الأوثان ، وهكذا عن عائشة . وروى عن  
بعض الصحابة أنها الملائكة إشارة إلى قوله تعالى في موضع آخر (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن  
إناثاً) . وعن الحسن : الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح .

(٢) في النسخة ص (استحقه) وهي خطأ في النسخ .

(٣) يؤكد القشيري نسبة خلق كل شيء لله ، ونجريد الشيطان من كل سلطان .

(٤) مشبهة .

الذين قسم لهم الضلالة في الحال حكم عليهم بالعقوبة في المال<sup>(١)</sup> ، ولولا أنه أظهر ما أظهر بقدرته وإلا مئى كانت شظية من الضلالة والهداية لأربابها ١٩ والوقوف على صدق التوحيد عزيز ، وأرباب التوحيد قليل .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات

سندخلهم جنات تجري من تحتها  
الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله  
حقاً ومن أصدق من الله قيلاً ﴾

الذين أسعدناهم حكماً وقولاً ، أنجدناهم حين أوجدناهم كرماً وطولاً ، ثم إننا نحقق لهم  
الموعود من الثواب ، بما نكرمهم به من حسن المآب .

قوله جل ذكره : ﴿ ليس بآمانئكم ولا أمانئ أهل

الكتاب من يعمل سوءاً يجز به  
ولا يجز له من دون الله ولياً  
ولا نصيراً \* ومن يعمل من  
الصالحات من ذكر أو أنثى وهو  
مؤمن فاولئك يدخلون الجنة  
ولا يظلمون شيئاً ﴾

من ذرع الخنظل لم يجتن الورد والعبر<sup>(٢)</sup> ، ومن شرب السم الزعاف لم يجد طعم العسل ،  
كذلك من ضيع حق الخدمة لم يستمكن على بساط القربة ، ومن وسم بالشقوة لم يرزق  
الصفوة ، ومن نفتة القضية<sup>(٣)</sup> فلا ناصر له من البرية .

قوله : ﴿ ومن يعمل من الصالحات . . . الآية . من تعني في خدمتنا لم يبق عن نيل

(١) وردت ( المال ) وصوابها ( المآل ) .

(٢) العبر - الياسين وقيل النرجس ( لسان العرب ج ٢٠ ص ٥٣٦ ) ط بيروت .

(٣) القضية مقصود بها القضاء ، قضاء الله .

نعمتنا ، بل من أغنيائه<sup>(١)</sup> في طلبنا أكرمناه بوجودنا ، بل من جرّ عناه كأس اشتياقنا أنلناه  
أنس لقائنا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ  
لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ  
حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾  
والله ما في السموات وما في الأرض  
وكان الله بكل شيء محيطاً

لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ، يعني أفرد قصده إلى الله ، وأخلص عقده لله  
عنا سوى الله ، ثم استسلم في عموم أحواله لله بالله ، ولم يدخر شيئاً عن الله ، لا من ماله  
ولا من جسده ، ولا من روحه ولا من جلده ، ولا من أهله ولا من ولده ، وكذلك كان حال  
إبراهيم عليه السلام .

وقوله « وهو محسن » : الإحسان — بشهادة الشرع — أن تعبد الله كأنك تراه ،  
ولا بد للعبد من بقية<sup>(٢)</sup> من عين الفرق حتى يصح قيامه بحقوقه . — سبحانه — لأنه إذا حصل  
( مستوفى )<sup>(٣)</sup> بالحقيقة لم يصح إسلامه ولا إحسانه ، وهذا أتباع إبراهيم عليه السلام الحنيف  
الذي لم يبق منه شيء على صف الدوام .

وقوله « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » : جرّد الحديث عن كل سعي وكدي وطلب وجهي  
حيث قال : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ، فَعَلِمَ أَنَّ الْخَلَّةَ لُبْسَةٌ يُلْبِسُهَا الْحَقُّ لَا صِفَةٌ  
يَكْتَسِبُهَا الْعَبْدُ .

---

(١) ربما كانت ( عنيائه ) بالعين أي من احتمل العناء في سبيلنا لتلائم ( جرّ عناه كأس ) أما ( أغنيائه )  
بالعين فيكون معناها أوجدنا فيه الفناء عما سوانا .

(٢) أي لا بد أن يرد إلى الفرق الثاني حتى يستطيع أن يقوم بالفرائض الواجبة عليه في أوقاتها .

(٣) هكذا جاءت في النسخة ص وربما كانت في الأصل ( مساس ) بالحقيقة ، فنحن نعرف عن مذنب  
القشيري في هذا الخصوص أن العبد ينبغي أن يحافظ على الشريعة مهما كانت الظروف ، وأي مساس  
بالشريعة بدعوى الاصطلام أو الفناء — فردود ، وهو آية تقص في صدق صاحبه .

ويقال التحليل المحتاج<sup>(١)</sup> بالسكينة إلى الحق في كل نفس ليس له شيء منه بل هو بالله الله في جميع أنفاسه وأحواله ، اشتقاقاً من الخلّة ( التي هي انحصاصة وهي الحاجة )<sup>(٢)</sup> .

ويقال إنه من الخلّة التي هي المحبة ، والخلّة أن تباشير المحبة جميع أجزائه ، وتتخلل سيره حتى لا يكون فيه مساع للغير .

فلما صفاه الله — سبحانه — ( عليه السلام ) عنه ، وأخلاه منه نصبة للقيام بحقه بعد امتحائه<sup>(٣)</sup> عن كل شيء ليس الله سبحانه .

ثم قال : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ... »<sup>(٤)</sup> : لا يلبي الحاج إلا الله ، وهذه إشارة إلى جمع الجمع<sup>(٥)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ

يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝

نهام عن الطمع الذي يحملهم على الخيف والظلم على المستضعفين من النِّسوان واليتامى ، وبَيِّنَ أَنَّ الْمُنْتَقِمَ بِهِ لَمْ يَكُنْ ، فَمَنْ رَاقِبَ اللَّهَ فِيهِمْ لَمْ يَخْسَرْ عَلَى اللَّهِ بَلْ يَجِدُ جَمِيلَ الْجَزَاءِ ، وَمَنْ تَجَاسَرَ عَلَيْهِمْ قَاسَىٰ لَذَلِكَ أَلِيمَ الْبَلَاءِ .

---

(١) يشير التفسيرى بذلك إلى محاولة فريق من المعتزلة صرف الخلّة عن كل ما يتطرق إليها من دلالة حية ، والنماسة ذلك في الشعر القديم وقد نبهنا إلى ذلك في هامش سبق .

(٢) هذه العبارة مكررة خطأ من النسخ .

(٣) وردت ( بعد امتحائه ) بالنون وقد صوبناها إلى ( امتحائه ) أى بعد وصوله إلى المحو .

(٤) آية ٢٧ سورة الحج

(٥) وردت ( جميع الجمع ) والصواب ( جمع الجمع )

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا  
أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ  
يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ، وَالصُّلْحُ  
خَيْرٌ ، وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ،  
وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ  
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾

محبة الخلق بعضهم مع بعض إن تجردت عن حديث الحق فإنها تتعرض للوحشة والملامة ،  
وممازجة النفرة والسامة . فمن أعرض عن الله بقلبه أعرض الخلق عن مراعاة حقه ، وخرج  
الكافة عليه باستصغار أمره . واستحقار قدره . ومن رجع إلى الله بقلبه ، استوى له  
— في الجملة والتفصيل — أمره ، واتسع<sup>(١)</sup> لاحتفال ما يستقبل من سوء خلق الخلق صدره  
فهو يسحب<sup>(٢)</sup> ذيل العفو على هتات جميعهم ، ويؤثر الصلح بترك نصيبه وتسليم نصيبهم  
قال الله تعالى : « والصلح خير » .

واتضاعك في نفسك عن منافرة من بخاصتك أجدى عليك ، وأخرى لك من تطاولك  
على خصمك باغياً الانتقام ، وشهود مالك في مزنة المقام . وأكثر المناقذين في أسرى  
هذه المحنة .

قوله تعالى : « وأحضرت الأنفس الشح . . . » : وشح النفس قيام العبد بحظه .

فلا محالة من حجب عن شهود الحق رد إلى شهود النفس .

قوله تعالى : « وإن تحسنوا » : يعني يكن ذلك خيراً لكم . والإحسان أن تعبد الله  
كأنك تراه .

« وتبتغوا » : يعني عن رؤيتكم مقام أنفسكم ، وشهود قدركم ، يعني وأن تروا ربكم ،  
وتفنوا برؤيته عن رؤية قدركم .

(١) وردت ( والتسع ) وهي خطأ في النسخ

(٢) وردت ( ويستحب ) وهي خطأ النسخ .



« إن الله كان بما تعملون خبيراً » : يعنى إذا فتنتم عنكم وعن عملكم ، فكفى بالله  
علماً بعد فنائكم ، وكفى به موجداً عقب امتحانكم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنْ ﴾<sup>(٢)</sup> تستطيعوا أن تعدلوا بين

النساء ولو حرصتم ، فلا تملوا كلَّ

الميل فتدروها كالمعلقة وإن

تصلحوا وتتقوا فإن الله كان

غفوراً رحيماً ﴿

يعنى أنكم إذا ( . . . . )<sup>(٣)</sup> فى أموركم انعكس الحال عليكم ، وانعكس صلاح ذات  
بينكم فساداً لكم ، فإذا قتم بالله فى أموركم استوى العيش لكم ، وصفا عن الكدر وقتكم .

ويقال من حكم الله بنقصان عقله فى حاله<sup>(٤)</sup> فلا تقندرون أن تجبروا نقصانهم بكفائتكم .

قوله تعالى « فلا تملوا كل الميل » : يعنى لا تزيغوا عن نهج الأمر . تفقوا حيناً وقتم ،  
وأفقدوا فيما أمرتم .

وقوله : « فتدروها كالمعلقة » يعنى أنكم إذا منعتوهن عن صحبة أغياركم ثم قطعتم  
عنهن ما هو حظوظهن منكم أضررتم بهن من الوجهين ؛ لا منكم نصيب ، ولا إلى غيركم سبيل ،  
وإن هذا الحيف عظيم . والإشارة<sup>(٥)</sup> من هذا أنه إذا انسد عليك طريق حظوظك فتح  
— سبحانه — عليك شهود حقه ، ووجود لطفه ؛ فإن من كان فى الله تلفه فالحق  
— سبحانه — خلفه ، وإن تصلحوا ما بينكم وبين الخلق ، وتشقوا فيما بينكم وبين الحق  
فإن الله غفور لعيوبكم ، رحيم بالعفو عن ذنوبكم .

(١) وردت ( امتحانكم ) وهى خطأ فى النسخ فالامتحان يرادف الفناء .

(٢) وردت ( وان ) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) مشبهة ، وزجج أنها كلمة تساوى فى المعنى ( قتم بأنفسكم ) لتقابل ما جاء بعد ( فإذا قتم بالله ) .

(٤) يشير القشيري بذلك الى النساء .

(٥) أسلوب القشيري فى هذه الإشارة فى حاجة منا الى وهى وتبقيظ ، فالحظوظ للعبد ، والحقوق للحق ،  
والشهود للحق والوجود يكون للطف . والمفردة — بمعنى التغطية — تكون لليب ، والعفو — الإزالة — يكون  
للذنوب ؛ واليب قدييق مغطى ولكن الذب يزول .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ  
سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ .

الصعبة التي لا بُدَّ منها صحبة القلب مع دوام افتقار إلى الله ؛ إذ الحقُّ لا بُدَّ منه . فأما  
الأغيار فلا حاجة لبعضهم إلى بعض إلا من حيث الظاهر ، وذلك في ظنون أصحاب التفرقة ،  
فأما أهل التحقيق فلا تجرية لهم أن حاجة الخلق بجملتها إلى الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ،  
وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَاوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا  
حَمِيدًا ﴾ .

كَلَّفَ الكَافَّةَ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ ، وَبِجَانِبَةِ مَنْ سِوَاهُ ، وَالْوُقُوفَ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَكِنْ فَرِيقًا وُفِّقَ  
وَفَرِيقًا خُذِلَ . ثُمَّ عَرَّفَ أَهْلَ التَّحْقِيقِ أَنَّهُ غَفِيٌّ عَنْ طَاعَةِ كُلِّ وَلِيٍّ ، وَبَرَاءٍ عَنْ <sup>(١)</sup> زَلَّةٍ <sup>(٢)</sup>  
كُلِّ غَوِيٍّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

قَطَعَ الْأَسْرَارَ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْأَغْيَارِ بِأَنْ عَرَّفَهُمْ انْفِرَادَهُ بِمُلْكِ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ  
أَطْمَعَهُمْ فِي حَسَنِ تَوَلَّيْهِ ، وَقِيَامِهِ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ بِجَمِيلِ اللَّطْفِ وَحَسَنِ الْكَفَايَةِ بِقَوْلِهِ :  
« وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا » يَصْلَحُ بِمُلْكِ حَالِكَ وَلَا يَخْتَزِلُ مَالِكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ  
وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى  
ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ .

---

(١) قبل ( عن ) واو زائدة مخذفتاها

(٢) وردت ( ذلة ) بالذال والصواب أن تكون هنا بالزاي .

من احتجنى عنه في آزاله فلا حاجة له إليه في آباده . ويقال لا يحتاج إلى أحدٍ والعبد لا يستغنى عنه في نفسه .

ويقال لانهاية التقديرات فإن لم يكن عمرو قزياً ، وإن لم يكن عبدٌ فعييد ، والذي لا يترك عنه ولا خلف فهو الواحد الأحد .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ شَهِيدًا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

لما علقوا قلوبهم بالعاجل من الدنيا ذكرهم حديث الآخرة ، فقال « فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » تعريفاً لهم أن فوق همهم من هذه الخسيسة<sup>(١)</sup> ما هو أعلى منها من نعيم الآخرة ، فلما مسّت إلى الآخرة قصودهم قطعهم عن كل مرسوم<sup>(٢)</sup> ومخلوق بقوله : « والله خير وأبقى »<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

---

(١) يقصد الدنيا بهذا الوصف

(٢) الرسم - كما يقول أبو نصر السراج في لمعه - هو ما رسم به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق فيمتحن بإظهار سلطان الحق عليه .

سئل الجنيد عن رجل غاب اسمه وذهب وصفه وامتنحى رسمه فقال : نعم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في ملكه ، فيكون ذلك معنى قوله امتنحى رسومه يعني علمه وفعله المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له في قيامه ( اللع ص ٤٢٧ ) .

(٣) آية ٧٣ سورة طه

القسط العدل ، والقيام بالله العدل بإيفاء حقوقه من نفسك ، واستيفاء حقوقه من كل من هو لك عليه أمر ، وإلى تحصيل ذلك الحق سبيل إما أمر بمعروف أو زجر عن مكروه أو وعظ بنصح أو إرشاد إلى شرع أو هداية إلى حق .

ومن بقي لله عليه حق لم يباشر خلاصة التحقيق سره الله .

وأصل الدين<sup>(١)</sup> إثبات حق الحق على حق الخلق ، فمن أثر على الله — سبحانه أحداً إما والدّاً أو أمّاً أو ولداً أو قريباً أو نسبياً ، أو ادّخر عنه نصيباً فهو بمنزل عن القيام بالقسط .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ،

وَمَنْ يَكْفُر بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وِرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بَعِيدًا ۞ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ حَيْثُ الْبُرْهَانِ آمِنُوا مِنْ حَيْثُ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ تَوْمِنُوا مِنْ حَيْثُ الْكُشْفِ وَالْعَيَانِ .

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تصديقاً آمِنُوا تحقيقاً بأن نجاتكم بفضله لا بإيمانكم .

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَالِ آمِنُوا باستدامة الإيمان إِلَى الْمَالِ<sup>(٢)</sup>

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا وراء كل وصل وفصل<sup>(٣)</sup> ووجد وقد .

---

(١) بهذا نستطيع أن نجد صلة رحم بين لفظي ( الدين ) و ( الدين ) إذ يكون لكل منهما ارتباط على نحو ما — بالحق وصاحب الحق .

(٢) وردت ( المال ) وهي خطأ في النسخ ، فالمقصود بالحال : الدنيا ، والمآل : العقبى

(٣) الوصل منناه لحوق الغائب . وقال بجي بن معاذ : « من لم يعم عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصل إلى ما فوق العرش » . يعني لم يلحق ما فاتته من مرآة الذي خلق العرش . وقال الشبلي : من زعم أنه واصل فليس له حاصل .

والفصل فوت الشيء المرجو من المحبوب .

قال بعضهم فرح الاتصال ممزوج بترح الاتصال ( المع من ٤٣٣ )

ويقال يأياها الدين آمنوا باستعمال أدلة العقول آمنوا إذا أنتمم بعقوة الوصول ، واستمكنت  
منكم حيرة البديهة<sup>(١)</sup> وغلبات الذهول<sup>(٢)</sup> ثم أفقتم عن تلك الغيبة فآمنوا أن الذي كان غالباً  
عليكم كان شاهد الحق لا حقيقة الذات<sup>(٣)</sup> فإن الصمدية منزهة متقدسة عن كل قرب وبعد ،  
ووصل وفصل .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ

كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ  
اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا \*  
بَشِّرِ الْمُنَاقِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا \* .

الذين تبدلت بهم الأحوال فقاموا وسقطوا ثم انتعشوا ثم ختم بالسوء أحوالهم ، أولئك  
الذين قصصهم<sup>(٤)</sup> سطوة العزة حكماً ، وأدركتهم شقاوة القسمة خاتمة وحالاً — فالحق سبحانه  
لا يهديهم لقصد ، ولا يدهم على رشد ، فبشّرهم بالفرقة الأبدية ، وأخبرهم بالعقوبة السرمدية .

قوله جل ذكره : ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أِيْتِنُونَ عِنْدَ الْعِزَّةِ  
فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا \* وَقَدْ نَزَّلَ  
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا تَحَمَّصْتُمْ  
آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا  
فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي  
حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ،

(١) الحيرة بديهة ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكيرهم بتحجيمهم عن التأمل والفكرة ،  
وقال الواسطي : حيرة البديهة أجل من سكون التولي عن الحيرة (اللمع ص ٤٢١) .

(٢) الغلبات عند قوة الرغبة والانفلات من دواعي الهوى والنفوس ، عند قوة رغبة الطالب إذا لاح له  
أعلام المزيد في حال طلبه المطلوب ، فلوطن أن مطلوبه وراء بحر سبعه أو في نيه سلكه بالهجوم عند غلبات  
الإرادة وقوة سلطان المطالبة عليه (اللمع ص ٤١٧) .

(٣) هذا تنبيه هام وخطير يدحض به المضللين والأدعياء ، أولئك الذين شن عليهم القشيري هجومه العنيف  
في مستهل « رسالته » والذين أساءوا إلى التصوف وأهله .

(٤) القصص : الكسر . حكى عن الرقاق أنه قال : لو أن المعاصي كانت شيئاً اخترته لنفسي ما أجزئي  
ذلك لأن ذلك يشبهني ، وإنما قصم ظهري حين سبق لي منه ذلك . (اللمع ص ٤٣٤) .

إِنَّ اللَّهَ جَامِعٌ لِلنَّافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ  
فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا \* .

من اعتصم بمخلوق فقد النجا إلى غير مجير ، واستند إلى غير كف ، وسقط في مهواة  
من الغلط بعيد قعرها ، شديد مكرها . أيتقنون العز عند الذي أصابه ذل التكوين ١٩ متى  
يكون له عز على التحقيق ؟ ومن لا عز له يلزمه فكيف يكون له عز يتعدى إلى غيره ؟

ويقال لاندري أى حالتهم أقبح : طلب العز وهم في ذل القهر وأسر القبض أم حسابان  
ذلك وتوهمه من غير الله ؟

ويقال مَنْ طَلَبَ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ فَالْإِخْفَاقُ <sup>(١)</sup> غاية جهده ، ومن رام الغنى <sup>(٢)</sup> في  
مواطن الفاقة فالإملاق قصارى كده .

ويقال لو هُدُّوا بوجدان العز لما صُرِفَتْ قُصُودُهُمْ إِلَى مَنْ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ .  
قوله : « فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا » العز على قسمين : عز قديم فهو لله وصفاً ، وعز حادث  
يختص به سبحانه من يشاء فهو له — تعالى — ملكاً ومنه لطفاً <sup>(٣)</sup> .

قوله « وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ..... » الآية : لا تجاوروا أرباب الوحشة فإن  
ظلمات أنفسهم تتعدى إلى قلوبكم عند استنشاطكم ما يرُدُّون من أنفاسهم ، فمن كان بوصف ما  
متحقاً شاركة حاضره فيه ؛ فجليس من هو في أنس مستأنس <sup>(٤)</sup> ، وجليس من هو في ظلمة  
مستوحش .

ويقال هجران أعداء الحق فرض ، ومخالفة الأضداد ومفارقتهم دين ، والركون إلى  
أصحاب الغفلة قرع باب الفرقه

---

(١) وردت ( الأحقاف ) وهي خطأ في النسخ إذ المقصود الحية والإخفاق .

(٢) أخطأ الناسخ فكتبها بالالف هكذا : ( الفنا ) .

(٣) يتساءل القشيري في كتابه « التعبير في التذكير » تحت اسم « العز » : فإن قيل كيف الجمع  
بين قوله تعالى : « مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا » وقوله تعالى « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ »  
ثم يجيب : لا تنافي بينهما فإن العز الذي للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى ملكاً وخلقاً ، وهزه — سبحانه  
وتعالى — له وصفاً ، فاذا المزكاه لله تعالى .

(٤) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( مستأنف ) ولا معنى لها هنا والصواب ( مستأنس ) لتقابل ( مستوحش )

قوله : « إنكم إذن مثلهم » : أوضح برهانٍ على سريرة ( . . . ) (١) صحيحة من يقارنه (٢) وعشرة من يخادنه ؛ فالشكل مقيد بشكله ، والفرع منتشرٌ عن أصله .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين يتربصون بكم : فإن كان لکم فتحٌ من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾

لَا عَدَمُوا الإخلاص في الحقيقة ، وما ذقوا فيما استشعروا من العقيدة ، امتازوا (٣) عن المسلمين في الحكم ، وباينوا الكافرين في الاسم ، وواجبٌ على أهل الحق التحرزُ عنهم والتحفظُ منهم ، ثم ضمن لهم — سبحانه — جميل الكفاية بقوله : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » (٤) وهذا على العموم ؛ فإن وبال كيدهم إليهم مصروف ، وجزاء مكرهم عليهم موقوف ، والحق — من قبل الحق سبحانه — منصورٌ أهلُه ، والباطل — بنصر الحق سبحانه — يُجَنَّبُ أصلُه .

قوله جل ذكره : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس

(١) مشبهة ولا بد أنها كلمة بمعنى ( المرء ) أو ( الشخص ) . . . ونحوها

(٢) يقارنه هنا معناها أن يكون له قرين .

(٣) امتازوا هنا معناها افترقوا بعلامات مخصوصة

(٤) قال على رضى الله عنه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً يوم القيامة حين يحكم الله بينهم ، فلا يكون للكافرين سبيل إلى حجة . ويرى غيره أن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً في الدنيا فلن يستطيعوا عليهم نصراً بالكلية ، ولكن قد يحصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس ولكن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة . ( ابن كثير ص ٥٦٧ )



ولا يذكرون الله إلا قليلاً •  
 مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ  
 وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ  
 تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا •

خداع المنافقين : إظهار الوفاق في الطريقة واستشعار الشرك في العقيدة .

وخداع الحق إياهم : ما توهموه من الخلاص ، وحكموا به لأنفسهم من استحقاق الاختصاص ،  
 فإِذَا كُشِفَ النِّعَاءُ أُيقِنُوا أَنَّ الَّذِي ظَنُّوهُ شَرَابًا كَانَ سَرَابًا ، قَالَ تَعَالَى : « وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ  
 مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ » (١) .

وقوله : « وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا . . . » الآية : علامة النفاق وجود النشاط عند  
 شهود الخلق ، وفور العزم عند فوات رؤية الخلق .

وقوله : « مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ . . . » الآية : أَخَسُّ الخلقِ مَنْ يَدَّعُ (٢) صدار العبودية ،  
 ولم يجد سبيلاً إلى حقيقة الحرية (٣) ، فلأله من العز شظية ، ولا في الغفلة عيشة هنية .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا  
 الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 أُرِيدُونَ أَنْ يُبْعِلُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ  
 سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾

(١) آية : ٤٧ سورة الزمر .

(٢) وردت ( تدع ) والصواب ( يدع ) لأن الكلام ليس خطاباً ، ومعناها ترك .

(٣) حقيقة الحرية إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى ، وهو ألا يملكك شيء من المكنونات  
 وغيرها ، فتكون حراً إذا كنت لله عبداً ، كما قال بشر الحافي لمرى السقطي رحمهما الله فها حكى عنه أنه قال :  
 إن الله تعالى خلقك حراً فكن كما خلقك ، لا تزأر أهلك في الحضر ، ولا وقتك في السفر ، اعمل لله ،  
 ودع الناس عنك .

وقال الجنيد : آخر مقام العارف الحرية .

وقال بعضهم : لا يكون العبد عبداً حقاً ويكون لما سوى الله مسترقاً ( المص من ٤٥٠ ) .

كُرِّرَ<sup>(١)</sup> عليهم الوعظ ، وأكَّدَ بمباعدة الأعداء عليهم الأمر ، إبلاغاً في الإنذار ، وتغليظاً في الزجر ، وإلزاماً للحجة ( . . . )<sup>(٢)</sup> موضع العذر .

قوله : « أريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبیناً » : توعدّهم على موالاتهم للكفار بما لم يتوعدّ على غيره من المخالفات ، لما فيه من إيثار الغير على المعبود ؛ وإيثار النير على المحبوب من أعظم الكبائر في أحكام الوداد . فإذا شغل من قلبه محلاً — كان للمؤمنين — بالأغيار استوجب ذلك العقوبة فكيف إذا شغل محلاً من قلبه — هو للحق — بالغير ؟ !  
والعقوبة التي توعدّهم بها أن يكلمهم وما اختاروه من موالات الكفار ، ويثس البديل !  
كذلك مَنْ بَقِيَ ( عن )<sup>(٣)</sup> الحق تركه مع الخلق ؛ فيتضاعف عليه البلاء للبقاء عن الحق والبقاء مع الخلق ، وكلاهما شديدٌ مِنَ العقوبة .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نصيراً » .

دلّت الآية على أن المنافق ليس بمُسْتَأْمِنٍ لَأَنَّ الإيمان ما يوجب الأمان ، فالؤمن يتخلص بإيمانه من النار ، فما يكون سبب وقوعه في الدرك الأسفل من النار لا يكون إيماناً ، ويقال هذا تحقيق قوله : « والله خير الماكرين » أي مكره فوق كل مكر . لما أظهر للمنافق ما هو مكر مع المؤمنين كانت عقوبتهم أشد من عقوبة من جاهر<sup>(٤)</sup> بكفره .

ويقال تقلبهم<sup>(٥)</sup> في آجلهم<sup>(٦)</sup> إلى أشد ما هم عليه في عاجلهم ، لما في الخبر : « من كان

---

(١) نعرف من مذهب القشيري أنه لا يميل إلى القول بالتكرار في القرآن الكريم ، ولعل أبسط نتائج هذا المذهب أنه لا يرى في البسلة التي تأتي في مستهل كل سورة بلفظها — أي شيء من التكرار ، يل هي عنده متجددة بما يتلاءم والسورة ، لأجل هذا تستوقفنا هنا كلمة : « كرر » وتندبر الأسباب القوية التي أرجع إليها التكرار .  
(٢) مشتبهة .

(٣) وردت ( من ) ولكن المعنى يرفضها قطعاً ويؤيد ( عن ) خصوصاً وقد جاءت ( عن ) في العبارة التالية التي هي بمثابة نتيجة للجزء الأول من الكلام .

(٤) وردت ( جاهد ) بالدال والصواب ان تكون ( جاهر ) بالراء فالمعنى يقتضيه ذلك .  
(٥) وردت هكذا ( مثلهم ) بتقطعة محذوفة فوق الحرف الأول ثم ثلاث نقط فوق القاف وربما أراد الناسخ أن يحذف النقطة الثالثة فأخطأ وحذف النقطة التي فوق النون .  
(٦) وردت ( آجلهم ) والصواب ( آجلهم ) .

بجالة لقي الله بها ، فالمنافق — اليوم — في الدرك الأسفل من الحجر<sup>(١)</sup> فكذلك ينقلون إلى الدرك الأسفل من النار . والدرك الأسفل من الحجر — اليوم — لهم ما عليهم من اسم الإيمان وليس لهم من الله شظية وهذا هو البلاء الأكبر .

ويقال استوجبوا الدرك الأسفل من النار لأنهم صحبوا اليوم اسم الله الأعظم لا على طريقة الحرمة . ويقال استوجبوا ذلك لأنهم أساءوا الأدب في حال حضورهم بالسنتهم ، وسوء الأدب يوجب الطرد .

قوله جل ذكره ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأُصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

لم يشترط كل هذه الشرائط في رجوع أحدٍ عن جرمه ما اشترط في رجوع المنافقين عن نفاقهم لصعوبة حالهم في كفرهم . وبعد تحصيلهم هذه الشروط قال لهم : « فأولئك مع المؤمنين » ولم يقل من المؤمنين ، وفي هذا إشارة أيضاً إلى نقصان رتبهم وإن تداركوا بإخلاصهم ما سبق من آقهم ، وفي معناه أنشدوا :

والعذر مبسوطٌ ولكننا شتان بين العذر والشكر

ويقال إن حرف (مع) للمصاحبة ، فإذا كانوا مع المؤمنين استوجبوا ما يستوجب جماعة المؤمنين ، فالتوبة هنا أى رجعوا عن نفاقهم ، وأصلحوا — بصدقهم في إيمانهم ، واعتصموا بالله بالتبرؤ من حولهم وقوتهم ، وشاهدوا المنة لله عليهم حيث هداهم ، وعن نفاقهم نجاتهم . قوله : « وأخلصوا دينهم لله » : ونجاتهم بفضل ربهم لا بإيمانهم في الحال ، ورجوعهم عن نفاقهم فيما مضى عليهم من الأحوال .

ويقال أخلصوا دينهم لله وهو دوام الاستعانة بالله في أن يثبتهم على الإيمان ، ويمصمهم عن الرجوع إلى ما كانوا عليه من النفاق .

---

(١) ترجح أنها ( الحجر ) بالهاء ويتأيد ذلك بقوله فيما بعد ( ليس لهم من الله شظية ) .

ويقال تابوا عن النفاق ، وأصلحوا بالإخلاص في الاعتقاد ، واعتصموا بالله باستدعاء التوفيق وأخلصوا دينهم لله في أن نجاتهم بفضل الله ولطفه لا بإتيانهم بهذه الأشياء — في التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ .

هذه الآية من الآيات التي توجب حُسْنَ الرجاء وقوة الأمل ، لأنه جعل من أمارات الأمان من العقوبات شيئين اثنين : الشكر والإيمان ، وهما خصلتان يسيرتان خفيفتان ؛ فإن الشكر قالة ، والإيمان حالة ، ولقد هوّن السبيل على العبد حين<sup>(١)</sup> رضى منه بقالته وحالته . والشكر لا يصح إلا من المؤمنين فأما الكافر فلا يصح منه الشكر ؛ لأن الشكر طاعة والطاعة لا تصح من غير المؤمن .

وقوله : ﴿ وَآمَنْتُمْ ﴾ يعنى في المال ؛ فكأنه بين أن النجاة إنما تكون لمن كانت عاقبته على الإيمان ، فمعنى الآية لا يعذبكم الله عذاب التخليد<sup>(٢)</sup> إِنْ شَكَرْتُمْ فِي الْحَالِ وَآمَنْتُمْ فِي الْمَالِ . ويقال إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ صدقتم بأن نجاتكم بالله لا بشركم وبإيمانكم .

ويقال الشكر شهود النعمة من الله والإيمان رؤية الله في النعمة ، فكأنه قال : إِنْ شَاهَدْتُمْ النِّعْمَةَ مِنْ اللَّهِ فَلَا يَقْطَعَنَّكُمْ شُهُودُهَا عَنْ شُهُودِ الْمُنْعِمِ

وقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ أى والله شاكر عليم ، ومعنى كونه شاكرًا أنه مَدَحٌ للعبد ومُشْهِدٌ عليه فيما يفعله لأن حقيقة الشكر وحده الثناء على المُحْسِنِ بذكر إحسانه ؛ فالعبد يشكر الله أى يثنى عليه بذكر إحسانه إليه الذى هو نعمته عليه ، والربُّ يشكر للعبد أن يثنى عليه بذكر إحسانه الذى هو طاعته له ، فإن الله يثنى عليه بما يفعله من الطاعة مع علمه بأن له ذنوبًا كثيرة .

ويقال بشكره — وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ سِيرَجٌ فِي الْمُسْتَأْنَفِ إِلَى قَبِيحِ أَعْمَالِهِ .

(١) وردت ( من ) و ترجع أنها في الأصل ( حين )

(٢) وردت ( التخليد ) و ترجع أنها ( التخليد ) فهو وصف عذاب جهنم .

ويقال يشكره لأنه يعلم ضعفه ، ويقال يشكره لأنه يعلم أنه لا يعصى وقصده مخالفة ربه  
ولكنه يُذنبُ لاستيلاء أحوال البشرية عليه من شهوات غالبية .  
ويقال يشكره لأن العبد يعلم في حالة ذنوبه أن له رباً يغفر له .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ  
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾

قول المظلوم في ظلمه — على وجه الإذن له — ليس بسوء في الحقيقة ، لكنه يصح  
وقوع لفظة السوء عليه كقوله تعالى : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » <sup>(١)</sup> والجزاء ليس بسئته .

ويقال مَنْ عَلِمَ أَنْ مَوْلَاهُ يَسْمَعُ اسْتِجِيَا مِنَ النُّطْقِ بِكَثِيرٍ مِمَّا تَدْعُو نَفْسَهُ إِلَيْهِ .

ويقال الجهر بالسوء هو ما تسمعه نفسك منك فيما تُحدثُ في نفسك من مساءة الخلق ؛  
فإن الخواص يحاسبون على ما يتحدثون في أنفسهم <sup>(٢)</sup> بما (يعد) <sup>(٣)</sup> لا يطالب به كثير من  
العوام فيما يسمع منهم الناس .

قوله : « إِلَّا مَنْ ظَلَمَ » : قيل ولا من ظلم . وقيل معناه ولكن مَنْ ظلمَ فله أن يذكر  
ظلمه بالسوء <sup>(٤)</sup> .

ويقال من لم يُؤثر مدح الحق على القسح في الخلق فهو المغبون في الحال .

ويقال من طالع الخلق بعين الإضافة إلى الحق بأنهم عبيد الله لم ينسط فيهم لسان اللوم ؛

(١) الآية ٤٠ سورة الشورى .

(٢) من ذلك ما يحكيه القشيري في كتابه « التعبير في التذكير » عن الشبلي حيث يقول : « قال بعضهم كنت مع الشبلي — رحمه الله — ففتح له بمنديل حسن فربك بمت فقال لي : كفن هذا الكلب بهذا المنديل . وعدت إليه فقال لي فعلت ما أمرتك به ؟ فقلت : لا . فلم يقل لي شيئاً فقلت له : ما سبب ذلك الذي أمرتني به ؟ فقال : عندما مروت به استقدرته واستقبهته ، فتوديت في سرى : ألسنا نحن خلقناه ؟ فأمرتك بذلك كفارة لما خطر لي » .

(٣) ربما كانت هذه اللفظة (يعد) زائدة ، أو سقطت (لا) قبلها فيكون معنى (لا يعد) لا يحسب ولا يعتبر

(٤) من ابن عباس : إن الله لا يحب أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أُرخص له .  
وعن الحسن البصري يكنى أن يقول المظلوم « اللهم أعني عليه واستخرج حق مني » وفي رواية عنه أنه قد أُرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه .

يقول الرجل لصاحبه : « أنا أحتَمِلُ من ( . . . . ) »<sup>(١)</sup> خدمتك حرمة لك مالا أحتمله من ولدي ، فاذا كان مثل هذا معهوداً بين الخلق فالعبد بمرعاة هذا الأدب — بينه وبين مولاه — أولى .

ويقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ، ولا يحب ذلك بخطوره<sup>(٢)</sup> من الخواص .

ويقال الجهر بالسوء من القول من العوام أن يقول في صفة الله ما لم يَرِدْ به الإذن والتوفيق . والجهر بالسوء من القول في صفة الخلق أن تقول ما ورد الشرع بالمنع منه ، وتقول في صفة الحق ما لا يتصف به فإنك تكون فيه كاذباً ، وفي صفة الخلق عن الخواص ما اتصفوا به من النقصان — وإن كنت فيه صادقاً .

قوله « وكان الله سميعاً علماً » : سميعاً لأقوالكم ، علماً بعيوبكم ، يعني لا تقولوا للأغيار ما تعلمون أنكم بمثابهم .

ويقال سميعاً لأقوالكم علماً ببراءة ساحة من تقولتم عليه ، فيكون فيه تهديد للقائل — لبرئ الساحة — بما يتقول عليه .

ويقال سميعاً : أيها الظالم ، علماً : أيها المظلوم ، تهديد لهؤلاء وتبشير لهؤلاء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَبْدُوا خيراً أَوْ تُخْفُوا ، أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾

« إِنْ تَبْدُوا خيراً » نخلقاً بأداب الشريعة ، ونخفوه تحقفاً بأحكام الحقيقة .

« أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ » أخذاً من الله ما ندبكم إليه من محاسن الخلق .

« فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا » لمحبكم « قَدِيرًا » على تحصيل محبوبكم وتحقيق مطلوبكم .

ويقال إِنْ تَبْدُوا خيراً لتكونوا للناس قدوة فيما تُسْنُون وما تعينون غيركم على ما يهدون به من سلوك سننكم ، وإِنْ تَخْفُوا اكتفاءً بعلمه ، وصيانة لنفوسكم عن آفات التصنع ، وثقة

---

(١) مثبته .

(٢) أي ( بأن يخطر عليهم خاطر ) فعقوبة العوام على النطق والقول وعقوبة الخواص على ( الخاطر )



بأن<sup>(١)</sup> من تعملون<sup>(٢)</sup> له يرى ذلك ويعلمه منكم ، وإن تعفوا عن سوء أى تتركوا ما تدعوكم إليه نفوسكم<sup>(٣)</sup> فالله يجازيكم بعفوه على ما تفعلون ، وهو قادر على أن يبتليكم بما ابتلى به الظالم ، فيكون تحذيراً لهم من أن يغفلوا عن شهود المنة ، وتنبهاً على أن يستعينوا أن يسلبوا العصمة ، وأن يُحذَروا حتى يقعوا في الفتنة والمحنة .

ويقال إن تبدوا خيراً فتحسنوا إلى الناس ، أو تخفوه بأن تدعوا لهم في السر ، أو تعفوا عن سوء إن ظلمتم .

ويقال من أحسن إليك فأبد معه خيراً جهرًا ، ومن كفاك شره فأخلص بالولاء والدعاء له سرًا ، ومن أساء إليك فاعف عنه كرمًا وفضلًا ؛ تجد من الله عفوَه عنك عما ارتكبت ، فإن ذنوبك أكثر ، وهو قادر على أن يعطيك من الفضل والإتمام مالا تصل إليه بالانتصاف من خصمك ، وما تجده بالانتقام<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ  
بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا  
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ أولئك هم  
الْكَاْفِرُونَ حقًا وأعتدنا للْكَاْفِرِينَ  
عَذَابًا مُهِينًا ﴾

أفسد عنهم أنهم أضافوا إلى قبيح كفرهم ما عُدَّ من ذمهم فعلهم ، ثم بين أنه

(١) أخطأ الناسخ فكتبتها ( باب )

(٢) مستدركة في الهامش ( تعملون ) لأنها في المتن ( تعملون ) والصواب ما جاء في الهامش

(٣) إشارة القشيري هنا في حاجة منا إلى تدبر ، فهو يبدأ أولاً بالنفس ، ثم ينتقل إلى الناس ، ذلك لأنه حسب ما نعرف عنه يعتبر صراعك مع نفسك هو الميدان الأول الذي ينبغي أن يسلط فيه أهواءك وأطماعك ودعواك ؛ هي أعدى أعدائك ، ثم تأتي من بعد ذلك علاقاتك خارج نفسك أى مع الناس .

(٤) واضح من هذا مقدار ما يتمتع به الصوفية من رحابة الصدر ولين الجانب وسماحة الطبع .



ضاعف<sup>(١)</sup> من عذابهم ما كان جزاء جرمهم ، لِيَتَعَلَّمَ أَنَّهُ لَأَهْلُ الْفَسَادِ بِالْمُرْصَادِ .  
 قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا  
 بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ  
 أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

لما آمنوا بجميع الرسل ، وصَدَقُوا في جميع ما أمروا به استوجبوا القبول وحسن الجزاء .  
 وتباصر الإيمان عن بعض الأعيان كتقاصره عن بعض الأزمان ، فكما أنه لا يقبل إيمان من  
 لم يستغرق إيمانه جميع ( . . . . )<sup>(٢)</sup> إلى آخر ما له — كذلك لا يقبل إيمان من لم يستغرق  
 إيمانه جميع ( من )<sup>(٣)</sup> أمرًا بالإيمان به ؛ إذ جعل ذلك شرط تحقيقه وكماله . فالإشارة في هذا أن  
 من لم يخرج عن عهدة الإلزام بالكلية فليس له من حقيقة الوصل شظية ، قال صلى الله عليه  
 وسلم : « الحج عرفة »<sup>(٤)</sup> فمن قطع المسافة — وإن كان من فج عميق — ثم بقي عن عرفات  
 بأدنى بقية لم يُدرك الحج .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المَكْتَابُ عَبْدٌ ما بقي عليه درهم »<sup>(٥)</sup>  
 قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَّلَ  
 عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا  
 مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا

(١) وردت ( أضعف ) وهي خطأ من الناسخ ، ولا بد أن تكون ( ضاعف ) العذاب لأن جزاء الكافرين  
 عذاب مبين وهو الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي .

(٢) مشبهة .

(٣) ترجح أنها في الأصل ( ما ) أمر بالإيمان به منعاً للبس ، ويمكن أن تقبل ( من ) على أنها  
 مرتبطة بالرسل .

(٤) « الحج عرفه من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة فُتِدَ أدرك الحج أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين  
 فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ( الامام أحمد في مسنده وأبو عدي في الكامل والحاكم في مستدرکه  
 والبيهقي في السنن ) ٢/٣٥٨ منتخب كثر العيال .

(٥) « المَكْتَابُ عَبْدٌ ما بقي عليه من كتابته شيء » .

مفتاح كنوز السنة ( مادة العتق ) للدكتور ا . فسنك ط لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، ومراجعته  
 سنن أبي داود كتاب ٢٨ باب ١ وسنن ابن ماجه كتاب ١٩ باب ٣ وموطأ مالك كتاب ٣٩ ومسنند أحمد  
 ٢ ص ١٧٨ ، ١٨٤ .

اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ  
بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ  
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ  
وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا \*

اشتملت الآية على جنسين من قبيح ما فعلوه : أحدهما سؤالهم الرؤية والثاني عبادة العجل  
بعد ما ظهرت لهم الآيات الباهرة .

فأما سؤالهم الرؤية فذموا عليه لأنهم اقترحوا عليه ذلك بعد ما قطع عندهم بإقامة  
المعجزات ، ثم طلبوا الرؤية لا على وجه التعليم ، أو على موجب التصديق به ، أو على ما يحملهم  
عليه شدة الاشتياق ، وكل ذلك سوء أدب .

الإشارة فيه أيضاً أن مَنْ يكتفى بأن يكون العجلُ معبودَه — متى — يسلم له أن يكون  
الحقُّ مشهودَه ؟

ويقال القومُ لم يباشروا العرفانُ أسرارهم فلذلك عكفوا بمقولهم<sup>(١)</sup> على ما يليق بهم من  
محدودٍ جوزوا أن يكون معبودهم .

قوله جل ذكره : \* وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا \*

حجة ظاهرة ، بل تفرداً صانه من التمثيل والتعطيل .

والسلطان المبين التحصيل والتنزيه المانع من التعطيل والتشبيه .

ويقال السلطان المبين القوة بسماع الخطاب من غير واسطة .

---

(١) هذا كلام له أهمية قصوى في تحديد مدى تقدير القشيري لقيمة العقل .  
فتحن نعرف من مذهبه في المعرفة أن العقل يعول عليه فقط في البداية ، يقول في رسالته ص ١٩٧  
( نحب البداءة بتصحيح اعتقاد بين العبد وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع  
صادر عن البراهين والحجج ) ولكن العقل بعدئذ غير جذير بمواصلة الصعود إلى ما هو أعلى من ذلك لأنه  
يصاب بأفات ( التجويز والتحير والتوم والتعدد ) ويناط بغير العقل من الملكات الأخرى وهي القلب والروح  
والسر وعين السر أو سر السر أن نواصل القصود نحو الدرر العليا . فإشبه الذين يريدون تطبيق الوسائل  
العقلية على الربوبية بمن عبدوا العجل ! وعكفوا بمقولهم على المحدود !

ويقال السلطان المبين لهذه الأمة غداً ، وهو بقاؤهم في حال لقائهم — قال صلى الله عليه وسلم : « لا تضامون في رؤيته »<sup>(١)</sup> — في خبر الرؤية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

ما زادم في الظاهر آية إلا زادوا في قلوبهم جحداً ونكراً ، فلم تنفعهم زيادة نصيب الإعلام ؛ لما لم تنفتح لشهودها بصائر قلوبهم ، قال تعالى : « وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

معناه لارتكابهم هذه المناهي ، ولا تصافهم بهذه المخازي ، أحللتناهم منازل الهوان ، وأنزلنا بهم من العقوبة فنون الألوان .

ويقال لحقهم شؤم المخالفات حالة بعد حالة ، لأن من عقوبات المعاصي الخذلان لغيرها من ارتكاب المناهي ؛ فبنقضهم الميثاق ، ثم لم يتوبوا ، جرهم إلى كفرهم بالآيات ، ثم لشؤم كفرهم خذلوا حتى قتلوا أنبياءهم — عليهم السلام — بغير حق ، ثم لشؤم ذلك تجاسروا حتى ادعوا شدة نفهم ، وقالوا : قلوبنا أوعية العلوم ، فرد الله عليهم وقال : « بل طبع الله عليها بكفرهم » فحجبهم عن محل العرفان ، فعمهوا في ضلالتهم .

(١) « ... إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر »

البخاري كتاب ٩ باب ١٥ و ٢٦ وكتاب ٦٥ سورة ٤ مفتاح كنوز السنة ص ٥٧

(٢) آية ١٠١ سورة يونس

قوله جل ذكره : ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهة لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا \* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً \*

مجاوزه الحدّ ضلالٌ ، كما أن النقصان والتقصير عن الحقّ ضلالٌ ، فقوم<sup>(١)</sup> تقوّلوا على مريم ورموها بالزنا ، وآخرون جاؤوا الحدّ في تعظيمها فقالوا : ابنها ابنُ الله ، وكلا الطائفتين وقعوا في الضلال .

ويقال مريم — رضى الله عنها — كانت وليّة الله ، فشقي بها فرقتان : أهل الإفراط وأهل التفريط . وكذلك كان أولياؤه — سبحانه — فمُسكِرُهُمْ يَشْقَى بِتَرْكِ احترامهم ، والذين يعتقدون فيهم مالا يستوجبونه يَشْقَوْنَ بالزيادة في إعظامهم ، وعلى هذه الجملة درج الأَكْذَرُونَ من الأكابر .

قوله تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه... يقيناً بل رفعه الله﴾ .

قوله تعالى : ﴿وما صلبوه ولكن شبهة لهم... عزيزاً حكيماً﴾ قبل أوقع الله شبهة<sup>(٢)</sup> على الساعى به فقتل وصليب مكانه ، وقد قيل : مَنْ حَفَرَ بئراً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا<sup>(٣)</sup>

(١) أخطأ الناسخ فكتبها (فقوموا) .

(٢) وردت (شبهة) بالناء المربوطة والصواب (شبهه) .

(٣) اختار ابن جرير أن شبه عيسى أتي على جميع أصحابه ، وكانوا اثني عشر رجلاً (ذكر أسماء) ومنهم ليودس دكر يا يوطا ، ويقول ابن اسحق (نقلا عن رواية نصرانية) أن ليودس مقابل ثلاثين درهماً هو الذي دل الأعداء على عيسى بأن قبّله ساعة دخولهم فأخذوه فصلبوه . انتهت الرواية .  
تعليق : هذه الرواية التي اعتمد عليها ابن اسحق تنفق مع ما جاء في الأناجيل الأربعة وليودس هذا هو يهوذا الاسخريوطي .

وقيل إن عيسى عليه السلام قال : مَنْ رَضِيَ بَأَن يُلْقَى عَلَيْهِ شَبْهِي فَيُقْتَلَ دُونِي فَلَهُ الْجَنَّةُ ،  
فرضى به بعضُ أصحابه<sup>(١)</sup> ، فيقال لما صبر على مقاساة التلف لم يعد من الله الخلف<sup>(٢)</sup> ،  
قال الله تعالى : « إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا »<sup>(٣)</sup> .

ويقال لما صَحَّتْ صَحْبَةُ الرَّجُلِ مَعَ عِيسَى — عَلَيْهِ السَّلَام — بِنَفْسِهِ صَحْبَةً بِرُوحِهِ ، فَلَمَّا  
رُفِعَ عِيسَى — عَلَيْهِ السَّلَام — إِلَى مَحَلِّ الزَّلْفَةِ ، رَفَعَ رُوحَ هَذَا الَّذِي فَدَاهُ بِنَفْسِهِ  
إِلَى مَحَلِّ الْقُرْبَةِ<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ ﴾  
به قبل موته ، ويوم القيامة يكون  
عليهم شهيدا ﴿

لما حكم بأن لا أمانَ لهم في وقت اليأس لم ينفعهم الإيمان في تلك الحالة ، فَعُلِمَ أَنَّ الْعِبْرَةَ  
بأمان الحق لا بإيمان العبد .

قال جل ذكره : ﴿ قَبِظْهُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا  
عَلَيْهِمْ طُيِّبَاتٍ أَهَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَّتْهُمْ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ وَأَخَذَهُمُ  
الرُّبَا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأُكْلِهِمْ أَمْوَالُ  
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ  
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿

(١) عن ابن اسحق عن رجل كان نصرانياً وأسلم أنه ذكر له أن عيسى حين جاءه من الله إني رافعتك  
قال يا معشر الحواريين : أيكم يحب أن يكون رفيق في الجنة حتى يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكان  
فقال أحدم واسمه سرجس : أنا يا روح الله . قال : فاجلس لي مجلسي فجلس فيه ، ورفع عيسى (عم)  
فدخلوا على سرجس وصلبوه .

وفي رواية لسعيد بن جبير عن ابن عباس اتفاق كبير مع ذلك دون ذكر اسم (سرجس) .

(٢) أخطأ الناسخ إذ نقلها (الخلق) بالقاف .

(٣) آية ٣٠ سورة الكهف .

(٤) في تعبير القشيري ذلك ، ففي حالة عيسى قال (رفع) دون أن يحدد كيفية الرفع ، أبا الجسد أم بالروح  
أم بهما معاً ، وفي حالة الثاني قال (رفع روحه) ، ونفهم — من حيث المصطلح — أن الزلفة أقوى من القرية .

يقال ارتكاب المحظورات يوجب تحريم اللبّاحات .

فَمَنْ رَكِبَ مُحْظُورًا بظاهره حُرْمٌ<sup>(١)</sup> ما كان يجده من الأحوال للباحة ، والألطف الحاصلة في سرائره .

قوله جل ذكره : ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ  
وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ  
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَالْمُقِيمِينَ  
الصَّلَاةَ ، وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالْمُؤْمِنُونَ  
بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الراسخ في العلم هو ألا يكون في الدليل مُقْلَدًا ، كما لا يكون في الحكم مُقْلَدًا ، بل يضع  
النظر موضعه إلى أن ينتهي إلى حد لا يكون: للشك في عقله مساغ .

ويقال الراسخ في العلم من يرتقى عن حد تأمل البرهان<sup>(٢)</sup> ويصل إلى حقائق البيان .

ويقال الراسخ في العلم أن يكون بعلمه عاملاً حتى يفيد عمله عِلْمٌ ماخفٍ على غيره ، ففي الخبر :  
« من عمل بما علمه ورثه الله علم ما لم يعلم »<sup>(٣)</sup> .

وخص « المقيمِينَ الصلاة » في الإعراب فنَصَبَ اللفظ بإضمار أعني على المدح لما للصلاة  
من التخصيص من بين العبادات لأنها تالية الإيمان في أكثر المواضع في القرآن ، ولأن الله

---

(١) أخطأ الناسخ حين كتبها ( جرم ) بالجيم والصواب أن تكون بالخاء لا ارتباطها بتحريم المباحات  
فيما سبق .

(٢) أي ينبغي ألا يكف الإنسان على العقل وحده بل عليه أن يرتقى عن هذا الحد .  
( راجع الهامش الذي يتناول هذه القضية من هذا الكتاب )

(٣) أورده أبو نعيم في حلية الأولياء عن أنس بن مالك .  
ويرى أبو نصر السراج أن هذا العلم الموروث هو علم الإشارة ، فيكشف الله سبحانه لقلوب أصفياه المعاني  
المنخورة ، واللطائف والأسرار المحزونة وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن ... اللع من ١٤٧  
( كتاب المستنبطات ) .

— سبحانه — أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (بها) <sup>(١)</sup> ليلة المراج بغير واسطة جبريل عليه السلام . . . وغير هذا من الوجوه .

قوله تعالى « أجرًا عظيمًا » : الأجر العظيم هو الذي يزيد على قدر الاستحقاق بالعمل .

قال جل ذكره : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا

إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

ويعقوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ

وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا

دَاوُدَ زَبُورًا ﴿

إفراد النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء بالإيمان لإفرادهم بالتخصيص والفضيلة ؛ فأفرد نوحاً على ما استحقه من المقام وأفرد رسولنا عليه السلام على ما استحقه هو ، فاشتركا في الإفراد لكنهما تباينا في الفضيلة على حسب المقام ، فتفرّد واحد من بين أشكاله بغير فضائل ، وتفرّد آخر من بين أضرابه <sup>(٢)</sup> بألف فضيلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ

وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ

مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿

سنة الله في أوليائه ستر قوم ، وشهر قوم ، وبذلك جرت سنة أيضاً في الأنبياء عليهم السلام — أظهر أسماء قوم وأجل تفصيل آخرين . والإيمان واجب بجميع الأنبياء جملة وتفصيلاً ، كما أن الاحترام واجب لجميع الأولياء جملة وتفصيلاً ، وكذلك أحوال العباد ستر عليهم بعضاً وأظهر لهم بعضها ، فما أظهرها لهم — طالبهم بالإخلاص فيها ، وما سترها

(١) إضافة وضعناها ليناسك المعنى .

(٢) وردت ( أخرايه ) بالحاء وهي خطأ في النسخ والصواب ( أضرابه ) أي ( أشكاله ) التي سبقت ، والفقرة كلها غير واضحة ، وقد أثبتناها كما هي .



عليهم — فلا تله غار<sup>(١)</sup> على قلوبهم من ملاحظة أحوالهم تأهيلاً لهم للاختصاص بمحقق أفردهم بمعانيها .

« وكلم الله موسى تكليماً » : إخبار عن تخصيصه إياه باستماع كلامه بلا واسطة .

قوله جل ذكره : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾

وقف الخلق عند مقاديرهم ؛ وبين أنه أرسل إليهم الرسل فتفردوا عليهم إلى اجتناب ثوابهم ، واجتناب ما فيه استحقاق عذابهم ، وأنه ليس للخلق سبيل إلى راحة يطلبونها ولا إلى آفة يجتنبونها إما في الحال أو في المال .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ لَكَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

أنى يكون لمن له إلى الله حاجة على الله حجة ؟ ولكن الله خاطبهم على حسب عقولهم .

قوله جل ذكره : ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ

يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ شَاهِدُونَ وَكَفَى

بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

سأله الله عن تكذيب الخلق إياه بما ذكره من علم الله بصدقه ، ولذلك قال : « وكفى

بِاللَّهِ شَهِيدًا » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ

لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾

إلا طريقَ جهنم خالدين فيها أبداً ،

وكان ذلك على الله يسيراً ﴾

---

(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيره الله تعالى أن يأتي العبد المؤمن ما حرّم الله تعالى عليه ، الرسالة ص ١٢٦ وقال القشيري : إذا وصف الحق سبحانه بالغيرة فعناء أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيها هو حق له من طاعة عبده . ( الرسالة نفس الصفحة ) .

جعل صدم المؤمنين (من) <sup>(١)</sup> اتباع الحق نظير كفرهم بالله ، والله تعالى عظم حقوق أوليائه كتعظيم حق نفسه ، ثم قال : « إن الذين كفروا وظلموا » جعل ظلمهم سبيل كفرهم ، فعَلَّقَ استحقاق العقوبة المؤبدة عليها جميعاً . والظلم — وإن لم يكن كالكفر في استحقاق وعيد الأبد — فَلِشُرِّمِ الظلم لا يبعد أن يخذله الله حتى يُوَافِيَ رَبَّهُ على الكفر .

قوله جل ذكره ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرِّسَالُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

«يا أهل الكتاب» : أخبر أنه سبحانه غنى عنهم ، فإن آمنوا فحفظوا أنفسهم اكنسبوها وإن كفروا <sup>(٢)</sup> فبلايائهم لأنفسهم اجتلبوها . والحق — تعالى — مُنَزَّه الوصف عن (الجهل) <sup>(٣)</sup> لوافق أحد ، والنقص لخلاف أحد .

قوله : « وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض » يعني إن خرجوا عن استعمال العبودية — فعلاً ، لم يخرجوا عن حقيقة كونهم عبيده — خلقاً ، قال تعالى : « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » <sup>(٤)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ آخِذًا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنَّا

(١) ربما كانت (عن) فهكذا في الآية الكريمة .

(٢) في النسخة (وإن لم تكفروا) ولكنها مصححة باستدراك في الهامش (وإن كفروا) وهو الأصوب .

(٣) نظن أن الناسخ قد أخطأ في نقل هذه الكلمة فإن من عادة القشيري في مثل هذا السياق أن يذكر أن طاعة المطيع ليست زينة للحق ، ومعصية العاصي ليست شيناً له ، لأجل هذا رجح أن العبارة هنا تستقيم لو كانت (والحق تعالى منزّه الوصف عن الكمال لوافق أحد وعن النقص لخلاف أحد) .

(٤) آية ٩٣ سورة مريم .

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً  
 انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ  
 سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ  
 وَكِيلًا \* .

غُلُّوْهُمْ فِي دِينِهِمْ جَرِيْهُمُ عَلَى مَقْتَضَى حِسَابِهِمْ ؛ حَيْثُ وَصَفُوا — بِمِثَابَةِ الْخَلْقِ —  
 مَعْبُودَهُمْ ، ثُمَّ مَنَاقَضْتَهُمْ ؛ حَيْثُ قَالُوا الْوَاحِدَ ثَلَاثَةً وَالثَّلَاثَةَ وَاحِدًا<sup>(١)</sup> ، وَالتَّمَادَى فِي الْبَاطِلِ لَا يَزِيدُ  
 غَيْرَ الْبَاطِلِ .

قوله جل ذكره : \* لَنْ يَسْتَنْفِكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ  
 عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ  
 وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسْكِبْ  
 فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ  
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ  
 أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ \*

كيف يستنكف عن عبوديته وبالعبودية شرفه ، وكيف يسنكبر عن التذلل  
 وفي استكباره تكلفه ، ولهذا الشأن نطق المسيح أول ما نطق بقوله : إني عبد الله ، ونجمل العبيد  
 في التذلل للسادة ، هذا معلوم لا ندخله رتبة<sup>(٢)</sup> .

وقوله : « وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ » لا يدل على أنهم أفضل من المسيح ، لأنه إنما خاطبهم  
 على حسب عقائدهم ، والقوم اعتقدوا تفضيل الملائكة على بني آدم .

---

(١) الثلاثة إما أن يكون مقصوداً منها : الله والمسيح ومريم ، وإما — كما ورد في الأنجيل — الأب  
 والابن والروح القدس ، وسواء انصرف إلى هؤلاء أم إلى أولئك فإنه شرك محض تولى القرآن الكريم  
 تنفيده في مواضع شتى .  
 (٢) وردت ( رتبة ) ولا نحسب أن لها معنى هنا ، ونرجح أنها في الأصل ( رتبة ) أي هذا معلوم  
 لا شك فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكَبرُوا

فيعذبهم عذاباً أليماً ، ولا يجدون لهم

من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾

العذاب الأليم ألا يصلوا إليه <sup>(١)</sup> أبداً بعدما عرفوا جلاله ، فإذا صارت معارفهم ضرورية <sup>(٢)</sup> فإنهم يعرفون أنهم عنه بقوا <sup>(٣)</sup> ، فحسراتهم حينئذ على ما فاتهم أشد عقوبة لهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

البرهان ما لاج في سرائرهم من شواهد الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مبيناً ﴾

وهو خطابه الذي في تأملهم معانيه حصول استبصارهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ <sup>(٤)</sup> واعتصموا به

فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ﴾

« سيدخلهم في رحمته » : والسين للاستقبال أى يحفظ عليهم إيمانهم في المال <sup>(٥)</sup> عند التوفى ، كما أكرمهم بالعرفان والإيمان في الحال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

---

(١) أى يقطع بينهم وبين رؤيته سبحانه ، وفي هذا يقول ذو النون ( خوف النار إذا قيس إلى خوف القطع عن المحبوب كقطرة الماء تنذف في أعظم المحيطات .

ويقول بعضهم : إلهى إذا شئت أن تعذبني فألقني إلى النار ولا تعذبني بهذا الحجاب .

(٢) قلنا من قبل في هامش سابق - نقلا عن مذهب القشيري : إن المعرفة في البداية كسبية وفي الانتهاء ضرورية ، ومعنى الكلام هنا أنهم يحرمون من أعظم الأشياء متعة بعد ما لاحت لهم بعض المعارف . . وذلك غاية في التعذيب .

(٣) ( عنه بقوا ) البقاء عن الله سبحانه أشد أنواع العقاب .

(٤) سقطت ( بالله ) من النسخ فأثبتناها في موضعها .

(٥) وردت ( المال ) ويلزم وضع المد على الألف لتكون ( المال ) وقد تكرر هذا في مواضع كثيرة فيما سبق .

هذه الهداية هي إكرامهم بأن عرفوا أن هذه الهداية من الله لهم فضل لا لأنهم استوجبوها بطلبهم وجهدهم ، ولا بتعبهم وكدهم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ  
إِنْ أَمْرٌ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ  
فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بِرِثُهَا  
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ  
فَلَهُمَا الشُّلْثَانُ مِمَّا تَرَكَ ، وَإِنْ كَانُوا  
إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ  
حَظِّ الْأُنثَيْنِ ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ  
تَقْضُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قطع الخصومة بينهم في قسمة<sup>(٢)</sup> الميراث فيما أظهر لهم من النص على الحكم ، فإن المال محبب إلى الإنسان ، وجبكت النفوس على الشح ؛ فلو لم ينص على مقادير الاستحقاق ( لقابلة الاشياء )<sup>(٣)</sup> في الاجتهاد ، فكان يؤدي ذلك إلى التجاذب والتواشب ؛ فحسم تلك الجملة بما نص على المقادير في الميراث قطعاً للخصام . ولتوريثه للنسوان — وإن لم يوجد منهن الذب عن العشرة — دلالة على النظر لضعفهن . وفي تفضيل الذكور عليهن لما عليهم من حمل<sup>(٤)</sup> المؤن وكذا السعي في تحصيل المال ، والقيام عليهن .

- 
- (١) يهدف القشيري دائماً إلى أن يعود بكل شيء إلى فضل الله ، وأن يشعر العبد دائماً بأن عمله ليس وحده كافياً للنجاة ، فإذا طالع العبد نفسه في شيء ما ففي ذلك وبال عليه .  
(٢) وردت ( بالصاد ) والصواب أن تكون بالسين ، وربما كانت ( قضية ) في الأصل .  
(٣) هكذا في النسخة ( م ) ونرجح أنها في الأصل ( لقابلة الاشتباه ) في الاجتهاد أي ان النص على المواريث ازال كل اشتباه ينجم من الاجتهاد .  
(٤) وردت ( بحمل ) ونرجح أنها في الأصل : ( حل ) فقبلها جار .  
( حاشية ) لم يتعرض القشيري لمعنى ( الكلاله ) ولقد كنا نود لو أوضح الرأي فيها ، خصوصاً وأن موضوعها منهم ، وتسمى هذه الآية الأخيرة من سورة النساء بآية الصيف ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك يعني ابن مقل يقول سمعت الفضل بن عمرو عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاله فقال : « بكفبك آية الصيف » فقال لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أحب إلى من أن يكون لي حمر النعم .

## السورة التي تذكر فيها المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تسماع اسم الله يُوجبُ الهيبة ، (والهيبة) <sup>(١)</sup> تتضمنُ الفناء والغيبة ، وسماع الرحمن الرحيم يوجب الحضور والأوبة ، والحضور يتضمنُ البقاء والقربة .

فمن أسمعهُ « بسم الله » أدهشه في كشف جلاله ، ومن أسمعهُ « الرحمن الرحيم » غيَّشه بلطفِ أفضاله .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

« يا » حرف نداء ، و « أى » اسم منادى ، « ها » تنبيه ، و « الذين آمنوا » صلة للنادى . ناداهم قبل أن يدام ، وسمَّاهم قبل أن يرام ، وأهلَّهم في آزاله لِمَا أوصلهم إليه في آباده .

شَرَّفهم بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ، وكَلَّفهم بقوله « أوفوا » ، ولمَّا عَلِمَ أن التكليف يوجب المشقة قدَّم التشريف بالثناء على التكليف الموجب للعناء .

ويقال الإيمانُ صنفان : أحدهما يشير إلى عين الجود ، والثاني إلى بذل المجهود . فَبَذَلُ المجهودِ خِدْمَتُكَ ، وعين الجود قِسْمَتُهُ ؛ فبخدمتك عناء الأشباح ، وبقسمته ضياء الأرواح .

وحقيقة الإيمان نَحَقُّ القلب بما أخبر من الغيب .

ويقال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » : يا مَنْ دخلوا في إيماني ، ما وصلتم إلى أمانى إلا بسابق إحساني .  
ويقال يا مَنْ فتحتُ بصيرتهم لشهود حقى حتى لا يكونوا كمن أعرضتُ عنهم مِنْ خَلْقِي .

---

= وذكر الإمام أحمد بإسناد آخر أكثر صحة مما سبق .

ومن الأقوال التي ذكرت عن الكلالة أنها مأخوذة من الإكليل الذى يحيط بالراس من جوانبه ولهذا فسرّها أكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ، ومن الناس من يقول الكلالة من لا ولد له كما دلت عليه الآية ( إن امرؤ هلك ليس له ولد ) .

(١) أضفناها لأن السياق يستدعيها ، إذ توجب أنها سقطت في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿أوفوا بالعقود﴾

كُلُّ مُكَلَّفٍ مُطَالَبٌ بالوفاء بعقده ، والعقد ما أُلْزِمَكَ بِسابق إيجابه ، ثم وَفَّقَكَ — بعدما أظهرَكَ عند خطابه — بجوابه <sup>(١)</sup> ، فأنبرم العقد بمحصول الخطاب ، والقبول بالجواب .  
ويدخل في ذلك — بل يلتحق به — ما عَقَدَ القلبُ معه سِرًّا بَسْرًا ؛ من خلوص له أضمره ، أو شيء تبينه ، أو معنى كوشف به أو طولب به فقبِله .

ويقال الوفاء بالعهد بصفاء القصد ، ولا يكون ذلك إلا بالتبرُّى من اللئنة ، والتحقق بتولى الحق — سبحانه — بلطائف المنة <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَيْمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى

عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾

تحليل بعض الحيوانات وإباحتها من غير جُرْمٍ سَبَقَ منها ، وتحريم بعضها وللعن من ذبحها من غير طاعة حصلت منها — دليلٌ على ألاَّ عِلَّةَ لِمَنْعِهِ .

وحرَّم الصيد على الْمُحْرَمِ خصوصاً لأنَّ الْمُحْرَمَ متجرِّدٌ عن نصيب نفسه بقصده إليه ، فالأليق بصفاته كُفُّ الأذى عن كل حيوان .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

لا حَجَرَ عَلَيْهِ في أفعاله ، فيخصُّ من يشاء بالتعصُّ ، ويفرد من يشاء باليلوى ؛ فهو يُعْضِي الأمور في آباده على حسب ما أراد وأخبر وقضى في آزاله .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾

الشعائر معالم الدِّينِ ؛ وتعظيم ذلك وإجلاله خلاصة الدين ، ولا يكون ذلك إلا بالامتناع عند هجوم التقدير ، والتزام الأمر بجميل الاعتناق ، وإخلال الشعائر (يكون) بالإخلال بالأوامر .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ

وَلَا الْقُلَائِدَ﴾

(١) يشير القشيري إلى قوله تعالى يوم الدين : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى » .

(٢) يفرِّق القشيري بين لئنة العبد واللئنة للحق .



تعظيم المكان الذي عظمه الله ، وإكرامُ الزمان الذي أكرمه الله . وتشريف الإعلام على ما أمر به الله — هو المطلوب من العبيد أمراً ، والمحجوب منه حالاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا آمِنُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَتَفَوَّنُوا فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً ﴾

وبالحرى لمن يقصد البيت ألا يخالف رب البيت .

والابتغاء للفضل والرضوان بتوقُّي موجبات السخط ، ومجانبة العصيان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾

وإذا خرجتم عن أمر حقوقنا فارجموا إلى استجلاب حظوظكم ، فأما ما دمنتم تحت قهر بطشنا فلا نصيب لكم منكم ، وإنكم لنا .

قوله « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ . . . » أي لا يحملكم بغض قومٍ لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام على ألا تجاوزوا حدَّ الإذن في الانتقام ، أي كونوا قاتمين بنا ، منجدين عن كل نصيب وحظٍ لكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

البرُّ فعلٌ ما أُمِرْتَ به ، والتقوى تركُ ما زُجِرْتَ عنه .

ويقال البرُّ إثبات حقه — سبحانه ، والتقوى تركُ حظِّك .

ويقال البرُّ موافقة الشرع ، والتقوى مخالفة النفس .

ويقال المعاونة على البرِّ بحُسن النصيحة وجيل الإشارة للمؤمنين ، والمعاونة على التقوى بالتبض على أيدي اللطائين بما يقتضيه الحال من جميل الوعظ ، وبلغ الزجر ، وتمام المنع على ما يقتضيه شرط العلم .

والمعاونة على الإثم والعدوان بأن تعمل شيئاً مما يقتدى بك لا يرضاه الدين ، فيكون قولك الذي تفعله ويقتدى بك ( فيه ) سُنَّةً تظهرها و( عليك ) نبؤٌ وزرّها . وكذلك المعاونة

على البر والتقوى أى الانصاف بحميل الخصال على الوجه الذى يُقْتَدَى بك فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

العقوبة ما تعقب الجرم بما يسوء صاحبه . وأشد العقوبة حجاب المُعَاقِبِ عن شهود المُعَاقِبِ ؛ فَإِنَّ تَجَرُّعَ كَاسَاتِ الْبَلَاءِ بِشُهودِ الْمُبْلِي أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَالشَّهْدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَاللَّهُمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ .

وأكل الميتة أن تتناول من عَرَضَ أخيك على وجه الغيبة<sup>(١)</sup> ، وليس ذلك مما فيه رخصةٌ بحالٍ لا بالاضطرارٍ ولا بالاختيارٍ ، وغير هذا من المَيْتَةِ مباحٌ في حالِ الضرورة .

ويقال كما أنَّ في الحيوان ما يكون المزكى منه مباحاً والميتة منه حراماً فكذلك من ذبح نفسه بسكاكين المجاهدات وطهر نفسه — مباحٌ قربه ، حلال صحبته . ومن ماتت نفسه في ظلمة غفلته حتى لا إحساس له بالأمور الدينية فخيثة نفسه ، محظورٌ قربه ، حرام معاشرته ، غيرُ مباركةٍ صحبته .

وإنَّ السلف سموا الدنيا خنزيرةً ، ورأوا أنَّ ما يُلْهِى قربه ، ويُنْسِي المعبودَ ركوته ، ويحمل على العصيان جنوحه — فهو مُحَرَّمٌ على القلوب ؛ ففي طريقة القوم حبُّ الدنيا حرامٌ على القلوب ، وإن كان إمساكُ بعضها حلالاً على الأبدان والنفوس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ .

كما أنَّ للذبوح على غير اسمه ليس بطيبٍ قَمَنْ بَذَلَ رُوحَهُ فِيهِ وَجَدَ رُوحَهُ مِنْهُ ، ومن تهاشته كلاب الدنيا ، وقلته مخالف الأطماع ، وأسْرَتْهُ مَطَالِبُ الْأَغْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ — فحرامُ ماله على أهل الحقائق في مذهب التعرز ، فلشريعة الظرف والتقدير .

وأما المنخنقة فالإشارة منه إلى الذى ارتبك في حبال المنى والرغائب ، وأخذ خناق

---

(١) يشير القشيري بذلك إلى قوله تعالى : « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ... » .

الطمع ، وخنقته سلاسل (الحرص) <sup>(١)</sup> فحرامٌ على السالكين سلوك خطتهم ، ومحذور على المريدين متابعة مذهبهم .

وأما الموقوذة فالإشارة منها إلى نفوس جُبلت على طلب الحسائس حتى استملكها كلها فهي التي ذهبت بلا عوض حصل منها ، وأمثال ذلك حرامٌ على أهل هذه القصة .

والإشارة من المتردية إلى من هلك في أودية التفرقة ، وعى عن استبصار رشد الحقيقة ، فهو يهيم في مفاوز الظنون ، وينهك في مناهات المنى .

والإشارة من النطيحة إلى من صارَعَ الأمثال ، وقارع الأشكال ، وناطح كلاب الدنيا فخطموه بكلب حرصهم ، وهزموه بزيادة تكلمهم ، وكذلك الإشارة من :

قوله جلّ ذكره : ﴿ وما أكل السبع إلا ما ذكّيت ﴾ .  
وأكلة السبع ما ولدت فيه كلاب الدنيا ، فإن الدنيا جيفة ، وأكلة الجيف الكلاب ويستثنى منه الزكي وهو ما تقرر من متاع الدنيا لله ؛ لأن زاد المؤمنين من الدنيا : ما كان لله فهو محمود ، وما كان للنفس فهو مذموم .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وما ذُبحَ على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ .

فهو ما أُرصدَ لغير الله ، ومقصودٌ كلّ حريصٍ — بموجب شرعه — معبوده من حيث هواه قال الله تعالى . « أفرايت من اتخذ إلهه هواه » يعنى اتخذ هواه إلهه .

« وأن تستقسموا بالأزلام » ، الإشارة منه إلى كل معاملة ومُصاحبة يُنيت على استجلاب الحظوظ الدنيوية — لا على وجه الإذن — إذ القمار ذلك معناه . وقلّت المعاملات المجردة عن هذه الصفة فيما نحن فيه من الوقت .

قوله جلّ ذكره : ﴿ ذلِكُمْ فَسْقٌ ﴾

أى إيثار هذه الأشياء انسلاخ عن الدين .

---

(١) وردت (الحرس) وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من

دينكم فلا تخشوهم واخشون ﴾

أى بعدما أزمحتم عن قلوبكم آثار الحسبان ، وتحققتم بأن المتفرد بالإبداع نحن ، فلا تلاحظوا سواي ، ولا يظللن قلوبكم إشتاق من غيري .

ويقال إذا كانت البصائر متحققة بأن النفع والضرر ، والخير والشر لا تحصل شظية منها إلا بقدرة الحق — سبحانه ، فمن المحال أن تنطوي — من مخلوق — على رغب أو رهب .

قوله جل ذكره : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾

إكمال الدين — وقد أضافه إلى نفسه — صوته العقيدة عن النقصان ؛ وهو أنه لما أزعج قلوب المتعرفين لطلب توحيده أممها بأنوار تأييده وتسديده ، حتى وضعوا النظر موضعه من غير تقصير ، وحتى وصلوا إلى كمال العرفان من غير قصور .

ويقال إكمال الدين تحقيق القبول في المال ، كما أن ابتداء الدين توفيق الحصول في الحال ؛ فلولا توفيقه لم يكن للدين حصول ، ولولا تحقيقه لم يكن للدين قبول .

ويقال إكمال الدين أنه لم يبق شيء يعلمه الحق — سبحانه — من أوصافه وقد علمك .

ويقال إكمال الدين أن ما تقاصر عنه عقلك من تعيين صفاته — على التفصيل — أكرمك بأن عرفك ذلك من جهة الإخبار .

ولما أراد بذكر « اليوم » وقت نزول الآية . وتقييد الوقت في الخطاب بقوله « اليوم » لا يعود إلى عين إكمال الدين ، ولكن إلى تعريفنا ذلك الوقت .

والدين موهوب ومطلوب ؛ فالمطلوب ما أمكن تحصيله ، والموهوب ما سبق منه حصوله .

قوله جل ذكره : ﴿ وأنعمت عليكم نعمتي ﴾

النعمة — على الحقيقة — ما لا يقطعك عن المنعم بل يوصلك إليه ، والنعمة المذكورة

ها هباتمة الدين ، وإتمامها وفاء المال ، واقتران الغفران وحصوله . فأكمال الدين تحقيق المعرفة ، وإتمام النعمة تحصيل المغفرة . وهذا خطاب لجماعة المسلمين ، ولا شك في مغفرة جميع المؤمنين ، وإنما الشك يعتري في الآحاد والأفراد هل يبقى على الإيمان ؟

قوله جل ذكره : ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾

وذلك لما قسم للخلق أديانهم ؛ فخصّ قوماً باليهودية ، وقوماً بالنصرانية ، إلى غير ذلك من النحل والملل ، وأفرد المسلمين بالتوحيد والغفران .

وقدّم قوم الإكمال على الإتمام ، فقالوا : الإتمام يقبل الزيادة ، فلذلك وصف به النعمة لقبول النعم للزيادة ، ولا رتبة بعد الكمال فلذلك وصف به الدين .

ويقال لا فرق بين الدين والنعمة المذكورة ها هنا ، وإنما ذكر بلفظين على جهة التأكيد ، ثم أضافه إلى نفسه فقال : « نعمتي » وإلى العبد فقال : « دينكم » . فوجه إضافته إلى العبد من حيث الاكتساب ، ووجه إضافته إلى نفسه من حيث الخلق . فالدين من الله عطاء ، ومن العبد عناء<sup>(١)</sup> ، وحقيقة الإسلام الإخلاص والالتقياد والخضوع لجرىان الحكم بلا نزاع في السر .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَن اضْطُرَّ فِي مَخْصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ

لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الإشارة من هذه الآية أنه لو وقع لسالك فترة ، أو لمريد في السلوك وقفة ، ثم تنبه لمعظم واقعه فبادر إلى جميع الرجعة باستشعار التحسر على ما جرى تداركت الرحمة ، ونظر الله — سبحانه — إليه بقبول الرجعة .

والإشارة من قوله « غير متجانف لإثم » أي غير معرج على الفترة ، ولا مستديم لعقبة الإصرار ، وبمحتمل أن يكون معناه من نزل عن مطالبات الحقائق إلى رخص العلم لضعف وجدّه في الحال فربما تجرى معه مُساهلة إذا لم يفسخ عقد الإرادة .

(١) هذه العبارة تساوي في المعنى ما سبق ذكره ان « الدين موهوب ومطلوب » والمقصود بالعناء أن الدين معاناة وممارسة من جانب العبد .

قوله جل ذكره : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل  
أحل لكم الطيبات وما علمتم من  
الجوارح مكليين تعلقونهم مما علمكم  
الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم ،  
واذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله  
إن الله سريع الحساب ﴾

لما علموا أن الحسن من أفعالهم ما ورد به الأمر وحصل فيه الإذن تعرفوا ذلك من  
تفصيل الشرع ، فقال : « يسألونك ماذا أحل لهم » ثم قال :  
« قل أحل لكم الطيبات » وهو الحلال الذي تحصل من تناوله طيبة القلوب فإن أكل  
الحرام يوجب قسوة القلب ، والوحشة مقرونة بقسوة القلب ، وضياء القلوب وطيب  
الأوقات متصل بصون الخلق عن تناول الحرام والشبهات .

وقوله : « وما علمتم من الجوارح مكليين » : ولما كان الكلب المعلم ترك حظه ،  
وأمسك ما اصطاده على صاحبه حلت فريسته ، وجاز اقتناؤه ، واستغرق في ذلك حكم خساسته  
فكذلك من كانت أعماله وأحواله لله — سبحانه — مختصة ، ولا يشوبها حظ تجل رتبته  
وتعلو حالته .

ويقال حسن الأدب يلحق الأخسة برتبة الأكابر ، وسوء الأدب يرُدُّ الأعرزة  
إلى حالة الأصاغر .

ثم قال : « واذكروا اسم الله عليه » : بين أن الأكل — على الغفلة — غير مرضي  
عنه ( في القيمة )<sup>(١)</sup>

« واتقوا الله إن الله سريع الحساب » بحيث لا يشغله شأن عن شأن ، وسريع الحساب  
— اليوم — مع الأحاب والأولياء ، فهم لا يسأمحون في ( الخطوة )<sup>(٢)</sup> ولا في اللحظة ،  
معجل حسابهم ، مضاعف — في الوقت — نوابهم وعقابهم .

(١) وضعت ( في القيمة خطأ ) بعد سريع الحساب وقد أثبتناها في موضعها الصحيح .

(٢) وبما كانت في الأصل ( الخطرة ) بالراء فالأكابر يحاسبون على أدق شاطر ينخطر على قلوبهم .

قوله جل ذكره ﴿اليوم أُحِلُّ لَكُمْ الطيباتُ وطعامُ  
الذين أوتوا الكتابَ حِلٌّ لَكُمْ  
وطعامكم حِلٌّ لَهُم وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ  
الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا  
آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ  
مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَخَدِّينَ أَخْدَانٍ ،  
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ  
وهو في الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿

ليس الطَّيِّبُ ما تستطيبه النفوس، ولكن الطيب ما يوجد فيه رضا الحق — سبحانه —  
فتوجد عند ذلك راحة القلوب .

« وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم » : القَدْرُ الذي بيننا وبينهم من الوفاق في إثبات  
الربوبية لم يَعرَّ من أثرٍ في القربة فقال الله تعالى : « ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين  
قالوا إنا نصارى » <sup>(١)</sup>

وكذلك الأمر في المحصنات من نسائهم . وأُحِلَّ الطعامُ والذبيحةُ بيننا وبينهم من الوجهين  
فيحلُّ لنا أكل ذبائحهم ، ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحنا ، ولكن التزوج بنسائهم يجوز لنا ،  
ولا يجوز تزوجهم بنسائنا لأن الإسلام يعلو ولا يُعْلَى .

ثم قال « محصنين غير مسافحين » يعني إناهم وإن كانوا كفاراً فلا تجب صحتهم بغير  
نكاح تعظيماً <sup>(٢)</sup> لأمر السفاح ، وتنبيهاً على وجوب مراعاة الأمر من الحق . وكذلك  
« ولا متخذي أخدان » لأنه إذا لم يجر تعلق قلبك بالمومنين على وجه المخادنة فتى يسلم ذلك  
مع الكفار الذين هم الأعداء ؟

قوله جل ذكره : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ

(١) آية ٨٢ سورة المائدة .

(٢) تعظيماً هنا معناها تهويلاً واستبشاعاً .



فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق  
وامسحوا برءوسكم وأرجلكم  
إلى السكبين \*

كما أن في الشريعة لا تصح الصلاة بغير الطهور فلا تصح — في الحقيقة — بغير طهور .  
وكما أن للظاهر طهارة فالسرائر أيضاً طهارة ، وطهارة الأبدان بماء السماء أى للطر ، وطهارة  
القلوب بماء الندم والخجل ، ثم بماء الحياء والوجل .

وكما يجب غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة يجب — في بيان الإشارة — صيانة الوجه  
عن التبذل للأشكال عن طلب خسائس الأعراض .

وكما يجب غسل اليدين في اليدين في الطهارة يجب قصرهما عن الحرام والشبهة .

وكما يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والخفض لكل أحد .

وكما يجب غسل الرجلين في الطهارة يجب صونهما في الطهارة الباطنة عن التنقل فيما لا يجوز

قوله جل ذكره : \* وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْبُؤْا وَإِنْ كُنْتُمْ

مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ

مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لِمَسَمَسِ النِّسَاءِ فَلَمْ

تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ \*

كما يقتضى غسل جميع البدن في الطهارة . كذلك في الطهارة الباطنة ما يوجب الاستقصاء ،  
وذلك عندما تقع للمريد فترة فيقوم بتجديد عقده ، وبأكيد عهده ، والتزام عزامة ، وتسليم  
وقت ، واستدامة ندامة ، واستشعار خجل .

وكما أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذلك إذا لم يجد المريد من يفيض عليه  
صوب همة ، ويغسله بركات إشارته ، ويعينه بما يثوب به من زيادة حالته — اشتغل  
بما تيسر له من اقتفاء آثارهم ، والاستراحة إلى ما يجد من سالف سيرهم ، وما ورد  
من حكاياتهم

وكأن فرض التيمم على الشطر والنقصان فكذلك المطالبات على إصفاء هذه الحالة تكون أخف لأنه وقت الفترة وزمان الضعف .

قوله جل ذكره : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾  
وتلوح من هذه الجملة الإشارة إلى أنه إذا بقي المريد عن أحكام الإرادة فليحطط رجليه بساحات العبادة ، فإذا عديم اللطائف في سرائره فليستدِم الوظائف على ظاهره ، وإذا لم يتحقق بأحكام الحقيقة فليستخلق بآداب الشريعة ، وإن لم يتخرج عن تركه الفضيلة فلا يدنس تصرفه بالحرام والشبهة .

قوله جل ذكره : ﴿ ولكن يريد ليظهركم ﴾

أى يظهر ظواهركم عن الزلة بعصته ، ويظهر قلوبكم عن الغفلة برحمته .  
ويقال يظهر سرائركم عن ملاحظة الأشكال ، ويظهر ظواهركم عن الوقوع في شباك الأشغال .

ويقال يظهر عقائدكم عن أن تتوهموا تدثس المقادير بالأعلال .

قوله جل ذكره : ﴿ وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾

إتمام النعمة على قوم بنجاة نفوسهم ، وعلى آخرين بنجاتهم عن نفوسهم ، وشتان بين قوم وقوم ١ .

ويقال إتمام النعمة في وفاء العاقبة ؛ فإذا خرج من الدنيا على وصف العرفان والإيمان فقد تمت سعادته ، وصفت نعمته .

ويقال إتمام النعمة في شهود المنعم ؛ فإن وجود النعمة لكل أحد ولكن إتمامها في شهود المنعم .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه

الذى واتاكم به ﴾

الإشارة منه إلى التعريف السابق الذى لولاه ما علمت أنه من هو .

ويقال أمرهم بتذكّر ما سبق لهم من القسم وهم في كتم العدم ، فلا للأغيار عنهم خبر ،

ولا لهم عين ولا أثر ، ولا وقع عليهم بصيرة ، وقد ( سحاهم )<sup>(١)</sup> بالإيمان ، وحكم لهم بالنفرا  
قبل حصول العصيان ، ثم لما أظهرهم وأحياهم عرفهم التوحيد قبل أن كلفهم الحدود ، وعرض  
عليهم بعد ذلك الأمانة وحذرهم الخيانة ، فقابلوا قوله بالتصديق ، ووعدوا من أنفسهم الوفاء  
بشرط التحقيق ، فأمدتهم بحسن التوفيق ، وثبتتهم على الطريق ، ثم شكرهم حيث أخبر عنهم  
بقوله جل ذكره : « إذ قلتم سمعنا وأطعنا » .

ثم قال : « واتقوا الله » : يعنى فى تقضى ما أبرمت من العقود ، والرجوع عما قدمتم من  
العهد ، « إن الله عليم بذات الصدور » لا يخفى عليه من خطرات قلوبكم ونيات صدوركم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ  
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾

لا يُعَوِّقُكُمْ حصولُ نصيبٍ لكم فى شىء عن الوفاء لنا ، والقيام بما يتوجب عليكم  
من حقنا .

ويقال من لم يقسط عنه مواعد رغائبه ، ولم يحج عنه نواجم شهواته ومطالبه لم يتم لله بحق  
ولم يفِ لواجباته بشرط .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى  
أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

أى لا تحملكم ضغائن صدوركم على الحلول بجنابات الخيف فإن مرتفع العلم وبه ،  
ومواضع الزيف مهلكة .

ثم صرح بالأمر بالعدل فقال : « اعدلوا » ولا تكون حقيقة العدل إلا ( بالعدل )<sup>(٢)</sup>  
عن كل حظ ونصيب .

---

(١) ترجح أنها فى الأصل ( وسمهم ) فالوسم فى الاصطلاح تتعلق بالأذى وهذا يتفق مع السياق .

(٢) وردت ( بالدوان ) والصواب أن تكون ( بالعدل ) كما هو واضح .

والعدلُ أقربُ إلى التقوى ، وألحوزُ أقربُ من الردى ، ويوقعُ عن قريبٍ  
في عظيمِ البلوى .

قوله جل ذكره : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾

والمغفرة لا تكون إلا للذنوب ، فوصفهم بالأعمال الصالحات ، ثم وعدهم المغفرة ليُعلم أن  
العبد تكون له أعمال صالحة وإن كانت له ذنوب تحتاج إلى غفرانها ، بخلاف ما توهم من قال  
إن المعاصي تحبط الطاعات .

ويقال بين أن العبد وإن كانت له أعمال صالحة فإنه يحتاج إلى عفوهِ وغفرانه ،  
ولولا ذلك لهلك ، خلافاً لمن قال إنه لا يجوز أن يعذبَ البريء ، ويجب أن يشب  
المحسنين<sup>(١)</sup> .

ويقال لو كان ثوابُ المحسنين واجباً ، وعقوبةُ البريء غيرَ حسنة لكان التجاوزُ عنه  
واجباً عليه ، ولم يكن حينئذ فضل يمن به عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا  
أولئك أصحاب الجحيم ﴾ .

لهم عقوبتان : معجلة وهي الفراق ، ومؤجلة وهي الاحتراق .

قوله جل ذكره : ﴿ يأياها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله  
عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم  
أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا  
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

يذكّرهم ماسلف لهم من نعم الدفع<sup>(٢)</sup> وهو ما قصر عنهم أيدي الأعداء ، وذلك من أمارات

---

(١) يشير القشيري بذلك إلى أقوال المعتزلة بوجوب إثابة المطيع ومعاقبة العاصي — على الله . فلا وجوب —  
في نظره — على الله ، وإنما كل شيء منه فضل ، ولا قيمة لعمل العبد بجانب هذا الفضل .

(٢) يميز القشيري بين نعمتين : نعمة دفع ونعمة نفع .

العناية . ولقد بالغ في الإحسان إليك مَنْ كان يُظْهر لك الغيبَ من غير التماسٍ أو سبقِ شفاعَةٍ فيكَ ، أو رجاءٍ نفعٍ من المستأنف<sup>(١)</sup> منك ، أو حصول ربحٍ في الحال عليك ، أو وجود حق في المستأنف لك .

ثم قال : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » يعني كما أحسنت إليكم في السالف من غير استحقاق فانتظروا جميل إحسانى في ( الغابر )<sup>(٢)</sup> من غير ( استيجاب )<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاقَ بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم ﴾ .

يذكرهم حُسْنَ أفضاله معهم ، وقبح ( فعلهم )<sup>(٤)</sup> في مقابلة إحسانه بنقضهم عهدهم . وعرف المؤمنين — تحذيراً لهم — ألا ينزلوا منزلتهم فيستوجبوا مثل ما استوجبوه من عقوبتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ لئن أقم الصلوة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتهم ﴾ .

أى لئن قمتم بحقي لأوصلن إليكم حظوظكم ، ولئن أجزلتكم أمرى في العاجل لأجلن قدركم في الآجل .

وإقامة الصلاة أن تشهد مَنْ تعبد به ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه » .

ويقال إقامة الصلاة شرطها أن تقبل على مَنْ تناجيه بأن تستقبل القطر الذى الكعبة فيه . وأما إيتاء الزكاة فحقه أن تكسب المال من وجهه ، وتصرفه في حقه ، ولا تمنع الحق

---

(١) أى ما يمكن أن تقدمه من طاعات في المستقبل ، فالله فى عنه .

(٢) نرجح أنها ( الحاضر ) حتى ينسجم السياق فإن ( الغابر ) و ( السالف ) بمعنى ( الماضى ) .

(٣) يعنى استحقاق .

(٤) وردت ( فعلهم ) بضم زائدة من الناسخ .

الواجب فيه عن أهله ، ولا تؤخر الإيتاء عن وقته ، ولا تُحَوِّج الفقير إلى طلبه فإنَّ الواجب عليك أن توصل ذلك إلى مستحقه .

وتعزير<sup>(١)</sup> الرسل الإيمان بهم على وجه الإجلال ، واعتناق أمرهم بتمام الجِد والاستقلال ، وإيثارهم عليك في جميع الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

الأغنياء ينفقون أموالهم في سبيل الله ، والفقراء يبذلون مهجتهم وأرواحهم في طلب الله ، ( فأولئك )<sup>(٢)</sup> عن مائتي درهم يُخْرِجُونَ خَمْسَةً ، وهؤلاء لا يدخرون عن أمره نَفْسًا ولا ذرَّة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا كِفْرَ عَنْكُمْ مِثْنَاتِكُمْ وَلَا دَخَلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

التكفير هو الستر والتغطية ، وإنه يستر الذنوب حتى عن ( العاصي )<sup>(٣)</sup> فيمحو من ديوانه ، وينسى الحَفْظَةَ سِوَالف عَصِيَانِهِ . وينفي عن قلبه تذكر ما أسلفه ، ولا يوقفه في العرصة على ما قدَّم من ذنبه ، ثم بعد ذلك يدخله الجنة بفضلِه كما قال : ﴿ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، كما قيل :

ولما رضوا بالعفو عن ذى زلة حتى أنالوا كفه وازدادوا

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

فَمَنْ جَحَدَ هَذِهِ الْأَيَادِي بَعْدَ اتِّضَاعِهَا فَقَدْ عَدَلَ عَنْ تَهْتِجِ أَهْلِ الْوَفَاءِ ، وَحَادَ عَنْ سَنَنِ أَصْحَابِ الْوَلَاءِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَبِمَا تَقَضَّيْتُمْ مِثْقَاتِهِمْ لَعْنَاهُمْ ﴾

جعل جزاء العصيان الخذلان للزيادة في العصيان .

---

(١) وردت ( وتزوم ) والصحيح ( وتعزير ) والنور في اللغة الرد ومعناها هنا ردتهم عنهم أعداءهم ونصرتهم .

(٢) وردت ( فهؤلاء ) وقد جعلناها أولئك إشارة إلى البعيد لتمييز كل فريق .

(٣) وردت ( العاصي ) بالميم والصواب بدونها فهكذا يتطلب السياق .

قوله جل ذكره : ﴿وجعلنا قلوبهم قاسيةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ  
عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾

وتحريفهم الكلم عن مواضعه نوعٌ عصيان منهم ، وإنما حرّفوا لتساوة قلوبهم . وقسوة  
القلب عقوبة لهم من قِبَلِ اللَّهِ تعالى على ما تقضوه من العهود ، وتقض العهد أعظمُ وزرٍ يلم به  
العبد ، والعقوبة عليه أشدُّ عقوبة يُعاقَبُ بها العبد ، وقسوة القلب عدم التوجع مما يُمتَحَنُ به  
من الصدِّ ، وعن قريبٍ يُمتَحَنُ بمحنة الرد بعد الصدِّ<sup>(١)</sup> ، وذلك غاية الفراق ، ونهاية البعد .  
ويقال قسوة القلب أولها فَقْدُ الصفة ثم استيلاء الشهوة ثم جريان الهفوة ثم استحكام  
القسوة ، فإن لم يتفق إقلاع عن هذه الجملة فهو تمام الشقوة .

ومن تحريف الكلم — على بيان الإشارة — حَلُّ الكلم على وجوه من التأويل مما تسوّل  
لصاحبه نفسه ، ولا تشهد له دلائل العلم ولا أصله<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

أَوَّلُ آفَاتِهِمْ نسيانهم ، وما عصوا ربهم إلا بعد ما نسيوا ، فالنسيان أول العصيان ،  
والنسيان حاصلٌ من الخذلان .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ  
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾

الخيانة أمرها شديد وهي من الكبار أبعد ، وعليهم أشدُّ وأصعب . ومن تعود اتباع  
الشهوات ، وأُشْرِبَ في قلبه حُبُّ الخيانة فلا يزال يعيش بذلك الخُلُقَ إلى آخر عمره ،  
اللهم إلا أن يجودَ الحقُّ — سبحانه — عليه بجبيل اللطف .

قوله جل ذكره : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ  
الْحَسَنِينَ﴾

قد يكون موجب العفو حقارة قدر المعفو عنه إذ ليس كلُّ أحدٍ أهلاً للعقاب . وللصفح

---

(١) من هذا نفهم أن (الرد) عند القشيري أقرب وأشدُّ وقفاً من (الصد) ،  
(٢) هذا أصل من أصول التأويل المقبول في نظر القشيري ، وهو في الوقت نفسه . يوضح صفة  
في التفسير الإشاري .



على العفو مزية وهي أن في العفو رفع الجناح ، وفي الصفح إخراج ذكر الإثارة من القلب ،  
فمن تجاوز عن الجاني ، ولم يلاحظه — بعد التجاوز — بعين الاستحقار والازدراء  
فهو صاحب الصفح .

والإحسان تعميمٌ — للجمهور — بإسداء الفضل .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا  
ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به  
فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى  
يوم القيامة وسوف ينبئهم الله  
بما كانوا يصنعون ﴾

الإشارة في هذه الآية أن النصارى أثبت لهم الاسم بدعواهم فقال : « قالوا إنا نصارى »  
وسموا نصارى لتناصرهم ، وبدعواهم حرقوا وبدلوا ، وأما المسلمون فقال : « هو ستماكم  
المسلمين »<sup>(١)</sup> .

كما قال : « ورضيت لكم الإسلام ديناً »<sup>(٢)</sup> فلا جرم ألا يسموا بالتناصر . ولما ستماكم  
الحق بالإسلام ورضي لهم به ضامنهم عن التبديل فقصصوا .

ولما استمكن منهم النسيان أبدلوا بالعداوة فيما بينهم ، وفساد ذات البين ، فأرباب  
الفيلة لا ألفة بينهم . وأهل الوفاء لا مباينة لبعضهم من بعض ، قال صلى الله عليه وسلم :  
« المؤمنون كنفس واحدة »<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى في صفة أهل الجنة : « إخواناً على سرر  
مقابلين »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) آية ٧٨ سورة الحج ،

(٢) آية ٢ سورة المائدة .

(٣) في رواية الإمام مسلم عن النعمان بن بشير .

المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله ، وإن اشتكى عينه اشتكى كله . . . » صحيح

مسلم ج ٤ ص ٢٧١ .

(٤) آية ٤٤ سورة الصافات .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا  
يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ  
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

وصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — بإظهار بعض ما أخفوه ، وذلك علامة على صدقه ؛  
إذ لولا صدقه لما عرّف ذلك . ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم ، وذلك من أمارات خلقه ؛  
إذ لولا خلقه لما فعل ذلك ؛ فأظهر ما أبداه دليل علمه ، والعفو عما أخفى برهانه حله .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ  
مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ  
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

أنوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تغني عند فقد البصيرة ، فمن استخلصه بتقديم العناية  
أخرجه من ظلمات التفرقة إلى ساحات الجمع فامتحن عن سره شواهد الأغيار ، وذلك نعت  
كل من وقف على الحجة المثلى .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ  
اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ  
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ،  
وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

من اشتملت عليه أرحام الطوامث متى يفارقه نقص الخلقة ؟  
ومن لاحت عليه شواهد التغير أنى يليق به نعت الربوبية ؟

ولو قَطَعَ البقاء عن جميع ما أوجد فأى نقص يعود إلى العبد ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ

اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ

بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ

وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ مَلِكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

المصير ﴿

النبوة (١) تقتضى المجانسة ، والحقُّ عنها مُنَزَّهٌ ، والمحبةُ بين المتجانسين تقتضى الاحتفاظ والمؤانسة ، والحق سبحانه عن ذلك مُقَدَّسٌ .

فردُّ الله — سبحانه — عليهم فقال تعالى : « بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ » .

وال مخلوق لا يصلح أن يكون بعضاً للقديم ؛ فالقديم لا بعض له لأن الأحدية حقه ، فإذا لم يكن له عدد لم يجز أن يكون له ولد . وإذا لم يجز له ولد لم تجز — على الوجه الذى اعتقدوه — بينهم وبينه محبة .

ويقال فى الآية إشارة لأهل المحبة بالأمان من العذاب والعقوبة به لأنه قال : « قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ » .

ويقال بين فى هذه الآية أن قصارى الخلق إمّا عذاب وإمّا غفران ولا سبيل إلى شيء وراء ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا

يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَتَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ

تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ،

فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿

---

(١) وردت ( النبوة ) وهى خطأ فى النسخ لأن الإشارة عائدة إلى ما جاء فى الآية :  
« نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ »

يقال في : كل زمان تقع فترة في سبيل الله ثم تتجدد الحال ، ويُعَمُّ الطريق بإبداء السالكين من كتم العدم ، ولقد كان زمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكثر الأزمنة بركة ، فأحيا بظهوره ما اندرس من السيل ، وأضاء بنوره ما انطمس من الدليل ، وبذلك من عليهم ، وذكركم عظيم نعمته فيهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ﴾

كان الأمر لبني إسرائيل - على لسان نبيهم - بأن يتذكروا نعمة الله عليهم ، وكان الأمر لهذه الأمة <sup>(١)</sup> - بخطاب الله لا على لسان مخلوق - بأن يذكروه فقال : « فاذكروني أذكركم » <sup>(٢)</sup> وشتان بين من أمره بذكره - سبحانه - وبين من أمره بذكر نعمته ! ثم جعل جزاءهم ثوابه الذي هو فضله ، وجعل جزاء هذه الأمة خطابه الذي هو قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا ﴾

الْمَلِكُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مَنْ عَبَدَ الْمَلِكَ الْحَقِيقِي .

ويقال الْمَلِكُ مَنْ مَلَكَ هَوَاهُ ، والعبد من هو في رِقٍّ شهواته .

ويقال « جعلكم ملوكا » : لم يخرجكم إلى أمثالكُم ، ولم يحجبكم عن نفسه بأشغالكم ، وسَهَّلَ إليه سبيلكم في عموم أحوالكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتَاكُمْ مَالٌ يَؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾

لئن آتى بني إسرائيل بمقتضى جوده فقد أغنى عن الإتياء هذه الأمة فاستقلوا بوجوده ، والاستقلال بوجوده أتم من الاستغناء بمقتضى جوده .

(١) يقصد أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٢) آية ١٥٢ سورة البقرة .

قوله جل ذكره : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة  
التي كتب الله لكم ﴾

من الفرق بين هذه الأمة وبين بني إسرائيل أنه أباح لهم دخول الأرض المقدسة على الخصوص  
فقال : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم » ثم إنهم لم يدخلوها إلا بعد مدة ،  
وبعد جهد وشدة ، وقال في شأن هذه الأمة « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض  
يرثها عبادي الصالحون » (١) فأولئك كتب لهم دخول الأرض كتابة تكليف ثم قصرُوا ،  
وهذه الأمة كتب لهم جميع الأرض على جهة التّشريف ، ثم وصلوا إلى ما كتب لهم وما قصرُوا .  
وقال : « ادخلوا الأرض المقدسة . . . . . » وقال لهذه الأمة : « هو الذي جعل لكم  
الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (٢) فهؤلاء ذلّل لهم وسهل عليهم ،  
وأولئك صعب عليهم الوصول إلى ما أمرهم فيها أنزل الله عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا تتردوا على أديباركم فتنقلبوا  
خاسرين ﴾

الارتداد على قسمين : عن الشريعة وإقامة العبودية وذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل ،  
وعن الإرادة وذلك يوجب الشّقوة — التي هي الفراق — على القلوب .

قوله جل ذكره : ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين  
وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها  
فإن يخرجوا منها فإننا داخلون ﴾

لاحظوا الأغيار بعين الحسبان فتوهموا أن شيئاً من الحدّثان ، وداخلتهم هواجُمُ الرعبِ  
فأصروا على ترك الأمر . ومن طالع الأغيار بأنوار البصائر شاهدتهم في أسْرِ التقديرِ قوالبَ  
متعربةً عن إمكان الإيجاد ، ولم يقع على قلبه ظلُّ التوهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال رجالان من الذين يخافون أنعمَ

(١) آية ١٠٥ سورة الأنبياء .

(٢) آية ١٥ سورة الملك .

اللهُ عليهما ادخلوا عليهم الباب

فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴿١﴾

أنعم الله (عليهما) <sup>(١)</sup> بأنوار العرفان فلم يجتثها من المخلوقين ، وعلمنا أن من رجع إليه  
بنعت الاستكفاء تداركته عواجل الكفاية ثم قال :

(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

أى من شأن المؤمنين أن يتوكلوا ، وينبغى للمؤمن أن يتوكل .

ويحتمل أن يقال التوكل من شرط الإيمان . وظاهر التوكل الذى لعوام المؤمنين العلم بأن  
قضاؤه لا رادَّ له ، وحقائق التوكل ولطائفه التى لخوَص المؤمنين شهود الحادثات بالله ومن الله  
ولله ، فإنَّ مَنْ فَقَدَ ذلك انتفى عنه اسم الإيمان .

قوله جل ذكره : ﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً

ماداموا فيها ﴾

مَنْ أَقْصَتْهُ سَوَابِقُ التَّقْدِيرِ لَمْ يَزِدْهُ تَوَاتُرُ ( العظة ) <sup>(٢)</sup> إلا نفوراً وجحوداً .

قوله جل ذكره . ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا

قاعدون ﴾

تركوا آداب الخطابِ فصرَّحوا ببيان الجحد ولم يجتشموا من مجاهرة الرد .

قوله جل ذكره ﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾

لما ادَّعى أَنَّهُ يملك نفسه عرف عجزه عن مِلْكِهِ لنفسه حيث أخذ رأس أخيه  
يجرُّه إليه .

ويقال . لا أملك إلا نفسي أى لا أدخرها عن البذل فى أمرى . لا أملك إلا أخى فإنه  
لا يؤثر نفسه عن الذى أكلفه مِنْ قَبِيلِكَ .

---

(١) (عليهما) زيادة أضفناها ليتضح المعنى .

(٢) وردت ( العظة ) والمعنى يرفضها ويتطلب ( العظة ) التى وردت فى الآيات السابقة .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُخَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً  
يَتِيهِونَ فِي الْأَرْضِ ، فَلَا تَأْسَ عَلَى  
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

مجاهرة الرد تمجّل العقوبة ؛ فإن من ما كرّر الحقيقة أبدت الحقيقة له من مكان التقدير  
ما يُلجّئُهُ إلى التطوُّح في أوطان الذلّ .

ويقال حيرهم في مفاوزهم حتى عموا عن القصد ؛ فصاروا يبيتون حيث يصبحون ، بعد  
طول التعب وإدانة السير ، وكذلك من حيرهُ الله في مفاوز القلب يتقلب ليلاً ونهاراً في مطارح  
الظنون ثم لا يحصل إلا على مناهل الخيرة ، فيحطون بحيث يرحلون عنها ، فلا وجه للرأى  
الصائب يلوح لهم ، ولا خلاص من بعده للتجويز يساعدهم ، والذي التجأ إلى شهود الصمدية  
استراح عن ثقله فكره ، ووقع في روح الاستبصار بعد أتعاب التوهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ  
قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ  
يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ .

كانت الدنيا مجذافيرها في أيديهما فحسد أحدهما صاحبه ، فلم يصبر حتى أسرع في شيء  
بإتلافه ، وحين لم يُقبلُ قربانه اشتد حسدُهُ على صاحبه ، ورأى ذلك منه فهدّده بالقتل .  
فأجابه بنطق التوحيد .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .  
يعنى إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الْقُرْبَانَ مِنْ<sup>(١)</sup> طالع في القربان مساعدة القدرة ، وألقى توهم كونه  
باستحقاقه واستيجابه .

قوله جل ذكره : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا  
بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي  
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

---

(١) وردت (من) وهي خطأ في النسخ .



لئن بدأتني بالإثارة<sup>(١)</sup> لم أقابلك كأوصاف أهل الجهل بل أكلُ أمرى إلى من بيده  
مقاليد الأمور .

قوله جل ذكره : ﴿إني أريد أن تبوءَ بإثمي وإثمك  
فتكونَ من أصحاب النار وذلك  
جزاء الظالمين﴾ .

تحقق بأن العقوبة لا حجةَ به على ما يسلفه من الذنب فرضى بانتقام الله دون  
انتقامه لنفسه .

وقوله : « أن تبوءَ بإثمي وإثمك » الذي تستوجهه بسبب قتلك إياي ، فأضافه إلى نفسه ،  
وإذا رأى المظلوم ما يحلُّ بالظالم من أليم البلاء يهون عليه ما يقاسيه ويطيب قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿فطوّعتُ له نفسه قتلَ أخيه فقتله  
فأصبح من الخاسرين﴾ .

لا تستولى هواجس النفوس على صاحبها إلا بعد استتار مواعظ الحق ، فإذا توالى  
العزائمُ الرديئةُ ، واستحكمت القصودُ الفاسدةُ من العبد صارت دواعي الحق خفيةً مغمورةً .  
والنفسُ لا تدعو إلا ( إلى )<sup>(٢)</sup> اتباع الشهوات ومتابعة المعصية<sup>(٣)</sup> ، وهي مجبولةٌ  
على الأخلاق المجوسية . فمن تابع الشهوات لا يلبث أن ينزل بساحات الندم ثم لا ينفعه ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض  
ليُرِيَ كيف يوارى سوءةُ أخيه قال  
يا ويلتا أعجزتُ أن أكونَ مثلَ هذا  
الغراب فأواري سوءةَ أخي فأصبح  
من النادمين﴾ .

١ . وردت ( الإشارة ) والملائم أن تكون ( الإثارة ) .

٢ . سقطت ( إل ) من الناسخ والمعنى يستلزمها .

٣ . وردت ( المعصية ) ولا معنى لها هنا وإنما الملائم ( المعصية ) .

إرادة الحق — سبحانه — وصولُ الخلقِ إلى لطف الاحتياط في أسباب التعيش ، فإذا أشكل عليهم وجهٌ من لطائف الحيلة سبَّب الله شيئاً يُعرِّفُهُم ذلك به .

قوله جل ذكره ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسِرُونَ ﴾ .

هذا قريب مما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« من سنَّ حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنَّ سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة »<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

السعي في الفساد على ضربين : بالظاهر وعقوبته معلومة في مسائل الفقه بلسان العلم ، وفي الباطن وعقوبته واردة على الأسرار ، وذلك بقطع ما كان متصلاً من واردات الحق ، وكسوف شمس العرفان ، والستر بعد الكشف ، والحجاب بعد البسط . والحجاب استشعار

---

(١) في رواية مسلم عن جرير بن عبد الله : ( . . من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورم شيئاً ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعدد كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارم شيئاً ) ٤٠ ص ٢٠٥٩ طبع الحلبي .

الوحشة بعد الأُنس ، وتبديل توالي التوفيق بصنوف الخذلان ، والنفي على بساط العبادة<sup>(١)</sup> .  
والإخراج إلى متابعة النفوس ، وذلك — والله — خِزْيٌ عظيم وعذابٌ أليم .

قوله جل ذكره : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا

عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

من أقلع عن معاصيه ، وارتدع عن ارتكاب مساويه ، قبل أن يهتك عنه ستر السداد  
لا تقام عليه — في الظاهر — حدودُ الشريعة لاشتباهاها على الإمام ، ولا يؤاخذ الحق سبحانه  
بقضايا إجرامه أخذاً بظاهر ما يثبت من حاله مآله في استيجاب السداد ، فإذا بدا للإمام<sup>(٢)</sup>  
جُرْمُهُ أُقيم عليه الحدُّ وإنْ تَقَنَّعَ بنقاب التقوى .

وكذلك إذا سقط العبد عن عين الله لم يصل بعده إلى ما كان عليه من معارضة تقرب  
الحق — سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا

إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾

ابتغاء الوسيلة التبري عن الحول والقوة ، والتحقق بشهود الطول والمنّة .

ويقال ابتغاء الوسيلة هو التقريب إليه بما سبق لك من إحسانه .

ويقال الوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة .

ويقال الوسيلة اختياره لك بالجميل .

ويقال الوسيلة خلوص (العقد)<sup>(٣)</sup> عن الشك .

ويقال ابتغاء الوسيلة استدامة الصدق في الولاء إلى آخر العمر .

ويقال ابتغاء الوسيلة تجريد الأعمال عن الرياء ، وتجريد الأحوال عن الأعجاب ، وتخليص

النفس عن الحفظ .

---

(١) أي الإخراج من نطاق الارادة إلى نطاق العبادة .

(٢) وردت ( للإيمان ) وهي خطأ في النسخ إذ الامام هو الذي يقيم الحد .

(٣) وردت ( العقد ) وربما كانت ( العقل ) فهو الذي يصاب بأفة الشك ، وكلاما مقبول في الحديث .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ  
جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوهُ مِنْ عَذَابِ  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

اليوم — يقبل من الأحباب مثقال ذرة ، وغداً — لا يقبل من الأعداء ملء الأرض  
ذهباً ، كذا يكون الأمر .

ويقال إفراط العدو في التقرب موجب للعنت ، وتستر الولي<sup>(١)</sup> في التودد إحكام  
لأسباب الحب .

قوله جل ذكره : ﴿ يَرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا  
يُخَارَجُونَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

كما أن الأعداء لا يخلص لهم من النار كذلك المبعثون عن التوفيق كلما أرادوا إقلاعاً  
عن التهنك أدركهم — من فجأة الخذلان — ما يركسهم في وهدة العناء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا  
جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ، نَكَالًا مِنْ اللَّهِ ،  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

لو أن ولياً من الأولياء سرق نصاباً من جرّة ، ووجد فيه استحقاق القطع ، أقيم عليه  
الحد كما يقام على المتهتك ، ولا يسقط الحد لصلاحه . والإشارة فيه أن أمر الملك مقابل  
بالتعظيم ، بل كل من كان أعلى رتبةً فخطرُه أتم وأخفى ، والمطالبة عليه أشد<sup>(٢)</sup> . فلا يستخفن  
أحد الإمام بزلة « ونحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم » .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ

(١) وردت ( المولى والصواب أن تكون ( المولى ) ضد ( العدو ) حسبما نعرف من أسلوب القشيري

(٢) لأن أصحاب الرتبة الكبيرة بهم اقتداء ؛ فطبعهم وزرم ووزر من تبعهم .

فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ \*

من استوفى أحكام التوبة فتدارك ما ضيعه ، وندم على ما صنعه ، وأصلح من أمره  
ما أفسده — أقبل الله عليه بفضله فغفره <sup>(١)</sup> ، وعاد إليه باللطف فجبره .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ  
لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ مَنْ يَعْذِّبُ بَعْلَةً ، وَلَا يَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ بَعْلَةً ، وَإِنَّمَا يَتَصَرَّفُ فِي عِبْدِهِ  
بِحَقِّ مُلْكِهِ ، وَأَنَّ الْحُكْمَ حُكْمُهُ ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ  
يَسَارِعُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا  
آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ  
الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ  
لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ فَوْنَ لِكَلِمَةٍ  
مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ  
هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ،  
وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ  
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾

مَنْ أَقْصَاهُ الْحَقُّ عَنْ مَحَلِّ التَّقَرُّيبِ ، وَأَرْخَى لَهُ عَنَانَ الْإِمْهَالِ وَكَلَّهُ إِلَى مَكْرِهِ ، وَلَبَسَ  
عَلَيْهِ حَالَهُ وَسِرَّهُ ، فَهُوَ يَنْهَمُكَ فِي أَوْدِيَةِ حِسْبَاتِهِ ، وَإِنَّمَا يَسْعَى فِي أَمْرِ نَفْسِهِ فَيَعْمَلُ بِمَا يَعُودُ  
إِلَيْهِ وَبِإِلَهِهِ ، فَأَمَرَ نَبِيِّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِتَرْكِ الْمَبَالَاةِ بِأَمْثَلِهِمْ ، وَقَلَّةِ الْإِهْتِمَامِ  
بِأَحْوَالِهِمْ ، وَعَرَّفَهُ أَنَّهُمْ بِمَعْزِلٍ عَنْ رَحْمَتِهِ ؛ وَإِنَّ مَنْ رَدَّتْهُ الْقَسَمَةُ الْأَزَلِيَّةُ لَا تَنْفَعُهُ الْأَعْلَالُ

---

(١) هفزه أى غطاء وستر خطاياهم .

في الاستقبال ، فقال : « ومن يرد الله فتنه فلن نملك له من الله شيئاً » يعنى إن أهله الله للحرمان ، وقيده بشباك الخذلان فشفاعة الأغيار فيه غير مقبولة ، ولطائف القبول إليه غير موصولة .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾

أولئك الذين لم تعجن طينتهم بما، السعادة فحببوا على نجاسة الشرك فإن عدم الطهارة الأصلية لا يتنقى بفنون المعاملات .

ويقال : « من يرد الله فتنه » : مَنْ أرسل عليه غاغة الهوى ، وسلط عليه نوازع المني ، وأذله ( . . . )<sup>(١)</sup> القضاء ، فليس يلقى عليه غير الشقاء .

قوله جل ذكره : ﴿ لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾

وَرَدُّوا من الهوان إلى الهوان ، ووَعِدُوا بالفراق ، وَرُدُّوا إلى الاحتراق ، فلا تدرى أى حالهم أقرب من استيعاب النل ؟ بدايتهم في الرد أم نهايتهم في الشرك والجحد ؟

قوله جل ذكره : ﴿ سماعون للكذب أكّالون للسُّحْتِ

فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض

عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك

شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم

بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾

يعنى إنهم طرحوا حشمة الدين ، وقنعوا بالحفظ الحسيسة واكتفوا ( بالأعواض )<sup>(٢)</sup>

( النذرة )<sup>(٣)</sup> ، فإذا تحاكموا إليك فأحْلِلْهم من حِلْمِكَ على ما يستحق أمثالهم من ( الازال )<sup>(٤)</sup> ،

(١) مشتبه .

(٢) الأعواض جمع عوض وربما كانت في الأصل ( الأعراض ) جمع محرض ، وكلاماً مقبول .

(٣) ( النذرة ) أى القليلة الهينة ولا نستبعد أنها ( العذلة ) أى الحسيسة وعند ذلك تكون الكلمة

التالية رقم (٤) الأنذال جمع نذل ، وليس بمستبعد أن تكون الازال أى الاحلال فيكون السياق

( فأحْلِلْهم من حِلْمِكَ على ما يستحق أمثالهم من الاحلال = الازال . من قولهم خللت بالمكان أى نزلت به ) .

وربما كان المقصود بالازاله ما سبق لهم من القسمة .

وَأَنْتَ مُخَيِّرٌ فِيمَا تُرِيدُ ؛ فَسَوَاءٌ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِمْ فَحَكَمْتَ أَوْ أَعْرَضْتَ فَرَدَدْتَ فَلَاخْتِيَارِكَ .  
قوله : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمَقْسُطِينَ » : الإِقْسَاطُ الْوُقُوفُ عَلَى حَدِّ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ  
( خَنْفٍ )<sup>(١)</sup> إِلَى الْحِظِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ  
فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

يعنى أنهم قارفوا الجحد ، وأصرُّوا على الغي ، وتعودوا الإعراض عن الإيمان ،  
فتى تؤثر فيهم دعوتك ، وقد سُدَّتْ مسامعهم عن القبول ، وطُبِعَ على قلوبهم  
سابقُ الحكم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ  
يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ  
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا  
اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا  
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ .

يخبر أنه استحفِظ بنى إسرائيل التوراة فخرَّفوها ، فلما وَكَلَّ إليهم حفظها ضيَعوها .  
وأما هذه الأمة فخصَّهم بالقرآن ، وتولَّى — سبحانه — حفظه عليهم فقال : « إِنَّا نَحْنُ  
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »<sup>(٢)</sup> فلا جرم لو غيرَ واحدٍ حركة أو سكوناً من القرآن لنادى  
الصبيان بتخطيئه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوِ اللَّهَ ﴾ .  
إِنَّ الْخُلُقَ تَجْرَى عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْقُدْرَةِ وَأَقْسَامُ التَّصْرِيفِ ؛ فَالْخَشْيَةُ مِنْهُمْ فَرْعٌ مِنَ الْحَالِ ،  
فَإِنْ مِنْ لَيْسَ لَهُ شَغْلِيَّةٌ مِنَ الْإِيجَادِ فَأَتَى تَصَحُّهُ مِنْهُ الْخَشْيَةُ ؟

---

(١) خنف — ميل وليس بمستبعد أن تكون في الأصل ( حيف ) إلى الحظ وكلاماً مقبول .

(٢) آية ٩ سورة الحجر



قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ  
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

لَا تَأْخُذُوا عَلَىٰ جَعْدٍ<sup>(١)</sup> أُولِيَّائِي وَالرَّكُونِ إِلَىٰ مَا فِيهِ رِضَاءٌ أُعِدَّتْ لِعِبَادِي فَوَاضَاً يُسِيرُوا  
بِذَلِكَ عَفَى ، وَلَا يُبَارَكُ لَكُمْ فِيهَا تَأْخُذُونَ مِنَ الْعَرْضِ .

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ . . . » فمن اتخذ بغيره حكماً ، ولم يجد — تحت جريان حكمه —  
رضى واستسلاماً<sup>(٢)</sup> ففي شركٍ خامرٍ قلبه ، وكفرٍ قارنٍ سره . وهيهات أن يكون على سواء !  
قوله جل ذكره : ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ

وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ  
بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ  
بِقِصَاصٍ ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ  
لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

بيِّن أن اعتبار العدالة كان حتماً في شرعهم ، ولما جنحوا إلى التضييع استوجبوا الملام .  
« فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ » ، يعني فمن أثر ترك ماله باعتنلق العفول لم يخسر علينا باستيجاب  
الشكر ، ومن أبى إلا تمادياً في إجابة دواعي الهوى فهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه ؛  
أى استبدلوا بلزوم الحقائق متابعةً الحفظ ، وبايثار الفتوة موافقةً البشرية<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ

---

(١) وردت ( جعد ) بالهاء والملازم أن تكون ( جعد ) فهكذا تشير الآية الكريمة ، وكذلك السياق ؛  
إن رضاء الأعداء يقابله جعد الأولياء .

(٢) وردت ( واستلاماً ) والصواب ( استسلاماً ) أى أى انقياداً وطاعة .

(٣) لأن من عناصر الفتوة — عند الصوفية — البذل والإيثار والتضحية

وَاتَّبَعْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ  
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ  
وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ .

يعنى أتبعناهم بعيسى ابن مريم ، وخصصناه بالإنجيل ، وفى الإنجيل تصديق لما تقدمه ،  
وتحقيق لما أوجب الله وألزمه ، فلا الدينَ قضوا حقه ، ولا الإنجيلَ عرفوا فرضه ، ولا الرسولَ  
حفظوا أمره ؛ ففسقوا وضلوا ، وظلموا وزلوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ  
فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

قال الله تعالى فى هذه السورة <sup>(١)</sup> : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »  
وقال فى موضع آخر « ... فأولئك هم الظالمون » وقال فى هذه الآية « ... فأولئك هم الفاسقون »  
أما فى الأول فقال : « ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً . . . فأولئك هم الكافرون » لأن من لم  
يحكم بما أنزل الله فهو جاحد والجاحد كافر .

وفى الثانى قال : « وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس . . . . . فأولئك هم الظالمون »  
لأن من جاوز حد القصاص واعتبار المائلة ، وتعدى على خصمه فهو ظالم لأنه ظلم بعضهم  
على بعض .

وأما ها هنا فقال : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله . . . . . فأولئك هم الفاسقون »  
أراد به معصية دون الكفر والجحد <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ  
وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ ﴾

---

(١) وردت فى هذه ( الآية ) والصواب أن تكون ( السورة ) لأن القشيري ألقى نظرة شاملة على آية  
واحدة ذات نهايات شتى فى السورة كلها .  
(٢) وهذه هى المنزلة بين الكفر والإيمان — كما يسميها بعض علماء الكلام .

قدّم تعريفه — صلى الله عليه وسلم — قصص الأولين على تكليفه باتباع ما أنزل الله عليه لئلا يسلك سبيل من تقدّمه فيستوجب ما استوجبوه .

قوله جل ذكره : ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجمعكم أمةً واحدةً ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ﴾

لا تملكك مودة قريب أو حميم ، واعتنق ملازمة أمر الله — تبارك وتعالى — بترك كل نصيب لك .

ثم قال : « لكل جعلنا شرعةً ومنهاجاً » ، يعني طريقةً وسنةً ؛ أى أفردنا كل واحدٍ منكم — معاشير الأنبياء — بطريقة ، ( وأماً<sup>(١)</sup> ) أنت فلا يدانيك في طريقتك أحد ، وأنت المقدم على الكافة ، والمفضل على الجملة ، ولو شاء الله لسنوى مراتبكم ، ولكن غير بينكم ابتلاءً ، وفصلٌ بعضكم على بعض امتحاناً .

قوله جل ذكره : ﴿ فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾

مسارعة كل أحدٍ على ما يليق بوقته ؛ فالعابدون تقدمهم من حيث الأوراد ، والعارفون همهم من حيث المواجد<sup>(٢)</sup> .

ويقال استباق الزاهدين برفض الدنيا ، واستباق العابدين بقطع الهوى ، واستباق العارفين بنفى النفى ، واستباق الموحدين بترك الورى ، ونسيان الدنيا والعقبى .

(١) وردت ( ولما ) وهى خطأ فى النسخ

(٢) وقع النسخ فى تكرار عبارة ( والعارفون .. ) غذفناها

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ  
اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ  
أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ  
اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

قُمْ بِاللَّهِ فِيما تحكم بينهم ، وأقم حقوقه فيما تؤخر وتقدم ، ولا تلاحظ الأغيار فيما  
(تؤثر) <sup>(١)</sup> أو تذر ، فإن الكل محووف في التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فاعلم إنما يريد الله  
أَن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن  
كثيراً من الناس لفاسقون ﴾

يعنى (عظهم) <sup>(٢)</sup> بلسان العلم فإن أبوا قبولاً فشاهدتهم بعين الحكم . ويقال : أشدّد  
عليهم باعتناق لوازم التكليف ، فإن أعرضوا فعاينهم بعين التصريف ؛ فإن الحق  
— سبحانه — بشرط التكليف يلزمهم ؛ وبحكم التصريف يؤخرهم ويقدمهم ، فالتكليف  
فيما أوجب ، والتصريف فيما أوجد ، والعبرة بالإيجاد والإيجاب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ  
أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ  
يُوقِنُونَ ﴾

أيعودون في ظلمة الحجاب ووحشة الالتباس بعد ما سطع فجر العرفان ، وطلعت شمس  
التحقيق ، وانهكت أستار الريب ؟

ويقال أيطلبون منك أن تمجد عن المحبة المثلى ، وقد اتضحت لك البراهين  
وتجلى اليقين ؟

ويقال أيطعمون في استتار الحقائق في السرائر وقد تجلت شمس اليقين ؟

---

(١) وردت (تؤثر) بالشين وهي خطأ في النسخ  
(٢) وردت (عظهم) بزيادة ميم وهي خطأ في النسخ .

ويقال أتُحسبون أن ( . . . )<sup>(١)</sup> ظلمة الشك لها سلطان ، وقد متّع نهار الحقائق<sup>(٢)</sup> :  
... كلاً ، فإن ذلك محال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ  
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَمَن يَتَوَلَّهم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

لا تَجْنَحُوا إِلَى الْمَوَالَةِ مَعَ أَعْدَائِهِ — سَبْحَانَهُ — إِيثَارًا لِلسُّكُونِ إِلَى الْحِظِّ ، أَوْ احْتِشَامًا  
مِن الْقِيَامِ لِلْحَقِّ ، أَوْ رُكُونًا إِلَى قَرَابَةِ نَسَبٍ ، أَوْ اسْتِحْقَاقًا لِمُودَةِ حَبِيبٍ ، أَوْ تَهَيُّبًا مِنْ اسْتِحْشَاشِ  
صَدِيقٍ . بَلْ صَمَمُوا عَقُودَكُمْ عَلَى التَّبَرُّيِّ مِنْهُمْ بِكُلِّ وَجْهٍ فَهُمْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَالضَّدِيَّةُ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قَائِمَةٌ إِلَى الدِّينِ<sup>(٣)</sup> . « وَمَن يَتَوَلَّهم مِّنْكُمْ » التَّحَقُّقُ بِهِمْ ، وَانْخِرَاطُ فِي سِلْكِهِمْ ،  
وَعُدَّةٌ فِي جِلَّتِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
يَسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن  
تَصِيدَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ  
بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا  
عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾  
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ  
أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصْبِحُوا خَاسِرِينَ ﴾

---

(١) مشقبة

(٢) متوع النهار اصطلاح صوفي يتحدث القشيري عنه في مواضع أخرى من هذا الكتاب ضمن اللوائح  
واللوامع والطوالح .

(٣) قائمة إلى الدين أي راجعة إلى اختلاف دينهم عنكم ، وربما سقطت من النسخ كلمة يوم قبل (الدين)  
فيكون المعنى : إن العداوة بينكم وبينهم قائمة دائمة إلى يوم الدين .

يعنى إن الذين سقمت ضمائرهم ، وضعفت في التحقيق بصائرهم تسبق إلى قلوبهم مداراة<sup>(١)</sup> الأعداء خوفاً من معاداتهم ، وطمعاً في المأمول من محبتهم ، ولو استيقنوا أنهم في أسر العجز وذل الإعراض ونفى الطرد لأملوا الموعود من كفاية الحق ، والمعهود من جيل رعايته ، ولكنهم حُجِبُوا عن محل التوحيد ؛ ففترقوا في أودية الحسبان والظنون ، وعن قريب يأتىكم الفرجُ — أيها المؤمنون ، وَتُرْزَقُونَ الفتحَ بحسن الإقبال ، والظفر بالمستول لسابق الاختيار ، فيشعرون الندم ، ويقاسون الألم ، وأنتم ( تعلمون )<sup>(٢)</sup> رءوسكم بعد الإطراق ، وتصفون لكم مَشَارِبُ الإكرام ، وتضوء بزواهر القرب مَشَارِقُ القلوب . حينئذ يقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئلا يأتونا بهذا وما كنا لننقده عن أنفسنا لو كُنَّا عاقلين ، وصدقوا بالحق ، والذين كفروا هم الذين كفروا ، وما كنا بغافل عما تعملون . موعودهم إلى ما يوفى ويربو على مقصودهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ .

جمل صفة من لا يرتد عن الدين أن الله يحبه ويحب الله ، وفي ذلك بشارة عطية للمؤمنين لأنه يجب أن يُعْلَمَ أن من كان غير مرتد فإن الله يحبه . وفيه إشارة دقيقة فإن من كان مؤمناً يجب أن يكون لله محباً ، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه . وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد .

ومحبة الحق للعبد لا تخرج عن وجوه : إما أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه ، والمدح والثناء عليه .

أو يقال إنها بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله .

وكما أن رحمته إرادته لإنعامه فمحبتة إرادته لإكرامه ، والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة لإنعامٍ مخصوصٍ ، والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة ،

(١) وردت ( هراة ) ، وبالرجوع إلى كتب التفسير ساعدتنا على اختيار ( مداراة ) ( انظر تفسير وجدى ) .

(٢) وردت ( تعلمون ) والملائم أن تكون ( تعلمون ) رءوسكم بعد الإطراق .

واللفظان يعودان إلى معنى واحد فإن إرادة الله تعالى واحدة وبها يريد سائر مراداته ، وتختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلق .

وأما محبة العبد لله — سبحانه — فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه ، وتحمله تلك الحالة على إيثار<sup>(١)</sup> موافقة أمره ، وترك حظوظ نفسه ، وإيثار حقوقه — سبحانه — بكل وجه .  
وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما تكون صفة العبد في الوقت الذي يعبر عنه ؛ فيقال المحبة ارتياح القلب لوجود المحبوب ، ويقال المحبة ذهاب الحجب الكلية في ذكر المحبوب ، ويقال المحبة خلوص الحب لمحبهه بكل وجه ، والمحبة بلاء كل كريم ، والمحبة نتيجة الهمة فمن كانت همة أعلى فحبته أصفى بل أوفى بل أعلى

ويقال المحبة سُكْرٌ لا صَحْوٌ فيه ودَهْشٌ في لقاء المحبوب يوجب التعطُّل عن التمييز ، ويقال المحبة بلاء لا يُرْجَى شفاؤه ، وسقام لا يعرف دواؤه . ويقال المحبة غريمٌ يلزمك لا يبرح ، ورفيقٌ من المحبوب يستوفى له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال ، ويقال المحبة قضية توجب المحبة ؛ فحبة الحق أوجبت محبة العبد<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَجِبُهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

لولا أنه يجيبهم لما أحبوه ، ولولا أنه أخبر عن المحبة فأنى تكون للطينة ذِكْرُ المحبة ؟ ثم بين الله تعالى صفة المحبين فقال « أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ » . يبدلون المهنج في المحبوب من غير كراهة ، ويبذلون الأرواح في الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من اليسور .

(١) وردت خطأ ( إيسار ) بالسين

(٢) كلام القشيري في المحبة هنا لا يكاد يختلف كثيراً عن كلامه عنها في ( الرسالة )



ثم قال تعالى في صفتهم : « يجاهدون في سبيل الله » أى يجاهدون بنفوسهم من حيث استدامة الطاعة ، ويجاهدون بقلوبهم بقطع المنى والمطالبات ، ويجاهدون بأرواحهم بحذف العلاقات ، ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات .  
ثم قال : « لا يخافون لومة لائم » أى لا يلاحظون نُصَحَ حميم ، ولا يركنون إلى استقلال حكم ، ولا يمنحون إلى حظ ونصيب ، ولا يزيغون عن سَنَنِ الوفاء بحال .  
ثم بين — سبحانه — أن جميع ذلك إليه لا منهم فقال : « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم » متفضلٌ عليمٌ يَمُنُّ يَخُصُّ بذلك من عبده .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

الولى أى الناصر ، ولا موالاة بين المؤمنين وبين أعداء الحق — سبحانه — فاعداء الحق هم أعداء الدين .  
و « إنما » حرفٌ يقتضى أن ما عداه بخلافه ، وأعدى عدوك نفسك — كما فى الخبر — وَمَنْ عَادَى نَفْسَهُ لَمْ يَخْرُجْ بِالْمُخَاصَمَةِ عَنْهَا مَعَ الْخَلْقِ وبالمعارضة فيها مع الحق<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

الفائزون على حظوظهم الذين هم خصم للحق على أنفسهم لا خصم لأنفسهم على مولاهم ، والغلبة بالحجة والبرهان دون اليد .  
ويقال من قام لله بصدق انحنس دونه كلُّ مُبْطِلٍ . ويقال إذا طلعت أنوار الحق أدبر ليل أهل الباطل .

---

(١) أى إن من خاصم نفسه لم تقم بينه وبين الناس ولا بينه وبين الحق خصومة من أجل نفسه فقد انتفت حظوظها بالسلبية وأسلبها لربه بلا معارضة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبَآتٍ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

نَبِّهَهُمْ عَلَى وَجوب التحيز عنهم والتميز منهم ، فَإِنِ المخالف في العقيدة لا يكون موافقاً في الحقيقة .

ويقال أمرهم بأن يلاحظوهم بعين الاستصغار كما لاحظوا دين المسلمين بعين الاستحقار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوءًا وَلَعِبَآةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

الأذانُ دعاءٌ إلى محلِّ النجوى ، فَمَنْ تَحَقَّقَ بَعَاثُ الْمَحَلِّ فَسَمَاعُ الْأَذَانِ يوجب له رُوحَ الْقَلْبِ واسترواح الروح ، ومن كان محجوباً عن حقيقة الحال لاحظَ ذلك بعين اللعب وأدركه بسمع الاستهزاء ، وذلك حكمُ الله : غَيْرَ بَيْنَ عِبَادِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِبُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾

مالنا عندكم عيبٌ إلا أننا نحققنا أننا محو في الله ، (وَأَنَّ الْكَائِنَاتِ حَاصِلَةٌ بِاللَّهِ وَلَا تَنْقُيْ أَثَرًا سِوَى اللَّهِ فِي اللَّهِ) <sup>(١)</sup> ، وهذا — والله — عيبٌ زائلٌ ، وتقصُّ ليس له — في التحقيق — حاصل .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَشُوبَةٌ

(١) ما بين القوسين موجود في الهامش أُنْبِتْنَاهُ في موضعه من النص حسب العلامة الميزة .

عند الله من نعمة الله وغضب عليه  
وجعل منهم القردة والخنازير وعبد  
الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل  
عن سواء السبيل ﴿

يعنى أحسن من المذكورين قدرًا ، وأقل منهم خطراً من سقط عن عين الله فأذله ، وأبعده  
عن نعمت التخصيص فأضله ، ومنعه عن وصف التقريب وأبعده ، وحجبه عن شهود  
الحقيقة وطرده .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا  
بالكفر وهم قد خرجوا به والله  
أعلم بما كانوا يكتمون ﴾

أظهروا الصدق ، وفي التحقيق نافقوا ، وافتضحوا من حيث أوهموا ولبسوا ، فلا حالهم  
بقيت مستورة ، ولا أسرارهم كانت عند الله مكبوتة <sup>(١)</sup> ، وهذا نعمت كل مبطل . وعند  
أرباب الحقائق أحوالهم ظاهرة في أنوار فراستهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وترى كثيراً منهم يسارعون  
في الإثم والعُدوان وأكليم السُّحرة لبئس  
ما كانوا يعملون ﴾

تملكتهم الأطماع فاستهونهم في مناهات العناء ، وذلك نعمت كل ( طالع ) <sup>(٢)</sup> في غير  
مطمع ؛ ذل حاضر ، وصغار مستول .

قوله جل ذكره : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن  
قولهم الإثم وأكليم السُّحرة لبئس  
ما كانوا يصنعون ﴾

---

(١) وردت ( مكتوبة ) والعباب أن تكون مكبوتة لتلائم مستورة التي سبقت .

(٢) ربما كانت ( طامع ) في غير مطمئع وربما كانت ( ضالع )

الرباني من كان لله وبالله ؛ لم تبق منه بقية لغير الله .

ويقال الرباني الذي ارتقى عن الحسود .

والرباني من توفى الآفات ثم ترقى إلى الساعات ، ثم تلقى ما كوشف به من زوائد القربات ،  
فخلا عن نفسه ، وصفا عن وصفه ، وقام لربه وبربه .

وقد جعل الله الربانيين تالين للأنبياء الذين هم أولو الدِّين ، فهم خلفاء ينهون الخلق  
بممارسة أحوالهم أكثر مما ينهونهم بأقوالهم ، فإنهم إذا أشاروا إلى الله حقق الله ما يؤمسون إليه ،  
وتحقق ما علقوا همهم به .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ

أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بل يدها

مبسوطتان يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ

كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ

رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وألقينا بينهم

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

كَلَّا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ

ويسعون في الأرض فساداً ، والله

لا يحب المفسدين ﴾ .

صغر سوء قالة الموحدين — في اغتيال بعضهم لبعض بعد ما كانوا بالتوحيد قائلين  
وبالشهادة ناطقين — بالإضافة إلى ما قاله الكفار من سوء القول في الله ؛ يعني أنهم وإن  
أساءوا قولاً فلقد كان أسوأ قولاً منهم من نسبنا إلى ما نحن عنه مُرَّةٌ ، وأطلق في وصفنا  
ما نحن عنه مُقَدَّسٌ .

ثم إن الحق — سبحانه قال : « غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا » فلا ربح الصدق يشمون ،  
ولا نفساً من الحق يجدون .

ثم أثنى على نفسه فقال : « بل يدها مبسوطتان »<sup>(١)</sup> أى بل قدرته بالغة ومشيتته نافذة ، ونعمته سابعة وإرادته ماضية .

ويقال « بل يدها مبسوطتان » أى يرفع ويضع ، وينفع ويدفع ، ولا يخلو أحدٌ عن نعم النفع وإن خلا عن نعم الدفع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾

إنما وعدم الغفران بشرط التقوى . ودليل الخطاب يقتضى أنه لا يغفر لمن لم يتق منهم . وقال لظالمى هذه الأمة : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه »<sup>(٢)</sup> ثم قال فى آخر الآية : « جنات عدن يدخلونها » أى أهل التقوى لأنه هو أهل المغفرة ، فإن تركتم التقوى فهو أهل لأن يغفر ويقال لو أنهم راعوا أمرنا أصلحنا لهم أمرهم ، ولكنهم وقفوا فوقفوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

أى لو سلكوا سبيل الطاعة لو سّعنا عليهم أسباب المعيشة وسهلنا لهم الحال حتى إن ضربوا بيمين ما لقوا غير اليمين ، وإن ذهبوا يسرة ما وجدوا إلا اليسر .

قوله جل ذكره : ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

المقصد الواقف على حد الأمر ؛ لا يقصر فينقص ، ولا يجاوز فيزيد .

---

(١) لاحظ كيف يؤول القشيري ( اليد ) ليبعد عنها كل دلالة حسية ويجعلها من الأوصاف الالهية .

(٢) آية ٣٢ سورة فاطر

ويقال المقتصد الذي تساوى في همته القصد والوجود في الحادثات .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ  
مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ  
رِسَالَتَهُ ﴾

لا تكتم شيئاً مما أوحينا إليك ملاحظاً لغيره ، إذ لا غير — في التحقيق — إلا رسوم  
موضوعة ، وأحكام القدرة عليها جارية .

ويقال بين الكفاة أنك سيد ولد آدم ، وأن آدم دون لوائك .  
ويقال بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنِّي أَغْفِرُ لِلْعَصَاةِ وَلَا أَبَالِي ، وَأَرُدُّ مِنَ الْمُطِيعِينَ مَنْ شِئْتُ  
وَلَا أَبَالِي .<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

يحفظ ظاهرك من أن يمسك أذاهم ، فلا يتسلط بعد هذا عليك عدو ، أو يصون سرّك  
عنهم حتى لا يقع عليه احتشام منهم .

ويقال يعصمك من الناس حتى لا تفرق في بحر التوهم ؛ بل تشاهدكم كما هم ؛ وجوداً  
بين طرفي العدم .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ  
حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ  
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ  
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا  
وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

---

(١) يتضح من هذه الإشارة شيان : أولهما مدى إتساع صدور الصوفية للتساع ونظرتهم المتفائلة إلى سعة  
الرحمة الإلهية مما يطمئن العصاة ويحمس على التوبة ، وثانيهما مدى مخالفة القشيري للمعتزلة في مسأله وجوب  
المتوبة أو العقوبة على الله سبحانه ، فلا وجوب — عنده — على الله بخلافهم .

أى ليس انتعاشكم ولا نظام معاشكم ، ولا قَدْرُكم فى الدنيا والعُقْبى ، ولا مقداركم  
ولا منزلكم فى حال من حالاتكم إلا بمراعاة الأمر والنهى ، والمحافظة على أحكام الشرع .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا  
وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ﴾

يَبَيِّنُ أَنَّهُمْ — وَإِنْ نَجَّسَتْ أَحْوَالُهُمْ — فَبَعْدَ مَا تَجْمَعُهُمْ أَصُولُ التَّوْحِيدِ فَلَهُمُ الْأَمَانُ مِنَ  
الْوَعِيدِ ، وَالْفَوْزُ بِالْمَزِيدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كُلًّا بَلَّغُوا  
رِسَالَاتِي بَلَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا  
كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ وَحَسِبُوا  
أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ  
مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

داروا مع الهوى فوقعوا فى البلاء . وَمِنْ أَمَارَاتِ الشَّقَاءِ الْإِصْرَارُ عَلَى مُنَابَعَةِ الْهَوَى ،  
وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، فَعَمُوا وَصَمُوا . وَاغْتَرَوْا بِطُولِ الْإِمِهَالِ فَأَصْرَوْا عَلَى قُبُوحِ الْأَعْمَالِ ،  
فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ فَجَاءَةُ الْإِنْتِقَامِ لَمْ يَنْفَعَهُمُ النَّدَمُ ، وَبَرَّحَ بِهِمُ الْأَلَمُ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ  
ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ  
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ  
بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ  
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾



سَقِمَتْ بصائرهم والنبت عليهم أمارات الحدوث ، فخلطوا في عقائدهم استحقاق أوصاف  
القديم بنعوت الحدوث !

قوله جل ذكره : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث  
ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ،  
وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن  
الذين كفروا منهم عذاب أليم \*  
أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه  
والله غفور رحيم ﴾

بلغ الخذلان بهم حداً أن كبروا الضرورة فحكموا للواحد بأنه ثلاثة ، ولا يخفى فساد هذا  
على مجنون . . فكيف على عاقل ١٩ .

قوله : « أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » لم يُفلق باب التوبة عليهم  
— مع قبائح أقوالهم ، وفساد عقائدهم — تضييقاً<sup>(١)</sup> لآمال المؤمنين بخصائص رحمته .

قوله جل ذكره : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول  
قد خلت من قبله الرسل وأمه  
صديقة كانا يا كلان الطعام انظر  
كيف نبئ لهم الآيات ثم انظر أني  
يؤفكون ﴾ .

من اشتملت عليه الأرحام ، وتناوبته الآثار المتعاقبة أنى يليق بوصف الإلهية ؟  
ثم من مسته الحاجة حتى اتصف بالأكل وأصابته الضرورة إل أن يخلص من بقايا الطعام  
فأنى يليق به استيجاب العبادة والتسمية بالإلهية ؟

انظر — يا محمد — كيف نزيد في إيضاح الحجة وكيف تلبس عليهم سلوك الحجة ؟

---

(١) تضييقاً أى جعلها مضاعفة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

تعليقُ القلوب — بدون الرب — في استدفاع الشر واستجلاب الخير بمحقيق الوقت فيها لا يُجْدِي ، وإذهابُ العمر فيها لا يُغْنِي ؛ إذ المنفردُ بالإيجاد يرى عن الأنداد .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ الْحَبِيلِ ﴾ .

التعمقُ في الباطل قطعُ آمال الرجوع ؛ فكلما كان بُعدُ المسافةِ مِنَ الْحَقِّ أَمَّ كَانَ اليأسُ من الرجعةِ أَوْجَبَ ، ومتَّبِعُ الضلالةِ شرٌّ مِنْ مُبْتَدِعِهَا ؛ لأنَّ المُبتدِعَ يَبْنِي وَالْمُتَّبِعَ يُتِمُّ البناءَ ، ومن به كمالُ الشرِّ شرٌّ مِنْ مَنْهُ ابتداءُ الشرِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

أمرُ الأنبياء — عليهم السلام — حتى ذكروا الكفار بالسوء ، وأما الأولياء فخصَّهم بذكر نفسه فقال : « هو الذي يصلي عليكم »<sup>(١)</sup> ؛ فلعنةُ الكفار بلسان الأنبياء ، وذكرُ المؤمنين بالجميل بلسان الحق — سبحانه ، ولو كان ذلك ذِكْرًا بالسوء لكان فيه استحقاقُ فضيلةٍ ، فكيف وهو ذِكْرٌ بالجميل ؟ ولقد قال قائلهم :

لئن ساءني أن تلقني بمساءٍ فقد سررتني أني خطرْتُ بباليكا

قوله جل ذكره : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُسْكَرٍ

---

(١) آية ٤٣ سورة الأحزاب .

فَعَلَوْهُ<sup>(١)</sup> لَيْئِسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾ .

الرضا بمخالفة أمر الحبيب موافقة للمخالف ، ولا أنفة بعد تميز الخلاف . والسكوت عن جفاء تعامل به كرم ، والإغضاء عما يُقال في محبوبك دناءة .

قوله جل ذكره : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْئِسَ بِمَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

شرُّ خِصال اللئام مطابقةً بمن يصاد الصديق ، فإذا كان سخط الله في موالاته أعدائه ، فرحمته — سبحانه في معاداة أعدائه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

صَرَّحَ بِأَنْ مُوَافِقَ مَنْ نَاوَأَكَ<sup>(٢)</sup> آثَرَ التَّبَاعَدِ عَنْكَ ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ بَيْنَكُمَا شَهْرَةٌ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ لَأَخْلَصْتَ<sup>(٣)</sup> فِي مَوَالَاتِهِ ، وَأَخْلَصَ فِي مَصَافَاتِكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

بَيَّنَّ أَنَّ صِفَةَ الْعَدَاوَةِ وَإِنْ كَانَتْ تَجْمَعُهُمْ فَعَادَاةٌ بَعْضُهُمْ تَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِقَدَرِ

---

(١) سَقَطَتْ ( فَعَلَوْهُ ) مِنَ النَّاسِخِ فَابْتَنَاهَا .

(٢) وَرَدَتْ ( نَاوَأَكَ ) وَرَبَّمَا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ ( نَاوَأَكَ ) وَالتَّبَسُّتَ عَلَى النَّاسِخِ فَظَنَّا لَهَا .

(٣) أَخْطَأَ النَّاسِخُ فَكَتَبَهَا ( لَأَخْلَصْتَ ) .

ما للنصارى من التَّرهيب أثر فيهم (بالمقاربة) <sup>(١)</sup> من أهل الحق ؛ فإنهم وإن لم ينتفعوا بهم من حيث الخلاص فقد ذكروا الله سبحانه — بمقاربة أهل الاختصاص .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

هذه صفة من نظر إليه الحق نظر القبول ، فإذا قرَّعتْ نَحْمَهُمْ دعوة الحق ابتسمت البصيرة في قلوبهم ، فسكنوا إلى المسوع لما وجدوا من التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾

وأى عذر لنا في التعرُّيج في أوطان الارتباب ، وقد فجَّلتْ لقلوبنا الحجج ؟ ثم ما تؤمله من حُسنِ العاقبة . متى بدونه يمكن أن نطلبه ؟

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَنَّا بِيَهُمْ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

لَمَّا صَدَّقَتْ آمَالُهَا بالتحقيق ، سَنَّةٌ مِنْهُ — سبحانه — ألا ينجيب راجيه ، ولا يرد مؤمله <sup>(٢)</sup> ، وإنما علَّقَ الثواب على قول القلب الذى هو شهادة عن شهوده ، فأما النظر المنفرد عن البصيرة فلا ثوابَ عليه ولا إيجاب <sup>(٣)</sup> .

---

(١) وردت (بالقدرة) والعرب أن تكون (المقاربة) فقد وردت كذلك قبلها بعد إشارة إلى ما في الآية (أقربهم مودة . . . . .) وربما قبلنا (بالمقارنة) على أساس مقارنة النصارى باليهود .  
(٢) وردت (مؤله) وهي خطأ في النسخ .  
(٣) لاحظ هنا قبة الإيمان النظرى بالقياس إلى الإيمان القنبى بمنزى فأن في التسامح الدينى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

( هذا ) أثر الإعراض عن الأعداء في مقابلة أثر الإقبال على الأولياء معجلاً ومؤجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا

طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا

إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

من أمارات السعادة الوقوف على حد الأمر ؛ إن أباح الحق شيئاً قبله ، وقابله

بالخشوع ، وإن حَظَرَ شيئاً وقف ولم يتعرض للجحود . .

ومما أباحه من الطيبات الاسترواح إلى نسيم القرب في أوطان الخلوة ، وتحريم ذلك : إن

استبدل تلك الحالة بالخلطة دون العزلة ؛ والعشرة دون الخلوة ، وذلك هو العدوان العظيم

والخسران المبين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلالاً

طَيِّباً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ

مُؤْمِنُونَ ﴾

الحلال الصافي بأن يأكل العبد ما يأكل على شهوده — سبحانه — فإن نزلت الحالة

عن هذا فعلى ذكره — سبحانه — فإن الأكل على الغفلة حرام في شريعة الإرادة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

وَلَكِنْ يَأْخُذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ

أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ ، فَمَنْ

لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ

كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا

أَيَّمَانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

الإشارة منه إلى وقتٍ يغلب على قلبك التعطشُ إلى شيء من إقباله أو وصاله ،  
فَتُنْفِسُ عليه بجماله أو جلاله أن يرزقك شظيةً من إقباله ، فكذلك في شريعة الرضا  
نوعٌ من اليمين ، فيعفو عنك رحمةً عليك لضف حالك . والأولى الذوبان والحمود بحسن  
الرضا تحت ما يُجرى عليك من أحكامه في الرذ والصد ، وأن تؤثر استقامتك في أداء  
حقوقه على إكرامك بحسن تقريبه وإقباله ، كما قال قائلهم :

أُرِيدُ وَصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يَرِيدُ

وَمِنَ اللَّغْوِ فِي الْيَمِينِ — عِنْدَهُمْ — مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِمْ فِي حَالِ غَلَبَاتِ الْوَجْدِ مِنْ  
تَجْرِيدِ الْعَهْدِ وَتَأْكِيدِ الْعَقْدِ ، فيقول :

وَحَقُّكَ مَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَاكَ ، وَلَا قُلْتُ بِغَيْرِكَ . . . وَلَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكَ ،  
وَأَمْثَالُ هَذَا . . .

وَكُلُّهُ فِي حَكْمِ التَّوْحِيدِ لِنُفُو ، وَعَنْ شُهُودِ عَهْدِ الْأَخْذِيَةِ سَهْوٍ . . . وَمَنْ أَنْتَ  
فِي الرَّفْعَةِ حَتَّى تَقْدِمَ نَفْسَكَ ؟ وَأَيْنَ فِي الدَّارِ دِيَارٌ حَتَّى تَقُولَ بِتَرْكِهِ أَوْ تَتَحَقَّقَ بِوَصْلِهِ  
أَوْ هَجْرِهِ ؟ كَلَّا . . . بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ<sup>(١)</sup> .

وَكَمَا أَنَّ الْكُفَّارَةَ الشَّرْعِيَّةَ إِمَّا عِثْقٌ أَوْ إِطْعَامٌ وَإِمَّا كِسُوءَةٌ فَإِنْ لَمْ تَسْنَطِعْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ  
أَيَّامٍ : فَكُفَّارَتُهُمْ — عَلَى مَوْجِبِ الْإِشَارَةِ — إِمَّا بِذَلِ الْوَجْدِ بِحَكْمِ الْوَجْدِ ، أَوْ بِذَلِ الْقَلْبِ  
بِصَحَّةِ الْقَصْدِ ، أَوْ بِذَلِ النَّفْسِ بِدَوَامِ الْجَهْدِ ، فَإِنْ عَجَزْتَ فَأَمْسَاكُ وَصِيَامٌ عَنْ  
الْمُنَاهِي وَالزَّوَاجِرِ .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ

(١) وشبهه بذلك قول الشبلي حين سئل عن التوحيد ( من أجاب عن التوحيد بالمبارة فهو ملحد ،  
ومن أشار إليه فهو ثنوي ، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه فهو غافل . . . وكل ما يميزتموه  
بأوهامكم وأدركتموه بقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم ، يحدث مصنوع مثلكم »  
الرسالة ص ١٤٩ .

والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل  
الشیطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون ﴿١﴾

الحمر ما خامر العقل ، والحمر حرام .

والإشارة فيه أنه يزيد نفاذ العقل بما يوجب عليه من الالتباس .

ومن شرب من خمر الغفلة فسكره أصعب ؛ فشرب الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة .  
وكما أن من سكر من خمر الدنيا ممنوع عن الصلاة فمن سكر من خمر الغفلة فهو محجوب  
عن المواصلات .

وكما أن من شرب من خمر الدنيا وجب عليه الحد فكذلك من شرب شراب الغفلة  
فعليه الحد إذ يضرب بسياط الخوف .

وكما أن السكران لا يُقام عليه الحد ما لم يُفقد فالغافل لا ينجح فيه الوعظ ما لم ينته .  
وكما أن مفتاح الكبائر شرب الحمر ( فالغفلة ) <sup>(١)</sup> أصل كل زلة ، وسبب كل ذلة وبدء  
كل بُعد وحجة عن الله تعالى .

ويقال لم يحرم عليه الشراب في الدنيا إلا وأباح له شراب القلوب ؛ فشرب الكبائر  
محظور ( وشراب الاستئناس مبذول ، وعلى حسب المواجد حظى القوم بالشراب ) <sup>(٢)</sup> ، وحيثما  
كان الشراب كان السكر ، وفي معناه أنشدوا :

فما ملّ ساقها وما ملّ شارب عقار لحاظ كأسه يسكر اللبّا  
فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسرك من لحظي يبيح لك الشرابا

وحرّم الميسر في الشرع ، وفي شريعة الحب القوم مقهورون ؛ فمن حيث الإشارة أبدانهم  
مطروحة في شوارع التقدير ، يطؤها كل عابر سبيل من الصادقين من عين المقادير ، وأرواحهم  
مستباحة بحكم القهر ، عليها خرجت القرعة من ( . . . ) <sup>(٣)</sup> الحكم ، قال تعالى « فساهم  
فكان من المدحضين » <sup>(٤)</sup> .

(١) أضفنا ( الغفلة ) وليست موجودة في النص ليتضح المعنى .

(٢) ما بين القوسين مثبت في الهامش نقلناه إلى موضعه حسب العلامات .

(٣) مشتبه . (٤) آية ١٤١ سورة الصافات .



قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ  
الْمَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ  
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ .

طال بُعدكم عن الحقيقة فقاموا الهوان في مطابخ الغربة ، وصاروا سخرة للشيطان ؛ فبقوا  
الصلاة التي هي محل النجوى وكال الراحة ، وفَسَدَتْ ذاتُ بَيْنِهِمْ بما تولد من  
الشحناء والبغضاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ  
وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى  
رَسُولِنَا الْبَلَاغُ لِلْبَيِّنِ ﴾ .

كلما كان العبد أعرف بربه كان أخوف من ربه ، وإنما يفتق الحذر عن العبد عند تحقيق  
الوعد بقوله : « أولئك لهم الأمن » (١) وذلك عند دخول الجنة . وحقيقة الحذر نهوض القلب  
بدوام الاستغاة مع مجارى الأنفاس .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا  
مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ  
اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

من حافظ على الأمر والنهي فليس للقة يتناولها من الخطر ما يضايق فيها ، وإنما المقصود  
من العبد التأدب بصحبة طريقه سبحانه ، فإذا اتقى الشرك تعرّف ، ثم اتقى الحرام فما تصرف ،  
ثم اتقى الشح فأثر وما أسرف .

---

(١) آية ٨٢ سورة الأنعام .

وقوله « ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا... » يعنى اتقوا للنعم<sup>(١)</sup> وأحسنوا للخلق — وهذا للعموم . ثم اتقوا شهود الخلق؛ فأحسن الشهود الحق ، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه — وهذا للخواص .

والله يحب المحسنين أعمالاً والمحسنين (آمالاً)<sup>(٢)</sup> والمحسنين أحوالاً .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ

من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم \*  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغُلَامَةِ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتقام \*

أباح الصيد لمن كان حلالاً<sup>(٣)</sup> ، وحرّم الصيد على المحرم الذى قصده زيارة البيت . والإشارة فيه أن من قصد بيتنا فينبغى أن يكون الصيد منه فى الأمان ، لا يتأذى منه حيوان بحال ، لذا قالوا : البرّ من لا يؤذى الذر ولا يضرّ الشر .

ويقال الإشارة فى هذا أن من قصدنا فعليه نبدّ الأطماع جملة ، ولا ينبغى أن تكون له مطالبة بحال من الأحوال .

(١) أى منع الإحسان .

(٢) نرجح أنها فى الأصل ( أموالا ) .

(٣) الحلال = الخارج من الإحرام ( المنجد : مادة حل ) .

وكما أنَّ الصيدَ على المُحرَّم حرامٌ إلى أن يتحلل فكذلك الطلب والطمع والاختيار -  
على الواجد - حرامٌ ما دام مُحَرَّمًا بقلبه .

ويقال العارفُ صيدُ الحق ، ولا يكون للصيد صيد .

وإذا قَتَلَ المُحرَّمُ الصيدَ فعليه الكفَّارة ، وإذا لاحظ العارفُ الأغيارَ ، أو طمع أو رغب  
في شيء أو اختار لَزِمَتَهُ الكفَّارة ، ولكن لا يُكْتَفَى منه بجزاء المثل ، ولا بأضعاف أمثال  
ما تصرف فيه أو طمع ، ولكن كفَّارته تجرده - على الحقيقة - عن كل غير ، قليل أو كثير ،  
صغير أو كبير .

قوله جل ذكره : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ  
مَتَاعًا لَكُمْ وَالسِّيَارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ  
صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ  
الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

حُكْمُ الْبَحْرِ خِلَافُ حُكْمِ الْبَرِّ . وإذا غرق العبدُ في بحار الحقائق سَقَطَ حُكْمُهُ ، فصيد  
البحر مباح له لأنه إذا غرق صار محوًّا ، فما إليه ليس به ولا منه إذ هو محوٌّ ، واللهُ  
غَالِبٌ على أمره .

قوله جل ذكره : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِبَا مًا  
لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ  
وَالْقُلُودَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ  
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

حَكْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ - بأن يكون بينه - اليومَ ملجأً يلوذ به كلُّ مؤمِّلٍ ، وبستقيم  
ببركات زيارته كلُّ مائلٍ عن نهج الاستقامة ، ويستنجح بابتهاله هنالك كلُّ ذي أَرْبٍ .

والبَيْتُ حَجَرٌ وَالْعَبْدُ مَدْرٌ ، والحق سُبْحَانَهُ ربط للمدرب بالحجر ليُعَلِّمَ أنه الذي لم يَزَلْ  
لا سبيلَ إليه للحدثان والغير .

قوله جل ذكره : ﴿اعلموا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

شديد العقاب للأعداء ، غفور رحيم للأولياء .

ويقال شديد العقاب للخواص بتعجيل الحجاب إن زاغوا عن الشهود لحظة ، غفور رحيم للعوام إن رجعوا إليه بتوبة وحسرة .

قوله جل ذكره : ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ \* قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الأبواب لعلكم تفلحون \*

للتفرّد بالإلهية الله . والرسول — وإن جلّ قدره — فليس عليه إلا البلاغ وهو أيضاً (بتسييره) <sup>(١)</sup> .

قوله : « قل لا يستوى الخبيث والطيب » : الخبيث ما اكتسبه الغافل عن الله تعالى في حالة اكتسابه ، والطيب ما اكتسبه على شهود الحق .  
ويقال الخبيث ما لم يُخرج منه حق الله تعالى ، والطيب ما أُخرج منه حقه — سبحانه .  
ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك ، والطيب ما قدّمته لأمره .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُونَ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

---

(١) لا نسبّد ايضاً انها ربما كانت في الأصل ( بتسييره ) ، وكلاما مقبول في السياق .

إذا أسبل عليكم ستر اللطف فلا تتعرضوا لعلم أخفى عنكم ، فيتنفص ( بالتج ... )<sup>(١)</sup>  
— عليكم — عيشكم .

ويقال لا تتعرضوا للوقوف على محل الأكابر — حيث لا تستوجبون ذلك — فيسوءكم  
تقاصر رتبكم .

ويقال إذا بدا من الإعراض علم فاطلبوا له عندكم وجهاً من ( التغال )<sup>(٢)</sup> ولا تطلبوا  
أسرار الباري ، وادكنوا إلى روح المنى في استدفاع ما ( ظلكم )<sup>(٣)</sup> ولا تبحثوا عن سر  
ذلك ، وراعوا الأمر مجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا  
بها كافرين ﴾

يعنى توهم قوم أنهم محروون عن التأثير فيما يصادفهم من تجاة التقدير ، وذلك منهم ظن ،  
كما يقول بعضهم :

تبين يوم البين أن اعتزامه على الصبر من إحدى الظنون الكواذب  
قوله جل ذكره : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة  
ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين  
كفروا يفترون على الله الكذب  
وأكثرهم لا يعقلون ﴾

هذه أحكام ابتدعوها ، فردهم الحق — سبحانه — عن الابتداع ، وأمرهم بحسن  
الاتباع ، وأخبر أن ما صدر من عاداتهم لا يعد من جملة عباداتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله

---

(١) بقية الكلمة مشتبه ولكنها أقرب ما تكون إلى ( التجسس ) وهي مقبولة هكذا في السياق ؛  
أى لا تجملوا التجسس ومحاولة معرفة الأسرار بنفس عليكم عيشكم .  
(٢) هكذا في النسخ ورجح أنها فى الأصل ( التأويل ) وإن كانت بعيدة فى الرسم .  
(٣) أى ما غشيتكم من سحُب الإعراض .

وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا  
عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم  
لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿١﴾

إذا هتفت بهم دواعي الحق بالجنوح إلى وصف الصديق صدّهم عن الإجابة ما مروا عليه  
من سهولة (التقليد) <sup>(١)</sup> ، وإن أسلافهم الذين وافقوهم لم يكونوا إلا في ضلال .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ  
لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ  
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فُتَبِّحُكُمْ بِمَا  
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

يكفى للفقير أن يعيش وقد جبر بعض (كسره) <sup>(٢)</sup> ، فأما إذا ادّعى التقسم أو الطمع  
في إنجاده من سواء فحال من (الحدث) <sup>(٣)</sup> والظن .

ويقال من يفرغ إلى غيره يتشاغل عن نفسه ، ومن اشتغل بنفسه لم يفرغ إلى غيره .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا  
حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ  
إِثْنَانُ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ  
غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسَبُوهمَا  
مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَتُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ  
لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى  
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّكِنَ

(١) وردت (التقليد) والصواب (تقليد) آباؤهم واسلافهم كما في الآية .

(٢) وردت (كثره) بالثاء والصواب : جبر (كسره) بالسين .

(٣) ربما كانت في الأصل (الحدث) لتتمشى مع الظن .

الآمين \* فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا  
إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ  
الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَٰئَانِ  
فَيَقْسَمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ  
شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ  
الظَّالِمِينَ \* ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا  
بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ  
تُرَدُّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَاسْمِعُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٦﴾

حكم هذه الآية كان ثابتاً في الشرع ونسخ ، وفي بيان التفسير تفصيله .

والنسخ هو الإزالة ، وذلك جائز في العبادات .

ومعنى النسخ يوجد في سلوك المرئيين ؛ فهم في الابتداء فرضهم القيام بالظواهر من  
حيث المجاهدات ، فإذا لاح لهم من أحوال القلوب شيء آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب  
فتسقط عنهم أوراد الظاهر ، فهو كالنسخ من حيث الصورة .

قال تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » <sup>(١)</sup> . واتصافهم بمراعاة  
القلوب أنهم بتأديبهم بأحكام المعاملات <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ  
مَاذَا أُجِّبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ  
أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

يكشفهم بنعت الجلال فتتخس فهمهم وعلومهم حتى ينطقوا بالبراءة عن التحقيق

(١) آية ١٠٦ سورة البقرة .

(٢) أي أن مراعاة الحقيقة تتم بمراعاة الشريعة .



ويقولون : « لا علم لنا » ، وهكذا تكون الحالة غداً : مَنْ قال لشيء ، أو مَال لشيء مما يكون  
نعماً بمخلوق فعند ظهور وابل للنعرز تتلاشى الجملة ، فالملائكة يقولون : « ما عبدناك  
حق عبادتك » والأنبياء يقولون : « لا علم لنا » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ  
نِعْمَتِيَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ  
بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ  
وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ  
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا  
فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ  
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ  
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ  
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا  
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

النِّدْ كِبْرُ بوجوه النعم يستخرج خلاصة الحب والهيان في المذكور<sup>(١)</sup> ، وكلُّ وقتٍ للأحباب  
بعضى يصير لهم حديثاً يتلى من بعدهم : إما عليهم وإما عنهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ  
آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ  
بِأَنفُسِنَا مَسْمُونٌ ﴾

---

(١) أعلى درجات الذكر أن يبقى الذاكر في المذكور وفيها ينتقل العبد من مرتبة ذكر النعم  
إلى ذكر المنعم . فكان القشيري يقصد بإشارته إلى أن تذكير عيسى وامي بالنعم التي وردت في الآية بحث  
لها على الارتقاء من مرحلة النظر إلى النعم إلى مرحلة النظر إلى صاحبها سبحانه وتعالى ، وحبها والهيان فيه .

وإنما خصَّهم بالوحي إليهم إلهاماً وإكراماً لانبساط ضياء عيسى عليهم<sup>(١)</sup> ، وفي الأثر :  
« هم القوم لا يشقى بهم جليس » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ﴿

طلبوا المائدة لتسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآية وعجيب المعجزة ، فعذروا وأجيبوا إليها ؛ إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة .  
ويقال كل يطلب سُؤْلَهُ على حسب ضرورته وحالته ، فمنهم من كان سكونه في مائدة من الطعام يجدها ، ومنهم من يكون سكونه في ( فائدة )<sup>(٢)</sup> من الموارد يردُّها ، وعزيز منهم من يجد الفناء<sup>(٣)</sup> عن برهان يتأمله ، أو بيان دليل يطلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ، وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

شَّتَان بين أمة طلب لهم نبيهم سكوناً بانزال المائدة عليهم ، وبين إمة بدأهم - سبحانه -

---

(١) وهذا يطابق فكرة الفشيري في الولاية وكيف انها ملحقة بالمعجزة ، فإ يظهر على الولي من كرامة هو بركة النبي الذي الولي من امته وعصره .  
(٢) ربما كانت ( مائدة ) ليم التقابل بين المائتين الحسية والمعنوية .  
(٣) ربما كانت ( الفناء ) أى يجد الاستثناء عن كل برهان ودليل ، وتمصح ( الفناء ) بالفناء على معنى أن فناءه في الله لا يحوجه إلى برهان أو دليل . .

بأنزال السكينة عليهم ، من غير سؤال أحد ، قال الله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »<sup>(١)</sup>

وقال فى صفتهم « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً »<sup>(٢)</sup>

وفرق بين من زيادة إيمانه بآياته التى تتلى عليهم وبين من يكون سكونهم إلى كرامات وعطايا تُبَاحُ لهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال الله . إني مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾

أجابه إلى سؤاله لهم ، ولكن توعدهم<sup>(٣)</sup> باليم العقاب لو خالفوا بعده ليعلم السالكون أن المراد إذا حصل ، وأن الكرامة إذا تحققت — فالخطر أشد والحال من الآفة أقرب ، وكلما كانت الرتبة أعلى كانت الآفة أخفى ، وعن الأكابر إذا حلت جلّت .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾

المراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث ، فهذا ليس خطاب تعنيف بل هو سؤال تشریف .

(١) آية ٤ سورة الفتح .

(٢) آية ٢ سورة الأنفال .

(٣) وردت ( يوعدهم ) .

ثم إن عيسى — عليه السلام — حفظ أدب الخطاب فلم يُزكِّ نفسه ، بل بدأ بالثناء على الحق — سبحانه — فقال : تنزيهاً لك ! إنني أنزهك عما لا يليق بوصفك .

ثم قال : « ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق » أي إني إن كنت مخصوصاً من قبلك بالرسالة — وشرط النبوة العصمة — فكيف يجوز أن أفعل ما لا يجوز لي ؟ .

ثم إني « إن كنت قلته فقد علمته » . كان واثقاً بأن الحق — سبحانه — عليم بنزاهته من تلك القالة .

« تعلم ما في نفسي » : أي علمك محيطٌ بكل معلوم .

« ولا أعلم ما في نفسك » أي لا أطلع على غيبك إلا بقدر ما تُعرِّفني بإعلامك . « إنك أنت علام الغيوب » الذي لا يخرج معلوم عن علمك ، ولا مقدور عن حكمتك .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أُمِرْتُ بِهِ أَنْ

اعبدوا الله ربِّي وربكم وكنتم عليهم

شهداء ما دمت فيهم فلما توفيتني

كنتم أنتم الرقيب عليهم وأنت

على كل شيء شهيد ﴾

مادعوتهم إلا لعبادتك ، وما أمرتهم إلا بتوحيديك وتقديسك ، وما دمت حياً فيهم

كنت ( . . . )<sup>(١)</sup> على هذه الجملة ، فلما فارقتهم كان تصرفهم في قبضتك على

مقتضى مشيئتك ، فأنت أعلم بما كانوا عليه من وُضْعِي وفاقهم وخلافهم ، ولِعَمَتِي

اقتصادهم<sup>(٢)</sup> وإسرافهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَعَذَّلْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ

فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

---

(١) مشبهة .

(٢) الاقتصاد هنا معناها الاعتدال .

بَيَّنَ أَنَّ حَكْمَ الْمَوْلَى فِي عِبِيدِهِ نَافِذٌ بِحَكْمِ إِطْلَاقِ مُلْكِهِ ، قَالُوا : إِنْ تَعَذِّبُهُمْ يَحْسُنْ مِنْكَ تَعَذِّبُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أَيْ الْمُعِزُّ لَمْ يَغْفِرْكَ لَهُمْ .

وَيُقَالُ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَضُرُّكَ كُفْرُهُمْ .

وَيُقَالُ « الْعَزِيزُ » الْقَادِرُ عَلَى الْإِتْقَامِ مِنْهُمْ فَالْعَفْوُ (عِنْدَ) <sup>(١)</sup> الْقُدْرَةُ سِمَةُ الْكَرَمِ ، وَعِنْدَ الْعَجْزِ أَمَارَةُ الذُّلِّ .

وَيُقَالُ إِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ (تَتَجَبَّلَ) <sup>(٢)</sup> بِطَاعَةِ مُطِيعٍ أَوْ تَنْتَقِصَ <sup>(٣)</sup> بِزِلَّةٍ عَاصٍ . وَقَوْلُهُ « الْحَكِيمُ » رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ : غَفَرَانَ الشُّرَكَاءِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ فِي الْحِكْمَةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدَقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾

مَنْ تَعَجَّلَ مِيرَاثَ صَدَقَةٍ فِي دُنْيَاهُ مِنْ قَبُولِ حَصْلِهَا مِنَ النَّاسِ ، أَوْ رِيَاسَةٍ عَقَدَتْ لَهُ ، أَوْ نَفْعٍ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ جَاهٍ <sup>(٤)</sup> أَوْ مَالٍ . فَلَا شَيْءَ لَهُ فِي آجَلِهِ مِنْ صَوَابِ صَدَقَةٍ ، لِأَنَّ الْحَقَّ — سُبْحَانَهُ — نَصَّ بِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْفَعُ فِيهِ الصَّادِقِينَ صَدَقَهُمْ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

وَرِضَاؤُهُ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — إِثْبَاتُ مَحَلٍّ لَهُمْ ، وَثَنَاءُ عَلَيْهِمْ وَمَدْحُهُ لَهُمْ ، وَتَخْصِيصُهُمْ بِأَفْضَالِهِ وَفَنُونِ نَوَالِهِ . وَرِضَاؤُهُمْ عَنِ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — فِي الْآخِرَةِ وَصَوْلُهُمْ إِلَى مَنَامٍ ، فَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالنَّجَاةُ الْكُبْرَى .

(١) وَرَدَتْ ( هُنَّ ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .

(٢) وَرَدَتْ ( تَتَجَبَّلُ ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .

(٣) وَرَدَتْ ( تَنْتَقِصُ ) بِالضَّادِ وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .

(٤) وَرَدَتْ ( جَارِهِ ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَمَا فِيهِنَّ ﴾

تَمْدَحُ الْحَقُّ — سبحانه — بقدرته القديمة الشاملة لجميع المقدورات ، الصالحة لإيجاد  
المصنوعات ، ولم يتجمل بإضافة غير إلى نفسه من اسم أو أثر ، أو عين أو طلل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

من الإبعاد والإسعاد ، والصد والرد ، والدفع والنفع ، والقمع والمنع .

### السورة التي تذكر فيها الأنعام

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

باسمه استنارت القلوب واستقلت ، وباسمه زالت الكروب واضمحلت ، وبرحمته عرفت  
الأرواح وارتاحت ، وبا ( . . . ) <sup>(١)</sup> انْخَسَتْ العقول فطاحت .

ويقال باسم الله نال كل مؤمن مأموله ، وبرحمة الله وجد كل واجد وصوله .

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

بدأ الله — سبحانه — بالثناء على نفسه ، فحمد نفسه بثنائه الأزلي وأخبر عن سنائه

الصمدى ، وعلائه الأحدى فقال : « الحمد لله » .

وقوله عز وجل : « الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » : « فالذى » إشارة و « خلق

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » عبارة . استقلت الأسرار بسماع « الذى » لتحقيقها بوجوده ، ودوامها

لشهوده ، واحتاجت القلوب عند سماع « الذى » إلى سماع الصلة لأن « الذى » من الأسماء

الموصولة بكون القلوب تحت ستر الغيب فقال : « خلق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ »

---

(١) مشبهة .

قوله جل ذكره ﴿وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا  
بهم يعدلون﴾

خَلَقَ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ وَضِيَاءَ النَّهَارِ ، وَوَحْشَةَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكَ ، وَنُورَ الْعِرْفَانِ وَالِاسْتِبْصَارِ .  
وَيُقَالُ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ نَصِيبَ قَوْمٍ لَا لُجْرَمٍ سَلَفَ ، وَالنُّورَ نَصِيبَ قَوْمٍ لَا لَاسْتِحْقَاقٍ  
سَبْقَ ، وَلَكِنَّهُ حُكْمٌ بِهِ جَرَى قَضَاؤُهُ .

وَيُقَالُ جَعَلَ ظُلُمَاتِ الْعَصِيَانِ مَحَنَةً قَوْمٍ ، وَنُورَ الْعِرْفَانِ نَزْهَةً قَوْمٍ .

قوله جل ذكره : ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى  
أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ  
تَمْتَرُونَ﴾

أَثْبَتَ الْأَصْلَ مِنَ الطِّينِ وَأَوْدَعَهَا عَجَائِبَ (السِّر) <sup>(١)</sup> ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهَا مَا لَمْ يَظْهَرْ عَلَى مَخْلُوقٍ ،  
فَالْعِبْرَةُ بِالْوَصْلِ لَا بِالْأَصْلِ ؛ فَالْوَصْلُ قُرْبَةٌ وَالْأَصْلُ تَرْبَةٌ ، الْأَصْلُ مِنْ حَيْثُ النُّطْفَةُ وَالْقَطْرَةُ ،  
وَالْوَصْلُ مِنْ حَيْثُ الْقَرَبَةُ وَالنَّصْرَةُ .

قوله « ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ » : جَعَلَ لِلْامْتِحَانِ أَجَلًا ، ثُمَّ جَعَلَ لِلْامْتِنَانِ  
أَجَلًا ، فَأَجَلُ الْامْتِحَانِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَجَلُ الْامْتِنَانِ فِي الْعُقْبَى .

وَيُقَالُ ضَرَبَ لِلطَّلَبِ أَجَلًا وَهُوَ وَقْتُ الْمَهْلَةِ ، ثُمَّ عَقِبَهُ بِأَجَلٍ بَعْدَهُ وَهُوَ وَقْتُ الْوَصْلَةِ ؛ فَالْمَهْلَةُ  
لَهَا مَدًى وَمُنْتَهَى ، وَالْوَصْلَةُ بِلا مَدًى وَلَا مُنْتَهَى ؛ فَوْقَ الْوُجُودِ لَهُ ابْتِدَاءٌ وَهُوَ حِينَ تَطْلُعُ  
شَمْسُ التَّوْحِيدِ ثُمَّ يَنْسَرِمُدُ <sup>(٢)</sup> فَلَا غُرُوبَ لَهَا بَعْدَ الطَّلُوعِ .

قوله جل ذكره : ﴿هو الله في السموات وفي الأرض  
يعلم سرُّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾

---

(١) إِمَّا أَنْ تَكُونَ (السِّر) جَمْعُ سِيرَةٍ أَوْ تَكُونَ (السِّر) مَصْدَرُ سَارٍ يَسِيرُ ، وَلَا نَسْتَبْعِدُ .  
أَنَّهُ فِي الْأَصْلِ (السِّر) فَالسِّرُ — كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ اللَّحْ — هُوَ خَفَاءٌ بَيْنَ الدَّمِ وَالْوُجُودِ (اللَّحْ ص ٤٣٠ )  
(٢) وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْلِيُّ :

تَسْرِمُدٌ وَقْتِي فَيْكَ وَهُوَ مَسْرِمُدٌ وَافْنَيْتَنِي عَنِّي فَصُرْتُ بِمَجْرَدٍ  
( اللَّحْ ص ٤٤٢ )



وهو الذى هو معبودٌ مَنْ فى السماء ، مقصودٌ مَنْ فى الأرض ، وهو الموجود قبل كل سماء  
وفضاء ، وظلام وضياء ، وشمس وقمر ، وعين وأثر ، وغير وغير .

قوله جل ذكره : ﴿ وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا  
كانوا عنها معرضين ﴾ .

أى لا يزيدهم كشفًا ولطفًا إلا قابله جحدًا وكفرًا ، ولا يؤليهم إقبالًا إلا قابله  
بإعراض ، ولا يلقاهم بسطًا إلا ( . . . . )<sup>(١)</sup> بانقباض .

قوله جل ذكره : ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم  
فسوف يأتيتهم أنباء ما كانوا به  
يسهزون ﴾ .

إنهم أصرُّوا على الخلافِ مستكبرين ، وعن قريب يقاسون وبال أمرهم ، ويدوقون  
غيب جحديهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من  
قرن مكناهم فى الأرض ما لم  
نمكِّن لكم وأرسلنا السماء عليهم  
مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من  
تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا  
من بعدهم قرناً آخرين ﴾ .

يعنى مَنْ تقدَّمهم كانوا أشدَّ تمكناً فى إيماننا ، وأكثر نصيباً - فى الظاهر - من  
أقوالنا ؛ سهَّلنا لهم أسباب المعاش ، ووسَّعنا عليهم أبواب الانتعاش ، فحين وطَّئوا على كواذب  
المنى قلوبهم ، وأدركوا من الدنيا محبوبهم ومطلوبهم فتحنا عليهم من مكان التقدير ، وأبرزنا  
لهم من غوامض الأمور ما فزعوا عليه من الندم ، وذاقوا دونه طعم الألم . ثم أنشأنا من بعدهم  
قرناً آخرين ، وأورثناهم مساكنهم ، وأسكناهم أمانهم ، فلما انخرطوا - فى الغي - عن

---

(١) مشبهة .

سلكهم ، الحقنهم في الإهلاك بهم ، سُنَّةٌ منا في الانتقام قضيناها على أعدائنا ، وعادةٌ في الإكرام أجريناها لأوليائنا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ  
فَلَسَوْهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

يُخْبِرُ عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِهِ فِي إِبْدَاءِ مَا يَرِيدُهُ بَعْدَ مَا قُضِيَ لَهُمُ الضَّلَالُ ، فَلَوْ أَشْهَدَهُمْ كُلُّ دَلِيلٍ ،  
وَأَوْضَحَ لَهُمْ كُلَّ سَبِيلٍ مَا ازْدَادُوا إِلَّا تَمَادِيًّا فِي الضَّلَالِ وَالنَّفَرَةِ ، وَانْهَمَا كَأَنَّ فِي الْجَهْلِ وَالغَى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ  
أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ نَحْمُ  
لَا يُنْظَرُونَ ﴾ .

بَيِّنَ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْقِسْمَةِ دُونَ الْاِعْتِبَارِ بِالْحُجَّةِ ، وَمَا يَفْنَى السَّرَاجُ عِنْدَ مَنْ فَقَدَ الْبَصَرَ ؟  
كَذَلِكَ مَا تَفْنَى الْحُجَجُ عِنْدَ مَنْ عَدِمَ عَنَايَةَ الْأَزَلِ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا  
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَكْبِتُونَ ﴾ .

مَنْ لَمْ يُقَدِّسْ سِرَّهُ لَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ  
فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا  
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

أَيَّ سَبَقَكَ — يَا مُحَمَّد — مَنْ كُذِّبَ بِهِ كَمَا كُذِّبْتَ ، فَخَقَّ لَهُمْ نَصْرُنَا ، فَانْتَقَمْنَا مِنْ  
نَاوِهِمْ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ وَبَالَ كَيْدِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

قُلْ دُخُوا فِي الْأَرْضِ ، وَسَبِّحُوا فِي سُبُحِكُمْ فِيهَا مِنَ الطُّلُوعِ وَالْعُرُوضِ ، ثُمَّ انظُرُوا هَلْ أَفَلَّتْ مِنْ حِكْمِنَا أَحَدٌ ، وَهَلْ وَجَدَ مِنْ دُونِ أَمْرِنَا مُلْتَحِدًا (١) ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ

لِيَجْزِيَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ

فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

سَلِّمُ هَلْ فِي الدَّارِ دِيَارٌ ؟ وَهَلْ لِلْكَوْنِ — فِي التَّحْقِيقِ — عِنْدَ الْحَقِّ مَقْدَارٌ ؟ فَإِنْ بَقُوا

عَنْ جَوَابِ يَشْفِي ، فَقُلْ : اللَّهُ فِي الرِّبُوبِيَّةِ يَكْفِي .

قوله : « كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ » : أَخْبَرَ وَحَكَّمَ وَأَرَادَ عَلَى حَسَبِ مَا عَلِمَ ، فَمَنْ تَعَلَّقَ

بِنَجَاتِهِ عِلْمُهُ سَبَقَ بِدَرَجَاتِهِ حُكْمُهُ ، وَمَنْ عَلِمَهُ فِي آزَالِهِ أَنَّهُ يَشْفِي فَبِقَدْرِ شَقَائِهِ فِي الْبَلَاءِ يَبْقَى .

قوله جل ذكره . ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

الْحَادِثَاتُ لِلَّهِ مِلْكًا ، وَبِاللَّهِ ظُهُورًا ، وَمِنْ اللَّهِ بَدَأٌ ، وَإِلَى اللَّهِ رَجُوعًا . وَهُوَ « السَّمِيعُ ،

لَا نَيْنَ الْمُشْتَاقِينَ ، « الْعَلِيمُ » بِحَيْنِ الْوَاجِدِينَ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ عَلِيًّا فَاطِمَةَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

أَبَعَدَ مَا أَكْرَمَنِي بِجَمِيلِ وَلَايَتِهِ أَتَوَلَّى غَيْرَهُ ؟ وَبَعْدَ مَا وَقَعَ عَلَى ضِيَا عَنَايَتِهِ أَنْظُرُ فِي الدَّارَيْنِ

إِلَى أَحَدٍ ؟ إِنَّ هَذَا مُحَالٌ فِي الظَّنِّ وَالتَّقْدِيرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾

لَهُ نَعْتُ الْكَرَّمِ فَلِذَلِكَ يُطْعَمُ ، وَلَهُ حَقُّ الْقَدَمِ فَلِذَلِكَ لَا يُطْعَمُ .

---

(١) المتعدد = الملجأ لأن اللاجئ يلجأ إليه (المنجد) .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

أى إئتى بمعجزى متحقق ، ومن عذاب ربى مُشْفِقٌ ، وبتابعة أمره مُتَخَلِّقٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجَحَ

وَذَلِكَ الْفَوْزُ لِلْبَينِ ﴾

من أدركه سابقُ عنايته صَرَفَ عنه لِأَحَقَّ عَقوبته .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ

إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

إِنَّهُ مَنْ يَنْجِيكَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمَنْ يُلْقِيكَ فِي الْعَنَاءِ . وَإِذَا لِلْمُتَفَرِّدِ بِالْإِبْلَاجِ وَاحِدٌ فَلَا غِيَارُ  
كُلُّهُمْ أَفْعَالُهُ ؛ وَإِنْ الْإِيجَادُ لَا يَصْلُحُ مِنَ الْأَفْعَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

عَلَتْ رُتْبَةُ الْأَحَدِيَّةِ صِفَةُ الْبَشَرِيَّةِ ، فَهَذَا لَمْ يَزَلْ وَهَذَا لَمْ يَكُنْ فَحَصْلٌ (١) . ومتى يكون

بقاء للحدثان مع وضوح سلطان التوحيد ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ

شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا

الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ

لِتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى

قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ

وَأِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

---

(١) وبتمبير آخر هذا واجب الوجود وهذا ممكن الوجود — كما يقول أهل الفلسفة .

غَلَبَتْ شَهَادَةُ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — فَهُمْ إِذَا أَقْبَلُوا يَشْهَدُونَ فَلَا نَحِيطُ بِحَقَائِقِ الشَّيْءِ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — هُوَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى الْكَافَّةِ وَمَنْ مَبِیْجِدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أَحَاطَ عَلَيْهِمْ بِصَدَقِ الْمِصْطَفَى — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي نُبُوَّتِهِ ، وَلَكِنْ أَدْرَكْتَهُمُ الشَّقَاوَةُ الْأَزَلِيَّةُ فَعَقَدَتْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ ، فَجَحَدُوهُ جَهْرًا ، وَعَلِمُوا صِدْقَهُ سِرًّا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾  
شَوْمُ الْخُدْلَانِ بَلَّغَ بِالنِّكَايَةِ فِيهِمْ مَا جَرَّاهُمْ إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَى الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَجِيبُوا مِنْ إِطْلَاعِهِ ، وَلَمْ يَخْشَوْا مِنْ عَذَابِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾

يَجْمَعُهُمْ لِيَوْمِ الْحُشْرِ وَالنَّشْرِ ، لَكِنَّهُ يَفْرَقُهُمْ فِي الْحُكْمِ وَالْأَمْرِ ، فَالْبَعْثُ بِجَمْعِهِمْ وَلَكِنَّ الْحُكْمَ يَفْرَقُهُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُمْ غَايَةَ التَّمَرُّدِ ، حَيْثُ جَحَدُوا مَا كَذَّبُوا فِيهِ وَأَقْسَمُوا عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ بِاللَّهِ عِلْمٌ لَتَحَقَّقُوا بِأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَوْلَاهُمْ وَعُقْبَاهُمْ ، لَكِنَّ الْجَهْلَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ اسْتَنْطَقَهُمْ بِمَا فِيهِ فَضْأَتْهُمْ .

(١) أَخْطَأَ النَّاسِخُ فَكْتُبَهَا ( مُشْرِقِينَ ) بِالْتَّعَافِ .

قوله جل ذكره : ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم  
وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ .

هذه كلمة تعجب ؛ يعنى إن قصتهم منها ما هو محل التعجب لأمثالكم .

قوله جل ذكره : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا  
على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي  
آذانهم وقراً ﴾ .

بين أن السمع — فى الحقيقة — سمع القبول ، وذلك عن عين اليقين يصدر ، فأما سماع  
الظاهر فلا عبرة به .

ويقال من ابتلاه الحق بقلب مطبق ، ووضع فوق بصيرته غطاء التليس لم يزد ذلك  
إلا نفرة على نفرة .

قوله جل ذكره : ﴿ وإن يروا آية لا يؤمنوا بها  
حتى إذا جاءوك يجادلوك يقول  
الذين كفروا إن هذا إلا أساطير  
الاولين ﴾ .

يعنى من أقصته القسمة الأزلية لم تنعشه الحيلة الأبدية <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون وإن يهلكون  
إلا أنفسهم (و) <sup>(٢)</sup> ما يشعرون ﴾ .

فى هذه الآية إشارة صعبة ( لمن ) <sup>(٣)</sup> يدعو إلى الحق جهراً ثم لا يأتى بذلك سراً .

ويقال خالفت أحوالهم قضايا أقوالهم ، وجرى إجرامهم مجرى من ألقوا حبالهم على  
غارهم ، وكذلك من أبعد عن القسمة لم يقربه فعله .

---

(١) تساوى هذه العبارة فى المعنى ما يأتى بعد قليل ( وكذلك من أبعد عن القسمة لم يقربه فعله ) .

(٢) سقطت الواو من الناسخ فأثبتناها .

(٣) وردت ( لم ) وهى خطأ فى النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا  
يَالَيْتَنَّا زُودُوا وَلَا نُكْتَبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا  
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يعنى حين ينجز للعبد ما وعده له من القربة يشغل من شاء بنوع من العلة حتى لا يطالع أحد  
على محل الأسرار .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلْ يَدَاهُم مَّا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلِ  
وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ  
لَكَاذِبُونَ ﴾ وقالوا إن هي إلا حياتنا  
الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ .

غداً يوم تهتك الأستار ، وتظهر الأسرار — فكم من مجلل بشوب تقواه ، ويحكم له  
معارفه بانه زاهد في دنياه ، راغب في عقباه ، محب لمولاه ، مفارق لهواه ، فيكشف الأمر عن  
خلاف ما فهموه ، ويفتضح عندهم بغير ما ظنوه .

وكم من مهتك ستر بما أظهر عليه ا ظن الكل أنه خليم العذار هيئ الأعلال ، مشوش  
الأسرار ، فظهر لذوى البصائر جوهره ، وبدت عن خفايا الستر حقيقته<sup>(١)</sup> .

ثم قال : « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ » أخبر عما علم أنه لا يكون أنه لو كان كيف  
كان يكون ، فقال لو رُدَّ أهل العقوبة إلى دنياهم لعادوا إلى جحدهم وإنكارهم ، وكذلك  
لو رُدَّ أهل الصفاء والوفاء إلى دنياهم لعادوا إلى أحسن أعمالهم :

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ  
أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ وَرَبِّنَا

---

(١) لاحظ كيف ان التشيرى متأثر إلى حد كبير بتعاليم الملامية ، فأهل الملامية يقومون بأعمال  
تستوجب ملامة الناس سراً لأسرارهم وصوناً لأحوالهم قصداً إلى محاربة دعوى النفس ، والاكتفاء بعلم  
الحق بأحوالهم وحقائقهم .



قال : فدوقوا العذاب بما كنتم  
تَكْفُرُونَ .

يا حسرة عليهم من موقف الخجل ، ومحل مقاساة الوجل ، وتذكر تقصير العمل !  
فهم واقفون على أقدام الحسرة ، يقرعون أسنان الندم حين لا ندم ينفعهم ، ولا شكوى  
تُسمع منهم ، ولا رحمة تنزل عليهم .

وحين يقول لهم : أليس هذا بالحق ؟ يُقِرُّون كارهين ، ويصرخون بالتبرى عن كل غير  
قوله جل ذكره : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى  
إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا  
على ما فرطنا فيها ، وهم يحملون أوزارهم  
على ظهورهم ألا ساء ما يزرون ﴾  
وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار  
الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ؟  
قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون  
فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين  
بآيات الله يجحدون ﴾

خسران وأى خسران ! لم يخسروا مالا ، ولا مقاماً ولا حالاً ، ولكن كما قيل :  
لعمرى لئن أنزفت دمي فإنه لفرقة من أفنيت في ذكره عمرى  
للمصيبة لهم والحسرة على غيرهم ، ومن لم يعرف جلال قدره متى تأسف على ما يفوته من  
حديثه وأمره !

وقوله : « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » : ما كان للنفس فيه حظ ونصيب اليوم فهو  
من الدنيا ، وما كان من الدنيا فإنه — لا محالة — يلهيك عن مولاك ، وما يشغلك عن الحق  
ركونه فغير مبارك قريبه .

قوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن  
الظالمين بآيات الله يجحدون » : هذه تعزية للرسول — صلى الله عليه وسلم

وتسلية . أى قد نعلم ما قالوا فيك وهم إنما قالوا ذلك بسببنا ولأجلنا . ولقد كُنْتَ عَظِيمَ الْجَاهِ  
فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ أَوْقَعْنَا عَلَيْكَ هَذَا الرَّقْمَ ؛ وَكَانُوا يَسْمُونَكَ مُحَمَّدًا الْأَمِينُ ، فَإِنْ أَصَابَكَ مَا يَصِيبُكَ  
فَلِأَجْلِ حَدِيثِنَا ، وَغَيْرِ ضَائِعٍ لَكَ هَذَا عِنْدَنَا ، وَحَالُكَ فِينَا كَمَا قِيلَ :

أَشَاعُوا لَنَا فِي الْحَيِّ أَشْنَعُ قِصَةٍ وَكَانُوا لَنَا سُلْمًا فَصَارُوا لَنَا حَرْبًا

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا

عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ  
نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ  
جَاءَكَ مِنْ نَّبَاِ الْمُرْسَلِينَ ﴿

يعنى إِنَّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَنَا صَبَرَ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ حَدِيثِنَا ، فَلَا خَسِرَتْ فِينَا صَفَقَتُهُ ،  
وَلَا خَفِيتْ عَلَيْنَا حَالَتُهُ ، وَمَا قَابَلَ حُكْمَنَا مِنْ عَرَفْنَا إِلَّا بِالْمُهْجِ ، وَمَا حَمَلُوا مَا لَقُوا فِينَا  
إِلَّا عَلَى الْحَقِّ :

إِنَّ الْأَلَى مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهَوَى وَجَدُوا الْمَنِيَةَ مِنْهَا مَسْوَلًا

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ

اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ  
أَوْ سُلًّا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ ،  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَى  
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿

لفرط شفقته — صلى الله عليه وسلم — استقصى في التماس الرحمة من الله لهم ، وحمل على  
قلبه العزيز بسبب ما علم من سوء أحوالهم ما أثر فيه من فتون الأحران . فعرفه أنهم مُبْعَدُونَ  
عن التقريب ، منكوبون بسالف القسمة .

ولو أراد الحق — سبحانه — تلطفَ عنهم ، ولو شاء أن يهديهم لكان لهم مقبل في  
الصدور ، ومشوى على النشاط ، ولكن مَنْ كَبَسَتْهُ الْعِزَّةُ لَمْ تُنْعِشْهُ الْحِيلَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى

يُبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

مَنْ فَقَدَ الاسْتِمَاعَ فِي سِرَّائِهِ عَدِمَ تَوْفِيقَ الْإِتِّبَاعِ بظاهره ، والاختيارُ السابقُ في معلومه

— سبحانه — غالبٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

استزادوا من المعجزات وقد حصل من ذلك ما يذبح العذر ، ولم يعلموا أن الله المانع لهم

فلولا ما ( . . . ) (١) من بصائرهم لما تَوَاهَمُوا من عدم دلائلهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَائِرٍ

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ

مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

يعنى تساوت المخلوقات ، وتمائلت المصنوعات في الحاجة إلى المنشئ : في حال الإبداع

ثم في حال البقاء ، وكذلك جميع الصفات النفسية والنعوت الذاتية توقفت عن الإيجاد

والاختيار ، فما من شيء من عينٍ وأثر ، ورسم وطلل . . . إلا وهو على وحدانيته شاهدٌ ،

وعلى كون أنه مخلوق . . . دليلٌ ظاهرٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ

وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ، مَنْ يَشَأُ اللَّهُ

يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾

الذين فاتهم العناية الأزلية سدَّ الحرمانُ أسماعهم ، وغشَّى الخذلانُ أبصارهم .

---

(١) مثلية وربما كانت ( سد ) فهي في الخط إلى ذلك أقرب .

والإرادة لا تُعارض ، والمشئنة لا تزاحم<sup>(١)</sup> ، والحق — سبحانه — في جميع الأحوال غالب .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ ، أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ \* بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتُنسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ \*

إذا مسكم الضر ، ونآبكم أمر فين ترومون كشفه ؟ ومن الذي تؤملون لطفه ؟ مخلوقاً شرقياً أم شخصاً غربياً ؟ أم ملكاً سماوياً أم عبداً أرضياً ؟

ثم قال : « بل إياه تدعون » : أي إنكم — إن تذللتم بنفوسكم أو فكرتم طويلاً بقلوبكم — لن تجدوا من دونه أحداً ، ولا عن حكمه ملتجداً ، فتعودون إليه في استكشاف الضر ، واستلطاف الخير والبر ، كما قيل :

ويرجى إليك — وإن تنامت ديارى عنك — معرفة الرجال

و قد تركناك للذي تريد فغسى إن خبرته أن تعودا

فإذا جربت الكل ، وذقت الخلو والمُر ، أفضى بك الضر إلى بابه ، فإذا رجعت بنعت الانكسار ، وشواهد الذل والاضطرار ، فإنه يفعل ما يريد : إن شاء أتاح البُسر وأزال العُسر ، وإن شاء ضاعف الضر وعوض الأجر ، وإن شاء ترك الحال على ما ( قبل )<sup>(٢)</sup> السؤال والابتهاال .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾

(١) وردت ( تزاحم ) بالهاء وهي خطأ في النسخ

(٢) وردت ( قبل ) وهي خطأ في النسخ .

يخبر عن سالف سنته في أبداء الأمم وما أوجب لمن أطاعه منهم من النعم والكرم ،  
وما أحلّ بمن خالفه من الألم وفنون النّعم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا  
وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ  
الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فلما  
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ  
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا  
بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ  
مُبْلِسُونَ ﴾

يعنى أنهم لما أَظْلَمُوا البلاء ، فلو رجعوا يَجْمِلُ التضرع وحسن الابتهاال والتلق  
لكشفنا عنهم المحن ، ولأفتحنا لهم المكنن ، ولكن صَدَّمَهُمُ الْخُذْلَانُ عن العقبى فأصروا على  
تمردهم ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وتضاعفت أسباب شقوتهم .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ يخبر عن خَفِيَ مكره بهم ، وكيف أنه  
استدرجهم ، ثم أذاقهم وبال أمرهم فقال : لما طالت عن الحضرة غيبتهم ، ولم تنجح  
مواظبتنا فيهم سَهَّلْنَا لَهُمْ أسباب العوافي وصببنا عليهم عزالي<sup>(١)</sup> النعم ، وفتحنا لهم أبواب  
الرفاهية ، فلما استمكن الرجاء من قلوبهم أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وعذبناهم فجأة ، وأذقناهم حسرة  
فإِذَا هُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ قَانِطُونَ ، وَلَمَّا خَامَرَ قُلُوبَهُمْ — من أسباب الوحشة عن الاستراحة بدوام  
للنَّجَاة — آيسون .

قوله جل ذكره : ﴿ فَقَطَّعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى لم يبقَ منهم عين ولا أثر ، ولم يَرِدْ حديث منهم أو خبر ،

---

(١) العزالي : يقال أنزلت السماء هزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر

والله — سبحانه وتعالى — بنعت العِزِّ واستحقاق الجلال لا عن فقْدِهِم له استيعاش ،  
ولا بوجودهم استرواح أو استبشار<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ  
وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ  
غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفُ  
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ نَمْ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾

عرّفهم محلّ عجزهم ، وحقيقة حاجتهم إلى القدرة القديمة لدوام فقرهم .  
وحذّرهم فقال : إِنْ لَمْ يُدِمْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةُ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، ولم يوجبْ لهم ما ألبسهم  
من العوائق — بكل وجهٍ في كل لحظة — فمن الذي يهب ما سلبه ، أو يضع ما منعه ، أو يعيد  
ما نفاه ، أو يرُدُّ ما أبداه ؟ كلا . . . بل هو الله تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
بَغْثَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ  
الظَّالِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

يقول إِنْ عَجَلَ مَوْعِدُهُ لَكُمْ مِنَ الْعِقَابِ أَفْتَرُونَ أَنْ غَيْرَ الْمُسْتَوْجِبِ يُبْتَلَى ؟ أو أَنْ  
الْمُسْتَحِقَّ لَهُ يَجِدُ مِنْ دُونِهِ مَهْرَبًا وَمَتَجَى ؟ إِنْ هَذَا مُحَالٌ مِنَ الظَّنِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ  
وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ  
فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \*  
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسِكُهُمُ الْعَذَابُ  
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

---

(١) فالحق — سبحانه — لا يلحقه زين بطاعة المطيع ولا شين بمعصية العاصي .

(٢) أخطأ الناسخ فكتبها ( الظالمين )

يعنى ليس أمرنا لهم إلا بالتزام ما فيه نجاتهم ، ثم بجميل الوعد لهم ، ومفارقة ما فيه هلاكهم ، ثم باليم العقوبة فى الأجل ما يحصل من خلافهم .

فَمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ آنَجَزْنَاهُ الْوَعْدَ ، وَمَنْ كَفَرَ وَجحدَ عَرْضنا عليه الأمر ، وأدخلنا عليه الضر .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ،

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ

إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى

إِلَى قُلْ هَلْ يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

يعنى قل لهم إني لا أتخطئ خطئ ، ولا أتمدئ حدئ ، ولا أثبت من ذات نفسى شيئاً ، وإنما يقال لى أبلغت ؟ وأقول : أجل ، أو صلت .

ثم قال : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » : هل يتشاكل الضوء والظلام ؟ وهل يتماثل الجحد والتوحيد ؟ كلا . . . لا يكون ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأُنذِرُ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا

إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ

وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الإنذار إعلام بمواضع الخوف ، وإنما خص الخائفين بالإنذار كما خص المتقين بإضافة

الهدى إليهم حيث قال : « هدى للمتقين » لأن الاتباع بالتقوى ، والإنذار اختص بهم .

ويقال : الخوف هاهنا العلم ، وإنما يخاف من علم ، فأما القلوب التى هى تحت غطاء الجهل

فلا تبشرها طوارق الخوف .

قوله : « من دونه من ولى ولا شفيع » يعنى كما أنه لا ناصر لهم من الأغيار فلا معتمد لهم

من أفعالهم ، ولا مستند من أحوالهم ، ولا ( يؤمنون )<sup>(١)</sup> شيئاً سوى صرف العناية

وخصائص الرحمة .

(١) الصواب أن تكون ( يأمنون ) لأن ما بعدها منصوب ، ولو كانت يؤمنون لكان ما بعدها مجروراً ، والسياق يقوى اختيار ( يأمنون ) .



قوله جل ذكره : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردم فتكون من الظالمين ﴾

هذه وصية له — صلى الله عليه وسلم — في باب الفقراء والمستضعفين ، وذلك لما قصرُوا لسان المعارضة عن استدفاع ما كانوا يصدده من أمر إخلاء الرسول — صلوات الله عليه وسلامه — مجلسه منهم ، وسكنوا متضرعين بقلوبهم بين يدي الله أراد أن يُبين له أثرَ حُسن الابتهاال فتولى — سبحانه — خصيمتهم .

وقال : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » : لا تنظر يا محمد إلى خرقهم على ظاهرهم وانظر إلى حرقهم في سرائرهم<sup>(١)</sup> ويقال كانوا مستورين بحالتهم فظهرهم بأن أظهر قصتهم ، ولولا أنه — سبحانه — قال « يريدون وجهه » فشهد لهم بالإرادة وإلا فن يتجاسر أن يقول إن شخصاً مخلوقاً يريد الحق سبحانه ؟

ويقال إذا كانت الإرادة لا تتعلق — في التحقيق — إلا بالحدوث ، وحقيقة الصمدية متقدمة عن الاتصاف بالحدثان ، فمن المعلوم أن هذه الإرادة ليست بمعنى المشيئة ، ولا كاشتقاق أهل اللغة لها<sup>(٢)</sup> .

فيقال تكلم الناس في الإرادة : وأكثر تحقيقها أنها احتياج يحصل في القلوب يسلب

(١) واضح من كلام القشيري اتصاف هذا النفر بصفات كثيرة تدنو بهم من أهل التصوف ، وهكذا نجد أن السهروردي في مقدمة « عوارفه » يوضح أن سبب نزول هذه الآية في أهل المشقة الذين كانوا يلازمون صفة مسجد المدينة وليس لهم شغل سوى العبادة وتلاوة القرآن وكان أحدهم إذا ركم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته لتمزق ثوبه . . . الخ (عوارف المعارف ص ٤٧) .

(٢) يقول القشيري في هذا المعنى في « رسالته » : المرید — على موجب الاشتقاق — من له إرادة كالعالم من له علم ، لأنه من الأسماء المشتقة ، ولكن المرید — في عرف هذه الطائفة — من لا إرادة له ، فن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مریداً ( الرسالة ص ١٠١ )

القرار من العبد حتى يصل إلى الله ؛ فصاحب الإرادة لا يهدأ<sup>(١)</sup> ليلاً ولا نهاراً ، ولا يجد من دون وصوله إليه — سبحانه — سكناً ولا قراراً ، كما قال قائلهم :

ثم قطعتُ الليلَ في مَهْمَةٍ لا أسداً أخشى ولا ذيباً  
يفلبني شوقي فأطوى السرى ولم يزلْ ذو الشوق مغلوباً

ويقال تقيَّدت دعوتهم بالغداة والعشي لأنها من الأعمال الظاهرة ، والأعمالُ الظاهرة مؤقتة ، ودامت إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم لأنها من الأحوال الباطنة ، والأحوال الباطنة سرمدة غير مؤقتة ، فقال : « يدعون ربهم بالغداة والعشي » ثم قال : « يريدون وجهه » أى مريدن وجهه فهى فى موضع الحال<sup>(٢)</sup> .

ويقال أصبحوا ولا سؤال لهم من دنياهم ، ولا مطالبة من عقابهم ، ولا هم سوى حديث مولاهم ، فلما تجردوا لله تحضت عناية الحق لهم ، فتولَّى حديثهم وقال : ولا تطردهم — يا محمد — ثم قال : ما عليك من حسابهم من شيء ؛ فالفقير خفيف الظهر لا يكون منه على أحد كثير مشونة ؛ قال تعالى : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء » . لا تطالب بحسابهم ولا يطالبون بحسابك ، بل كلٌّ يتولى الحق — سبحانه — حسابَه ؛ فإن كان أمره خيراً فهو ملاقيه ، وإن كان شراً فهو مقاسيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾

أما الفاضل فليشكر ، وأما المفضول فليصبر .

ويقال سبيل المفضول على لسان الحجة الشكر ، ولا يتقاصر شكره عن شكر الفاضل ، قال قائلهم فى معناه :

أتأتى منك سببكِ لى فسببى أليس جرى بفيك اسمى ؟ ففسبى

(١) وردت ( ولا يهدى ) والصواب أن تكتب ( ولا يهدأ ) مناعاً للبس .

(٢) أى لأن الجملة الفعلية ( يريدون وجهه ) تعرب حالا

وقال آخر :

وإنَّ فؤاداً بعثه — لك شاكراً وإنَّ دماً أجرته — لك حامداً  
قوله جل ذكره : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآيتنا فقل  
سلام عليكم ﴾

أحله محل الأَكابر والسَّادة ، فإن السلام من شأن الجائي إلا في صفة الأَكابر ، فإن الجائي  
أو الآتي يسكت لهيبة المأتي حتى يتبدى ذلك المقصود بالسؤال ، فعند ذلك يجيب الآتي .  
ويقال إذا قاسوا تعب المجيء فأزل عنهم المشقة بأن قل : « سلام عليكم » .  
ويقال السلام هو السلامة أى فقل لهم سلام عليكم ؛ سَلِمْتُمْ في الحال عن الفرقة وفي المآل  
عن الحرقة <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾  
إنَّ وَكَلَّ بك من كتب عليك الزلة فقد تولى بنفسه لك كتابة الرحمة .  
ويقال كتب بمعنى حَكَمَ ، وإنه ما حكم إلا بما علم .  
ويقال كتابته لك أزلية ، وكتابته عليك وقتية ، والوقتية لا تبطل الأزلية .

قوله جل ذكره : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ  
ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يعنى مَنْ تعاطى شيئاً من أعمال الجهال ثم سوَّف في الرجوع والأوبة قابلناه ، يعنى مَنْ  
تعاطى شيئاً بحسن الإمهال وجميل الأفضال ، فإذا عاد بتوبة وحسرة أقبلنا عليه بِكُلِّ  
لطف وقبول .

قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَعْلَمُونَ ﴾

---

(١) أى سَلِمْتُمْ في الدنيا من عذاب نأبه وهجره ، وسَلِمْتُمْ في الآخرة من عذاب جهنم ذات الحريق .

نزِيل الإِشْكَالِ ، وَنُقْصِحُ<sup>(١)</sup> طَرِيقَ الاسْتِدْلَالِ ، وَنُطْلِعُ شُمُوسَ التَّوْحِيدِ ، وَنُعِدُّ أَهْلَهُ  
بِحَسَنِ التَّأْيِيدِ ، وَنَسِمُ قُلُوبَ الْأَعْدَاءِ بِوَسْمِ الْخُذْلَانِ ، وَنَذِيقُهُمْ شَوْمَ الْحَرَمَانِ لِثَلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ  
عَذْرٌ ، وَلَا فِى الطَّرِيقِ إِشْكَالٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهُيتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ  
أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

يعنى صرّح بالاعتراف بجميل ما خصصناك به من وجوه العصمة والنعمة ، وأخبرهم أنك  
فى كنف الإيواء مُتَقَلِّبٌ ، وفى قبضة ( الصون ) مُصَرَّفٌ ؛ فلا للهوى عليك سلطان ، ولالك  
من محل التحقيق تباعد أو عن الحضور غيبة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَكَذَّبْتُمْ  
بِهِ مَا عِنْدِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ  
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ  
الْفَاصِلِينَ ﴾ .

قُلْ إِنْ اللَّهَ — سبحانه — لم يغادرني فى قطر الطلب والتباس التحير ، وأغنانى عن  
( كَذْبُ )<sup>(٢)</sup> الاستدلال ، وَرَوَّحْنِى بِشُمُوسِ الْحَقِيقَةِ . وَلَئِنْ بَقِيتُمْ فى ظلمة الالتباس فليس لى  
قدرة على إزالة ما مُفْنِتُمْ بِهِ من التحير ، ونفى ما امْتُحِنْتُمْ بِهِ من الجهالة والتردد .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ  
لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِالظَّالِمِينَ ﴾ \* وعنده مفاتيح الغيب

---

(١) من الافصاح وهو الإبانة والايضاح .

(٢) وردت ( قد ) والقصود عناء الاستدلال وكده — حسبما نعرف من أسلوب القشيري لى مثل  
هذا الموضع .

لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر  
والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها  
ولا حبيّة في ظلمات الأرض ولا رطب  
ولا يابس إلا في كتاب مبين . ﴿

لو قدرتُ على إبداء ما طلبتم من إقامة البراهين لأجبتكم إلى كل ما اقترحتم على —  
شفقةً عليكم ، لكن المتفرّد بالحكم لا يعارضُ فيما يريد .

« وعنده مفاتيح الغيب » : المفتاح ما به يرتفع الغلقُ ، والذي يحصل مقصود كلِّ أحد ،  
وهو قدرة الحق — سبحانه ؛ فإنَّ التأثير لها في الإيجاد ، والموصوفُ بقدرة الإيجاد هو الله ؛  
ويقال أراد بهذا شمول علمه ، أي هو المتفرّد بالإحاطة بكل معلوم ، وقطعاً لا يُسأل عن  
شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

ويقال عندك مفاتيح<sup>(١)</sup> الغيب وعنده مفاتيح الغيب فإن آمنتَ بغيبه مدَّ الشمس  
على غيبك .

قوله جل ذكره ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم  
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه  
ليُقضى أجلٌ مسّى ثم إليه مرجعكم  
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

إنه يتوفى الأنفس في حال النوم وفي حال الوفاة ، وكما أنه لا يعاقبك بالليل فإنه لا يعذبك  
— إذا توفّاك — على ما جرحت بالنهار مع علمه بأفعالك ، فبالحرى ألا يعذبك غداً  
— إذا توفّاك — على ما علمه من قبيح أحوالك .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو القاهرُ فوق عباده ويرسلُ

---

(١) نسبة المفاتيح إلى الانسان — إن صحَّ — أن التشديد قائلها — يمكن تأويلها على أنها جمع مفتاح مصدر  
ميمى بمعنى الفتح والفتوح وما من فضل الله ، ولكنها بالنسبة إلى المفاتيح الإلهية كلنسبة ضوء المصباح  
إلى ضوء الشمس ، إذا ظهر شعاع الشمس غمر ضوء المصباح . . . هكذا نفهم من السياق — والله أعلم .

عليكم حَفَظَةٌ حتى إذا جاءَ أَحَدَكُمُ  
الموتُ توفَّتُهُ رُسُلُنا وهم لا يَفِرُّونَ ﴿١﴾ .

فوق عبادته بالقهر والرفعة ، وفوقهم بالقدرة على أن يُعَذِّبَهُم من فوقهم بإِِزال العقوبة  
عليهم والسخطة .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ، أَلَا  
لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ .

رَدُّهُمْ إِلَى نَفْسِهِ . وما غابوا عن القبضة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ  
أُتِيجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ  
الشَّاكِرِينَ ﴾ .

تذكير النعمة يوجب الزيادة في المحبة ، فإنه إذا عرف جيلًا أسداه تمكن من  
قلبه الحب .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ  
كَرِيهٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾

للمتفرِّدُ بالقدرة على إيجادكم اللهُ ، والذي هو ( الْخَلْفَ ) <sup>(١)</sup> عما يفوتكم اللهُ ، والذي  
حكمَ بنجاتكم اللهُ ، والذي يأخذ بأيديكم كلما عثرتم اللهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ  
عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ  
تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾

إذا أراد اللهُ هلاك قومٍ أمرَ البلاء حتى يحيط بهم سرادقه كما يحيط بالكفار عذاباً إذا

---

(١) وردت ( الخلق ) بالفتح وهي خطأ في النسخ .

أدركتهم العقوبة ، وخرج بعضهم على بعض ؛ حتى يتبرأ التابع من المتبوع ، والمتبوع من التابع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ،  
انظر كيف نصرّف الآيات لعلمهم  
يفقهون ﴿

لا طعم أردأ للإنسان من طعم الإنسان : إن شئت من الولاية والمحبة ، وإن شئت  
في العداوة والبغضة ؛ فمن ممي بالبغيضة مع أشكاله تنصّ عليه عيشه في الدنيا ، ومن  
ممي بمحبة أمثاله تكدر عليه حاله مع المولى ، ومن صانه عن الخلق فهو المحفوظ  
(المعاني) (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾  
قل لست عليكم بوكيل \* لِكُلِّ  
نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿

يعنى قل لهم إنما على تبليغ الرسالة ، فأما تحقيق الوصلة بالوجود والحال فمن خصائص  
القدرة وأحكام المشيئة الأزلية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ ﴾  
في آياتنا فأعرض عنهم حتى  
يخوضوا في حديث غيره ﴿

لا توافقهم في الحالة ، ولا ترد عليهم ببسط القالة . ذرهم ووحشهم بحسن الإعراض  
عنهم ، والبعد عن الإصغاء إلى تهاويشهم بحسن الاقتباض .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّمَا يُنِيسُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ ﴾  
بعد الذكري مع القوم الظالمين ﴿

---

(١) المحفوظ ( المعاني ) أى محفوظة معانيه ، وربما كانت فى الأصل ( المعاني ) بالفاء المفتوحة أى  
المصون عن كل أذى وعلّة .



أَيُّ إِنَّ بَدَرَ مِنْكَ تَغَافُلٌ فَتَدَارَكْتَهُ بِحَسَنِ التَّذَكُّرِ وَجَمِيلِ التَّنَبُّهِ ، فَاجْتَهِدْ أَلَا (نزل<sup>(١)</sup>)  
فِي تِلْكَ الْغَلْطَةِ قَدَمُكَ ثَانِيَةً لِّثَلَا تَقَاسَى أَلِيمَ الْعُقُوبَةِ مِنَّا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ  
مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لِّعَلَّهُمْ  
يَتَّقُونَ ﴾

أَيُّ مَنْ كَانَ نَقِيًّا (الثوب<sup>(٢)</sup>) عَنْ ارْتِكَابِ الْإِجْرَامِ يُعْزَلُ يَوْمَ نَشْرِهِ عَنْ مَلَاقَةِ  
تِلْكَ الْأَلَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَمِبًا  
وَلَهُوَ غُرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ  
أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ  
لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ،  
وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدْلًا لَا يُؤْخَذُ  
مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا  
لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ  
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

أَيُّ كُلِّهِمْ وَمَا اخْتَارُوهُ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ ( مِنْ خَفِيٍّ الْمَكْرُ مَا إِذَا أَحْلَلْنَاهُ بِهِمْ كَسْرَنَا  
عَلَيْهِمْ ) (٣) نُخَارِبُ الْوَهْمَ وَالْغِلْظَةَ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أُنَدِّعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى  
أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي

---

(١) وردت ( نذل ) بالذال والصواب أن تكون بالزاي ( نزل ) أي تقع فهذا هو الملائم للسياق .

(٢) وردت ( الثواب ) والصواب أن نكون ( الثوب ) فهو الذي يوصف بالنقاء .

(٣) ما بين القوسين موجود في هامش الورقة أثبتناه في موضعه حسب العلامة المبصرة .

استهوته الشياطينُ في الأرض ،  
حيرانَ ، له أصحابٌ يدعونهُ إلى  
الهُدَى ائْتِنَا \* قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ  
هُوَ الْهُدَى ، وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ  
لربِّ العالمين ﴿﴾

أى كان الكفار يدعون المسلمين إلى الرجوع عن الدين والعود إلى الشرك ، فقال  
لهم الله : قل لهم — يا محمد — : أَنْتُمْ الضَّالَّاءُ عَلَى الْهُدَى بعد طلوع شمس البرهان ؟  
وَنَدَعُ الطَّرِيقَةَ الثَّلَاثِيَّةَ بعد ظهور البيان ؟ ونترك عِقْوَةَ الْجَنَّةِ وقد نزلناها ؟ ونطلب  
الجهنم مشىء بعد ما كُفِينَاهَا ؟ إِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْمَقُولِ ، مُحَالٌ مِنَ الظَّنِّ .  
وكيف يساعد أتباعُ الشَّيْطَانِ مَنْ وَجَدَ الْخُلَاصَ مِنْ صَحْبَتِهِمْ ، وَأَبْصَرَ الْغَىَّ  
مِنْ صَفَتِهِمْ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي  
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

أى أَمَرْنَا بِمِلَازِمَةِ مَحَلِّ الْمُنَاجَاةِ لِأَنَّ اللِّسَانَ إِنْ تَعَوَّدَ نَجْوَى السُّلْطَانِ مَتَى يَنْطَلِقُ  
(بِمَكَالَةٍ) <sup>(١)</sup> الْأَخْسَرُ ؟ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ  
الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ  
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ ﴾ .

يعنى أَنَّهُ لَا يَعْتَرِضُ عَلَى قُدْرَتِهِ — سُبْحَانَهُ — حَدُوثُ مَقْصُودٍ ، وَلَا يَتَقَاَصَرُ حُكْمُهُ عَنْ  
تَصْرِيفِ مَوْجُودٍ .

---

(١) وردت (مكاملة) والأوفق بالنسبة للسان أن تكون (مكالة) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ  
أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ  
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

الأصل منهم في الجحود ، والنَّسْلُ منصفٌ بالتوحيد ، والحقُّ — سبحانه —  
يفعل ما يريد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ  
مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ .

لأطفه بسابق العناية ، ثم كاشفه بإلاحق الهداية فأراه من دلالات توحيده ما لم يبق  
في ( قضاء )<sup>(١)</sup> سرُّه شظية من غبار العيب ، فلما صحا من غيم التجوز<sup>(٢)</sup> سما سرُّه فقال  
بنى الأغيار جملة ، وتبرأ عن الجميع ولم يغادر منها تهمة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ  
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ  
الْأَفْلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا  
قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ  
يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً  
قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ  
قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

---

(١) وبما كانت ( قضاء ) بالقاء فالغبار والغيم يملكان بالقضاء

(٢) المقصود من ذلك ما أصاب إبراهيم من اضطراب ، وهنا افه دكية من القشيري حيث أراد وصف  
العقل بالتجوز لانهصار دائرته في نطاق الحس ، وعدم استطاعته تجاوز هذا النطاق لأنه معتمد عليه .

يعنى أحاطت به (سجوف)<sup>(١)</sup> الطلب ، ولم يتجل له بعد صباح الوجود ، فطلع نجم العقول  
فشاهد الحق بسره بنور البرهان ، فقال : هذا ربى ثم يزيد فى ضيائه فطلع له قمر العلم فطالعه  
بشرط البيان ، « فقال هذا ربى » .

ثم (أسفر)<sup>(٢)</sup> الصبح وتمع النهار فطلعت شمس (العرفان)<sup>(٣)</sup> من برج شرفها فلم يبقَ  
للطلب مكان ، ولا للتجويز حكم ، ولا للتهمة قرار فقال : « يا قوم إني برى مما تشركون »  
إذ ليس بعد العيان ريب ، ولا عقيب الظهور ستر .

ويقال قوله — عند شهود الكواكب والشمس والقمر — « هذا ربى » إنه كان يلاحظ  
الآثار والأغيار بالله ، ثم كان يرى الأشياء لله ومن الله ، ثم طالع الأغيار محواً فى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر  
السموات والأرض خيفاً وما أنا  
من المشركين ﴾ .

أفردت قصدى لله ، ( وطهرت )<sup>(٤)</sup> عقدي عن غير الله ، وحفظت عهدي فى الله ،  
وخلصت وجدى بالله ، فأبى الله بالله ، بل ( محو )<sup>(٥)</sup> فى الله والله الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وحاجته قومه قال أحتاجونى فى الله  
وقد هدأن ولا أخاف ما تشركون  
به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى  
كل شيء علماً أفلا تتذكرون ﴾ .

يعنى قال لهم أترومون ستر الشمس بإسبال أكمامكم عليها أو تريدون أن تجروا ذيولكم  
وأن تسدلوا سجوفكم على ضياء النهار وقد تعالى سلطانه وتوالى بيانه ؟

---

(١) سجوف جمع سَجَف وسَجَف وهو الستر ، وأرخى الليل سجوفه أى ظلمته .

(٢) وردت ( أسفر ) والصواب أن تكون ( أسفر ) الصبح .

(٣) لاحظ كيف طبق القشرى نظريته فى المعرفة على ندرج إبراهيم ( عم ) فى الوصول إلى حقيقة  
الألوهية من عقاية ونورها البرهان إلى قلبية ونورها البيان إلى كشفية ونورها العرفان ،

(٤) وردت ( ظهت ) بالطاء والصواب أن تكون بالطاء

(٥) وردت ( مهو ) بالهاء والصواب أن تكون بالحاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وكيف <sup>(١)</sup> أخاف ما أشركتم ولا تخافون

أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به  
عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق  
بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾

يعنى وأى خوفٍ يقع على قلبى ظلّه ولم أَلِمْ بِشِرْكٍ ولم أَتَجَنَّ قطعاً إلى جحد ؟ وأنتم  
ما شتمتم رائحة التوحيد فى طول عمركم ، ولا ذقم طعم الإيمان فى سالف دهركم ، ثم بسوء  
ظنكم نجاسرتهم وما ارعويتم ، وخسرتهم وما باليتهم . فأينما أولى أن يعلن بسرّه ما هو بصدده  
من سوء مكرّه وعاقبة أمره ؟

قوله جلّت قدرته : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم  
بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾

أى الذين أشاروا إلى الله ثم لم يرجعوا إلى غير الله ؛ فإن من قال « الله » ثم رجع  
بالتفضيل — عند حاجاته أو مطالباته أو شىء من حالاته إلى غير الله فخصمه — فى الدنيا  
والعقبى — الله .

والظلم — فى التحقيق — وضع الشىء فى غير موضعه ، وأصعبه حساب أن من الحدثان  
ما لم يكن وكان ؛ فإنّ المنشئ الله ، والمجرى الله ، ولا إله إلا الله ، وسقط ما سوى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع  
درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾

أشار إلى ترقّيه من شهود آياته إلى إثبات ذاته ، وذلك ترتيب أهل السلوك فى وصولهم  
إلى الله ، فالتحق بالآيات التى هى أفعاله ومراعاة ذلك وهى الأولى ؛ ثم إثبات صفاته  
وهى الثانية ، ثم التحقق بوجوده وذاته وهو غاية الوصول ، فبرسومه يعرف العبد نعمته ،  
وبنعوته يعرف ثبوته <sup>(٢)</sup> .

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( فكيف )

(٢) للقشبرى كتابان ( ترتيب السلوك ) و ( المقامات الثلاث ) لم تصل بعد أيدينا إليها ، أولهما توجد  
منه مخطوطة بالفاتيكان والثانى استعاره بعضهم من مكتبة جامعة القاهرة ولم يردده ، فهل يمكن أن نحس أن  
هذه الفقرة خلاصة مفتضية لوجه نظره فى ترتيب مقامات السلوك وعددها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ  
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ  
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ  
نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى  
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ  
﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا  
وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وَمِنْ  
آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ  
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ذَلِكَ  
هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

ذَكَرَ عَظِيمُ الْمِنَّةِ عَلَى كَافَّةِهِمْ — صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَوْلَا تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُمْ  
بِالتَّعْرِيفِ ، وَتَفْضِيلِهِ لَهُمْ عَلَى سِوَاهُمْ بِغَايَةِ التَّشْرِيفِ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ اسْتِجَابٌ وَلَا اسْتِحْقَاقٌ .  
ثُمَّ قَالَ : « ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ . . . . . يَعْمَلُونَ » يَعْنِي لَوْ لَا حَظُّوْا غَيْرَآ ، أَوْ شَاهَدُوا  
— مِنْ دُونِنَا — شَيْئًا ، أَوْ نَسَبُوا شُظْيَةً مِنَ الْحَدَثَانِ — إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِنَا — فِي الظُّهُورِ لِثَلَاثِي  
مَا أَسْلَفُوهُ مِنْ عِرْفَانِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ بِحَالٍ ، وَإِنْ كَانَ  
( يَغْفِرُ ) <sup>(١)</sup> مَا دُونَهُ لِمَنْ أَرَادَ .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا  
هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَّسُوا بِهَا  
بِكَاْفِرِينَ ﴾

(١) وردت ( يَفْقَرُ ) والصواب ( يَغْفِرُ ) طبقاً للآية ( إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَغْفِرْ أَنْ يَشْرِكْ بِهِ . . . الخ ) .

يعنى إن أعرض قومك — يا محمد — فليس كل من ( . . . . ) <sup>(١)</sup> على الجحود  
أظهرناهم ، بل كثير من عبادنا نزلنا — عن الجحود — قلوبهم ، ونَجِّنَا بِمَاءِ السَّعَادَةِ طِينَتِهِمْ  
وهم لا يحيدون عن التوحيد لحظةً ، ولا يزيغون عن التحصيل شئاً .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم

اقتدِه قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

أولئك الذين طهر الله عن الجحد أسرارهم ، ورفع على الكافة أقدارهم ، فاقتف  
— يا محمد — هداهم ، فإن من سلك الجادة أمين من الغناء .

قوله جل ذكره : ﴿ وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ

مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ

مُوسَى نُورًا وَهَدَى النَّاسَ سُبُلَهُ

قِرَاطِينَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا

وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

مَنْ تَوَهَّم أَنْ الْعُلُومَ <sup>(٢)</sup> تحيط بجلاله فالإحاطة غير سائغة في نفعه ، كما أن الإدراك غير  
جائز في وصفه ، وكما أن الإشراف مُحال على ذاته .

ثم قال : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا ﴾ أى سلّمهم عن الأحوال ،  
وخاطبهم في معاني أحكام الرسوم والأطلال ، فإن بقوا في ظلمة ( الحيرة ) <sup>(٣)</sup> فَقُلْ : الله تعالى ،  
ثم ذَرَّهُمْ . يعنى صرّح بالإخبار عن التوحيد ، ولا يهولك تماديهم في الباطل ، فإن تمويهات  
الباطل لا تأثير لها في الحقائق .

(١) مشبهة .

(٢) يقصد بها علوم العقل .

(٣) وردت ( الجيرة ) والخطأ في النقط .



قوله جل ذكره : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه ، مباركٌ  
مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ  
الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ  
يَحَافِظُونَ ﴾

كتابُ الأحبابِ عزيزُ الخطرِ جليلُ الأثرِ ، فيه سلوة<sup>(١)</sup> عند غلبات الوجد ، ومن بقى  
عن الوصول تذلل للرسول ، وقيل :

وَكُتِبَتْ حَوْلِي لَا تَفَارِقُ مَضْجَعِي وَفِيهَا شِفَاءٌ لِلَّذِي أَنَا كَاتِمٌ  
كَأَنِّي مَلْحُوظٌ مِنَ الْجِنِّ نَظَرَةً وَمِنْ حَوَالِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا  
أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ  
وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ  
الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ  
أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ  
عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى  
اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ  
تَسْكِبُونَ ﴾

يعنى إن الذين يَنْزِلُونَ منزلة المُحدِّثين ، ولم تلق إلى أسرارهم خصائص الخطاب —  
فالحق — سبحانه عنهم برىء . والتَّسْبِيحُ بما لم يَنْلُ كلابس ثوبي زور ، وفي معناه أنشدوا .  
إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

(١) وردت ( سلوة ) بالصاد وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ  
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ  
ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِينَ  
زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ  
بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَزْعُمُونَ ﴾

دَخَلْتَ الدُّنْيَا بِمُخْرَقَةٍ ، وَخَرَجْتَ مِنْهَا بِمُخْرَقَةٍ ، أَلَا وَتِلْكَ الْخُرْقَةُ أَيْضًا (.....) (١) ،  
وما دخلت إلا بوصف التجرد ، ولا خرجت إلا بحكم التفرد . ثم الأثقال والأوزار ، والأحمال  
والأوضار لا يأتى عليها حصرٌ ولا مقدار ، فلا مالكم أغنى عنكم ولا حالكم يرْفَعُ منكم ،  
ولا لكم شفيعٌ يخاطبنا فيكم ؛ فقد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ، وَتَفَرَّقَ وَصْلُكُمْ ، وَتَبَدَّدَ شَمْلُكُمْ ،  
وتلاشى ظنُّكم ، وخانكم — فى التحقيق — وسعُكم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَلْبِ وَالنُّوَىٰ يُخْرِجُ  
الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ  
الْحَىِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾

موجد ما فى العالم من الأعيان والآثار والرسوم والأطلال يُسَلِّطُ الْعَدَمَ على ما يريد من  
مصنوعاته ، ويحكم بالبقاء لما يريد من مخلوقاته ، فلا لحكمه ردٌّ ، ولا لحقه جحدٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ  
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

وكما فَلَقَ صَبْحَ الْكَوْنِ فَأَشْرَقَتْ الْأَنْوَارُ كَذَٰلِكَ فَلَقَ صَبْحَ الْقُلُوبِ فَاسْتَنَارَتْ بِهِ  
الْأَسْرَادُ ، وكما جعل اللَّيْلَ سَكَنًا لِتَسْكُنَ فِيهِ النُّفُوسُ مِنْ كَدِّ التَّصَرُّفِ عَنْ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ

(١) مشبهة .

كذلك جعل الليل سَكَنًا للأحباب يَسْكُنُونَ فيه إلى روح المناجاة إذا هدأت العيون  
من الأغيار .

وجعل الشمس والقمر يجريان بحسبان<sup>(١)</sup> معلوم على حد معلوم ، فالشمس بوصفها مذ  
خُلِقَتْ لم تنقص ولم تزد ، والقمر لا يبقى ليلة واحدة على حالة واحدة فأبدأ في الزيادة  
والنقصان ، ولا يزال ينمو حتى يصير بدرًا ، ثم يتناقص حتى لا يرى ، ثم يأخذ في الظهور ،  
وكذلك دأبه دائماً إلى أن نَقُضَ عليه العادة .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا  
بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا  
الآيات لقوم يعلمو ﴾

كما أن نجوم السماء يُهتدى بها فى الفلوات فكذلك نجوم القلوب يهتدى بها فى معرفة رب  
الأرضين والسماوات .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة  
فستقر ومستودع قد فصلنا الآيات  
لقوم يفقهون ﴾

ذكرهم وصفهم حين خلقهم من آدم عليه السلام . وكما أن النفوس والأبصار مستقرًا  
ومستودعًا فللأسمار والضماير مستقر ومستودع ، فمن عبده مُسْتَقَرُّ قلبه أوطان الشهوات  
والمنى ، ومن عبده مستقره موقع الزهد والتقى ، ومن عبده مستقره — حيث لا مسكن  
ولا مأوى — وراء الورى<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء  
فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا

---

(١) وردت ( بحسبان ) بالميم والصواب أن تكون ( بحسبان )  
(٢) أى فى حال الفناء يتلشى فى الوجود الذى لا تحده حدود .

منه خَضِرًا نُخْرِجُ منه حَبًّا  
مُتْرَاكِبًا ، وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا  
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ  
وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيَّانِ مُسْتَبَهِغًا وَغَيْرِ  
مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ  
وَيَنْبَغِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ \*

تجاست أجزاء الأرض وتواققت أقطار الكون ، وتباين النبات في اللون والطعم  
وأخلفت الأشياء ، ودل كل مخلوق بلسان فصيح ، وبيان صريح أنه بنفسه غير مُستَقِل .

قوله جل ذكره : \* وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ  
وَخَرَقُوا <sup>(١)</sup> لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
مُبْجَاهٍ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ \*

سُدَّتْ بَصَائِرُهُمْ فَكَتَفُوا بِكُلِّ مَنْقُوصٍ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَتِلْكَ عَقُوبَةُ لَأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ عَنْ اللَّهِ  
«إِلَى عُجِّلَتْ» .

قوله جل ذكره : \* بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ  
لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ  
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \*

البديع الذي لا مثل له ، أو هو المنشئ لا على مثال ، وكلاهما في وصفه مستحق .  
والواحد يستحيل له الولد لاقضائه البعضية ، والتوحيد ينافيه .

قوله جل ذكره : \* ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) خَرَقَ الْإِصْلَاقُ = اخْتَلَفَ ، أو من خرف الثوب إذا شقه فيكون المعنى : ( اشتقوا له ) وإشارة  
إلى تفرق المعاني على المعين .

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدْهُ وَهُوَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ \*

تَعْرِفُ إِلَهُهُم بِآيَاتِهِ ، ثُمَّ تَعْرِفُ إِلَهُهُم بِصِفَاتِهِ ، ثُمَّ كَاشِفُهُم بِحَقَائِقِ ذَاتِهِ .  
فَقَوْلُهُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » تَعْرِيفٌ لِلْسَادَاتِ وَالْأَكْبَارِ ، وَقَوْلُهُ : « خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »  
تَعْرِيفٌ لِلْعَوَامِّ وَالْأَصَاغِرِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ  
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

قَدَّسَ الصَّدِيقَةُ عَنْ كُلِّ لَحْوٍ وَدَرَكٍ ، فَأَتَى بِالْإِدْرَاكِ وَلَا حُدَّ لَهُ وَلَا طَرَفٌ ۚ  
« وَهُوَ اللَّطِيفُ » الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، « الْخَبِيرُ » الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ مَعْلُومٍ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ  
أَبْصَرَ فَلْيَنفِسْهُ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا  
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴾

أَوْضَحَ الْبَيَانَ وَأَلَاحَ الدَّلِيلَ ، وَأَزَاحَ الْعِكْلَ وَأَنَارَ السَّبِيلَ ، وَلَكِنْ قِيلَ :  
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِمَقْلَةٍ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا  
دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

أَوْ قَعَّ الْفِتْنَةَ فِي قُلُوبِهِمْ فَخَنَسَتْ عَلَيْهِمُ الْأَحْوَالُ : فَمِنْ شُبْهَةٍ دَاخَلَتْهُمْ وَمِنْ حَبْرَةٍ مَلَكَتْهُمْ .  
وَمِنْ تَحْقِيقِ أَدْرَكِهِ قَوْمٌ ، وَتَعْرِيفِ تَوَقُّفِ عَلَى آخِرِينَ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ  
عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾

الْعَجَبُ مَنْ أَقْرَبَ بِقُصُورِ حَالِهِ عَنْ اسْتِحْقَاقِ الْمَدْحِ بِبَقَائِهِ عَنْ مَرَادِهِ ، وَكَيْفَ يَعْصِفُ  
مَعْبُودُهُ بِجَوَازِ الْأَيْدِي فِي مَلِكِهِ مَرَادِهِ ۚ

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

يعنى خاطبتهم بلسان الحجة والتزام الدلائل ونفى الشبهة ، ولا تُكلمهم على موجب نوازع النفس والعادة ، فيُحِيلهم ذلك على ترك الإجلال لذكر الله .

ويقال لا تطابقهم على قبائح ما يفعلون فيزدادوا جرأة في غيهم ، فسيكون فعلك سبباً وعلّة لزيادة كفرهم وفسقهم .

قوله جل ذكره : ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَى

رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

لَبَّسنا عليهم حقائق الأشياء حتى ظنوا القبيح جميلاً ، ولم يروا لسوء حالتهم تبديلاً ، فركنوا إلى الهوى ، ولم يميزوا بين العوافي والقبلا .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ

آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ

عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ

لَا يُؤْمِنُونَ .

وعدوا من أنفسهم الإيمان لو شاهدوا البرهان ، ولم يعلموا أنهم تحت قهر الحكم ، وما يُغْنِي وضوح الأدلة لمن لا تساعد سوابق الرحمة ، ولواحق الحفظ بموجبات القسمة .

قوله جل ذكره : ﴿وَقَلْبُ أَفْتَدَتْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَانَتْ يَوْمَئِذٍ

أُولَ مَرَقَزَنْدَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

العَجَبُ مَنْ تَبَقَّى عَلَى قَلْبِهِ شِبْهَةٌ فِي مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ<sup>(١)</sup> ، وَالْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — يَقُولُ :

---

(١) يشير القشيري بذلك إلى القدرية الذين يقولون بخلق الأفعال ، فسموا قدرية من قبيل تسمية الشيء بضده ، بيتاسى خصومهم بالجبرية .

ويوصف القدرية بأنهم يجوس هذه الأمة ، لأنه كما أن أتباع زرادشت يعارضون خالق الخير بمبدلٍ ثان هو علة الشر كذلك هم — أى القدرية — يُنْخَرِجون أعمال الإنسان السيئة من دائرة خلق الله ، فأنه ليس هو الذى يخلق المصيبة بل إرادة الإنسان المستقلة .

« وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به » ، لا بل من حقائق التقلب بقاء إشكال هذا الأمر  
— مع وضوحه — على قلوب مَنْ هو من جملة العقلاء ، فسبحان مَنْ يُخْفِي هذا الأمر مع  
وضوحه ! هذا هو قهر القادر وحكم الواحد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ  
الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا  
مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
وَلَسَكُنَّ أَكْثَرُهُمْ بِجَاهِلُونَ ﴾

لأن الآيات وإن توالى ، وشموس البرهان وإن تعالت فمن قصته العزة وكبسته القسمة  
لم يَزِدْهُ ذلك إلا حيرة وضلالاً ، ولم يستنجز إلا للشقوة حالاً .

قوله جل ذكره ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا  
شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ  
إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا  
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ  
وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

كلما كان المحلُّ أعلى كانت البليات أوفى ، والمطالبات أقوى ، فلما كانت رتبُ الأنبياء  
— عليهم السلام — أشرف كانت العداوة معهم أشد وأصعب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِتَصْنَعِ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ  
وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾

وكلت أسماع الكفار باللغو وقلوبهم بالسوء فرَضُوا لأنفسهم أخسَّ الأنصاء<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي

---

(١) الأنصاء جمع نصيب وهو الحصّة من الشيء (المنجد) .



أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ  
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ  
مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُتَرَدِّينَ ﴿١﴾

قلْ لِمَ أَتُونَنِي — بعد ظهور البيان ووضوح البرهان — أَذَرُ الْيَقِينَ ، وَأَوْتِرُ التَّخْمِينَ  
وَأَفَارِقُ الْحَقَّ ، وَأَقَارِنُ<sup>(١)</sup> الْحَظَّ ؟ إِنَّ هَذَا مُحَالٌ مِنَ الظَّنِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا  
لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾  
تَقَدَّسَتْ عَنِ التَّغْيِيرِ ذَاتُهُ ، وَتَنَزَّهَتْ عَنِ التَّبْدِيلِ صِفَاتُهُ . وَالتَّامُّ يَنْفِي النِّقْصَانَ . وَكُلُّ  
نَقْصَانٍ فَمِنْ الْحَدَثِ أَصْلُهُ ، وَأَنَا بِالنَّقْصِ — وَالْقِدَمِ وَصْفُهُ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ  
يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ  
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾  
أَهْلُ اللَّهِ قَلِيلُونَ عِدَدًا وَإِنْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَزَنًا وَخَطَرًا ، وَأَمَّا الْأَعْدَاءُ فَفِيهِمْ كَثْرَةٌ .  
فَإِنْ لَا حَظَّنَّهُمْ — يَا مُحَمَّد — فَتَنُّوكَ ، وَإِنْ صَاحِبَتَهُمْ مَنَعُوكَ عَنِ الْحَقِّ وَقَلْبُوكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ  
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

تَقَاصَرَتْ عُلُومُ الْخَلْقِ عَنِ إِدْرَاكِ غَيْبِهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا عَرَفَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ ، وَالَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ  
شَيْءٌ فَهُوَ الْوَاحِدُ — مَبْجَانُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ  
كُنْتُمْ بَآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

هَذَا فِي حَكْمِ التَّفْسِيرِ مُخْتَصٍ بِالدَّبِيحَةِ ، وَفِي مَعْنَى الْإِشَارَةِ مَنَعَ الْأَكْلَ عَلَى الْغَفْلَةِ ، فَإِنْ مِنْ

(١) رَبِّمَا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ ( أَقَارِف ) بِالْفَاءِ ، وَكَلَاهَا صَبِيحٌ فِي السِّيَاقِ .

أكل على الغفلة فما دامت تلك القوة باقيةً فيه فخواطره إما هواجس النفس أو وساوس الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذُكرَ اسمُ

الله عليه وقد فصل لكم ما حَرَّمَ

عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن

كثيراً ليضاون بأهوائهم بغير علم

إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾

يعنى أى شئ عليكم لو تركتم الغفلة ؟ وما الذى يضركم لو استدتمتم الذكر ؟

وقد تبين لكم الفرق بين أنس الذكر ووحشة الغفلة في الحال والوقت ، ( الآ )<sup>(١)</sup>

تعرفوا حكم الثواب والعقاب في المال .

قوله جل ذكره : ﴿ وذروا ظاهرَ الإثمِ وباطنه إن

الذين يكسبون الإثمَ سيجزّون

بما كانوا يقتربون ﴾

ظاهر الإثم ما للأغيار عليه اطلاع ، وباطن الإثم هو سرّ بينك وبين الله ، لا وقوف

لمخلوق عليه .

ويقال باطن الإثم خفيّ العقائد و ( . . . )<sup>(٢)</sup> الألفاظ .

ويقال باطن الإثم ما تملّيه عليك نفسك بنوع تأويل .

ويقال باطن الإثم — على لسان أهل المعرفة — الإغماض عمّا لك فيه حظ ، ويقال باطن

الإثم — على لسان أهل المحبة — دوام التفاضى عن مطالبات الحب ؛ وإنّ بناء مطالبات الحب

على التجنى والقهر<sup>(٣)</sup> ، قال قائلهم :

---

(١) وردت ( إلى ) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) مشتبهة .

(٣) وفى هذا المعنى أنشدوا .

عدل المحبوب يوماً كسَمج

عاشق بطلب تأليف الحُجج

بنى الحب على القهر فلو

ليس يستحسن في شرع الهوى

إذا قلتُ : ما أذنبْتُ ؟ قالت مجيبةٌ :

حياتُكَ ذنبٌ لا يقاسُ به ذنبُ

ويقالُ أُسبغتُ عليكم النِّعمَ ظاهراً وباطناً ، فندروا الإثمَ ظاهراً وباطناً ، فإنَّ من شرطِ الشكرِ تركُ استعمالِ النعمةِ فيما يكونُ إثمًا ومخالفةً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

ما كانت (....) (١) من الأحوال عاصياً ولربُّه ناسياً فتوقيه شرط عند أصحاب (....) (٢) .

ثم قال : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » فهذا يدل على أنَّ مَنْ توقَّى ذلك انحدرت له خواطرُه ، وانقطعت عنه خواطر الشيطان . وأصلُ كل قسوةٍ متابعة الشهوات ، ومَنْ تعود متابعتها فليودعْ صفوة القلب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

الإيمان عند هؤلاء القوم حياة القلب بالله . وأهل الغفلة إذ لهم الذكر فقد صاروا أحياء بعد ما كانوا أمواتاً ، وأربابُ الذكر لو اعتراهم نسيانٌ فقد ماتوا بعد الحياة . والذي هو في أنوار القرب وتحت شعاع العرفان وفي روح الاستبصار لا يدانيه مَنْ هو في (أسر) (٣) الظلمات ، ولا يساويه مَنْ هو رهين الآفات .

(١) مشبهة .

(٢) مشبهة .

(٣) وردت (أصر) بالصاد وقد آثرنا (أسر) لتلائم (رهين) الآفات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا  
مُجْرِمِينَ لِيُكْرَها فِيهَا وَمَا يُكْرَها  
إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يُشْعُرُونَ ﴾ .

لَبَّسْنَا عَلَيْهِم حَقَائِقَ التَّوْحِيدِ ، وَسَوَّلْتُ لَهُمْ ظُنُونَهُمْ أَنَّ بِهِمْ شَطِيئَةً مِنَ الْحَرِّ وَالْإِثْبَاتِ ؛  
فَانْهَكُوا ظُلُمَاتِنَ أَنْهُمْ يَكْفُرُونَ ، وَهُمْ فِي التَّحْقِيقِ مُخَادَعُونَ ، وَسَيَعْلَمُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ عِلْمٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى  
نُؤْتَى بِمِثْلِ مَا آتَى رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ  
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ  
الَّذِينَ أُجْرِمُوا صَعَارٌ عِنْدَ اللَّهِ  
وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ .

بعد إزاحة العلة ، وبيان الحجة ، ويزوال الشبهة ( فالتعلُّل )<sup>(١)</sup> باستزادة البصيرة  
( إعلام )<sup>(٢)</sup> عن سوء الأدب ، وذلك منهم من التعدي ؛ لمساواة مَنْ جَاءَ بِالْإِسْتِحْقَاقِ بِمَنْ  
جَاءَ بِنَوْعٍ مِنْ تَسْوِيلَاتِ النَّفْسِ يوجب مقاساة الهوان . وملازمة الحدود ، وترك التعدي  
على الحق قضية التوفيق .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ  
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ .

الْمُسْلِمُ لَا يَنْحَرِكُ فِي بَاطِنِهِ عِرْقٌ لِلْمَنَازَعَةِ مَعَ التَّقْدِيرِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي تَسْلِيمَ الْكُلِّ  
بِلا استثناء ، وَمَنْ اسْتَنْقَلَ شَيْئًا مِنَ التَّكْلِيفِ أَوْ بَقِيَ مِنْهُ نَفْسٌ لِكِرَاهِيَةِ شَيْءٍ فَيَعُدُّ غَيْرَ  
مُسْلِمٍ مُحْكَمٍ .

ويقال نورٌ في البداية هو نور العقل ، ونورٌ في الوسائط هو نور العلم ونورٌ في النهاية هو

---

(١) وردت ( فالتعليل ) والسياق يتطلب ( التعلل ) فيها يقوى ويتضح .  
(٢) وردت ( إقلام ) ولا معنى لها ، وترجح أنها في الأصل ( إعلام ) أى علامة .

نور العرفان ؛ فصاحب العقل مع البرهان ، وصاحب العلم مع البيان ، وصاحب المعرفة في حكم العيان .

ويقال مَنْ وَجَدَ أنوار الغيب ظهرت له خفايا الأمور فلا يشكل عليه شيء من ذوات الصدور عند ظهور النور ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » .

ويقال أول أثر لأنوار الغيب في العبد يُنبِّهه إلى نقائص قَدَرِهِ ومساوئ غِيَّهِ ، ثم يشغله عن شهود نفسه مما يلوح لقلبه من شهود ربه ، ثم غَلَبَتُ الأنوار على سِرِّهِ حتى لا يشهد السرَّ بعد ما كان يشهد ؛ كَالنَّاظِرِ في قُرْصِ الشمس تُسْتَهْلِكُ أنوار بصره في شعاع الشمس كذلك تستهلك أنوار البصيرة في حقائق الشهود ، فيكون العبد صاحب الوجود دون الشهود ثم بعده خمود العبد بالكلية ، وبقاء الأحدية بنعت السرمدية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ .

وذلك حتى لا يسعى في غير مراد الحق سبحانه (١) ، وخذ البشرية ضيق القلب ، وصاحبه في أسرِ الحدثان والأعلال ، ولا عقوبة أشدَّ من عقوبة الغفلة عن الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾ .

الصراطُ المستقيمُ إقامة العبودية عند تحقق الربوبية فهو فرق مؤيدٌ بجمع ، وجمعٌ مقيدٌ بشرع ، وإثباتٌ للعرفان بغاية الوسع ، ونبو عن المخالفات بغاية الجهد ، والتحقق بأنَّ المُجْرِي

---

(١) تبدو في هذه العبارة رائحة الحبرية . . نعم ، ولكنها جبرية الحب ، فالإرادة والمريد والمراد كلها تدور في فلك الحب ، وهذا فرق بين النزعتين الكلامية البهتة والصوفية ، عند تصديهما لهذا الموضوع .

واحدٌ لا شريك له ، ثم ترك الاعتماد ونفى الاستناد ، لاعلى ( حركاته )<sup>(١)</sup> يعتمد ، ولا إلى سكناته يستند ، ( بل )<sup>(٢)</sup> ينتظر ما يفتح به التقدير ، فإن زاغ صاحب الاستقامة لحظة ، والتفت يمنة أو يسرة سقط سقوطاً لا ينتعش .

قوله جل ذكره : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

دار السلام أى دار السلامة ، ومن كان في رِقٍّ شئ من ( الأغراض )<sup>(٣)</sup> والمخلوقات لم يجد السلامة ، وإنما يجد السلامة من تحرر عن رِقِّ المَسْكُونَات ، والآية تشير إلى أن التَّوَمَّ في الجنة لكنهم ليسوا في أسْرِ الجنة ، بل تحرروا من رِقِّ كل مُكُون .

ويقال مَنْ لم يُسَلِّمْ — اليوم — على نفسه وروحه وكلِّ ماله من كل كريمة وعظيمة تسليم وداع لا يجد — غداً — ذلك الفضل ، فمن أراد أن يُسَلِّم عليه ربُّه — غداً — فَلْيُسَلِّمْ على ( الكون )<sup>(٤)</sup> بجملته ، وأولاً على نفسه وروحه .

ويقال دار السلام غداً لمن سَلِمَ — اليوم — لسانه عن الغيبة ، وجَنَّاه عن الغيبة ، وأبشاره وظواهره من الزُّلَّة ، وأسراره وضمائره من الغفلة ، وعقله من البدعة ، ومعاملته من الحرام والشبهة ، وأعماله من الرياء والمصانعة ، وأحواله من الإعجاب .

ويقال شرفُ قَدَرِ تلك الدار لكونها في محل الكرامة ، واختصاصها بعنصرية الزُّلَّة ، وإلا فالأقطار كلها ديار ، ولكن قيمة الدار بالجوار ، قال قائلهم :

إِنِّي لأحسد داراً في جِوَارِكُم طوبى لمن أضحى لدارك جاراً  
يا ليت جارك يعطيني من داره شبراً إذا لأعطيه بِشْبِرِ داراً<sup>(٥)</sup>

ويقال : وإن كانت الدار منزهة عن قبول الجار ، وليس القرب منه ببدائي الأقطار ، فالإطلاقُ هذا اللفظ لقلوب الأحاب مؤنسٌ ، بل لو جاز القربُ في وصفه من حيث المسافة لم يكن لهذا

(١) وردت ( حركاته ) والصواب أن تكون ( حركاته ) لتتلاءم مع ( سكناته ) .

(٢) أضفنا ( بل ) ليتضح المعنى وهي غير موجودة في النص .

(٣) ( الأغراض ) جمع غرض ، وليس بمستبعد أن تكون ( الأغراض ) بالعين جمع غرض ، وكلاهما مقول .

(٤) وردت ( السكون ) وهي خطأ من الناسخ .

(٥) البيت الثاني مكسور ولكننا حرصنا على اثباته كما جاء في النسخة .

كبير أثر ، وإنما حياة القلوب بهذا ، لأن حقيقته مقدسة عن هذه الصفات ؛ فهو لِأجل قلوب  
الآحباب يُطلق هذا ويقع العلماء في كد التأويل ، وهذا هو أمانة الحب ، قال قائلهم :

أنا من أَجْلِكَ حُمِلْتُ الأذى الذى لا أستطيع

قوله جل ذكره : ﴿ وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾<sup>(١)</sup> .

هذا شرف قدر تلك المنازل حيث قال : « وهو وليهم » لأنه إذا كان — سبحانه —  
هو وليهم فإنَّ المنازل بأسرها طابت كيفما كانت ، قال قائلهم :

أهوى هواها لمن قد كان ساكنها وليس في الدار لي همٌ ولا وطَرٌّ

هو وليهم في دنياهم ، ووليهم في عقباهم ، هو وليهم في أولاهم وفي أخراهم \* وليهم الذى  
استولى حديثه على قلوبهم ، فلم يدع فيها لغيره نصيباً ولا سِوى \* وليهم الذى هو أولى بهم  
منهم \* وليهم الذى آثرهم على أضرابهم وأشكالهم فأثروه في جميع أحوالهم \* وليهم الذى  
تطلب رضاهم ، وليهم الذى لم ( يَكْلُمهم )<sup>(٢)</sup> إلى هوائهم ، ولا إلى دنياهم ، ولا إلى عقباهم .  
وليهم الذى بأفضاله يلاطفهم ، وبجمله وجلاله يكشفهم .

وليهم الذى اختطفهم عن كل حظ ونصيب ، وحال يدهم وبين كل حميم وقريب ،  
فحرَّهم عن كل موصوف ومطلوب ومحبوب ، وليهم الذى هو مؤنس أسرارهم .  
مشاهده مُفَتِّكُ أبصارهم ، وحضرته مرَّعُ أرواحهم .

وليهم الذى ليس لهم سواه ، وليهم الذى لا يشهدون إلا إياه ، ولا يجحدون إلا إياه ، لافى  
بدايتهم يقصدون غيره ، ولا فى نهايتهم يجحدون غيره ، ولا فى وسائلهم يشهدون غيره<sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجنُّ  
قد استكثرتُم من الإنسان وقال  
أولياؤهم من الإنسان ربنا استمتع

---

(١) وقع النسخ في ثلاثة أخطاء كتابية ونقلية في هذه الآية إذ كتبها (فهو وليهم اليوم بما كانوا يكسبون)  
إذ التبت عليه مع آية أخرى .

(٢) وردت ( يكلمهم ) بزيادة ميم وهم خطأ في النسخ .

(٣) لاحظ هنا هذا الترتيب : قصود ثم شهود ثم وجود .



بعضنا ببعضٍ وبلغنا أَجَلنا الذى  
أَجَلْتْ لَنَا ، قَالَ : النارُ مثواكم  
خالدين فيها إلا ما شاء الله إنَّ ربَّك  
حكيمٌ عليمٌ ﴿

يعتذرون فلا يسمع ، ويحتجون بما لا ينفع ، ولقد كانوا من قبل لو أتوا بأقلِّ منه قِبَلِ  
منهم ، لكنَّ سبقت القسمة فحقَّت لهم الشقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك نُؤَلِّ بعضَ الظالمين بعضاً  
بما كانوا يكسبون ﴾

يعنى نجتمع بين الأشكال ، فالأولياء مجموعون يستمتع بعضهم ببعض ، والأعداء مجموعون  
يفرُّ بعضهم من بعض .

قوله جل ذكره : ﴿ يا معشرَ الجنِّ والإنسِ ألمْ يأتِكم رُسُلٌ  
منكم يقصُّون عليكم آياتى وينذرونكم  
لقاء يومِكم هذا قالوا شهدنا على  
أنفسنا وغرَّبَتهم الحياةُ الدنيا وشهدوا  
على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾

عرَّفهم أنه أراح لهم العِلَل من حيث التزام الحجَّة ، لكنه حكم لهم بالشقوة فى الأزل ،  
( فلبسَ )<sup>(١)</sup> عليهم الحجَّة .

قوله جل ذكره : ﴿ ذلك أنْ لمْ يكنْ ربُّك مُهلكَ القُرى  
بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ ﴾

متى يصحُّ فى وصفه توهم الظلم والمُلْكُ مُلكه والخلْقُ خلقه ؟

ومتى يقبح منه تصرفٌ فى شخصٍ بما أراد ، والعبد عبده والحكم حكمه ؟

---

(١) وردت ( فلبس ) وهى خطأ من الناسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

المحسن في روح الثواب متنعم ، والمذنب في نوح العذاب متألم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ

يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ

كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾

« الغني » يشير إلى كشفه ، « ذو الرحمة » يشير إلى لطفه .

أخبرهم بقوله « الغني » عن جلاله ، وبقوله : « ذو الرحمة » عن أفضاله ؛ فبجلاله يكشفهم

فيقضيهم ، وبأفضاله يلاطفهم فيحييهم .

ويقال سماع غناه يوجب محوكم ، وسماع رحمته يوجب صحوهم ، فهم في سماع هذه الآية

مترددون بين بقاء وبين فناء ، وبين إكرام وبين اصطلام ، وبين تقريب وبين تدوير ،

وبين اجتياح وبين ارتياح .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ

بِعُصْجِرِينَ ﴾

الإشارة من هذه الآية إلى قصر الأمل ، ومن قصر أمله حسن عمله ، وكل ماهوآت

فقریب اجله .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ

إِنِّي عَامِلٌ فَمَا تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ

عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

هذا غاية الزجر لأنه تهديد وإن كان في صيغة الأمر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ

نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا

لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل

إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى  
شركائهم ساء ما يحكمون \*

لما بنوا قاعدة أمرهم على موجب الهوى صارت فروغهم لائقة بأصولهم ؛ فهو كما قيل .  
إذا كان القضاء إلى ابن آوى فتعويل الشهود إلى القروء

قوله جل ذكره : \* وكذلك زين لكثير من المشركين  
قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم  
وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله  
ما فعلوه فذرهم وما يفترون \*

وسوست إليهم شياطينهم بالباطل فقبلت نفوسهم ذلك ؛ إذ الأشكال يتناصرون ،  
فالنفس لا تدعو إلا إلى الأجنبية ، لأنها مدعية تنوهم أن منها شيئاً ، وأصل كل شرك  
الدعوى ، والشيطان لا يوسوس إلا بالباطل والكفر ، فهم أعوان يتناصرون .  
ثم قال : « ولو شاء الله ما فعلوه » صرح بأن المراد على المشيئة ، والاعتبار  
( بسابق )<sup>(١)</sup> القضية .

قوله جل ذكره : \* وقالوا هذه أنعامٌ وحرثٌ حِجْرٌ  
لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم  
وأنعامٌ حرمت ظهورها ، وأنعام  
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء  
عليه سيجزئهم بما كانوا يفترون \*  
وقالوا ما في بطون هذه الأنعام  
خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا  
وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ،  
سيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليم \*

---

(١) وردت ( بسائق ) وهي خطأ من الناسخ إذ المقصود بما سبق من القضاء .

أخبر عن أشياء ابتدعوها على ما أرادوا ، وأمر شرعوها على الوجه الذي اعتادوا ،  
ثم أضافوا ذلك إلى الحق بغير دليل ، وشرعوها بلا حجة من إذن رسول ، والاشارة فيه  
أن من (نجا نجوهم)<sup>(١)</sup> في زيادة شيء في الدين ، أو نقصان شيء من شرع المسلمين فضاير  
لهم في البطلان ، ينخرط في سلكهم في الطغيان .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ  
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ  
اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا  
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

فسدت عليهم طريقة الثقة بالله فحملتهم خشية الفقر على قتل الأولاد ، ولذلك قال أهل  
التحقيق : من أمارات اليقين وحقايقه كثرة العيال على بساط التوكل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ  
مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ  
وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ  
وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا  
مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾

يعنى كما أنشأ في الظاهر جنات وبساتين كذلك أنشأ في السر جنات وبساتين ،  
وزهرة القلوب أثم من جنات الظاهر ؛ فأزهار القلوب موفقة ، وشعوس الأسرار مشرقة ،  
وأثمار المعارف زاخرة .

ويقال كما تتشابه الثمار كذلك تتماثل الأحوال ، وكما تختلف طعومها وروائحها  
مع تشاكلها من وجه ، فكذلك الأحوال مختلفة القضايا ، وإن اشتركت في كونها أحوالاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾

---

(١) وردته (نجا نجوم) وهي خطأ من الناسخ .

حَقُّ الْوَاجِبِ يَوْمَ الْحَصَادِ إِقَامَةُ الشُّكْرِ ، فَأَمَّا إِخْرَاجُ الْبَعْضِ فَبَيَانُهُ عَلَى لِسَانِ الْعِلْمِ<sup>(١)</sup> ،  
وَشُهُودُ الْمُنِيعِ فِي عَيْنِ النِّعْمَةِ أُنْمٌ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى وَجُودِ النِّعْمَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

المُسْرِفِينَ ﴾

الإسراف — على لسان العلم — مجاوزة الحد .

وعلى بيان الإشارة فالإسرافُ كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فِي حِظِّ نَفْسِكَ — ولو كانت سمسة ،  
وما أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِهِ — سبحانه — فليس بإسراف ، ولو أربى على الآلاف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾

يعني تسخير الحيوانات للإنسان آية مزية في الفضيلة على المخلوقات . وكما سخر الأعيان  
للإنسان كذلك سخر الأزمان في تصريف الحدثان لخواص الإنسان<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره . ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

خطواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ \* ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ

اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزَانِ اثْنَيْنِ . . . . . ﴾

إلى قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

الرزق لا يتخصص بالمأكولات بل هو شائع في جميع ما يحصل به الانتفاع .

وينقسم الرزق إلى رزق الظواهر ورزق السرائر ، ذلك وجود النعم وهذا شهود الكرم

بل الحمد في وجود القِدَم .

وللقلب رزق وهو التحقيق من حيث العرفان ، وللروح رزق وهو المحبة بصدق التحرر

عن الأكوان ، وللسر رزق وهو الشهود الذي يكون للعبد وهو قرين العيان .

(١) أى إخراج مقدر على حسب الميعود في الركعة .

(٢) يشير بذلك إلى ما يحدث على أئدى الأولياء من كرامات

قوله « ثمانية أزواج من الضأن اثنين » الإشارة من ذكر الضأن أن يتأدب العبدُ باستدامة السكون والتزام حُسن الخلق ، فإنَّ الضانية مستسلمة لمن يلي عليها ، فلا بصياحها تؤذِي<sup>(١)</sup> ولا ( ب . . . وها )<sup>(٢)</sup> ، يعنى كذلك سبيل من وطئ ، هذا البساط .

وكذلك « فى الإبل آيات » منها اتقيادها لمن جرَّ زمامها ، واستناختها حينما تُناخ بلا نزاع ولا اختيار . ومنها ركوبها عند الحمل ، ومنها صبرها على مقاساة العطش ، وذوبانها فى السير .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِى أُوحِىِّ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْفًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

بيِّن أنَّ الشارعَ اللهُ ، والمانعَ عن الخلق هو الله ، وما كان من غيرِ الله فضائعٌ باطلٌ عند الله . بيِّن أنه إذا جاء الاضطرارُ زال حكمُ الاختيار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

---

(١) فى هذه الإشارة الدقيقة نلح أن القشيري يدعو إلى إشار الكتمان وعدم البوح بالأسرار ، وعلى ذلك كبار الشيوخ . يقول الشبلى . على أثر محنة الحلاج « كنت وابن منصور شيئاً واحداً ولكن أظهر وأنا كنت » .

(٢) مشتبهة ، وربما كانت ( بعدوها ) ، وعندئذ قد تكون العبارة فلا بصياحها تؤذِي ولا بعدوها .

بَيَّنْ أَنْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ضَيَّعُوهُ ؛ إِذْ لَمَّا لَمْ يَمَاقِبْهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَشْهَدُوا مَكْرَهُ الْعَظِيمِ فِيهَا ابْتَدَعُوهُ  
مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِمْ — فَأَهْمَلُوهُ وَلَمْ يَحَافِظُوا عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْجَبُوا عَظِيمَ الْوِزْرِ وَالْإِيمِ الْهَجْرَ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ  
وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ  
الْمُجْرِمِينَ ﴾

الإشارة منه ببيان تخصيص الأولياء بالرحمة ، وتخصيص الأعداء بالظرد واللعنة . والصورة  
الإلسانية جامعة ( لهم )<sup>(١)</sup> ولكن القسمة الأزلية فاصلة بينهم .

قوله جل ذكره ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ  
مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا  
مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ، قُلْ هَلْ  
عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؟ إِنْ  
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا  
تَخْرُصُونَ ﴾

كذبت قائلهم لأنها لم تصدر عن تصديق ، قدّموا على جهالتهم وإن كانت ( . . . )<sup>(٢)</sup>  
في التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ  
لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

صَرَّحَ بِأَنْ إِرَادَتَهُ — سَبْحَانَهُ — لَا تَقْصُرُ عَنْ مَرَادٍ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ اعْتِرَاضٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ  
أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا ،

---

(١) وردت ( له ) والصواب أن تكون ( لهم ) لتشمل الأولياء والأعداء .

(٢) مشتبهة .



فلا تَشْهَدْ معهم ، ولا تتبع أهواء  
الذين كذبوا بآيتنا والذين لا يؤمنون  
بالآخرة وهم يربُّهم يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

أشار إلى أَنَّ مَنْ تَجَرَّدَ عن برهانٍ يَصْرِّحُ به وبيان (يُوضِّحُهُ) <sup>(١)</sup> فغيرُ مقبول من فاعله .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ  
أَلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وبالوالدين  
إِحْسَانًا ، ولا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ  
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ،  
ولا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا  
وَمَا بَطَّنَ ، ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي  
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* ولا تقربوا مال  
اليتيم إلا بالتي هي أحسنُ حتى يبلغَ  
أشدَّهُ وأوفوا الكيل والميزانَ  
بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا  
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ  
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* وَأَنَّ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، ولا تتبعوا  
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ  
وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢﴾

---

(١) وردت ( يوضِّعه ) والصواب أن تكون بالخاء ليقوى المعنى والموسيقى اللفظية ونرجح أن الناسخ  
اشتقه عليه شكل الخاء فظنها عيناً

هذه أشياء عشرة تضمنتها هذه الآية أولها الشرك فإنه رأس المحرمات ، والذي لا يقبل معه شيء من الطاعات ، وينقسم ذلك إلى شرك جلي وشرك خفي ، فالجلي عبادة الأصنام ، والخفي ملاحظة الأنام ، بعين استحقاق الإعظام .

والثاني من هذه الخصال ترك العقوق ، وتوقير الوالدين بحفظ ما يجب من أكيدات الحقوق .

وبعد ذلك قتل الأولاد خشية الإملاق ، وإراقة دماءهم بغير استحقاق .

ثم ارتكاب القواحش ما ظهر منها وما بطن ، وما بدا وما استتر ، ويدخل في ذلك جميع أقسام الآثام .

ثم قتل النفس بغير الحق ، وذلك إنما يكون لفقد شفقة الخلق .

ثم مجانبة مال اليتيم والنظر إليه بعين التكريم .

ثم بذل الإنصاف في المعاملات والتوقى من جميع التبعات<sup>(١)</sup>

ثم الصدق في القول والعدل في الفعل .

ثم متابعة السبيل بما تشير إليه لوائح الدليل .

فمن قابل هذه الأوامر بجميل الاعتناق سعد في داريه وحظى بعظائم منزلته .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا

عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بَلَقَاءَ

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

يهوون عليهم مشقة مقاساة التكليف بما ذكر من التعريف بأن الذين كانوا قبلنا كانوا

في الضعف والمعجز مثلنا ، ثم صبروا وظفروا ، وأخلصوا فخلصوا .

---

(١) أى الاحتراز عما فيه نبهة .

قوله جل ذكره : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾

فَاتَّبِعُوهُ ، وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

إنزال الكتاب عليهم تحقيق للإيجاب ، وإذا بقي العبد عن سماع الخطاب تسلي بقراءة الكتاب ، ومن لم يجد في قراءة القرآن كمال العيش والأنس فلأنه يقرأ ترميماً لا تحقيقاً (١)

قوله جل ذكره : ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب

على طائفتين من قبلنا وإن كنا

عن دراستهم لغافلين ﴾ أو تقولوا

لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا

أهدى منهم فقد جاءكم بينة من

ربكم وهدى ورجمة ﴾

أزاح كل علة ، وأبدى كل وصلة ، فلم يبق لك تعللاً ، ولا في آثار الالتجاء إلى العذر موضعاً .

قوله جل ذكره : ﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله

وصدّف عنها سنجزي الذين

يصدّفون عن آياتنا سوء العذاب

بما كانوا يصدّفون ﴾

عقوبة كل جرّم مؤجلة ، وعقوبة التكذيب معجلة ، وهي ما يوجب بقاءهم في أسر

الشك حتى لا يستقر قلبهم على شيء .

قوله جل ذكره : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة

أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات

ربك يوم يأتي بعض آيات ربك

---

(١) يمكن أن يصلح هذا الرأي لتحديد موقف القشيري من قضية « السماع » ومدى تأثير القرآن والشعر في الوجدان الصوفي . انظر قصة يوسف بن الحسين الرازي ( الرسالة ص ١٧١ ) .

لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت  
من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً  
قل انتظروا إننا مُنتظرون ﴿١﴾

أخبر أنه بعدما (أزاح) <sup>(١)</sup> لهم العلل اقترحوا ما ليس لهم ، و (اعتروا) <sup>(٢)</sup> بطول السلامة لهم ، ثم بين أنه إذا أمضى عقوبة عبدٍ حُكماً فلا معارضٍ لتقديره ، ولا مُناقضٍ لتديره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

اتفقوا بأبدانهم وافترقوا بقلوبهم ، (فكانوا) <sup>(٣)</sup> مجتمعين جبراً بجهر ، متفرقين — في التحقيق — سراً بسِرٍّ .

قوله : « لست منهم في شيء » . لا تجمعك وإياهم ، يعني شِقُّ شِقِّ الحقائق ، وشِقُّهم شِقُّ الباطل ، و (لا اجتماع) <sup>(٤)</sup> للضدين .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا ﴾

هذه الحسنات للظاهر ؛ وأما حسنات القلوب فللواحد مائة إلى أضعاف مضاعفة .

ويقال الحسنة من فضله تعالى تصدُر ، وبلفظه تحصل ، فهو يُجْرِي ، ثم يَقْبَلُ ويثني ، ثم يجازي ويعطي .

ويقال إحسانه — الذي هو التوفيق — يوجب إحسانك الذي هو الوفاق ، وإحسانه — الذي هو خلق الطاعة — يوجب لك نعت الإحسان الذي هو الطاعة ؛ فالعناء منك فعله والجزاء لك فضله <sup>(٥)</sup> .

---

(١) وردت (ذبح) وذبح العلة وإزاحتها كلاماً مقبولاً ولكننا آثرنا أزاح لأنه استعمالها في هذا السياق قبل قليل .

(٢) وردت (اعتروا) بالعين والصواب (اعتروا) بالعين .

(٣) وردت (فكانا) (فكانا) فأكثناهما .

(٤) وردت و (لا اجتماع) والمعنى يرفضها ويقتل و (لا اجتماع) .

(٥) تعبر هذه الفقرة عن موقف التفسير بالنسبة لقضية وجوب المثوبة والعقوبة على الله بالنسبة للطبع والماضي ، فبينما يقول المعتزلة بهذا الوجوب ، يرفض التفسير كل وجوب على الله ، ويعود بالأمر كله إلى الفضل الإلهي .

ويقال إحسان النفوس تَوْفِيَّةٌ الخدمة ، وإحسان القلوب حفظ الحرمة ، وإحسان الأرواح مراعاة آداب الحشمة .

ويقال إحسان الظاهر يوجب إحسانه في السرائر ، فالذى منك بمجاهدتك ، والذى إليك مشاهدتك .

ويقال إحسان الزاهدين ترك الدنيا ، وإحسان المريدين رفض الهوى ، وإحسان العارفين قطع المني ، وإحسان الموحدين التخلّي عن الدنيا والعقبى ، والاكتفاء بوجود المولى .

ويقال إحسان المبتدئين الصدق في الطلب ، وإحسان أصحاب النهاية حفظ الأدب ، فشرطُ الطلب ألا يبقى ميسورٌ إلاّ بذلّته ، وشرطُ الأدب ألا تسمولك همّةٌ إلى شيءٍ إلا قطعتَه وتركته .

ويقال للزهاد والعبّاد ، وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد جزاءٌ محصورٌ معدود ، ولأهل المواجيد لقاء غير مقطوع ولا ممنوع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يعنى ( 'يُكَالُ' )<sup>(١)</sup> عليه بالكيل الذى يكيل ، ويوقفُ حيث يرضى لنفسه بأن يكون له موقفاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِىْهُ اِبْرَاهِيمُ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

أرشده إلى الطريق الصحيح . ولا يكون الإرشاد إليه إلا بانسداد الطرق أجمع إلى ماسواه . وَمَنْ وَجَدَ سَبِيلًا إلى مخلوق عرج في أو طان الحسبان لأن الأغيار ليس لها من الإبداع شظية ، ومن سلك إلى مخلوق سبيلاً وأبرم فيهم تأمياً أو قدّم عليهم تعويلاً ، فقد استشعر تسويلاً ، وجرّع تضليلاً .

---

(١) وردت ( يقال ) وهى خطأ فى النسخ .

و « الصراط المستقيم » ألا ترى من دونه مثبناً لذرة ولا سنة .

و « الدين القيم » مالا تمثيل فيه ولا تعطيل ، ولا نفى للفرق الذي يشير إلى العبودية ، ولا رد للجمع الذي هو شهود الربوبية (١) .

والخفيف المائل إلى الحق ، الزائع عن الباطل ، الخائل عن ضد الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ

وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

المسلمين ﴾

مَنْ كُوشِفَ بِحَقَائِقِ التَّوْحِيدِ شَهِدَ أَنَّ الْقَائِمَ عَلَيْهِ وَالْمَجْرَى عَلَيْهِ وَالْمَسْكُ لَهُ وَالْمُنْقَلُ إِلَيْهِ مِنْ وَصْفٍ إِلَى وَصْفٍ ، وَ ( ... ) (٢) عَلَيْهِ فَنُونَ الْخِطَّانِ — وَاحِدٌ لَا يَشَارِكُهُ قِسِمٌ ، وَمَاجِدٌ لَا يَضَارِعُهُ نَدِيمٌ .

وَيَقَالُ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ بِاللَّهِ عِلْمُ أَنَّهُ اللَّهُ ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ اللَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ نَصِيبٌ لِغَيْرِ اللَّهِ ، فَهُوَ مُسْتَسْلِمٌ لِحُكْمِ اللَّهِ ، لَا مُعْتَرِضٌ عَلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ ، وَلَا مُعَارِضٌ لِاخْتِيَارِ اللَّهِ ، وَلَا مُعْرِضٌ عَنْ اعْتِنَاقِ أَمْرِ اللَّهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ

كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

إِلَّا عَلَيْهِهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

---

(١) من اقوال القشيري التي توضح مقصوده هنا : ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق باحوال البشرية فهو فرق ، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع ، فمن أشهد الحق — سبحانه — أفعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة ، ومن أشهد الحق — سبحانه — ما يوليه من أفعال نفسه — سبحانه — فهو عبد يشاهد الجمع ، وإثبات الخلق من باب التفرقة ، وإثبات الحق من نعم الجمع ، ولا بد للعبد من الجمع والفرق ، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له ( الرسالة ص ٣٨ ) .

(٢) مشبهة وهي قريبة من ( المجرى ) .

كيف أثر عليه بدلاً وإنى لا أجد عن حكمه حولا ، وكيف أقول بغير أو ضد  
أو شريك ؟ أو أقول بدونه معبود أو مقصود ؟ وإن لا حظت يمنة ما شاهدت إلا ملكه ،  
وإن طالمت يسرة ما عاينت إلا ملكه ! بل إنى إن نظرت يمنة شهدت يمنة ، وإن نظرت  
يسرة وجدت نحوى يسره (١) !

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض  
ورفع بعضكم فوق بعض درجات  
ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع  
العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾

صبر التوبة إليكم ، وقصر حكم عصركم عليكم ، فأنتم المقصودون اليوم دون من هو  
سواكم . ثم إنه جعلكم أصنافا ، وخلقكم أخيافا (٢) فمن مسخر له ، مرفه ، مروح ، يتعب  
لأجله كثير . ومن معني ، وذى مشقة أدير عليه رأسه . وجاء البلاء ليختبركم فيما آتاكم ،  
ويمتنحكم فيما أعطاكم . إن حسابكم لكم لا حيق ، وحكمه فيكم سابق . والله أعلم .

## السورة التى يذكر فيها الأعراف

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الباء مكسورة فى نفسها وعملها الخفض لأنها من الحروف الجارة للأسماء ، وهى صغيرة  
القامة فى الخط ، ونقطها الذى تتميز به عن غيرها واحد وهو نهاية القلة ، ثم موضع هذه  
النقطة أسفل الحرف ، فهى تشير إلى التواضع والخضوع بكل وجه .

والسين « من بسم الله » حرف ساكن فالإشارة من الباء ألا تدرك — فى الخضوع  
والندال ، والجهد والتوسل — ميسورا ، ثم تسكن منتظرا للتقدير ، فإن من القبول بفضله

(١) وردت ( يمنة ويسره ) بناء مربوطة والصواب أن تكونا ( اليمن واليسر ) مضافتين  
لله — سبحانه .

(٢) يقال م إخوة أخياف : أى إن أهم واحدة والآباء شتى فهم مختلفون ( المنجد )



فذلك المأمول ، وإن ردَّ بحكمِ فله الحكم ، فتوافق تقديره بالموافقة في الرضا به ، إذا المية  
تشير إلى منته إن شاء ، ثم إلى موافقتك لتقديره بالرضا به إن لم يمنَّ .

ويقال الباء تشير إلى بيان قلوب أهل الحقائق بلطائف المكاشفات بما يختصهم الحق  
— سبحانه — بذلك من دون الخلق ، فهم على بيانٍ مما يخفى على الخلق ، فالغيب لهم كشف ،  
والخبر لهم عيان ، وما للناس علمٌ فلهم وجود .

والسين تشير إلى سرور قلوبهم عند تقريبات البسط بما ( . . . )<sup>(١)</sup> فيه من وجوه  
المراعاة ؛ وصنوف لطائف المناجاة ، فهم في جنات النعيم ، وعيشٍ بسطٍ وتكريم ، ودوام  
روحٍ مقيم .

والميم تشير إلى محبة الحق — سبحانه — لهم بدءاً فإنها هي الموجبة لمحببتهم ، إذ عنها  
صَدَرَ كُلُّ حُبٍّ فبمحبتته لهم أحبوه ، وبقصده إليهم طلبوه ، وبإرداته لهم أرادوه .  
ويقال نزهة أسرار الموحدين في الإناخة بعقوة بسم الله ، فمن حلَّ تلك الساحة رَتَعَ  
في حدائق القدس ، واستروح إلى نسيم الأنس .  
ويقال بسم الله موقف الفقراء بقلوبهم ؛ فللأغنياء موقفهم عرفات ، وللفقراء موقفهم  
المكاشفات والمشاهدات .

ويقال قالة « بسم الله » ربيع الأحابيب ؛ أزهارها لطائف الوصلة ، ونورُها زوائد القربة .  
قوله جل ذكره : ﴿ المص ﴾ .

هذه الحروف من التشابه في القرآن على طريقة قومٍ من السكف ، والحق — سبحانه —  
مستأثر بعلمها دون خلقه . وعلى طريقة قومٍ فلها معانٍ تُعرَف ، وفيها إشارات إلى أشياء  
توصَف : فالألف تشير إلى ألفة الأرواح العطرة أصابت الشكبية مع بعض الأرواح العطرة ،  
فهي — في التحقيق — في ذلك المعنى كالمتحدة ؛ فمنه تقع الألفة بين المتشاكبين ، ولأجل  
اتحاد المقصود يتفق القاصدون .

ويقال أَلِفَ القلبُ حديثه فلم يحتمش من بذل روحه .

(١) مشتبه .

ويقال الألف مجرد مَنْ قَصَدَهُ عن كل غَيْرٍ فلم يتصل بشيء ، وحين استغنى عن كل شيء اتصل به كل شيء على جهة الاحتياج إليه .

ويقال صورة اللام كهصورة الألف ولكن لما اتصلت بالحروف تعاقبتها الحركات كسائر الحروف ؛ فمرة أصبحت مفتوحة ، ومرة ( مسكوتة )<sup>(١)</sup> ، ومرة مرفوعة ، وأما الألف التي هي بعيدة عن الاتصال بالعلاقات ( فباقية على وصف التجرد عن تعاقب الحركات عليها فهي على سكونها الأصلي )<sup>(٢)</sup> .

وأما الصاد فتشير إلى صديق أحوال المشتاقين في القصد ، وصدق أحوال العارفين في الوجد ، وتشير إلى صديق قلوب المريدين وأرباب الطلب ، إذ العطش نعت كل قاصد ، كما أن الدهشة وصف كل واجد .

ويقال الصاد تبدي محبة للصدور وهو بلاء الأحياء .

ويقال الصاد تطالبك بالصدق في الود ، وأمانة الصدق في الود بلوغ النهاية والكمال ، حتى لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالمنع .

قوله جل ذكره : ﴿ كِتَابٌ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

كتاب الأحياء نعمة الوقت ، وشفاء لقاساة ألم البعد ، وهو لداء الضنى مُزِيل ، وشفاء الشك مُقْبِل ، وقال تعالى : « فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ » ولم يقل : في قلبك ؛ فإن قلبه — عليه السلام — في محل الشهود ، ولذلك قال : ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون<sup>(٣)</sup> وكذلك قال موسى عليه السلام : « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي »<sup>(٤)</sup> . وقال للمصطفى صلوات الله

(١) وردت ( مسكوتة ) بسقوط النون وهي خطأ في النسخ .

(٢) ما بين القوسين موجود في الهامش ابتداء في موضعه من المتن حسب العلامة المميزة .

(٣) آية ٩٧ سورة الحجر .

(٤) آية ٢٥ سورة طه .

عليه : « ألم نشرح لك صدرك »<sup>(١)</sup> . فإن القلب في محل الشهود ، وهو أبداً بدوام أنس القرب ، قال صلى الله عليه وسلم : « تنام عيني ولا ينام قلبي »<sup>(٢)</sup> وقال : « أسألك لذة النظر »<sup>(٣)</sup> وصاحب اللذة لا يكون له حرج .

قوله جل ذكره : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

استنسلوا لمطالبات التقدير ، قفوا حيناً وقفتم ، وتحققوا بما عرقتهم ، وطالعوا بما كوشقتم ، ولا تلاحظوا غيراً ، ولا تركزوا إلى علة ، ولا تظنوا أن لكم من دونه وسيلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ فما كان دعواهم إذ جاءهم بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ .

يعنى كم من قرية ركنوا إلى الغفلة ، واغتروا بطول المهلة ، باتوا في (خَفَضٍ)<sup>(٤)</sup> الدعة وأصبحوا وقد صادقتهم البلى بقتة ، وأدركتهم القضية فجأة ، فلا بلاء كُشِفَ عنهم ، ولا دعاء يُسْمَعُ لهم ، ولا فرار نَفَعَهُمْ ، ولا صرِيحٌ أَنْقَذَهُمْ . فما زالوا يفرعون إلى الابتهاال ، ويصيحون : الويل ! ويدعون إلى كشف الضر ، ويبيكون من مسِّ السوء ؟ ! بادوا وكأنه لا عين ولا أثر ، ولا لأحد منهم (خبر)<sup>(٥)</sup> . تلك سُنَّةُ اللَّهِ في الذين خَلَوْا من الكافرين ، وعادته في الماضين من الماردين .

(١) آية ١ سورة الشرح .

(٢) في رواية سعيد بن منصور في سننه عن ابن سعد بن الحسن مرسل : ( تنام عيني ولا ينام قلبي ) ص ١٢٠ الجامع الصغير .

(٣) وردت ضمن وعاء طويل رواه النسائي في سننه والحاكم في مستدركة عن عمار بن ياسر - هكذا ( . . . وأسألك لذة النظر الى وجهك ) .

(٤) وردت ( خفض ) بالخاء والصواب أن تكون ( خفض العيش ) بالخاء .

(٥) وردت ( خبر ) بالياء والصواب أن تكون ( خبر ) بالباء .

قوله جل ذكره : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾

« فلنسألن الذين أرسل إليهم » : سؤال تعنيف وتعذيب .

« ولنسأل المرسلين » : سؤال تشريف وتقريب .

« فلنسألن الذين أرسل إليهم » عن القبول فيتنقنون بذل الخجل .

« ولنسألن المرسلين » عن البلاغ فينكلمون ببيان الهيبة ، فالكُلُّ بِسْمَةِ الْعُبُودِيَّةِ والتوقير ، والحقُّ بنعت الكبرياء والتقدير .

قوله جل ذكره : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾

فلنخبرنهم يوم الفصل ما هم عليه اليوم ، ونوقفهم على ما أسلفوه ، وتقيمهم في مقام الصغار ومحل الخزي ، وسيعلمون أنه لم يغيب عن علمنا صغير ولا كبير .

ويقال أجرى الحق — سبحانه — سنته بتخويف العباد بعلمه مرة كما خوفهم بعقوبته تارة ؛ فقال تعالى : « واتقوا يوماً » <sup>(١)</sup> يعني العذاب الواقع في ذلك اليوم ، وقال في موضع آخر : « ويحذركم الله نفسه » <sup>(٢)</sup> وهذا أبلغ في التخويف ، وقال « ألم يعلم بأن الله يرى » <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون

﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون

يَزِنُ أَعْمَالَهُمْ بِمِيزَانِ الْإِخْلَاصِ ، وَأَحْوَالَهُمْ بِمِيزَانِ الصِّدْقِ . فَمَنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُم بِالرِّيَاءِ

(١) آية ٤٨ سورة البقرة

(٢) آية ٢٨ سورة آل عمران

(٣) آية ١٤ سورة العلق

مصحوبة لم يقبل أعمالهم ، ومن كانت أحوالهم بالاعجاب مشوبة لم يرفع أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم

فيها معاش قليلاً ما تشكرون ﴾

سهّلنا عليكم أسباب المعيشة ، ويسّرنا لكم أحوال التصرف ، ثم أراد منكم أن تتخذوا

إليه سبيلاً ، ولم يعتص عليه مراد .

« قليلاً ما تشكرون » لاستعمالكم - في الخلاف - أبدانكم ، وإلفاقكم

- بالإسراف - أحوالكم ، ولاستغراقكم - في الحظوظ - أوقاتكم . فلا نعمة الفراغ

شكرتم ، ولا من مس العقوبة شكوت . . . . . خسرتم وما شعرتم !

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا

للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا

إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾

ثبّتناكم على النعم التي أردناكم ، وأقمناكم في الشواهد التي اخترنا لكم ؛ فمن قبيح

صورته خلقاً ومن ملبح ، ومن سقيم حاله خلقاً<sup>(١)</sup> ، ومن صحيح . ثم إنا نعرفكم سابق

آيادينا إلى أبيكم ، ثم لاحقٍ بخلافه بما بقى عريقٍ منه فيكم ، ثم ما علمنا به ( من مكان

يحسدكم )<sup>(٢)</sup> ويعاديكم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك

قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ

وخلقته من طين ﴾

أي لولا قهر الربوبية جرى عليك وإلا فما موجبُ امتناعك عن السجود لآدم لو كنتَ

تعظّمُ أمرى ؟ فيتحقق الموجدون أن موجب امتناعه عن السجود الخذلانُ الحاصلُ ، ولو ساعده

التوفيق لم يبرح بعد من السجود .

(١) ضبطنا خلقاً وخلقاً حسبما يتطلبه السياق

(٢) هكذا في ص ورجح أن الناسخ قد اخطأ في النقل ؛ فما بين قوسين لا معنى له ، وربما كانت

في الأصل ( ثم ما علمنا بمن كان يحسدكم ويعاديكم ) والمقصود إبليس كما في الآية

قال : « أنا خير منه » ادّعى الخيرية ، وكان الواجب عليه — لولا الشقوة — أن يؤثّر التذلل على التكبر ، لاسيما والخطاب الوارد عليه من الحق .

ثم إنه وإن سلك طريق القياس فلا وجه له مع النفس لأنه يحظى ، فلم يزدّه قياسه إلا في استحقاق نفيه إذ ادّعى الخيرية بجهوره<sup>(١)</sup> ، ولم يعلم أن الخيرية بحكمه — سبحانه — وقسمته .

قوله جل ذكره : ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تنكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ .

فارق بساط القربة : فإن التكبر والترفع على البساط ترك الأدب ، وترك الأدب يوجب الطرد .

ويقال من رأى لنفسه محلاً أو قيمة فهو متكبر ، والمتكبر بعيد عن الحق سبحانه ، ورؤية المقام قدح في الربوبية إذ لا قدر لغيره تعالى ، فمن ادّعى لنفسه محلاً فقد نازع الربوبية .

قوله جل ذكره : ﴿ قال أنظرنى إلى يوم يبعثون ﴾ قال إنك من المنظرين .

أجاب دعاءه في الحال ولكن كان ذلك مكرراً به لأنه مكّنه من مخالفة أمره إلى يوم القيامة ، فلم يزدّه بذلك التمكين إلا شقوة . ليعلم الكافة أنه ليس كل إجابة للدعاء نعمة ولطفاً بل قد تكون بلاء ومكرراً .

قوله جل ذكره : ﴿ قال فإما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ﴾ .

جأهر الحقيقة بالخلاف بعدما أظهر من نفسه غاية الخلوص في العبودية ، فعلم أن جميع ما كان منه في ( سالف )<sup>(٢)</sup> حاله لم يصدر عن الإخلاص والصدق .

(١) حيث اعتبر النار خيراً من الطين .

(٢) وردت ( سالك ) والصواب أن تكون ( سالف ) أى سابق عهده قبل عصيانه .

قوله جل ذكره : ﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ  
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ .

أخبر أنه يأخذ عليهم جوائنهم ، ويتسلط عليهم من جميع جهاتهم ، ولم يعلم أن الحق سبحانه قادر على حفظهم عنه ، فإن ما يكيد بهم من القدرة حصل ، وبالمشيئة يوجد ، ولو كان الأمر به أو إليه لكان أولى الخلق بأن يؤثر فيه كدحه نفسه ، وحيث لم ينفعه جهده في سالف أحواله لم يضرهم كيد بما توعدهم به من سوء أفعاله .

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مُدْحَضًا لِمَنْ  
تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ  
أَجْمِينَ﴾ .

أخرجه من درجته ، ومن حالته ورتبته ، ونقله إلى ما استوجبه من طرده ولعنته ، ثم تخليده أبداً في عقوبته ، ولا يذيقه ذرة من برِّ رحمته ، فأصبح وهو مقدّم على الجملة ، وأمسى وهو أبعد الزمرة ، وهذه آثار قهر العزة . فأى كبد يسمع هذه القصة ثم لا يتفتت ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ  
فَاكْلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا  
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

لما أسكن آدم الجنة خلق معه سبب الفتنة ، وهو ما أكرمه به من الزوجة . وأى نقص يكون في الجنة لو لم يخلق فيها تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لولا ما أخفى من سِرِّ القسمة ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿فَوَسَّوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ .

نسبته ما حصل منهما إلى الشيطان من أمارات العناية ، كانت الخطيئة منهما لكنه تعالى قال : «فوسوس لهما الشيطان» .



ويقال النقي آدمُ إبليس بعد ذلك فقال له : يَا شَقِيءُ ! وَسُوسَتُ إِلَى فَعَلْتُ ! ، فقال إبليس لآدم . يَا آدَمُ ! هَبْ أَنِّي كُنْتُ إبليسَكَ فَمَنْ كَانَ إبليسُ ؟ ! .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوَاءٍ لِهَآءِ ﴾ .

وفي ذلك دلالة على عناية زائدة حيث قال : « لِيُبْدِيَ لَهَا » فلم يطلع على سوائهما غيرهما .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقالَ ما نَها كَما رُبُّكُما عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخالِدِينَ ﴾ .

فاقت أنفسهما إلى أن يكونا ملكين — لأن رتبة الملائكة كانت أعلى من رتبة آدم عليه السلام — ولكن لا تقطاع الشهوات والتمني عنهما .

ويقال لما طبعما في الخلود وقعا في الحمود ، ووقعا في البلاء والخوف ؛ وأصل كلُّ محنة الطمعُ .

ويقال إذا كان الطمع في الجنة — وهي دار الخلود — أَوْجَبَ كُلَّ تلك المحن فالطمع في الدنيا — التي هي دار الفناء — متى يسلم صاحبه من ذلك ؟ ويقال إن يكونا إنما ركنا إلى الخلود فلا لنصيب أنفسهما ، ولكن لأجل البقاء مع الله تعالى ، وهذا أولى لأنه يوجب تنزيه محل النبوة . وقيل ساعات الوصال قصيرة وأيام الفراق طويلة ، فما لبثا في دار الوصلة إلا بعضاً من النهار ؛ دَخَلَا ضَحْوَةَ النَّهارِ وَخَرَجَا نِصْفَ النَّهارِ ، ويقال إن الفراق عينٌ تصيب أهل الوصلة ، وفي معناه قال قائلهم :

إِنْ تَكُنْ عَيْنٌ أَصَابَتْكَ فَمَا إِلاَّ أَنَّ الْعَيْنَ تَصِيبُ الْحَسَنًا

وقال حين تَمَّتْ لهما أسباب الوصلة ، وَوُطِّئَا نَفوسَهُما على دوام القربة بدا الفراق من مكانه فأباد من شملهما ( ما )<sup>(١)</sup> انتظم ، كما قيل :

(١) وردت ( فانتظم ) والصواب ( ما انتظم )

حين تم الهوى وقلنا سررنا وحسيناً من الفراق أمناً  
بعث البين رسله في خفاء فأبادوا من شملنا ما جمعنا

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَاصِحٌ ﴾  
فدلاًهما بغرور ﴿

(حُسنُ ظنِّ آدم — عليه السلام — حمله على سكون قلبه إلى بين العدو لأنه لم يخطر  
بباله أن يكذب في يمينه بالله ، ثم لما بان له أنه دلاًهما بغرور تاب إلى الله بصدق الندم ،  
واعترف بأنه أساء وأجرم ، فعلم — سبحانه — صدقه فيما ندم ، فتداركه بحميل  
العفو والكرم) <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لهُمَا  
سُوءَاتُهُمَا ﴾

لم يحصل استيفاء من الأكل والاستمتاع به للنفس حتى ظهرت تباشير العقاب ، وتنقص  
الحال ، وكذا صفة من أثر على الحق — سبحانه — شيئاً يبقيه عنه ، فلا يكون له بما أثر  
استمتاع . وكذلك من ادّخر عن الله — سبحانه — نفسه أو ماله أو شيئاً بوجه من الوجوه  
— لا يبارك الله فيه ، قال تعالى في صفة الأعداء : « خسر الدنيا والآخرة » .

ويقال لما بدت سوءاتهما احتالا في الستر ، وطبقاً بخصفان عليهما من ورق الجنة فبعدما  
كانت كسوتهما حلل الجنة ظلاً يستتران بورق الجنة ، كما قيل :

لله درهم من فتية بكروا مثل الملوك ، وراحوا كالساكنين  
وأنشدوا : لا تعجبوا لمذلتى فأنا الذى غبت الزمان بمهجتي فأذلها

ثم إن آدم عليه السلام لم يساعده الإمكان في الاستتار بالورق إذ كانت الأشجار أجمع كلها  
تنطاول وتأبى أن يأخذ آدم — عليه السلام — شيئاً من أوراقها . وقبل ذلك كان لا يلاحظ  
الجنة فكان يتبه على الكون بأسره ولكنه صار كما يقال :

وكانت — على الأيام — نفسى عزيزة فلما رأت صبرى على الدلّ ذلت

(١) ما بين القوسين موجود في الهامش أثبتناه في موضعه من المتن .

ولما أخرج آدم من الجنة وأُسكن الأرض كلف العمل والسعي والزرع والغرس ، وكان لا يتجدد له حال إلا تجدد بكأؤه ، وجبريل — عليه السلام — يأتيه ويقول : « أهذا الذي قيل لك : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » ؟  
فلم تعرف قدره . « فذُقْ جزايا خِلافِكَ » فكان يسكن عن الجزع . ويقال بل الحكم بالخنوع كما قيل :

وجاشت إلى النفس أول مرة      وزيدت على مكروهاها فاستقرت  
قوله جل ذكره : ﴿ وَطَقَّأَ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ  
وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ  
الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا  
عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

كانت لا تصل يده إلى الأوراق حين أراد قطافها ليخصفها على نفسه ، فلو لم تصل يده إلى تلك الشجرة — التي هي شجرة المحنة — لكان ذلك عنايةً بشأنه ، ولكن وصلت يده إلى شجرة المحنة ، تسمّةً للبلاء والفتنة ، ولو لم تصل يده إلى شجرة السر — إبلاغاً في القهر — لما خالف الأمر ، ولما حصل ما حصل .

« وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلك الشجرة » : فكان ما دأخلهما من الخجل أشد من كل عقوبة ، لأنهما لو كانا في الغيبة عند سماع النداء فإن الحضور يوجب الهيبة ، فلما ناداهما بالعتاب حل بهما من الخجل ما حل ، وفي معناه أنشدوا :

واخجلنا من وقوف وسط دأرهم      إذ قال لي مغضبا : من أنت يارجل ؟ .  
قوله جل ذكره : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا  
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

اعترفا بالظلم جهراً ، وعرفا الحكم في ذلك سرّاً ، فقولهما : « ربنا ظلمنا أنفسنا » اعتراف بالظلم من حيث الشريعة ، وعرفان بأن المدار على الحكم من حيث الحقيقة ، فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة<sup>(١)</sup> ، ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة ،

(١) حتى يكون الشر ملسوباً للإنسان كسباً .

فلما أقرّا بالظلم قالا : « وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » نطقا على عين التوحيد حيث لم يقولوا بظلمنا خسرنا ، بل قالا : فَعَلْنَا فَإِنْ لم تغفر لنا خسرنا ، فَيَتَرَكُ غفرانك نخسر لا رتكاب ظلمنا به .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أَهْبَطَهُمْ ، ولكنه أهبط إبليسَ عن رتبته فوقه في اللعنة ، وأهبط آدم عن بقعته فتداركته الرحمة .

ويقال لم يُخْرِجَ آدم عليه السلام من رتبة الفضيلة وإن أُخْرِجَ عن دار الكرامة ، فلذلك قال الله تعالى : « ثم اجتباه ربّه » وأما إبليس — لعنةُ الله عليه — فإنه أُخْرِجَ من الحالة والرتبة ، فلم ينتعش قط عن تلك السَّقْطَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾

« ولکم فی الأرض مستقر » هذا عامٌ « ومتاع إلى حين » : أراد به إبليسَ على الخصوص . قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

أخبر أنه يستقبلهم اختلافُ الأحوالِ في الدنيا ، ويتعاقب عليهم تفاوتُ الأطوار ، فَمِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ ، ومن خير ومن شر ، ومن حياة ومن موت ، ومن ظَفَرٍ وَمِنْ قَوْتٍ ... إلى غير ذلك من الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النُّقَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

سترناكم عن الأسباب الظاهرة ، ويسرنا لكم ما تدفعون به صنوف المضار عنكم بما مَكَّنَّا لكم من وجوه المنافع .

ثم قال : « ولباسُ التقوى ذلك خير » فإن اللباس الظاهر بقى آفات الدنيا ، ولباس التقوى يصون عن الآفات التي توجب سخط المولى ، ولباس التقوى بجميع أجزاء العبد وأعضائه . والنفس لباسٌ من التقوى وهو بذل الجهد والروح والقلب ، لباس من التقوى وهو صدق القصد بنفى الطمع . وللروح لباس من التقوى وهو ترك العلائق وحذف العوائق . والسر لباسٌ من التقوى وهو نفي المساكنات والتصاؤون من الملاحظات . ويقال تقوى العباد ترك الحرام ، وتقوى العارفين نفي مساكنة الأنام . ويقال للعوام التقوى ، وللخواص لباس التقوى عن شهود التقوى .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾

من أصفى إلى وساوس نفسه بأسماع الهوى وجد الشك بين وساوس الشيطان وهاجس النفس ، ويتناصر الوسواس والهاجس وتصير خواطر القلب وزواجر العلم مغمورةً مقهورةً — فعن قريب تشمل تلك الهواجس والوساوس صاحبها ، وينخرط في سلك موافقة الهوى فيسقط في مهواة الزلة ، فإذا لم يحصل تدارك بوشيك التوبة صارت الحالة قسوةً في القلب ، وإذا قسا للقلب فارقت الحياة وتم له البلاء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

لا يحصل للعبد احتراس من رؤية الشيطان إياه وهو عنه غائب إلا برؤية العبد للحق — سبحانه — بقلبه ، فيستغيث إليه من كيده ، فيُدْخِلُهُ — سبحانه — في كنف عنايته فيجد الخلاص من مكر الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ ، قُلْ إِنْ أَرَادَ

لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله

ملا تعلمون ﴿

استروحوا في التعلل إلى سلوكهم نهج أسلافهم ، فاستمسكوا بحبل واهٍ فزلت بهم أقدام الغرور ، وقصوا في وهدة المحنة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾

القسط العدل ، ويقع ذلك في حق الله تعالى ، وفي حق الخلق ، وفي حق نفسك ؛ فالعدل في حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير في المأمور به أو إقدام على المنهى عنه ، ثم ألا تدخر عنه شيئاً مما خولك ، ثم لا تؤثر عليه شيئاً فيما أحل لك . وأما العدل مع الخلق — فعلى لسان العلم — بذل الإنصاف ، وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف . وأما العدل في حق نفسك فإدخال العتق عليها ، وسد أبواب الراحة بكل وجه عليها ، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال في كل نفس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

الإشارة منه إلى إستدامة (شهوده في كل حالة ، وألا تنساه لحظة في كل ما تأتبه وتذره وتقدمه) (١) وتأخره .

قوله جل ذكره : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ فريقتا هدى

وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم

اتخذوا الشياطين أولياء من دون

الله ويَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿

من كانت قيسته — سبحانه — له بالسعادة كانت فطرته على السعادة ، وكانت حالته بنمت السعادة ، ومن كانت حالته بنمت السعادة كانت عاقبه إلى السعادة ، ومن كانت القسمة له بالعكس فالحالة بالضد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان بحالة لقي الله بها » .

(١) ما بين القوسين موجود في الهامش أثبتناه في موضعه من النص .

وجملة العلم بالقضاء والقدر أن يتحقق أنه علم ما يكون أنه كيف يكون ، وأراد أن يكون كما علم . وما علم ألا يكون — مما جاز أن يكون أرادته ألا يكون — أخبر أنه لا يكون . وهو على وجه الذي أخبر ، وقضى على العبد وقدر أجرى عليه ما سبق به الحكم ، وعلى ما قضى عليه حصل العبد على ذلك الوصف ..

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾

على لسان العلم : يجب سترُ العورة في الصلاة ، وعلى موجب الإشارة : زينة العبد بحضور الحضرة ، ولزوم السَّدَّة ، واستدامة شهود الحقيقة .

ويقال زينة نفوس العابدين آثار السجود ، وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود ، فالعابد على الباب بنعت العبودية ، والعارف على البساط بحكم الحرية . وشتان بين عبد وعبد !

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

الإسراف ما تناولته لك ولو بقدر سمسة .

ويقال الإسراف هو التعدي عن حدِّ الاضطرار فيما يتضمن نصيباً لك أو حظاً بأى وجه كان .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

الإشارة منها إلى زينة السرائر ، فزينة العابدين آثار التوفيق ، وزينة الواجدین أنوار التحقيق ، وزينة القاصدين ترك العادة ، وزينة العابدين حسن العبادة .



ويقال زينةُ النفوسِ صدارُ الخدمة ، وزينةُ القلوبِ حفظُ الحرمة ، وزينةُ الأرواحِ الإطراقُ بالحضرةِ باستدامةِ الهيبةِ والحشمةِ .

ويقال زينةُ اللسانِ الذكرُ وزينةُ القلبِ الشكرُ .

ويقال زينةُ الظاهرِ السجودُ وزينةُ الباطنِ الشهودُ .

ويقال زينةُ النفوسِ حسنُ للعاملةِ من حيثِ المجاهداتِ ، وزينةُ القلوبِ دوامُ المواصلةِ من حيثِ المشاهداتِ .

ومعنى قوله : « قل من حرم زينة الله التي . . . » ، يعنى إن الله لم يمنع هذه الزينة عن تعرض لوجدانها ، فمن تصدى لطلبها فهي مباحة له من غير تأخير قصود .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

أرزاق النفوس بحكم أفضاله سبحانه ، وأرزاق القلوب بموجب إقباله تعالى .

ويقال أرزاق المرادين إلهام ذكر الله ، وأرزاق العارفين الإكرام بنسيان ما سوى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

منها وما بطن والإثم والبغى بغير

الحقِّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل

به سلطاناً وأن تقولوا على الله

مالا تعلمون ﴾

ما ظهر منها الزَّلَّةُ ، وما بطن منها الغفلة .

ويقال ما ظهر منها كان بنسيان الشريعة ، وما بطن بإشارة الحقيقة .

ويقال لقوم ترك الرخص يكون علة ، والأولى بهم والأفضل لهم الأخذ به . وقوم

لو ركنوا إلى الرخص لقامت عليهم القيامة .

ويقال فاحشة الخواص تتبع ما لأنفسهم فيه نصيب ولو بذرة أو سِنَّة .

ويقال فاحشة الأحياب الصبر على المحبوب<sup>(١)</sup>

---

(١) لأنهم عندئذ يستطيعون الصبر بعيداً عن رضا محبوبهم عز وجل . ( الرسالة ص ١٦٢ )

ويقال فاحشةُ الأحبابِ أن تبقى حياً وقد منيت بالفراق ، قال قائلهم :  
لا عيشَ بعد فراقهم      هذا هو الخطب الأجلُ

ويقال فاحشة قومٍ أن يلاحظوا غيراً بعين الاستحقاق ، قال قائلهم :  
يا قرّة العين سلّ عيني هل اكتحلت      بمنظر حسنٍ مذ غبت عن عيني ؟  
ويقال فاحشة قومٍ أن تبقى لهم قطرةٌ من الدمع ولم يسكبوها للفرقة ، أو يبقى لهم نفسٌ  
لم يتنفسوها في حسرة ، وفي معناه أنشدوا :  
لئن بقيتُ في العين مئى دمةً      فإني إذاً في العاشقين دخیلُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

لكل قومٍ مدةٌ مضروبةٌ ، فإذا تناهت تلك المدة زالت تلك الحالة ؛ فلنعمةِ  
الترفين مدةٌ ، فإذا زالت فليس بعدها إلا الشدةُ ، ولحنةِ المستضعفين مدةٌ فإذا انقضت  
تلك المدة زالت تلك الشدة .

ويقال إذا سقط قرصُ الشمس زال سلطانُ النهار فلا يزداد بعده إلا تراكم الظلمة ،  
فإذا ارتحلت عساكرُ الظلام بطلوع الفجر فبعد ذلك لا تبقى فيه للنهار تهمةٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ  
مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

إذا أتاكم الرُّسلُ فلا تركنوا إلى مجوزاتِ الظنون ، واحملوا الأمرَ على الجِدِّ فإننا  
— مع استغنائنا عن الأغيار ، وتقديسنا عن المنافع والمضار — نطالبُ بالقليل والكثير ،  
ونحاسبُ على النقيير والقطمير .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا  
عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴾

مَنْ قَابَلَ رَبَّيْتَنَا بِالْجَحْدِ ، وَحَكَمْنَا بِالرَّدِّ ، لَقِيَ الْهَوَانَ ، وَقَلَى الْآلَامَ وَالْأَحْزَانَ ،  
ثُمَّ الْعَجْزُ يُلْجِئُهُ إِلَى الْخَنُوعِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْإِذَا يَنْفَعُ وَلَا يَسْمَعُ<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ  
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ  
نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا  
جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُنُفِقُونَهُمْ قَالُوا أَيْنَ  
مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟  
قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ، وَشَهِدُوا عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

يَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ مَا سَبَقَ لَهُمْ بِهِ الْحُكْمُ ، فَمَنْ جَرَى بِسَعَادَتِهِ الْحُكْمُ وَقَعَ عَلَيْهِ رَقْمُ  
السَّعَادَةِ ، وَمَنْ سَبَقَ بِشَقَاوَتِهِ الْحُكْمُ حَقَّ عَلَيْهِ عِلْمُ الشَّقَاوَةِ .  
وَيُقَالُ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ قِسْمَةُ السَّعَادَةِ فَلَوْ وَقَعَ فِي قَعْرِ اللَّظَى تَدَارَكَهُ الْعَنَاءُ وَأُخْرِجَتْهُ  
الرَّحْمَةُ ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ قِسْمَةُ الشَّقَاوَةِ .. فَلَوْ نَزَلَ الْفَرَادِيسُ تَدَارَكَهُ السَّخَطَةُ  
وَأُخْرِجَتْهُ اللَّعْنَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ  
قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ  
كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا  
حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ

---

(١) توضح هذه العبارة في ضوء ما سيرد بعد قليل هكذا : ( ولكن بعد الا ينفعهم بكاء  
ولا يسمع لهم دعاء ) .

أُخْرَامَ لَأُولَامِ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضْلُونَا  
فَأَتَيْهِمْ عَذَابًا ضَعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ  
لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ \*  
وَقَالَتْ أُولَامُ لَأَخْرَامَ فَمَا كَانَ لَكُمْ  
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ  
بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ \*

آثار إعراض الحق عنهم أوردت لهم وحشة الوقت ؛ تبرم بعضهم ببعض ، وضاق  
كل واحد منهم عن كل شيء حتى عن نفسه ، فدعا بعضهم على بعض ، وتبرأ بعضهم من  
بعض ، وكذلك صفة المطرودين .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا  
وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ  
السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ  
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُجْرِمِينَ ﴾ \* لهم من جهنم مهاد \*

فلا دعاؤهم يُسَمِعَ ، ولا بكاءؤهم يَنفَعُ ، ولا بلاؤهم يَكْشِفُ ، ولا عناؤهم يَرْفَعُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ  
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ \*

كما أحاطت العقوبات بهم في الدنيا فَتَدَنَسَ بالغفلة باطنهم ، وتلوَّثَ بالزَّلة ظاهريهم (١) ،  
فكذلك أحاطت العقوبات بجوانبهم ؛ فَمَنْ فَوْقَهُمْ عَذَابٌ وَمِنْ تَحْتِهِمْ عَذَابٌ ، وكذلك من  
جوانبهم في القلب من ضيق العيش واستيلاء الوحشة ما يفي ويزيد على الكل .

(١) نذكر أن القشيري منذ قليل أوضح أن ( ما ظهر من الفواحش هي الزلة وما بطن منها هي الغفلة )

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

رفعنا عن ظاهرهم وباطنهم كلفة العمل فبسرنا عليهم الطاعات بحسن التوفيق ، وخففنا  
عنهم العبادات بتقليل التكليف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ،  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾

طهرنا قلوبهم من كل غش ، واستخلصنا أسرارهم عن كل آفة . وطهر قلوب العارفين  
من كل حظ وعلاقة ، كما طهر قلوب الزاهدين عن كل رغبة ومنية ، وطهر قلوب العابدين  
عن كل تهمة وشهوة ، وطهر قلوب المحبين عن محبة كل مخلوق وعن غل الصدر — كل واحد  
على قدر رتبته .

ويقال لما خلق الجنة وكل ترتيبها إلى رضوان ، والعرش ولى حفظه إلى الجملة (١) ،  
والكعبة سلم مفتاحها إلى بنى شيبه ، وأما تطهير صدور المؤمنين فتولاه بنفسه .  
وقال : « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ » .

ويقال إذا كان نزع الغل من الصدور من قبله فلا محل للغرم الذي لزمهم بسبب الخصوم  
حيث كان منه سبحانه وجه أدائه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا  
وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ  
لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾

في قولهم اعتراف منهم وإقرار بأنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من جزيل تلك العطيات،

---

(١) هل المقصود بها جملة الملائكة إشارة إلى قوله تعالى : « والملائكة من حول العرش يسبحون  
بحمد ربهم . . . » ؟

وعظيم تلك الرتب والمقامات يجهدهم واستحقاق فعلهم ، وإنما ذلك أجمع ابتداء فضل منه ولطف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

تسكين لقلوبهم ، وتطيب لهم ، وإلا فإذا رأوا تلك الدرجات علموا أن أعمالهم المشوية بالنقصير لم توجب لهم كل تلك الدرجات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

اعترف أهل النار بحقيقة الدين ، وأقروا بسوء ما عملوا ، ولكن حين لم ينفعهم إقرار بحال من الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُنْهَى حِجَابٌ ﴾ .

ذلك الحجاب الذى بينهما حصل من الحجاب السابق ؛ لما حُجِبُوا فى الابتداء (١) فى سابق القسمة عما خُصَّ به المؤمنون من القربة والزلفة حُجِبُوا فى الانتهاء عما خُصَّ به السعداء من المغفرة والرحمة .

ويقال حجاب وأى حجاب ! لا يُرْفَعُ بِحيلة ولا تنفع معه وسيلة .  
حجاب سبق به الحكم قبل الطاعة والجُرم .

---

(١) وردت فى ( الابتداء ) والصواب أن سابق القسمة فى ( الابتداء ) قبل الطاعة والجُرم — كما سيأتى بعد قليل ، وكما نعرف من مذهب القشيري فى هذا الخصوص .

قوله جل ذكره: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسياهم﴾

هؤلاء الأشراف خصوا بأنوار البصائر اليوم فأشرفوا على مقادير الخلق بأسرارهم ،  
ويشرفون غداً على مقامات الكل وطبقات الجميع بأبصارهم .

ويقال يعرفونهم غداً بسياهم التي وجدوهم عليها في دنياهم ؛ فأقوامٌ موسومون بأنوار  
القرب ، وآخرون موسومون<sup>(١)</sup> بأنوار الرد والحجب .

قوله جل ذكره : ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ

عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾

سليوا اليوم عن النكرة والجحود ، وأكرموا بالعرفان والتوحيد .

وسلموا غداً من فنون الوعيد ، وسعدوا بلطائف المزيد . وتحققوا أنهم بلغوا من الرتب  
مالم يسمُ إليه طرفُ تأميلهم ، ولم يُحِطْ بتقصيله كُنْه عقولهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء

أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع

القوم الظالمين ﴾ .

إنما يصرف أبصارهم اليومَ تقديراً عليهم عظيم المنة التي بها نجّاهم ، فيزيدون في

الاستغاثة وصدق الابتهاال ، فتكمل بهم العارفة<sup>(٢)</sup> بإدامة ملاطفهم به من الإيواء والحفظ .

قوله جل ذكره : ﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً

يعرفونهم بسياهم قالوا ما أغنى عنكم

جمعكم وما كنتم تستكبرون \*

أهؤلاء الذين أقسمت لا ينالهم الله

برحمة ، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم

ولا أنتم تحزنون ﴾

(١) قال أحمد بن عطاء : ( الوسم يظهر على المقبولين والمطرودين ) اللع من ٤٢٧ .

(٢) العارفة هي الفضل والمعروف والمنة .



ذلك ما يرون عليهم من غبار الرد وأمارات البعد ، وهي مما لا يخفى على ذى عينين ، فيقولون لهم : هل يُغْنِي عنكم ما كنتم إليه من أباطيلكم ، وسكنتم إليه من فاسد ظنونكم ، وباطل تأويلكم ؟ فشاهدوا — اليوم — تخصيص الحق لمن ظننتم أنهم ضعفاؤكم ، وانظروا هل يغنى عنكم الذين زعمتم أنهم أولياؤكم وشركاؤكم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ

أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾

دلّت الآية على أن من أواخر ما يبق على الإنسان الأكل والشرب ، فإنهم في تلك العقوبات الشديدة يقع عليهم الجوع والعطش حتى يتضرعون كلّ ذلك التضرع ؛ فيطلبون شربة ماء أو لقمة طعام وهم في غاية الآلام ، والعادة — اليوم — أن من كان في ألم شديد لا يأكل ولا يشرب ، وهذا شديد .

ثم أبصر كيف لا يسقيهم قطرة — مع استغنائهم عن تعذيبهم ، وقدرته على أن يعطيهم ما يريدون ! ولكنه قهر الربوبية وعِزُّ الأحدية ، وأنه فعّال لما يريد . فكالم يرزقهم — اليوم — من عرفاته ذرة ، لا يسقيهم غداً في تلك الأحوال قطرة ، وفي معناه أنشدوا :  
وَأَقْسَنَ لَا يَسْقِينَا — الدهر — قطرةً      ولو فُجِّرَتْ من أرضهن بحورُ

ويقال إنما يطلبون الماء ليبكوا به بعدما نفدت دموعهم ، وفي هذا المعنى قيل :  
يَا نَارِحاً نَزَفْتُ دُمْعِي قَطِيعَتُهُ      هَبْ لِي مِنَ الدَّمْعِ مَا أَبْكِي عَلَيْكَ بِهِ .  
وفي هذا المعنى أنشدوا .

جرف البكاء دموعَ عينك فاستعِرْ      عيناً لفيرك دمعها مدرار

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ نَبْكَى بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبَكَاءِ تُعَارِ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا  
وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ  
كَأَنَّهُمْ كَانُوا  
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ .

كما تركوا أمره وضيعوه تركهم في العقوبة ، ولا ( . . . ) (١) فيما يشكون ، فتأتى عليهم  
الأحقاب ، فلا كشف عذاب ، ولا برد شراب ، ولا حسن جواب ، ولا إكرام بخطاب  
ذلك جزاء لمن لم يعرف قدر الوصلة في أوقات المهلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَضَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ  
هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

أنزلنا عليهم من الكتاب وأوحينا إليهم من الخطاب ما لو قابله بالتصديق وصاحبوه  
بالتحقيق لوجدوا الشفاء من محنة البعاد ، ونالوا الضياء بقرب الوداد ، ووصلوا في الدنيا والعقبى  
إلى جميل المراد ، ولكنه — سبحانه — أبى القسمة في نصيبهم إلا الشقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ  
يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْا مِنْ  
قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رَبُّنَا بِالْحَقِّ  
فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ  
فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ  
قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

إذا كشف جلال الغيب ، وانتفت عن قلوبهم أغطية الريب ، فلا بكاء لهم ينفع ،  
ولا دعاء منهم يُسمع ، ولا شكوى عنهم ترفع ، ولا بلوى من دونهم تقطع

---

(١) مشبهة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى  
عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ  
حَيْنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ  
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ  
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

تعرّف إلى الخلق بآياته الظاهرة الدالة على قدرته وهى أفعاله ، وتعرّف إلى الخواص منهم  
بآياته الدالة على نصرته التى هى أفضاله وإقباله ، وظهر لأسرار خواص الخواص بنعوته  
الذاتية<sup>(١)</sup> التى هى جماله وجلاله ، فشتان بين قوم وقوم !

ثم كما يدخل فى الظاهر الليل على النهار والنهار على الليل فكذلك يدخل القبض على البسط  
والبسط على القبض . ومنه الإشارة إلى ليل القلوب ونهار القلوب : فَمِنْ عَبْدٍ أَحْوَالُهُ أَجْمَعُ  
قَبْضٌ ، وَمِنْ عَبْدٍ أَحْوَالُهُ أَجْمَعُ بَسْطٌ ، ومن عبد يكون مرة بعين القبض ومرة بعين البسط  
كما أن بعض أقطار العالم فيها نهار بلاليل ، وفى بعضها ليل بلا نهار ، وفى بعضها ليل يدخل على  
نهار ونهار يدخل على ليل .

« أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » : فمنه الخير والشر ، والنفع والضرر ، فإن له الخلق والأمر .  
« تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » هذه الكلمة جمع الدعاء لاشتغالها على إفادة معنى قَدَمِهِ ودوام  
ثبوتها من حيث يُقال بِرَّكَ الطَّيْرِ على الماء .

وأفادت معنى جلالة الذى هو استحقاقه لنعمت العِزِّ لأنه قد تبارك أى تعظم . وأشارت  
إلى إسداد النعم وإتاحة الإحسان من حيث إن البركة هى الزيادة فهى جمع الثناء والمدح  
للحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

(١) لاحظ حرص القشيري الشديد حين يقرر أن أقصى حالات المشاهدة لا تكون مشاهدة  
الذات — فقد جلت الصمدية أن يستشرف من عبود ذاتها عبد ، إنما هى مشاهدة نعوت الذات :  
الجمال والجلال .

إنه لا يحب للعندين \* ولا تفسدوا  
في الأرض بعدَ إصلاحِها وادعوه  
خوفاً وطمعاً \*

الأمر بالدعاء إذن — في التسلي — لأرباب المحنة ، فإنهم إلى أن يصلوا إلى كشف المحنة ووجود  
للمأمول استروحوا إلى روح المناجاة في حال الدعاء ؛ والدعاء نزهة لأرباب الحوائج ، وراحة  
لأصحاب المطالبات ، ومعجل من الأُنس بما ( . . . )<sup>(١)</sup> إلى القلب عاجل التقريب .  
وما أخلص عبداً في دعائه إلا رَوْحٌ — سبحانه — في الوقت قلبه .

ويقال علمهم آداب الدعاء حيث قال : « تضرعاً وخفية » وهذا أدب الدعاء ؛ أن يدعوا  
بوصف الافتقار والانكسار ونشر الاضطراب . ومن غاية ما تقرر لديك نعت كرمه بك أنه  
جعل إمساكك عن دعائه — الذي لا بد منه — اعتداءً منك .

قوله جل ذكره : \* ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها  
وادعوه خوفاً وطمعاً \*

من الإفساد بعد الإصلاح إحمالُ النفس عن المجاهدات بنجوع عذارها حتى تتبع هواها  
بعدما كَبَحَتْ لجأها مدةً عن العدو في ميدان اختلاف ، ومن ذلك إرسالُ القلب في أودية المني  
بعد إمساكه على أوصاف الإرادة ، ومن ذلك الرجوعُ إلى الحفظ بعد القيام بالحقوق ،  
ومن ذلك استشعارُ محبة المخلوق بعد تأكيد العقد معه بالأنجب سواء ، ومن ذلك الجنوحُ إلى  
تتبع الرُّخص في طريق الطلب بعد حمل النفس على ملازمة الأولى والأشقى ، ومن ذلك  
الانحطاطُ بحِظٍّ إلى طلبٍ مقامٍ منه أو إكرام ، بعد القيام معه بترك كل نصيب  
وفي الجملة : الرجوعُ من الأعلى إلى الأدنى إفسادٌ في الأرض بعد الإصلاح .

قوله جل ذكره : \* إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \*

يقال المحسنين عملاً والمحسنين أملاً ، فالأول العابدون والثاني العاصون<sup>(٢)</sup>

ويقال المحسن من كان حاضراً بقلبه غير لاهٍ عن ربه ولا ناسياً لحقه .

ويقال المحسن القائم بما يلزم من الحقوق .

---

(١) مشبهة (٢) تأمل كيف يفسح الصوفية صدورهم ويفتحون أبواب الأمل أمام العصاة

ويقال المحسن الذي لم يخرج (....) "عن إحسانه بقدر الإمكان ولو بشر كلمة .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بُشْرِى  
بين يدي رحمة ﴾

تباشير القرب تتقدم فينادى نسيمه إلى مشام الأسرار ، وكذلك آثار الإعراض تتقدم  
فتوجد ظلمة القبض في الباطن ، فظل الوحشة يتقدمها ، ونسيم الوصلة بعدها ، وفي قريب  
منه قال قائلهم :

ولقد تَشَمَّتُ القضاءَ لحاجتي فإذا له من راحتيك نسيم

قوله جل ذكره : ﴿ حتى إذا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا  
سُقْنَاهُ لِبَلَاءٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ  
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ  
نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

الإشارة منه أنه يحصل بالمهجور ما يتأذى به الصدر ويُبْرِحُ به الوجد ويفحل به الجسم ،  
بل يُبْطِلُ كله البعد ، فيأتيه القرب فيعود عود وصاله بعد الذبول طرياً ، ويصير دارس حاله  
عقيب السقوط ندياً ، كما قال بعضهم :

كُنَّا كَمَنْ أُلْبِسَ أَكْفَانَهُ وَقُرْبُ النِّعَشِ مِنَ اللَّحْدِ  
فَجَالَتْ الرُّوحُ فِي جَسَمِهِ وَرَدَّهِ الْوَصْلُ إِلَى الْمَوْلَدِ

قوله جل ذكره : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن  
ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً  
كذلك نضرب الآيات لقوم  
يشكرون ﴾

إذا زكا الأصلُ نما الفرع ، وإن خبث الجوهر لم يطب ما تحلّل منه ، وإن طاب العنصر

فالجزء بما كي أصله ، والأسيرة تدل على السريرة ، فمن صفا باطن قلبه زكا ظاهراً فعله ، ومن كان بالعكس فحال بالضد .

قوله جل ذكره : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ

يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

بَلَّغَ الرِّسَالَةَ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِمْ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْآلَاءِ ، لَأَنَّ مَحْزُومَ الْقِسْمَةِ لَا يَنْفَعُهُ مَجْهُودُ الْحِيلَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ

بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾

قوله « ليس بي ضلالة » : نسبوا نوحاً — عليه السلام — إلى الضلالة ، فتولى إجابتهم

بنفسه فقال « يا قوم ليس بي ضلالة » ، ونبينا — صلى الله عليه وسلم — نُسِبَ إِلَيْهِ فتولى

الْحَقُّ — سبحانه — الرَّدَّ عَنْهُ فقال : « مَا ضَلُّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى »<sup>(١)</sup> فشتان بين مَنْ دَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وبين مَنْ دَافَعَ عَنْهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ رَبُّهُ<sup>(٢)</sup> !

قوله جل ذكره : ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ

وَأَعْلَمَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

إِنِّي أَعْلَمُ أَنِّي وَإِنْ بَالِغَتْ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْقِسْمَةُ بِالشَّقَاوَةِ لَا يَنْفَعُهُ نَصْحِي ،

وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ قَوْلِي ، فَمَنْ أَسْقَطَتْهُ الْقِسْمَةُ لَمْ تَنْعَشْهُ النَّصِيحَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ

---

(١) آية ٢ سورة النجم .

(٢) من عادة القشيري أن يلتبس نوحاً من المقارنة بين المصطفى صلوات الله عليه وبين سائر الأنبياء ،

عليهم السلام ليظهر علو مقامه ورفعة مرتبته بينهم .

على رجلٍ منكم لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا  
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \*

عجبوا من كَوْنِ شخص رسول الله ، ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكاً لله ، هذا قرطُ  
الجهالة وغاية الغباء !

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ  
فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾

تسر بلوا غيبَ التكذيب لما ذاقوا طعم العقوبة ، فلم يسعدوا بما حملوه ولم يصلوا  
إلى ما أملوه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
أَفَلَا تَتَّقُونَ \* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ  
وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* قَالَ  
يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ  
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ  
رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ \*  
أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ  
عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾

أخبر أنهم سلكوا طريق أسلافهم وإخوانهم ، فوقعوا في وهدتهم ، ونُؤوا بمثل حالتهم .  
فلا خيرَ فيمن آثر هواه على رضا الله ، ولا ربحَ من قَدَّمَ هواه على حق الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ  
قَوْمِ نُوحٍ ﴾



جعل الله الخلق بعضهم خلفاً عن بعض، فلا ينبغي فوجاً منهم من جنسٍ إلا أقام فوجاً منهم من ذلك الجنس . فأهل الغفلة إذا اقترضوا خلفاً عنهم قوم ، وأهل الوصلة إذا درجوا خلف عنهم قوم ، ولا ينبغي للعبد أن يسمو طرف<sup>(١)</sup> تأميله إلى محل الآ كابر فإن ذلك المقام مشغول بأهله ، فما لم تنتهِ نوبة أولئك لا تنتهى النوبة إلى هؤلاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴾

كما زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق ، وكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى المعاني .

قوله جل ذكره : ﴿ فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾

النعماء عام ، والآلاء خاص ، فلكل تتضمن ترويح الظواهر ، وهذه تتضمن التلويح في السرائر ، تلك بالترويح بوجود المبار ، وهذه بالتلويح بشهود الأسرار .

قوله جل ذكره : ﴿ قالوا أجبنا لنعبد الله وحده ونذّر

ما كان يعبد آباؤنا فأنتنا بما تعبدنا

إن كُنت من الصادقين ﴾

طاحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحات التوحيد ، فشق عليهم الإعراض عن الأغيار ، وفي معناه قال قائلهم :

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

ويقال شخص لا يخرج من غش التفرقة ، وشخص لا يجيد لحظة عن سنن التوحيد

[ فهو لا يعبد إلا واحداً ، وكما لا يعبد إلا واحداً لا يشهد إلا واحداً ، قال قائلهم :

لا يهتدى قلبي إلى غيركم لأنه سدّ عليه الطريق

قوله جل ذكره : ﴿ قال قد وقع عليكم من ربكم

(١) وردت ( طرف ) بالتعاقب وهي خطأ في النسخ .

رَجَسُ وَغَضَبُ أَتَجَادَلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ  
مِمِّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا  
مِنْ بِلَاطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١﴾

إذا أراد الله هوانَ عبدٍ طَرَحَهُ فِي مَنَازِلِ التَّفَرُّقَةِ ؛ وَإِنَّ مِنْ عِلَامَاتِ غَضَبِهِ وَإِعْرَاضِهِ  
رَدُّ الْعَبْدِ إِلَى شُهُودِ الْأَغْيَارِ ، وَتَفْرِيقَهُ إِلَيْهِ فِي بَحَارِ الظُّنُونِ ، إِذْ لَا تَحْصِيلَ لِلْأَغْيَارِ  
فِي مَعْنَى الْإِثْبَاتِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأُفْجِنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا  
دَائِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا  
مُؤْمِنِينَ ﴾

لأَرْتَبَهُ فَوْقَ رَتْبَةِ النَّبَوَةِ ، وَلَا دَرَجَةَ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ الرِّسَالَةِ .  
وَأَخْبِر — سُبْحَانَهُ — أَنَّهُ نَجَّى هُودًا بِرَحْمَتِهِ ، وَكَذَلِكَ نَجَّى الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ ،  
لِيُعْلَمَ أَنَّ النِّجَاةَ لَا تَكُونُ بِاسْتِحْقَاقِ الْعَمَلِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ بِإِبْتِدَاءِ فَضْلِ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ؛  
فَمَا نَجَّى مَنْ نَجَا إِلَّا بِفَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ  
نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ  
فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ  
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾

غَايِرِ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — بَيْنَ الرُّسُلِ مِنْ حَيْثُ الشَّرَائِعُ ، وَجَمْعِ بَيْنِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ ؛  
فَالشَّرَائِعُ <sup>(١)</sup> [ الَّتِي هِيَ الْعِبَادَاتُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَكِنْ الْكُلُّ مَأْمُورُونَ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ .

(١) كُلُّ هَذِهِ الْمَسَاحَةِ فِيهَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مَوْجُودَةٌ فِي الْهَامِشِ بِخَطٍ دَقِيقٍ جَدًّا .

ثم أخبر عن إفضاء سنته تعالى بإرسال الرسل عليهم السلام ، وإمهال أممهم ريثما ينظرون في معجزات الرسل .

ثم أخبر عما درجوا عليه في مقابلتهم الرسل بالكذب نسلياً للمصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله — فيما كان يقاسى من بلاء قومه .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبالَ يئوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾

أزاح عنهم في بسط الدلالة ، ووسع عليهم حالتهم بتمكينهم من العطايا على ما دعت إليه حالتهم .. فلا الدليل تأملوه ، ولا السبيل لازمونه ، ولا النعمة عرفوا قدرها ، ولا المنّة قدّموا شكرها ، فصادفهم من البلاء ما أدرك أشكالم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسلٌ من ربّه قالوا إنا بما أرسلَ به مؤمنون ﴾ قال

الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴾ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾

أجرى الله — سبحانه — سُنَّتَهُ ألا يخص بأفضاله ، وجبيل صنعه وإقباله — في الغالب من عباده — إلا مَنْ يَسْمُو إليه طَرَفُهُ بالإجلال ، وألاً يوضح له قَدَرَهُ بين الأضراب والأشكال ؛ فأنصار كلِّ نبي إنما هم ضعفاء وقته ، ويلاحظهم أهل الغفلة بعين الاختصار ، ولكن ليس الأمر كما تذهب إليه الأوهام ، ولا كما يعتقد فيهم الأنام ، بل الجواهر مستورة في معادتها ، وقيمة المحالِّ بساكنيها ، قال قائلهم :

وما ضرَّ نصلَ السيفِ إخلاقُ غمده إذا كان عَضْباً حيث وجهته وتراً

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم من أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره »<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : « ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » الحيلة تدعو إلى وفاق الهوى ؛ فتستقل النفس قولَ الناصحين ، فيخرجون عليهم وكأن الناصحين هم العائبون ، قال قائلهم :

وكم سَقَتْ في آثاركم من نصيحةٍ وقد يستفيد البغضة المتنصح

قوله جل ذكره : ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشةَ

ما سبقكم بهامن أحدٍ من العالمين \*  
إنكم لتأتون الرجالَ شهوةً من  
دون النساءِ بل أنتم قومٌ مُسْرِفون \*  
وما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا  
أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناسٌ  
يتطهرون \* فأنجيناه وأهله إلا امرأته  
كانت من الغابرين \* وأمطرنا عليهم  
مطراً فانظر كيف كان عاقبةُ  
المجرمين ﴾

(١) في رواية الترمذی ( كم من أشعث أغبر ذي طمرین لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء ابن مالك ) . الجامع الصغير ص ٢٣٧

أَباح الحق — سبحانه — في الشرع ما أراح به العذر ، فمن تَخَطَّ هذا الأمر وجرى على مقتضى الهوى استقبل هوانه ، واستوجب إذلاله ، واستجلب — باختياره — صغره .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾

خَسَّتْ هِمُّ قَوْمِ شُعَيْبٍ فَقَنَعُوا بِالتَّطْفِيفِ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ عِنْدَ مَعَامِلَاتِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّ الْحَقَّ — سبحانه — لَمْ يُسَاهِلْهُمْ فِي ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْأَقْدَارَ لَيْسَتْ مِنْ حَيْثِ الْأَخْطَارِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا نَكْلَ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾

من المعاصي ما لا يكون لازماً لصاحبه وحده بل يكون متعدياً عنه إلى غيره . ثم يقدَّرُ الأثر في التعدي يحصل الضرر المبتدئ<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾  
وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرسِلْتُ به وطائفة لم يؤمنوا

---

(١) مثلاً يحدث في حالة البدعة ، فصاحب البدعة يحمل وزر ابتداعه ووزر من اقتدى به ( انظر رأى المشيرى في كتاب التحبير تحت « البديع » ) وهنا قد تكون ( المبتدى ) أى البادىء بالابتداع وقد تكون ( المقتدى ) ويقصد بها من اقتدى به ، فكلاماً يناله الضرر هذا جزاء اتباعه وذلك لا ابتداعه .

فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو  
خير الحاكمين ﴿

مَنْ عَلَيْهِمْ بِنَكْثِ الْعَدَدِ لَأَنِّ بِالْتَّعَاوُنِ تَمْشَى الْأُمُورُ وَيَحْصُلُ لِلْفِرَادِ .  
ويقال كما أن كل أمرٍ بالأعوان والأنصار ( خيراً أو شراً ، فلا نعمة فوق اتفاق الأنصار  
في الخير ، ولا محنة فوق اتفاق الأعوان )<sup>(١)</sup> في الشر .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ لِلأُلَا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ  
لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا  
قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾

كما أن ( أهل )<sup>(٢)</sup> الخير لا يميلون إلا إلى أشكالم فأهل الشر لا ينصرون إلا من رأوا  
بأنه يساعدهم على ما هم عليه من أحوالهم ، والأوحد في بابه مَنْ بَابِنَ نَهَجَ أَضْرَابِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ  
يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ  
عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبُّنَا افْتَحْ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ  
الْفَاتِحِينَ ﴾

نطقوا عن صحة عزائمهم حيث قالوا : « قد افترينا على الله كذباً إن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ » ،  
ثم أقرروا بالشكر حيث قالوا : « بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا » ، ثم تبرأوا عن حولهم وقوتهم حيث  
قالوا : « وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا » . يعني إِنَّ يُلبِسُنَا لِبَاسَ الْخِلْدَانِ  
نُرَدُّ إِلَى الصُّغَرِ وَالْهَوَانِ .

ثم اشتاقوا إلى جميل التوكل فقالوا : « عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » أي بِهِ وَثَقْنَا ، وَمِنْهُ الْخَيْرَ أَمَلْنَا .

(١) ما بين القوسين موجود في الهامش أثبتناه في موضعه من المتن .

(٢) وضعنا ( أهل ) ليتضح المعنى وهي غير موجودة في المتن .

ثم فوضوا أمورهم إلى الله فقالوا : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » فتداركهم الحق  
— سبحانه — عند ذلك بجميل العصمة وحسن الكفاية (١)

قوله جل ذكره : ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه  
لئن اتبعتم شعبياً إنكم إذاً  
لخاسرون \* فأخذتهم الرجفة  
فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾

تواصوا فيما بينهم بتكذيب نبيهم ، وأشار بعضهم باستشعار وقوع الفتنة بمتابعته ، وكانوا  
مخطئين في حكمهم ، مبطلين في ظنهم ، فعلم أن كل نصيحة لا يجب قبولها ، وكل إشارة (٢)  
لا يحسن اتباعها .

قوله تعالى : « الذين كذبوا شعبياً كأن لم يفتوا فيها » كانت لهم غلبتهم في وقتهم ،  
ولكن لما اندرست أيامهم سقط صيبتهم ، و ( خد ) (٣) ذكرهم ، واتقشع سحاب من توهم أن  
منهم شيئاً .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين كذبوا شعبياً كانوا هم  
الخاسرين ﴾

الحق غالب في كل أمر ، والباطل زاهق بكل وصف ، وإذا كانت العزة نعت من  
هو أزل الوجود ، وكان الجلال حق من هو الملك فأى أثر للكثرة مع القدرة ؟ وأى خطر  
للعمل مع الأزل ؟ ولقد ألدوا في قريب من هذا :

استقبلني وسيفه مسلول وقال لي واحداً معذول

قوله جل ذكره : ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم

---

(١) لاحظ من هذه الفترة ترتيب السلوك : محبة العزم ثم الشكر ثم التبري عن الحول والقوة  
ثم التوكل ثم التفويض .

(٢) إشارة هنا معناها مشورة أى نصيحة .

(٣) وردت ( خد ) بالراء ، وقد هوئناها ( خد ) ذكرهم وليس بمستبعد أن تكون ( خل )  
ذكرهم لعمود الذكر وخوله بمعنى متقارب .



رسالاتِ ربِّي ونصحتُ لكم فكيف  
آسى<sup>(١)</sup> على قومٍ كافرين \*

يَبَيِّنُ أَنَّهُ رَاعَى حَدَّ الْأَمْرِ ؛ فَإِذَا خَرَجَ عَنْ عَهْدَةِ التَّكْلِيفِ فِي التَّبْلِيغِ فَمَا عَلَيْهِ مِنْ إِقْرَارِهِمْ  
أَوْ إِنْكَارِهِمْ ، مِنْ تَوْحِيدِهِمْ أَوْ جُحُودِهِمْ ؛ إِنْ أَحْسَنُوا فَالْمِيرَاثُ الْجَمِيلُ لَهُمْ ، وَإِنْ أَسَاءُوا  
فَالضَّرَرُ بِالتَّأَلُّمِ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ ، وَمَالِكُ الْأَعْيَانِ أَوَّلَى بِهَا مِنَ الْأَغْيَارِ ، فَاتَّخَلَّقْ خَلْقَهُ وَالْمُلْكُ  
مُلْكُهُ ؛ إِنْ شَاءَ هَدَاهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ أَغْوَاهُمْ . فَلَا تَأْسُفْ عَلَى نَفْيٍ وَفَقْدٍ ، وَلَا أَثَرٍ مِنْ  
كَوْنٍ وَوُجُودٍ<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : \* وما أرسلنا في قريةٍ من نبيٍّ  
إلاَّ آخذينَّ أهلَهَا بالبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ  
لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ \* ثُمَّ بَدَّلْنَا  
مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا  
وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءُنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ  
فَأَخَذْنَاهُمْ بِقَعَّةٍ لَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \*

حَرَّكَهُمْ بِالْبَلَاءِ الْأَهْوَنِ تَحْذِيرًا مِنَ الْبَلَاءِ الْأَصْعَبِ ، فَإِذَا تَمَادَوْا فِي غِيهِمْ ،  
وَلَمْ يَنْتَبِهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ مَدَّ عَلَيْهِمْ ظِلَالَ الْإِسْتِدْرَاجِ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ أَسْبَابَ التَّفَرُّقَةِ مَكْرًا  
بِهِمْ فِي الْحَالِ ، فَإِذَا وَطَّنُوا — عَلَى مُسَاعَدَةِ الدُّنْيَا — قُلُوبَهُمْ ، وَرَكَنُوا إِلَى مَا سَوَّلَتْ  
لَهُمْ مِنْ امْتِنَادِهَا ، أَبْرَزَ لَهُمْ مِنْ مَكَامِنِ التَّقْدِيرِ مَا تَقْصَّ عَلَيْهِمْ طَيْبُ الْحَيَاةِ ، وَانْدَقَ بِقَعَّةٍ  
عُنُقُ السَّرُورِ ، وَشَرَّفُوا بِمَا كَانُوا يَنْهَلُونَ مِنْ كَاسَاتِ الْمُنَى ، فَتَبَدَّلَ ضِيَاءُ نَهَارِهِمْ بِسُدُفَةِ  
الْوَحْشَةِ ، وَتَكَدَّرَ صَافِي مَشْرِيبِهِمْ بِيَدِ النُّوَائِبِ ، كَمَا سَبَقَتْ بِهِ الْقِسْمَةُ .

قوله جل ذكره : \* ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا

(١) اخْطَأَ النَّاسِخُ إِذْ كَتَبَهَا (عَسَى) بِالْمَعْنَى .

(٢) رُبَّمَا كَانَ (وَوَجَدَ) فَالْوُجُودُ يُقَابِلُ الْفَقْدَ ، وَلَكِنْ حَيْثُ هُوَ هُنَا لَا يَتَحَدَّثُ عَنْ طَائِفَةِ الصُّوفِيَّةِ ،  
وَلَكِنْ يَتَحَدَّثُ عَمُومًا ، فَالْوُجُودُ مُرَادِفٌ لِلْكَوْنِ .

لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء  
والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم  
عما كانوا يكسبون \* أَفَأَمِنْ أَهْلُ  
الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا  
وهم نائمون \*

لو آمنوا بالله ، واتَّقُوا الشِّرْكَ لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض بأسباب العطاء  
— ولكن<sup>(١)</sup> مَسْبِقَ بخلافه القضاء — وأبواب الرضاء ، والرضاء أتمُّ من العطاء .  
ويقال ليست العبرة بالنعمة إنما العبرة بالبركة في النعمة ، ولذا لم يَقُلْ أضعفنا لهم النعمة  
ولكنه قال : باركنا لهم فيما خولنا .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
بَأْسُنَا نُضْحِيْهُمْ وَيْلَعْبُونَ ﴾

أكثر ما ينزل البلاء ينزل فجأةً على غفلةٍ من أهله ، ويقال مَنْ حَذَرَ البيات لم يجد  
روحَ الرُّقاد .

ويقال رَبُّ لَيْلَةٍ مُّفَتِّحَةٍ بِالْفَرَحِ مَخْتَمَةٌ (بالترح)<sup>(٢)</sup> . ويقال رَبُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ شَمْسُهُ  
من أوج السعادة قامت ظهورته على قيام الفتنة .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمِنُ  
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

يقال مَنْ عَرَفَ علوَّ قدره — سبحانه — خَشِيَ خِفَى مكره ، وَمَنْ أَمِنَ خِفَى مكره  
نَسِيَ عَظِيمَ قَدْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ

---

(١) وردت ( وإن سبق . . . ) وعند ذلك يضطرب السياق فوجدنا أن الأوفق أن تكون  
( ولكن سبق . . . ) لأنهم في الآية كذبوا . . . ، ثم وضعنا الجملة المبدوءة بـ لكن بين علامتي جلة  
اعتراضية ، فانتظم السياق ، ونرجح أن ما صنعناه قريب من الأصل أو هو الأصل .  
(٢) وردت ( بالترح ) بالطاء ، وهي خطأ من الناسخ فالترح ضد الفرح .

مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ  
بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ  
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥٥﴾

أَوْ لَا يَعْلَمُ الْغَفُورُونَ بِطُولِ سِتْرِنَا أَنْ لَوْ أَرَدْنَا لَعَجَّلْنَا لَهُمُ الْإِنْتِقَامَ ، أَوْ بَلَّغْنَا فِيهِمُ  
الْإِصْطِلَامَ ، ثُمَّ لَا يَنْفَعُهُمْ نَدَمٌ ، وَلَا يُشْكِي عَنْهُمْ أَلَمٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ  
أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا  
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ  
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾

سلكوا طريقاً واحداً في التمرد ، واجتمعوا في خط واحد في الجحد والتبذير ؛  
فلا للإيمان جَنَحُوا ، ولا عن العدوان رجعوا ، وكذلك صفة من سَبَقَتْ بِالشَّقَاءِ قِسْمَتُهُ ،  
وحقت بالعذاب عليه كَلِمَتُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ  
وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾

نجم في النذر طَارِقُهُمْ ، وَأَفْلَ مِنْ سَمَاءِ الْوَفَاءِ شَارِقُهُمْ ، فَعَدِمَ أَكْثَرُهُمْ رِعَايَةَ الْعَهْدِ ،  
وحقت من الحق لهم قسمة الرد والصد .

ويقال : شَكَا مِنْ أَكْثَرِهِمْ إِلَى أَقْلِهِمْ ، فَالْأَكْثَرُونَ مَنْ رَدَّتْهُمْ الْقِسْمَةُ ، وَالْأَقْلُونَ  
مَنْ قَبِلَتْهُمْ الْوَصْلَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى بِنَايَتِنَا  
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

لَمَّا انْقَضَتْ أَيَامُهُمْ ، وَتَقَاعَصَ عَنْ بَسَاطِ الْإِجَابَةِ إِقْدَامُهُمْ <sup>(١)</sup> بَعَثَ مُوسَى نَبِيَّهُ ، وَضَمَّ

(١) وَبِجُودِ أَنْ نَكُونَ (أَقْدَامُهُمْ) فَالْقَشِيرَى يَسْتَعْمَلُ وَطءَ الْقَدَمِ لِلْبَسَاطِ كَثِيراً

إليه هارون صفيه ، فتوبلا بالكذيب والجهود ، فسلك بهم مسلك إخوانهم  
في التعذيب والتبديد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ  
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلا  
أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ  
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ  
بَنِي إِسْرَءِيلَ \* قَالَ إِن كُنْتَ  
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

الرجوع إلى دعاء فرعون إلى الله بعد سماع كلام الله بلا واسطة صعب شديد ، ولكنه  
لما ورد الأمر قابله بحسن القبول ، فلما ترك اختيار نفسه أيده الحق — سبحانه — بنور  
التأييد حتى شاهد فرعون محواً في التقدير فقال : « حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلا أقول على الله إلا الحق »  
فاذا لم يصح له أن يقول على الخلق ؛ فانخلق محوً فيما هو الوجود الأزلي فأى سلطان لآثار  
التفرقة في حقائق الجمع ؟

قوله : « قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » : من المعلوم  
أن مجرد الدعوى لاحجة فيه ، ولكن إذا ظهر برهان لم يبق غير الاتقياد لها هو الحق ،  
فمن استسلم ( . . . )<sup>(١)</sup> ، ومن جحد الحقائق بعد لوح البيان سقط سقوطاً لا ينتعش .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾  
إنما أظهر له المعجزة من عصاه لطول ( مقارنته )<sup>(٢)</sup> إياها ، فالإلسان إلى ما ألفه أسكن  
بقلبه . فلما رأى ما ظهر في العصا من الانقلاب أخذ موسى عليه السلام في الفرار لتحقيقه  
بأن ذلك من قهر الحقائق ، وفي هذا إشارة إلى أن السكون إلى شيء غيرة وغفلة ( إيش )<sup>(٣)</sup>

(١) لا بد أن كلمة هنا سقطت من النسخ مثل ( سلم ) أو ( نجما ) أو نحوها .

(٢) ( مقارنته ) هنا معناها مصاحبتها لها بدليل قوله فيما بعد ( إلى ما ألفه ) .

(٣) ( إيش ) هذه كلمة دارجة استعمالها القشيري كثيراً في رسالته ومعناها ( أى شيء ) .

ما كان ، فإنَّ قلب العبد في قبْضِ القدرة ، وهو في أمر التقلب ، وليس للطمع في الكون مسانغٌ بحال .

قوله جل ذكره : ﴿ ونزعَ يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾

العصا — وإن كانت معه من زمن — فيدُّه أخص به لأنها عضو له ، فكاشفَةٌ أولاً<sup>(١)</sup> برسم من رُسمه ثم أشهده من ذاته في ذاته ما عرَّف أنه أولى به منه ، فلما رأى انقلابَ وصف في يده علم أنه ليس بشيء من أمره بيده .

قوله جل ذكره : ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم ﴾ يريد أن يُخرجكم من أرضكم فإذا تأمرون ﴿

إذا أراد الله هوان عبده لا يزيد الحق حجةً إلا ويزيد لذلك المبطل فيه شبهة ، فكلما زاد موسى — عليه السلام — في إظهار للمعجزات ازدادوا حيرة في التأويلات .

قوله جل ذكره : ﴿ قالوا أريجُه وأخاه وأُرسل في المدائن حاشرين ﴾ يأتوك بكل ساحرٍ عليم .

توهم الناس أنهم بالتأخير ، وتقديم التدبير ، وبذل الجهد والتشهير يُغيرون شيئاً من التقدير بالتقديم أو بالتأخير ، ولم يعلموا أن القضاء غالب ، وأن الحكم سابق ، وعند حلول الحكم فلا سلطان للعلم والفهم ، والتسرع<sup>(٢)</sup> والحلم . كلا ، بل هو الله الواحد القهار العلام .

(١) في هذه الإشارة نلاحظ تأثير التشيرى بالكاشفة ، فالحق سبحانه يتجلى لعبده أولاً بنعت من نعمت صفاته ثم يتجلى له بنعت من نعمت ذاته .

(٢) وردت ( التسرع ) حيث التبتت علامة التضعيف التي على السين على الناسخ ، والتسرع مقبول في السياق لأنه يقابل الحلم .

قوله جل ذكره : ﴿ وجاء السحرة فرعوناً قالوا إن

لنا لأجر إن كننا نحن الغالبين \*

قال نعم وإنكم لمن المقربين \*

قالوا يا موسى إما أن تُلقى وإما أن

نكون نحن الملقين \* قال ألقوا

فلما ألقوا سحروا أعين الناس

واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم \*

ظنوا أنهم يغلبون بما يسحرون ، ولم يعلموا أن تأثير القدرة فيهم أغلب من تأثير سحرم ، وأنه لا يرد عنهم ما زوروه في أنفسهم من فنون مكرم فكادوا وكيد لهم ، فهو كما قيل :

ورماني بأسهم صائباتٍ ، وتعمدته بسهم فطاشا

فبيناهم في توهم أن الغلبة لهم ففتح عليهم — من مكان القدرة — جيش ، فوجدوا أنفسهم — في فتح القدرة — مقهورين بسيف المشيئة .

قوله جل ذكره : ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك

فإذا هي تلقف ما يأفكون \*

فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون \*

فغلبوا هنالك واتقلبوا صاغرين \*

وَأَلْقَى السحرة ساجدين \* قالوا

آمنّا برب العالمين \* رب موسى

وهارون \*

مَوْهُوا بسحرم أنهم غلبوا ، فَأَدْخَلَ اللهُ — سبحانه — على تمويهاتهم قهراً الحق وطاشت تلك الحيل ، وخاب منهم الأمل ، وجذب الحق — سبحانه — أسرارهم على الوهلة فأصبحوا في صدر العداوة ، وكانوا — في التحقيق — من أهل الود . فسبحان مَنْ يُبْرِزُ

العدو في نعت الولي ؛ ثم يقلب الكتاب ويظهر الولي في نعت العدو ، ثم يأتي الحال  
إلا حصول المَقْضَى .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا مَسَّمُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ  
لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُمُوهُ  
فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا  
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* لَا قَطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ  
وَأَرْجُلَكُمْ <sup>(١)</sup> قَيْنَ خِلَافٍ ثُمَّ  
لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمِيعِينَ ﴾

خاطبهم معتقداً أنهم هم الذين كانوا <sup>(٢)</sup> ، وهم يعلمون أن تلك الأسرار قد خرجت عن رِقِّ  
الأشكال ، وأن قلوبهم ظهرت عن تو التفارقة ، وأن شمس العرفان طلعت في سماء أسرارهم ،  
فأشبهوا الحق بنظر صحيح ، ولم يبق لتخويقات النفس فيهم سلطان ، ولا شيء من العلل  
يفنهم مساع .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾  
لَمَّا كَانَ مَصِيرُهُمْ إِلَى اللَّهِ سَهْلَ عَلَيْهِمْ مَا لَقُوا فِي مَسِيرِهِمْ إِلَى اللَّهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا  
لَمَّا جَاءَنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا  
وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾

لَمَّا عَمِلُوا اللَّهَ ، وَأَوْذُوا فِي اللَّهِ ، صدقوا القصد إلى الله ، وطلبوا المعونة من قبل الله ،  
كذا سئة من كان لله أن يكون كله على الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ  
مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ  
وَيَذَرُكَ وَأَهْلَكَ ، قَالَ سَنُقَتِّلُ

---

(١) اخطأ الناسخ إذ كتبهما (أيديهم وأرجلهم) .  
(٢) نعرف من عبارات القشيري : « كانوا لسكنهم بانوا » و « العارف كائن بائن » .



أبناءهم وَنَسْتَحْيِي نساءهم وَإنا فوقهم  
قاهرون ﴿١٠﴾

لما استزادوا من فرعون في التمكين من موسى وقومه استنكف أن يقر بعجزه ،  
ويعترف بقصور قدرته ، فتوعد موسى وقومه بما عكس الله عليه تدبيره ، وغلب عليه تقديره .  
قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ  
وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ  
يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

أحلم على الله فإن رجوعه إليه ، فقال لهم : إن رجوعي — عند تحيري في أموري —  
إلى ربي ، فليكن رجوعكم إليه ، وتوكلكم عليه ، وتعرضوا لنفحات يسره ، فإنه حكم  
لأهل الصبر بجميل العقبى .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ  
بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ  
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

خفي عليهم شهود الحقيقة ، وغشى على أبصارهم حتى قالوا توات علينا البلاء ، ففي حالك  
بلاء ، وقبلك شقاء .. فما الفضل ؟ فأجابهم موسى — عليه السلام — بما علق رجاءهم بكشف  
البلاء فقال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم » فوقفهم على الانتظار . ومن شهد ببصر الأسرار  
شهد تصاريफ الأقدار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ  
وَنَقَصِ الثَّرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾

شد عليهم وطأة القدرة بعدما ضاعف لديهم أسباب النعمة ، فلا الوطأة أصلحتهم شدتها  
ولا النعمة نبهتهم كثرتها ، لا بل إن مسهم يسر لاحتظوه بعين الاستحقاق ، وإن مسهم عسر  
حملوه على التظير بموسى — عليه السلام — بمقتضى الاغترار .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ  
وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى  
وَمَنْ مَعَهُ ﴾

الكفور لا يرى فضل المنعم ؛ فيلاحظ الإحسان بعين الاستحقاق ، ثم إذا اتصل به شيء  
مما يكرهه تَجَنَّبَ وحل الأمر على ما يتمنى :

وكذا للكلول إذا أراد قطعة ملّ الوصال وقال كان وكانا  
إن الكريم إذا حبّأك بوذّه ستر القبيح وأظهر الإحسانا

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَأْسُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ  
أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

المتفرد بالإيجاد هو الواحد ولكن بصائرهم مسدودة ، وعقولهم عن شهود الحقيقة  
مصدودة ، وأفهامهم عن إدراك المعاني مردودة

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ<sup>(١)</sup> آيَةٍ  
لَتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَنْ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾  
جعلوا الإصرارَ على الاستكبار شعارهم ، وهتكوا بألسنتهم — في العتوّ —  
أستارهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ  
وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ  
مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا  
قَوْمًا مجرمين ﴾

جَنَسَ عليهم العقوبات لما نَوَّعُوا وَجَنَسُوا فنونَ المخالفات ، فلا إلى التكفير  
عادوا ، ولا إلى التطهير تصدوا ، وعوقبوا بِصَرْفِ قلوبهم عن شهود الحقائق

---

(١) سقطت ( من ) في النسخ فأنبتناها .

وذلك أبلغ مما اتصل بظواهرهم من فنون البلايا . . . . . ونعوذُ بالله من السقوط عن عين الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا

يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ

لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ

لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿

لم يقولوا ادع لنا ربنا ، بل قالوا يا موسى ادع لنا ربك ، فهم ما ازدادوا بزيادة تلك

الحن إلا بعداً وأجنية..

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ

هُمْ بِالْغَوَى إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ \*

فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم

كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿

أبرموا العهد ثم تقضوه ، وقدموا العهد ثم رفضوه ، وكما قيل :

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضنى عاد إلى نكسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

يُستَضَعُّونَ مِثْلَ بَارِقِ الْآرْضِ

ومغاريها التي باركنا فيها ونمَّتْ

كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ

فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿

من صبر على مقاساة الذل في الله وضع الله على رأسه قلنسوة العرفان ، فهو العزيز

مبجانه ، لا يُشْمِتُ بأوليائه أعداءهم ، ولا يضيع من جميل عهده جزاءهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ

فَاتَوَّأَ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى  
أَصْنَامِهِمْ ، قَالُوا : يَا مُوسَى اجْعَلْ  
لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ  
قَوْمٌ تَجْهَلُونَ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ  
تَمَاهِمٍ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \*

لم تَخْلُصْ فِي قُلُوبِهِمْ حَقَائِقُ التَّوْحِيدِ فتَأَقَّتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ ، حَتَّى قَالَ لِنَبِيِّهِمْ  
مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَام — : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . وَكَذَا صِفَةُ مَنْ لَمْ يَتَحَرَّرْ قَلْبُهُ مِنْ  
إِثْبَاتِ الْأَشْغَالِ وَالْأَعْلَالِ ، وَمَنْ لِمَسَاكِنَةِ إِلَى الْأَشْكَالِ وَالْأَمْثَالِ .

وَيَقَالُ مَنْ ابْتَغَى بِالْصَّنَمِ أَنْ يَكُونَ مَعْبُودَهُ مَنِ يَتَوَهَّمُ فِي وَصْفِهِ أَنْ يُخْلَصَ إِلَى  
اللَّهِ قَصُودَهُ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ  
فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

ذَكَرَ كَرَّمَ أَنْفَرَادَهُ — سُبْحَانَهُ — بِإِنْشَائِهِمْ وَإِبْدَاعِهِمْ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْإِلَهَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْإِبْدَادِ ،  
وَتَنْبِيهِمْ أَيْضًا عَلَى عَظِيمِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ حَقُّ إِنْعَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ مُقَابِلَتَهُمْ بِإِيَّاهَا  
بِالتَّوَلَّى لغيره وَالْعِبَادَةَ لِغَيْرِهِ سِوَاهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَتَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ  
يُسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ  
أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي  
ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴾

مَا أَزْدَادَ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَام — فِي تَعْدِيدِ إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَتَنْبِيهِهِمْ عَلَى عَظِيمِ  
آلَائِهِ إِلَّا أَزْدَادُوا جَهْدًا عَلَى جَهْدٍ ، وَبُعْدًا بِالْقُلُوبِ — عَنْ مَحَلِّ الْعِرْفَانِ — عَلَى بُعْدٍ ، وَهَذِهِ  
أَمَارَةٌ مِنْ بَلَاءٍ — سُبْحَانَهُ — فِي السَّابِقِ بِالْقَطْعِ وَالرَّدِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً

وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَرْنٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ  
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً \*

عِدَّةُ الْأَحْبَابِ عَزِيزَةٌ ، فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَوَاعِدَةُ بَيْنَ الْأَحْبَابِ ، فَهِيَ عَذْبَةٌ حُلْوَةٌ كَيْفَمَا  
كَانَتْ ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى أَنْشَدُوا :

أَمْطَلِينَا وَسَوِّفِي وَعِدِينَا وَلَا تَنِي

وَيَقَالُ عَلَّلَ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — مُوسَى بِالْوَعْدِ الَّذِي وَعَدَهُ بِأَنْ يُسَمِّعَهُ مَرَّةً أُخْرَى  
كَلَامَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ابْتَلَاهُ بِالِإِسْمَاعِ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ ، فَلَا أَنْتَظَارَ وَلَا تَوْقِعَ  
وَلَا أَمَلَ ، فَأَخَذَ سَمَاعُ الْخُطَّابِ بِمَجَامِعِ قَلْبِ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فَعَلَّقَ قَلْبَهُ بِالْمِيقَاتِ  
الْمَعْلُومِ لِيَكُونَ تَأْمِيلُهُ تَعْلِيلًا لَهُ ، ثُمَّ إِنْ وَعَدَ الْحَقُّ لَا يَكُونُ إِلَّا صَدَقًا ، فَاطْمَأَنَّ قَلْبُ  
مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — لِلْمِيعَادِ ، ثُمَّ لَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُونَ لَيْلَةً أَتَى كَمَا سَلَفَ الْوَعْدُ فَزَادَ لَهُ  
عَشْرًا فِي الْمَوْعِدِ . وَالْمَطْلُ فِي الْإِنْجَازِ غَيْرُ مَحْبُوبٍ إِلَّا فِي سُنَّةِ الْأَحْبَابِ ، فَإِنَّ الْمَطْلَ عِنْدَهُمْ  
أَشْهَى مِنَ الْإِنْجَازِ ، وَفِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَنْشَدُوا :

أَقِيمِي لِعَمْرِكَ لَا تَهْجُرِينَا وَمَنْيْنًا الْمَنَى ، ثُمَّ امْطَلِينَا  
عِدِينَا مَوْعِدًا مَا شِئْتِ إِنَّا نَحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ تَوَاعِدِينَا  
فَإِمَّا تَنْجِزِي وَعْدَكَ أَوْ فَإِنَا نَعِيشُ نَوْملَ فَيْكَ حِينَا

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ  
اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ  
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

كَانَ هَارُونَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حَمُولًا بِحَسَنِ الْخُلُقِ ؛ لَمَّا كَانَ الْمُرُورُ إِلَى فِرْعَوْنَ  
اسْتَصْحَبَ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — هَارُونَ ، فَقَالَ اللَّهُ — سُبْحَانَهُ — : « أَشْرَكَ  
فِي أَمْرِي » بَعْدَ مَا قَالَ : « أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا » . وَلَمَّا كَانَ الْمُرُورُ إِلَى سَمَاعِ  
الْخُطَّابِ أَفْرَدَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ : « اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » وَهَذَا غَايَةُ الْحَمْلِ مِنْ هَارُونَ وَنَهَايَةُ  
التَّصَبُّرِ وَالرِّضَاءِ ، فَلَمْ يَقُلْ : لَا أَقِيمُ فِي قَوْمِكَ . وَلَمْ يَقُلْ : هَلَّا تَحْمِلْنِي مَعَ نَفْسِكَ كَمَا

استصحبتنى حال المرور إلى فرعون ؟ بل صبر ورضى بما لزم ، وهذه من شديديات بلاء  
الأحباب ، وفى قريب منه أنشدوا :

قال لى من أحب والبين قد حلّ وفاقاً لفرقتى وشهيق  
ما ترى فى الطريق تصنع بعدى قلت : أبكى عليك طول الطريق

ثم إن موسى لما رجع من سماع الخطاب ، فرأى من قومه ما رأى من عبادة العجل  
أخذ برأس أخيه يجره إليه حتى استلطفه هارون — عليه السلام — فى الخطاب ، فقال :  
« يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » .

ويقال لو قال هارون — عليه السلام : إن لم تعوضنى عما فاني من الصحة فلا تعاتبنى فيما  
لم أذنب فيه بحال ذرة ولا حبة .. لكان موضع هذه القالة .

ويقال الذنب كان من بنى إسرائيل ، وبالعتاب جرى مع هارون ، وكذا الحديث  
والقصة ، فما كل من عصى وجنى استوجب العتاب ، فالعتاب ممنوع عن الأجانب .

قوله جل ذكره : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه  
ربه قال رب أرني أنظر إليك ،  
قال لن ترانى ولكن انظر إلى  
الجبل فإن استقر مكانه فسوف  
ترانى ، فلما تجلّى ربه للجبل جعله  
دكاً وخر موسى صعقاً ﴾

جاء موسى مجيء المشتاقين مجيء المهيمين ، جاء موسى بلا موسى ، جاء موسى  
ولم يبق من موسى شيء لموسى . آلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكروهم أحد ،  
وهذا موسى خطا خطواتٍ فإلى القيامة يقرأ الصبيان : « ولما جاء موسى »

ويقال لما جاء موسى لميقات باسطر الحق — سبحانه — سقط بسماع الخطاب ،  
فلم يبالك حتى قال : « أرني أنظر إليك » ، فإن غلبت الوجد عليه استنطقته بطلب  
كمال الوصلة من الشهود ، وكذا قالوا :

وأبرح ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دنتُ الخيامُ من الخيام  
 ويقال صار موسى — عليه السلام — عند سماع الخطاب بعين الشكر فنطق ما نطق ،  
 والسكران لا يؤخذ بقوله ، ألا ترى أنه ليس في نص الكتاب معه عتاب بحرف ؟  
 ويقال أخذته عِزَّةُ السَّامِعِ فخرج لسانه (١) عن طاعته جرياً على مقتضى ما صحبه من  
 الأريحية وبسطِ الوصلة .

ويقال جمع موسى — عليه السلام — كلماتٍ كثيرةً ينكلم بها في تلك الحالة ؛ فإن  
 في القصص أنه كان يتحمل في أيام الوعد كلمات الحق ، ويقول لمعارفه : ألكم حاجة إلى الله ؟  
 ألكم كلام معه ؟ فإني أريد أن أمضي إلى مناجاته .  
 ثم إنه لما جاء وسمع الخطاب لم يذكر — مما دبره في نفسه ، وتحمله من قومه ، وجمعه  
 في قلبه — شيئاً ولا حرفاً ، بل نطق بما صار في الوقت غالباً على قلبه ، فقال : ربُّ :  
 أرني أنظر إليك ، وفي معناه أنشدوا :

فيا ليلَ كم من حاجةٍ لي مهمة إذا جئتكم ليلي فلم أدرِ ماهياً

ويقال أشدُّ الخلقِ شوقاً إلى الحبيب أقربهم من الحبيب ؛ هذا موسى عليه السلام ، وكان  
 عريق الوصلة ، واقفاً في محل المناجاة ، محدقة به سجوف التولى ، غالبية عليه بوادهِ الوجود ،  
 ثم في عين ذلك كان يقول : « ربُّ أرني أنظر إليك » كأنه غائبٌ عن الحقيقة .  
 ولكن ما ازداد القومُ شرباً إلا ازدادوا عطشاً ، ولا ازدادوا تيباً إلا ازدادوا شوقاً ، لأنه  
 لا سبيل إلى الوصلة إلا بالسكال ، والحقُّ — سبحانه — يصونُ أسرار أصفياه عن  
 مداخلة الملل (٢) .

ويقال نطق موسى عليه السلام بلسان الافتقار فقال : « ربُّ أرني أنظر إليك » ولا أقلَّ

(١) تعليل القشيري لموقف الإفصاح الذي وقفه موسى بوضوح كيف يلتبس هذا الباحث مبرراً  
 لشطحات الصوفية — بطريق غير مباشر ، ويعزو ذلك تارة للسكر الروحي وتارة لوقوع العبد تحت تأثير  
 العزة الإلهية ، فيخرج اللسان عن طاعته .

(٢) وفي ذلك أنشدوا :

فا مل ساقينا وما مل شارب عفار لحاظ كانه يسلب الباس



من نظرة — والعبد قتييل هذه القصة — فتقبل بالرد ، وقيل له : « لن تراني » وكذا قهر  
الأحباب ولذا قال قائلهم :

جَوَزَ الهوى أحسن من عدله ويخلفه أخرف من بذله

ويقال لما صرح بسؤال الرؤية ، وجهر صريحاً ردّ صريحاً قبيحاً له : « لن تراني » ،  
ولما قال نبينا — صلى الله عليه وسلم — بسرّه في هذا الباب ، وأشار إلى السماء منتظراً الرد  
والجواب من حيث الرمز نزل قوله تعالى : « قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة  
ترضاها »<sup>(١)</sup> فردّه إلى شهود الجهات والأطلال إشارة إلى أنه أعزّ من أن يطمح إلى شهوده  
— اليوم — طرف ، بل الألاحظ مصروفة موقوفة — اليوم — على الأغيار<sup>(٢)</sup> .

ويقال لما تمتّ همته إلى أسنى المطالب — وهي الرؤية — قبول « بلن » ، ولما رجّع إلى  
الخلق وقال للخضر « هل أتبعك على أن تُعلّمني مما علمت رشداً » ، قال الخضر : « إنك لن  
تستطيع معي صبراً »<sup>(٣)</sup> فتقابل به بلن ، فصار الردّ موقوفاً على موسى — عليه السلام من الحق  
ومن الخلق ، ليكون موسى بلا موسى ، ويكون موسى صافياً عن كل نصيب لموسى من موسى ،  
وفي قريب منه أشدوا :

(.....) <sup>(٤)</sup> نحنُ أهلُ منازلٍ أبداً غرابُ البينِ فينا ينطق

ويقال طلب موسى الرؤية وهو بوصف التفرقة فقال : « رب أرني أنظر إليك » فأجيب  
بلن لأن عين الجمع أتم من عين الفرق . فزع موسى حتى خرّ صمقاً ، والجبل صار دكاً .  
ثم الروح بعد وقوع الصعقة على القالب مكاشفته بما هو حقائق الأحدية ، ويكون الحق — بعد  
امتناع معالم موسى — خيراً لموسى من بقاء موسى لموسى ، فعلى الحقيقة : شهود الحقائق بالحق  
أتم من بقاء الخلق بالخلق ، كذا قال قائلهم :

(١) آية ١٤٤ سورة البقرة .

(٢) من هذا — وبما أوصته في رسالته — نعرف أن التشبهي لا يرى بجواز رؤيه الله بالبصر  
في هذه الدنيا .

(٣) آية ٦٧ سورة الكهف

(٤) هنا لفظتان مطموستان ونعرف أنهما « أبني أبيتنا ... » .

ولوجهها من وجهها قرُّ ولعينها من عينها كل

ويقال البلاء الذى ورد على موسى بقوله : « فإن استقر مكانه فسوف ترانى » « ولما تجلَّ ربُّه للجبل جعله دَكًّا » أتمَّ وأعظم منه قوله : « لن ترانى » لأن ذلك صريحٌ فى الرد ، وفى اليأس راحة . لكنه لما قال فسوف أطمعُه فيما مُنِعِه قلباً اشتد موقفه جعل الجبل دكًّا ، وكان قادراً على إمساك الجبل ، لكنه قهر الأحباب الذى به جرت سننهم .

ويقال فى قوله : « أنظرُ إلى الجبل » بلاءه شديد لموسى لأنه نفى عن رؤية مقصوده ومُنَى برؤية الجبل ، ولو أُذِنَ له أن يُفَضَّ جفنه فلا ينظر إلى شيء بعدما بقى عن مراده من رؤيته لكان الأمرُ أسهلَّ عليه ، ولكنه قال له : « لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل » .

ثم أشدُّ من ذلك أنه أعطى الجبل التجلَّى ، فالجبل رآه وموسى لم يره ، ثم أمرَ موسى بالنظر إلى الجبل الذى قدم عليه فى هذا السؤال ، وهذا — والله — لصعبٌ شديد !! ولكن موسى لم ينزع ، ولم يقل أنا أريد النظر إليك فإذا لم أرك لا أنظر إلى غيرك بل قال : لا أرفع بصرى عما أمرتنى بأن أنظر إليه ، وفى معناه أنشدوا :

أريدُ وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

ويقال بل الحق سبحانه أراد بقوله : « ولكن انظر إلى الجبل » تداركه قلب موسى — عليه السلام — حيث لم يترك على صريح الرد بل علله برفق كما قيل :

فدرينى أفنى قليلاً قليلاً

ويقال لما رُدَّ موسى إلى حال الصحو وأفاق رجع إلى رأس الأمر فقال : « تَبَّتْ إِيَّكَ » يعنى إن لم تكن الرؤية هى غايه للرتبة فلا أقل من التوبة ، فَقَبِلَهُ — تعالى — لسوهمته إلى الرتبة العلية .

قوله جل ذكره : ﴿ تَبَّتْ إِيَّكَ ﴾

هذه إناخة بمقوة العبودية ، وشرط الإنصاف ألا تهرح محلَّ الخدمة وإن حيل بينك وبين وجود القرية ؛ لأن القريةَ حظُّ نفسك ، والخدمة حقُّ ربك ، وهى تم بالآ تكون بحظ نفسك .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ  
بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ  
وَكَُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

هذا الخطاب لِتَدَارُكِ قَلْبِ مُوسَى — عليه السلام — بكل هذا الرُّفْقِ ، كأنه قال :  
يا موسى ، إِنِّي مَنَعْتُكَ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الرُّؤْيَا ، وَلَكِنِّي خَصَصْتُكَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْفَضَائِلِ ؛  
اصْطَفَيْتُكَ بِالرِّسَالَةِ ، وَأَكْرَمْتُكَ بِشَرَفِ الْحَالَةِ ، فَاشْكُرْ هَذِهِ الْجِلَّةَ ، وَاعْرِفْ هَذِهِ النِّعْمَةَ ،  
وَكَُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَقَامِ الشُّكْوَى ، وَفِي مَعْنَاهُ أُنْشِدُوا :

إِنْ أَعْرَضُوا فَهُمْ الَّذِينَ تَعَطَّفُوا وَإِنْ جَنَوْا فَاصْبِرْ لَمْ يَنْ أَخْلَفُوا

وَفِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : ﴿ وَكَنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ كَأَنَّهُ قَالَ : لَا تَكُنْ مِنَ  
الشَّاكِرِينَ ، أَيْ إِنْ مَنَعْتُكَ عَنْ سُؤْلِكَ ، وَلَمْ أُعْطِكَ مَطْلُوبَكَ فَلَا تَشْكُنِي إِذَا انْصَرَفْتَ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾

وَفِي الْأَثَرِ : أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسْمَعُ صَرِيرَ الْقَلَمِ ، وَفِي هَذَا نَوْعٍ لَطِيفٍ لِأَنَّهُ إِنْ  
مَنَعَ مِنْهُ النَّظَرَ أَوْ مَنَعَهُ مِنَ النَّظَرِ فَقَدْ عَلَّمَهُ بِالْأَثَرِ (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾

فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَخْذَ يُشِيرُ إِلَى غَايَةِ الْقُرْبِ ، وَالْمُرَادُ هَاهُنَا صَفَاءُ الْحَالِ ، لِأَنَّ قُرْبَ  
الْمَسْكَانِ لَا يَصِحُّ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾

فَرَّقَ بَيْنَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى مِنَ الْأَخْذِ وَبَيْنَ مَا أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ قَوْمَهُ مِنَ الْأَخْذِ ، أَخْذُ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحَقِّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ تَحْقِيقِ الزَّلْفَةِ وَتَأْكِيدِ الْوَصْلَةِ ، وَأَخْذُهُمْ أَخْذُ قَبُولٍ  
مِنْ حَيْثُ التَّزَامُ الطَّاعَةِ ، وَشَتَانُ مَا هُمَا ! .

(١) نلاحظ أن القشيري كان ممتعاً أشد ما يكون الإمتاع حين استقل موقف شهود موسى استغلالاً  
جيلاً أو شك أن يحيط بكل جوانب هذه اللحظات الحاسمة في الحياة الروحية ، فاجتمعت إشاراتُه لتكون  
درساً في غاية الدقة والإفادة .

قوله : ﴿ بأحسنها ﴾ بمعنى بِحُسْنِهَا ، ويحتمل أن تكون الهمزة للبالغة يعنى : بأحسنها  
ألا تعرج على تأويل وارجع إلى الأولى (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾  
يعنى عليها غبرة العقوبة ، خاوية على عروشها ، ماقطة على سقوفها ، منهدة بنيانها ،  
عليها قنطرة العقاب .

والإشارة من دار الفاسقين إلى النفوس المتابعة للشهوات ، والقلوب التى هى معادن للننى  
وقاسد الخطرات ، فإنَّ الفسقَ يوجب خرابَ المحل الذى يجرى فيه ، فمن جرى على نفسه  
فسقٌ خربت نفسه . وآية خراب النفوس انتفاء ما كان عليها وفيها من سكان الطاعات ،  
فكما تتعطل للنازل عن قطائرها إذا نداعت للخراب فكذلك إذا خربت النفوس بعمل المعاصى  
فتنتفى عنها لوازم الطاعات ومعتادها ، فبعد ما كان العبد يتيسر عليه فعل الطاعات لو ارتكب  
شيئاً من المحظورات يشق عليه فعل العبادة ، حتى لو خيَّر بين ركعتى صلاة وبين مقاساة كثيرٍ  
من المشاق آثر تحمل المشاق على الطاعة . . وعلى هذا النحو ظلم القلوب وفسادها فى إيجاب  
خراب محالها .

قوله جل ذكره : ﴿ سَأُصْرَفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ  
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا  
كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾

سأحرِّمُ المتكبرين بركاتِ الاتباع حتى لا يقابلوا الآياتِ التى يُكاشِفُون بها بالقبول ،  
ولا يسمعون ما يُخَاطَبُونَ به بسمع الإيمان .  
والتكبرُ جحدُ الحق — على لسان العلم ، فَمَنْ جَحَدَ حَقَائِقَ الْحَقِّ فجحوده تكبره  
واعتراضه على التقدير مما يتحقق جحوده فى القلب .

---

(١) يوجه القشيري هذه الإشارة نحو موضوع الرخص ، فمن المعلوم أنه يرى ان من الأفضل الا يلجا  
للمريد للرخصة ، وفعل الأولى عنده هو ترك الرخصة لأنها للمستضعفين وأرباب الحوائج والأشغال من  
الكفاة ، والمريد لا حاجة له ولا شغل إلا لربه وبربه .

ويقال التكبر توم استحقاق الحق لك .

ويقال من رأى لنفسه قيسة في الدنيا والآخرة فهو متكبر .

ويقال مَنْ ظَنَّ أَنَّ شَيْئًا مِنْهُ أَوْ لَهُ أَوْ إِلَيْهِ — من النفي والإثبات — إِلَّا عَلَى وَجْهِ  
الْاِكتِسَابِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ والذين كذبوا

بآياتنا ولقاء الآخرة حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ .

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

تبين بهذا أنه لا يكفي شهود الحق حقاً وشهود الباطل باطلاً بل لا بد من شهود الحق  
من وجود التوفيق للحق ، ومنع شهود الباطل من وجود العصية من اتباع الباطل .

ويقال إن الجاحد للحق — مع تحققه به — أقبح حالة من الجاهل به المقصر في تعريفه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ

حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خَوَارٌ ﴾

لم يطهر قلوبهم — في ابتداء أحوالهم — عن توم الظنون ، ولم يتحققوا بخصائص القدم  
وشروط الحدوث ، فعثرت أقدام فكرهم في وهاد المغاليط لما سلكوا المسير .

ويقال إن أقواماً رضوا بالعجل أن يكون معبودهم متى تشم أسرارهم نسيم<sup>(١)</sup> التوحيد ؟  
شبهات لا لا ولا من لاحظ جبريل وميكائيل والعرش أو الثرى ، أو الجن أو الورى .  
وإن من لحقه ذلك أو وجد من قبيل ما يقبل نعوت الحدثن ، أو صح في التجويز أن ترتقى  
إليه صواعد التقدير وشرائط الكيفية فغير صالح لاستحقاق الإلهية .

(١) وردت ( تشيم ) وهي خطأ في النسخ .

ويقال شتان بين أمة وأمة ! أمة خرج نبيهم عليه السلام من بينهم أربعين يوماً فعبدوا العجل ، وأمة خرج نبيهم — عليه السلام — من بينهم وأتى نيف وأربعمائة سنة فمن ذكر بين أيديهم أن الشمس والأقار أو شيئاً من الرسوم والأطلال تستحق الإلهية أحرقوه بهمهم

ويقال لا فصل بين الجسم والجسد ، فكما لا يصلح أن يكون المعبود جسماً لا يصلح أن يكون متصفاً بما في معناه ، ولا أن يكون له صوت فإن حقيقة الأصوات مُصَاكَّةُ الأجرام الصلبة ، والتوحيد الأزلي ينافي هذه الجملة .

ويقال أجهلُ بقوم آمنوا بأن يكون مصنوعهم معبودهم ! ولولا قهر الربوبية وأنه تعالى يفعل ما يشاء — فأى عقل يُقرُّ مثل هذا التلisis ؟

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

جعل من استحقاقه<sup>(١)</sup> نعوت الإلهية صحة الخطاب وأن تكون منه الهداية ، وهذا يدل على استحقاق الحق بالنعوت<sup>(٢)</sup> بأنه متكلم في حقائق آزاله ، وأنه متفرد بهداية العبد لا هادى سواه . وفيه إشارة إلى مخاطبة الحق — سبحانه — وتكليمه مع العبد ، وإن الملوك إذا جلّت رتبهم استنكفوا أن يخاطبوا أحداً بلسانهم حتى قال قائلهم :

وما عَجَبٌ تناسى ذِكْرَ عَبْدٍ على المولى إذا كَثُرَ العبيدُ

وبخلاف هذا أجرى الحق — سبحانه — سنته مع عباده المؤمنين ، أما الأعداء فيقول لهم : « اخشوا فيها ولا تكلمون »<sup>(٣)</sup> وأما المؤمنون فقال صلى الله عليه وسلم : « ما منكم إلا يكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان »<sup>(٤)</sup> ، وأنشدوا في معناه .

وما تزدھينا الكبرياء عليهم إذا كلمونا أن نكلهم مرّداً

(١) وردت ( ١ ) حقائقهم ) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) يشير القشيري بذلك إلى معارضة المعتزلة الذين ينفون الصفات الإلهية من أجل التمدد ، واقتضاء حامل ومحمول .

(٣) آية ١٠٨ سورة المؤمنون .

(٤) فى رواية منسلم عن عدى بن حاتم قال رسول الله ( ص ) :

« ما منكم من أحد إلا سبكه الله ليس بينه وبينه ترجمان » ص ٧٠٣ ط الحلى .



قال تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا سَفَّطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا إِنَّ لَنَا رَبًّا بِنَا وَإِنَّا لَنَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

حين تحققوا بقبض صنيعهم تجرّعوا كأسات الأسف ندماً ، واغترفوا بأنهم خسروا إن لم يتداركهم من الله جيلٌ لطيف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾

لو وجد موسى قومه بألف ألف وفاقٍ لكان متنفّص العيش لما منى به من حرمان سماع الخطاب والرد إلى شهود الأغيار . . فكيف وقد وجد قومه قد ضلوا وعبدوا العجل ؟ ولا يُدرى أى الحن كانت أشد على موسى :

أفقدان سماع الخطاب ؟ أو بقاؤه عن سؤال الرؤية ؟ أو مشاهد من افتنان بنى اسرائيل ، واستيلاء الشهوة على قلوبهم فى عبادة العجل ؟ سبحان الله ! ما أشدّ بلاءه على أوليائه !

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَلْقَى الْأَوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونَنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ لِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ قال رب اغفرلى ولأخى وأدْخِلْنَا فى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

---

(١) آية ١٠٩ سورة الكهف .



إن موسى عليه السلام وإن كان سَمِعَ من الله قَتَنَ قومه فإنه لما شَاهَدَهُم أثرت فيه المشاهدة بما لم يؤثر فيه السماع ، وإن عُلِمَ قطعاً أنه تأثر بالسمع إلا أن للمعينة تأثيراً آخر .  
ثم إن موسى لما أخذ برأس أخيه يحجره إليه استلطفه هارون في الخطاب .

فقال : « يا ابن أُمِّ » قَدْ كَرَّ الْأُمُّ هُنَا لِلْإِسْرَافِ وَالْإِسْتِرْحَامِ .

وكذلك قوله : « لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي » يريد بهذا أنه قد توالى المحن على فَذَرْنِي وما أنا فيه ، وَلَا تَزِدْ فِي بِلَاسِي ، خلفتني فيهم فلم يستنصحنوني . وتلك على شديدة . ولقيت بعدك منهم ما ساءتني ، ولقد علمت أنها كانت على عظمة كبيرة ، وحين رجعت أخذت في عتابي وجرد رأسي وقصدت ضربتي ، وكنت أود منك تسليتي وتعزيتي . فرفقاً بي وَلَا تُشِيتْ بِي الْأَعْدَاءُ ، وَلَا تَضَاعِفْ عَلَيَّ الْبَلَاءَ .

وعند ذلك رق له موسى — عليه السلام ، ورجع إلى الابتهاال إلى الله والسؤال بنشر الافتقار فقال : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ » وفي هذا إشارة إلى وجوب الاستغفار على العبد في عموم الأحوال ، والتحقق بأن له — سبحانه — تعذيب البريء ؛ إِذِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ مِلْكُهُ ، وَتَصَرَّفُ الْمَلِكُ فِي مِلْكِهِ نَافِذٌ .

ويقال : ارتكاب الذنب كان من بني إسرائيل ، والاعتذار كان من موسى وهارون عليهما السلام ، وكذا الشرط في باب خلوص العبودية .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾

يعنى إن الذين اتخذوا العجل معبوداً سَيَنَالُهُمْ في مستقبل أحوالهم جزاء أعمالهم . والسين في قوله « سينالهم » للاستقبال ، وَمَنْ لَا يَضُرُّهُ عَصِيَانُ الْعَاصِينَ لَا يَبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنِ الْحَالِ ، وَفَرَقَ بَيْنَ الْإِمْهَالِ وَالْإِهْمَالِ ، وَالْحَقُّ — سبحانه — يَهْلُ وَلَكِنَّهُ لَا يَهْلُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَذْنُبُ ثُمَّ لَا يُؤْخَذُ فِي الْحَالِ أَنْ يَغْتَرَّ بِالْإِمْهَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا ﴾

مَنْ بَعْدَهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ

بَعْدَهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

وَصَفَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ بَعْدَ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ بِالْإِيمَانِ بَعْدَهَا ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ بَعْدَهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .  
وَالْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ بَعْدَ التَّوْبَةِ يَحْتَمِلُ آمَنُوا بِأَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ، أَوْ آمَنُوا بِأَنَّ الْحَقَّ سَبْحَانَهُ لَمْ يُضِرَّهُ  
عَصْيَانٌ ، أَوْ آمَنُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَنْجُونَ بِتَوْبَتِهِمْ مِنْ دُونِ فَضْلِ اللَّهِ ، أَوْ آمَنُوا أَيْ عَادُوا مَا سَبَقَ  
مِنْهُمْ مِنْ قَطْعِ الْعَهْدِ شَرًّا كَأَنَّ .

وَيُقَالُ اسْتَدَامُوا لِلْإِيمَانِ فَكَانَ مَوَافَاتِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ .

أَوْ آمَنُوا بِأَنَّهُمْ لَوْ عَادُوا إِلَى تَرْكِ الْعَهْدِ وَتَضْيِيعِ الْأَمْرِ سَقَطُوا مِنْ عَيْنِ اللَّهِ ، إِذْ لَيْسَ  
كُلُّ مَرَّةٍ تَسْلَمُ الْجُرَّةُ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ

أَخَذَ الْأَلْوَاحَ فِي لُسْخَتِهَا هُدًى

وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾

تَشِيرُ إِلَى حَسَنِ إِمْهَالِهِ — سَبْحَانَهُ — لِلْعَبْدِ إِذَا تَغَيَّرَ عَنْ حَدِّ التَّمْيِيزِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ

مَا لَا يَطِيقُ رَدُّهُ مِنْ بَوَادِهِ الْغَيْبِ

وَإِذَا كَانَتْ حَالَةُ الْأَنْبِيَاءِ — عَلَيْهِمُ السَّلَامُ — أَنَّهُ يَغْلِبُهُمْ مَا يَعْطَلُهُمْ عَنِ الْإِخْتِيَارِ

فَكَيْفَ الظَّنُّ بِمَنْ دُونَهُمْ <sup>(١)</sup> ؟

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا

لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ

أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ؟ إِنَّ

مِثْرَ الْإِلَهِ فَتِنَتُكَ تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ

وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا ،

فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْغَافِرِينَ ﴾

(١) يَسْتَشْفَعُ الْقَشِيرِيُّ لِلْوَالِدِ إِذَا خَرَجَ عَنْ حَدِّ التَّمْيِيزِ إِنْ كَانَ صَادِقًا وَلَهُ عَذْرُ .

شَتَّانَ بَيْنَ أُمَّةٍ وَأُمَّةٍ ؛ أُمَّةٌ يُخْتَارُ مِنْهُمْ — عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبَيْنَ أُمَّةٍ اخْتَارَهَا الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ ، فَقَالَ : « وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكَ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » <sup>(١)</sup> .

الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ مُوسَى قَالُوا : « أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً حَتَّى أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ » وَالَّذِينَ اخْتَارَهُمُ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ » <sup>(٢)</sup> .

وَيُقَالُ إِنَّ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — جَاهِرَ الْحَقَّ — سُبْحَانَهُ — بِنَعْتِ التَّحْقِيقِ وَفَارَقَ الْحَشْمَةَ وَقَالَ صَرِيحًا : « إِنَّهُ هِيَ إِلَّا فَنَتَكَ » ثُمَّ وَكَلَّ <sup>(٣)</sup> الْحَكَمَ إِلَيْهِ فَقَالَ : « تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ » ثُمَّ عَقَّبَهَا بِبَيَانِ التَّضَرُّعِ فَقَالَ : « فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » ، وَلَقَدْ قَدَّمَ الثَّنَاءَ عَلَى هَذَا الدُّعَاءِ فَقَالَ : « أَنْتَ وَلَيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَارْكُتْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾  
وَفِي الْآخِرَةِ ﴿

نَطَقَ بِلِسَانِ التَّضَرُّعِ وَالْإِبْتِهَالِ حَيْثُ صَفَّى إِلَيْهِ الْحَاجَةَ ، وَأَخْلَصَ لَهُ فِي السُّؤَالِ فَقَالَ : « وَارْكُتْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ » أَيَّ أَهْدَانَا إِلَيْكَ .

وَفِي هَذِهِ إِمَارَةٌ إِلَى تَخْصِصِ نَبِيِّنَا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي التَّبَرُّيِّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ لِأَنَّ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « وَارْكُتْ لَنَا فِي . . . » وَبَيْنَمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَكْلَنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : « وَارْكُتْ لَنَا كِفَالَةَ الْوَلِيدِ » ثُمَّ زَادَ فِي ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ : « لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ » <sup>(٤)</sup> .

(١) آيَةُ ٣٢ سُورَةِ الدُّخَانِ وَالْقَصُودِ أُمَّةُ الصُّفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) آيَةُ ٢٢ سُورَةِ الْقِيَامَةِ

(٣) وَوَدَّتْ ( وَقَلَّ ) وَالصُّرُوبُ أَنْ تَكُونَ ( وَكَلَّ ) إِلَيْهِ الْحَكَمَ .

(٤) قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ ارْكُتْ لَنَا كِفَالَةَ الْوَلِيدِ ، وَلَا تَكْلَنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَجَهْتَ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَأَلْحَأْتُ طَهْرِي إِلَيْكَ ، لَا مَلْعَأَ وَلَا مَعْجِي مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ » .  
اللَّهُمَّ ارْكُتْ لَنَا كِفَالَةَ الْوَلِيدِ — عَلَيْهَا النَّبِيُّ ( س ) لِبَعْضِ أَصْحَاءِ الشَّيْخِينَ مِنْ حَدِيثِ الرَّاءِ . اللَّهُمَّ ارْكُتْ لَنَا كِفَالَةَ الْوَلِيدِ ، وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي مَرْيَمَ « وَلَا تَكْلَنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَالَ : صَحِيحٌ عَلَى تَرْطِ الشَّيْخِينَ ، وَعَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا بَيْتَهُ الرَّاءِ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ ﴾

أى مِلْنَا إِلَى دِينِكَ ، وَصِرْنَا لَكَ بِالسُّكُوتِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتْرَكَ لِنَفْسِنَا بَقِيَّةً .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

وفى هذا لطيفة ؛ حيث لم يقل : عَذَابِي لَا أُخْلِي مِنْهُ أَحَدًا ، بَلْ عَلَّقَهُ عَلَى الْمَشِيئَةِ .  
وفيه أيضاً إشارة ؛ أَنَّ أَعْمَالَهُ — سُبْحَانَهُ — غَيْرُ مُعَلَّاتٍ بِأَكْسَابِ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ :  
عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ الْعَصَاةَ بَلْ قَالَ : « مِنْ أَشَاءُ » ؛ وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى جَوَازِ الْغَفَرَانِ لِمَنْ أَرَادَ  
لِأَنَّهُ قَالَ : « أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ » فَإِذَا شَاءَ أَلَّا يُصِيبَ بِهِ أَحَدًا كَانَ لَهُ ذَلِكَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ  
حَيْنَتُهُ مَخْتَارًا .

نَمَّا انْتَهَى إِلَى الرَّحْمَةِ قَالَ : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » لَمْ يُعَلِّقْهَا بِالْمَشِيئَةِ ؛ لِأَنَّهَا  
نَفْسُ الْمَشِيئَةِ وَلِأَنَّهَا قَدِيمَةٌ ، وَالْإِرَادَةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْقَدِيمِ . فَلَمَّا كَانَ الْعَذَابُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ عَلَّقَهُ  
بِالْمَشِيئَةِ ، نَعَكْسَ الرَّحْمَةِ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْهَيَاثِ .

وَيَقَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » بِجَهْلِ لَأَمَالِ الْعَصَاةِ ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا  
مِنْ جَمَلَةِ الْمُطِيعِينَ وَالْعَابِدِينَ وَالْعَارِفِينَ فَهِيَ « شَيْءٌ » <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أى سَأَرْجِيهَا لَهُمْ ، فَيَجِبُ الثَّوَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ اللَّهِ وَلَا يَجِبُ لِأَحَدٍ شَيْءٌ عَلَى اللَّهِ إِذَا لَا يَجِبُ  
عَلَيْهِ شَيْءٌ لِعَزْمِهِ فِي ذَاتِهِ <sup>(٢)</sup> .

قوله ها هنا : « لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » أَيْ يَجْتَنِبُونَ أَنْ يَرَوْا الرَّحْمَةَ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ ، فَإِذَا اتَّقَوْا  
هَذِهِ الظُّنُونَ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّ أَحْكَامَهُ لَيْسَتْ مُعَلَّاتٌ بِأَكْسَابِهِمْ — اسْتَوْجِبُوا الرَّحْمَةَ ،  
وَبِحُكْمِهَا لَهُمْ .

(١) أَيْ ضَمِنَ ( شَيْءٌ ) الَّتِي فِي الْآيَةِ « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » .

(٢) أَيْ بِخِلَافِ الْمُعْتَلَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْوُجُوبِ ( عَلَى ) اللَّهِ ، وَشَتَّى بَيْنَ الْوُجُوبِ ( مِنْ ) اللَّهِ  
وَالْوُجُوبِ ( عَلَيْهِ ) ؛ فَالْوُجُوبُ مِنْ اللَّهِ فَضْلٌ ، وَالْوُجُوبُ عَلَى اللَّهِ إِلْزَامٌ .

« والذين هم بآياتنا يؤمنون » أى بما يكشفهم به فى الأنظار مما يقفون عليه بوجوه الاستدلال ، وبما يلاطفهم به فى الأسرار مما يجدونه فى أنفسهم من فنون الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

أظهر شرف المصطفى — صلى الله عليه وسلم — بقوله : « النبی الأمی » أى أنه لم يكن شىء من فضائله وكمال علمه وتبؤه إلى تفصيل شرعه من قبل نفسه ، أو من تعلمه وتكلفه ، أو من اجتهداه وتصرفه . . بل ظهر عليه كل ما ظهر من قبله — سبحانه — فقد كان هو أمياً غير قارئ للكتب ، ولا متتبع للسیر .

ثم قال : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » : والمعروف هو القيام بحق الله ، والمنكر هو البقاء بوصف الحظوظ وأحكام الهوى ، والتعريض فى أوطان النبی ، وما تصوّره للعبد تزويرات الدعوى<sup>(١)</sup> . والفاصل بين الجسمين ، والمميز بين القسمين — الشريعة ، فالحسن من أفعال العباد ما كان بنعت الإذن من مالك الأعيان فلمهم ذلك ، والقبیح ما كان موافقاً للنهي<sup>(٢)</sup> والزجر فليس لهم فعل ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

الإصر الثقل ، ولا شىء أثقل من كد التدبير ، فمن ترك كد التدبير إلى روح شهود التقدير ، فقد وضع عنه كل إصر ، وكفى شكلاً وزراً وأمر والأغلال التى كانت عليهم هى ما ابتدعوه من قبل أنفسهم باختيارهم فى التزام طاعات

(١) يقصد بها دعوى النفس أنها على شىء وذلك زور وباطل .

(٢) وردت ( الهنى ) وهى خطأ فى النسخ .

الله ما لم يُفْتَرَضْ عليهم ، فَوَكَّلُوا إِلَىٰ حَوْلِهِمْ وَمُنتِهِمْ فِيهَا ، فَأَهْمَلُوهَا ، وَتَقَضُوا عَهْدَهُمْ .  
وَمَنْ لَقِيَ — بِمَخَصَائِصِ الرِّضَا — مَا تَجَرَّى بِهِ الْمَقَادِيرُ ، وَشَهِدَ الْحَقُّ فِي أَجْناسِ  
الْأَحْدَاثِ — فَقَدْ خُصَّ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَفَضْلٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ  
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ  
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

اعترف لم<sup>(١)</sup> بنصرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم  
كان الله حسيبه ، وَمَنْ كَانَ اسْتِقْلَالَهُ بِالْحَقِّ لَمْ يَقِفْ انْتِمَاشُهُ عَلَىٰ نَصْرَةِ الْخَلْقِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ  
الَّذِي يَؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَاتَّبِعُوهُ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

صَرَّحَ بِمَا رَقَّبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَقَامِ ، وَأَفْصَحَ عَمَّا لَقِينَاكَ بِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ ، قُلْ إِنِّي إِلَىٰ  
جَمَاعَتِكُمْ مُرْسَلٌ ، وَعَلَىٰ كَافَتِكُمْ مُفَضَّلٌ ، وَدِينِي — لِمَنْ نَظَرَ وَاعْتَبَرَ ، وَفَكَّرَ  
وَسَبَّرَ — مُفَضَّلٌ . فَإِلَهِي الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ يَنَازِعُهُ ، وَلَا شَبِيهَ يُضَارِعُهُ لَهُ حَقُّ  
التَّصَرُّفِ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَرِيدُ مِنْ حَكْمِهِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَا حَكَمَ وَقَضَى ، وَنَفَذَ بِهِ التَّقْدِيرَ  
وَأَمَّنِي — إِدْسَالِي إِلَيْكُمْ لِتَطِيعُوهُ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ ، وَتَحْذَرُوا مِنْ ارْتِكَابِ مَا يَزْجُرُكُمْ .  
وإِنَّ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ أَنَّهُ قَالَ لَكُمْ : آمِنُوا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَاتَّبِعُوهُ لَتُفْلِحُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
وَتَسْتَوْجِبُوا الزُّلْفَىٰ وَالْحُسْنَىٰ ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنَ الْبَلَاةِ وَالْهَوَىٰ .

---

(١) ( اعترف لهم ) أى عرف لهم هذا العمل وأشاد به .

قوله جل ذكره : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ  
بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

هم الذين سبقت لهم العناية ، وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير  
تحريف ولا تحويل ، وأدركتهم الرحمة السابقة ، فلم تنطرق إليهم مفاجأة تغيير ،  
ولا خفي تبديل .

قوله جل ذكره : ﴿وَقَطَعْنَا مِنْهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا  
أُتَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ  
قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ  
فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا  
قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ  
وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ، وَأَنْزَلْنَا  
عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ  
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

فرّقهم أصنافاً ، وجعلهم في التحزب أخياراً ، ثم كفاهم ما أمهم ، وأعطاهم ما لم يكن لهم  
بد منه فيما نأبهم ، فظللنا عليهم ما وقاهم أذى الحر والبرد ، وأنزلنا عليهم المَنَّاءَ والسَّلَوى  
مما فنى عنهم تعب الجوع والجهد والسعى والكد ، وفجرنا لهم العيون عنه النزول حتى كانوا  
يشاهدونهم عياناً ، وألقينا بقلوبهم من البراهين ما أوجب لهم قوة اليقين ، ولكن ليست  
العبرة بأفعال الخلق ولا بأعمالهم إنما المدار على مشيئة الحق ، سبحانه وتعالى فيما يُمضي عليهم  
من فتون أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا  
مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا  
الْبَابَ سُجَّدًا نَفِّرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
مَنْزِلُ الْمُحْسِنِينَ﴾



ينحبر عما ألزمهم من مراعاة الحدود ، وما حصل منهم من تقض المهود . وعما ألزمهم من التكليف ، ولقائهم به من صنوف التعريف ، وإكرامه من ( شاء )<sup>(١)</sup> منهم بالتروفيق والتصديق ، وإذلاله من شاء منهم بالخذلان وحرمان التحقيق ، ثم ما عاقبهم به من فنون البلاء فمالقوا تعريفاً ، وأذاقهم من سوء الجزاء ، حُكماً — من الله — حماً ، وقضاء جزماً .

قوله جل ذكره : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ

الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا

مِنَ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup> بِمَا كَانُوا يَفْظِلُونَ ﴾

جاء في التفسير أنهم زادوا حرفاً في الكلمة التي قيلت لهم فقالوا : حنطة بدل « حطة » فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفاً أن الزيادة في الدين ، والابتداع في الشرع عظيم الخطر ، ومجاوزة حد الأمر شديد الضرر .

ويقال إذا كان تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة يوجب كل ذلك العذاب — في الظن بتغيير ما هو خبر عن صفات المعبود ؟

ويقال إن القول أنقص من العمل بكل وجه — فإذا كان التغيير في القول يوجب كل هذا . . فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَسَأَلُمُ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ

حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ

إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا

وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كُنُفٌكَ

تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

كان دينهم الأخذ بالتأويل ، وذلك رَوْعَانُ — في التحقيق<sup>(٣)</sup> ، وإن الحقائق تأتي

(١) سقطت ( شاء ) وقد أثبتناها قياساً على ما حدث فيها بعد .

(٢) سقطت ( من السماء ) من النسخ .

(٣) تأمل مفهوم ( التأويل ) عند القشيري ، وكيف يفارقه إذا كان باطلاً .

إلا الصدق ، وإن التعرّيج في أوطان الحظوظ والجنوح إلى احتمالات الرخص فسح لا كيد  
مواثيق الحقيقة ، ومن شاب شوب له ، ومن صفى صفى له .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ  
قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا  
شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الحقائق — وإن كانت لازمة — فليست للعبد عند لوازم الشرع عاذرة<sup>(١)</sup> بل الوجوب  
يُفْتَرَضُ شرعاً ، وإن كان التقدير غالباً بكل وجه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ  
يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا  
بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

إذا تبادى العبد في تهتكه ، ولم يُبالِ بطول الإمهال والستر لم يُهْمِلْ يدُ التقدير عن  
امتنصال العين ، ومحو الأثر ، وسرعة الحساب ، وتعجيل العذاب الأدنى قبل هجوم الأكبر .  
ثم البرى في فضاء السلامة ، ونحت ظل الحفظ ، ودوام روح التخصيص وبرد  
عيش التقريب .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا عَثَرُوا غَمًّا نُهُوا عَنْهُ قُلُوبُهُمْ  
كَانُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

إذا انتهت مدة الإمهال فليس بعده إلا حقيقة الاستئصال ، وإذا سقط العبد من عين الله  
لم يقتضِ بعده أبداً ، فمن أسقطه حكم الملوك فلا قبول له بعد الرد ، وفي معناه أنشدوا :  
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تنكد إليه بوجه آخر الدهر تُقبِلُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمُ  
إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ

---

(١) أي لا يبغي نصرة الحقيقة على حساب الشريعة بحال .

العذاب ، إن ربك لسريع العقاب  
وإنه لغفور رحيم ﴿

إذا الحق — سبحانه — أمضى سنته بالإندار وتقديم التعريف بما يستحقه كلُّ أحد  
على ما يحصل منه من الآثار إبداء للعذر — وإن جلت<sup>(١)</sup> رتبته عن كل عذر — فإن يَنْجَعُ فيهم  
القول وإلا دَمَّرَ عليهم بالعذاب .

قوله جل ذكره : ﴿ وقطعناهم في الأرض أُمَمًا منهم  
الصالحون ومنهم دون ذلك ببلوانهم  
بالحسناتِ والسيئاتِ لعلهم  
يرجعون<sup>(٢)</sup> ﴾

أجرامهم على ما علم أنهم يكونون عليه من صلاحٍ وسداد ، ومعاصٍ وفساد . ثم ابتلاهم  
بفنون الأفعال من محنٍ أزاحها ، ومن مِنٍّ أتاحتها ، وطالبهم بالشكر على ما أسدى ، والصبر  
على ما أبلى ، ليظهر للملائكة والخلائق أجمعين جواهرهم في الاخلاق والوفاق ، والإخلاص  
والنفاق ، فأما الحسناتُ فهي ما يُشهدهم المُجرى ، ولا يُلهمهم عن المبدى ، وأما السيئاتُ  
فالتردد بين الإنجاز والتأخير ، والإباحة والتقصير .

ويقال الحسنة أن يُنسيك نفسك ، والسيئة أن يُشهدك نفسك .

ويقال الحسنات بتيسير وقتٍ عن الغفلات خالٍ ، وتسهيل يومٍ عن الآفات بائن . والسيئاتُ  
التي ابتلاهم بها خذلانٌ حاصل وحرمانٌ متواصل .

قوله جل ذكره : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا  
الكتابَ يأخذونَ عَرَضَ هَذَا  
الأَدْنَى ويقولونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾

استوجبوا الذم بقوله — سبحانه : « فخلف من بعدهم خلف » لأنهم آثروا العَرَضَ<sup>(٣)</sup>

(١) وردت ( حلت ) بالخاء وهي خطأ في النسخ .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( لعلهم يرجعون ) .

(٣) وردت ( الأرض ) وهي خطأ في النسخ فلنظة ( عرض ) مذكورة في الآية .

الأدنى ، وركنوا إلى عاجل الدنيا ، وجعلوا نصيبهم من الآخرة للمنى فقالوا : « سيففر لنا » .  
ويقال من أمارات الاستدراج ارتكاب الزلة ، والاغترار بزمان المهلة ، وتحمل تأخير  
العقوبة على استحقاق الوصلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾  
أخبر عن إصرارهم على الإغترار بالمنى ، وإيثار متابعة الهوى .

قوله جل ذكر : ﴿ أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ  
أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾

استفهام فى معنى التقرير<sup>(١)</sup> ، أى أمروا ألا يصِفُوا الحقَّ إلا بنعت الجلال ، واستحقاق  
صفات الكمال ، وألا يتحاكوا عليه بما لم يأت منه خبر ، ولم يشهد بصحته برهان ولا نظر .  
قوله جل ذكره : ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالِدَارُ الْآخِرَةِ  
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يعنى تحققوا بمضمون الكتاب ثم جحدوا بعد لوح البيان وظهور البرهان . يعنى التعرض  
لنفحات فصله — سبحانه — خيرٌ لمن أَمَلَّ جودَه من مقاساة التعب من يَدَلَّ —  
فى تحصيل هواه — مجهودَه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُسْكُونُ بِالْكِتَابِ  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ .

يسكون بالكتاب إيماناً ، وأقاموا الصلاة إحساناً ، فبالإيمان وجدوا الأمان ، وبالإحسان  
وجدوا الرضوان ؛ فالأمان مُعَجَّلُ الرضوان مؤجل . ويقال « يسكون بالكتاب » سبب  
النجاة ، وإقامة الصلاة تحقق النجاة . فالنجاة فى المآل والنجاة فى الحال .

ويقال أفرد الصلاة هاهنا بالذكر عن جملة الطاعات ليعلم أنها أفضل العبادات بعد معرفة  
الذات والصفات .

---

(١) وردت (التقدير) بالدال وهى خطأ فى النسخ لأن المعنى يرفضها ، والاستفهام التقريرى مصطلح بلاغى

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

مَنْ أَمَّلَ سَبَبَ إِنْعَامِنَا لَمْ تَخْسِرْ لَهُ صَفَقَةً ، وَلَمْ تَخْفِقْ <sup>(١)</sup> لَهُ فِي الرِّجَاءِ رَفَقَةً ، وَيُقَالُ مَنْ تَقَلَّ  
( . . . ) <sup>(٢)</sup> إِلَى بَابِهِ قَدَمَهُ لَمْ يَعْذِمْ فِي الْأَجْلِ نِعَمَهُ ، وَمَنْ رَفَعَ إِلَى مَاحَاتٍ جُودَهُ هِمَّةً  
نَالَ فِي الْحَالِ كَرَمَهُ

وَيُقَالُ مَنْ تَوَصَّلَ إِلَيْهِ بِجُودِهِ نَالَ فِي الدَّارِينِ شَرَفَهُ . وَمَنْ أَكْفَى بِجُودِهِ <sup>(٣)</sup> كَانَ اللَّهُ  
عَنْهُ خَلْفَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ  
ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا  
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ، وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

لَيْسَ مِنْ يَأْتِي طَوْعًا كَمَنْ يَأْتِي جَبْرًا ، فَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي قَهْرًا لَا يَعْرِفُ لِلْحَقِّ — سُبْحَانَهُ —  
قَدْرًا ، وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

إِذَا كَانَ لَا يَرْضِيكَ إِلَّا شَفَاعَةُ      فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ لِشَاقِعٍ  
وَأَنْشَدُوا :

إِذَا أَنَا عَاتَبْتُ الْمُلُوكَ فَأِنَّمَا      أَخْطُ بِأَفْلَامِي عَلَى الْمَاءِ أَحْرُفًا  
وَهَبْنِي أَرْعَوِي بَعْدَ الْعِتَابِ      أَلَمْ يَكُنْ تُوَدِّدُهُ طَبْعًا ، فَصَارَ تَكَلُّفًا ؟  
وَيُقَالُ قَصَارَى مَنْ أَتَى خَيْرًا أَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقْبِهِ طَوْعًا ، كَذَلِكَ لَمَّا قَابَلُوا الْكِتَابَ  
بِالْإِجْبَارِ مَا لَبَسُوا حَتَّى قَابَلُوهُ بِالنَّحْرِيفِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

(١) وردت (تحقق) وهي خطأ في النسخ لأن المعنى يرفضها .

(٢) مشبهة وربما كانت (في العاجل) .

(٣) الأصوب أن تكون هذه (بوجوده) أي من فني عن نفسه وبقي بالحق كالالحق عنه خلفه .

ظهورهم ذرئتهم وأشهدهم على  
 أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا:  
 بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة  
 إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ \* أو تقولوا  
 إنما أشرك آبائنا من قبل وكُنَّا  
 ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَتَهْلِكُنَا بما فعل  
 الْمُبْطِلُونَ؟ ﴿١﴾

أخبر بهذه الآية عن سابق عهده، وصادق وعده، وتأكيده عناج<sup>(١)</sup> ودّه، بتعريف  
 عبده، وفي معناه أنشدوا:

سُقِيَاً لِلَّيْلِ وَاللَّيَالِيِ التِّي كُنَّا بِلَيْلِي نَلْتَقِي فِيهَا  
 أَفْدِيكَ بِلْ أَيَّامُ دَهْرِي كُلِّهَا يَفْدِينْ أَيَّامًا عَرَفْتُكَ فِيهَا

ويقال فأجابهم بتحقيق العرفان قبل أن يقع لمخلوق عليهم بَصَرٌ، أو ظهر في قلوبهم  
 لمصنوع أثرٌ، أو كان لهم من حميمٍ أو قريب أو صديق أو شفيق خبر، وفي معناه أنشدوا:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى وَصَادَفَ قَلْبِي فَارْغًا فَتَمَكَّنَا

ويقال جمعهم في الخطاب ولكنه فرّقهم في الحال . وطائفة خاطبهم بوصف القرية  
 فعرفّهم في نفس ما خاطبهم، وفرقة أبقاهم في أوطان النسيبة فأقصاهم عن نعت العرفان وحجبهم .

ويقال أقوام لا طمّهم في عين ما كشفهم فأقروا بنعت التوحيد، وآخرون أبعدهم  
 في نفس ما أشهدهم فأقروا عن رأس الجحود .

ويقال وسمّ بالجهل قوماً فالزمهم بالإشهاد ببيان الحجة فأكرمهم بالتوحيد، وآخرين  
 أشهدهم واضح الحجة (.... .) <sup>(٢)</sup>

(١) العنّاج جبل يشد في أسفل الدلو العظيمة ( المنجد ) .

(٢) لا بد أن هنا عبارة ساقطة .

ويقال مجلي لقوم فتولى تعريفهم فقالوا : « بلى » عن حاصل يقين ، وتعرّز عن آخرين فأنبتهم في أوطان الجحد فقالوا : « بلى » عن ظن وتخمين .

ويقال جمع المؤمنين في الأسماء ولكن غابر بينهم في الرتب ؛ فجذب قلوب قوم إلى الإقرار بما أطمعها فيه من المآر ، وأنطق آخرين بصدق الإقرار بما أشهدهم من العيان وكشفهم به من الأسرار .

ويقال فرقة ردهم إلى الهيبة فهاجوا ، وفرقة لا طغهم بالقربة فاستقاموا .  
ويقال عرف الأولياء أنه من هو فتحققوا بتخليصهم ، ولبس على الأعداء فتوقفوا لحيرة عقولهم .

ويقال أسمعهم وفي نفس ما أسمعهم أحضرهم ، ثم أخذهم عنهم فيما أحضرهم ، وقام عنهم فأنطقهم بحكم التعريف ، وحفظ عليهم — بحسن التولى — أحكام التكليف<sup>(١)</sup> وكان — سبحانه — لم مكلفاً ، وعلى ما أراده مضرّفاً ، وبما استخلصهم له معرفاً ، وبما رقام إليه مشرّفاً .

ويقال كشف قوماً — في حال الخطاب — بجماله فطوحهم في هيان حبه ، فاستمكنت محابهم في كوامن أسرارهم ؛ فإذا سمعوا — اليوم — سمعاً تجددت ( تلك الأحوال ، فالانزعاج الذي يظهر فيهم لتذكّر ما سلف لهم )<sup>(٢)</sup> من العهد المتقدم<sup>(٣)</sup> .

ويقال أسمع قوماً بشاهد الرويية فأصحابهم عن عين الاستشهاد فأجابوا عن عين التحقيق ، وأسمع آخرين بشاهد الرويية فمحامهم عن التحصيل فأجابوا بوصف الجحد .

ويقال أظهر آثار العناية بدماء حين اختص بالأنوار التي رشت عليهم قوماً ، فمن حرمة تلك الأنوار لم يجعله أهلاً للوصلة ، ومن أصابته تلك الأنوار أفصح بما خص به من غير مقاسة كلفة .

(١) لاحظ مدى إلحاح التشيرى على التزام أحكام التكليف ما سنحت له مناسبة .

(٢) ما بين القوسين مذكور في الهامش أثبتناه في موضعه من النص حسب العلامات المبهزة

(٣) من هذا وما تلاه يتضح كيف ارتبطت الولاية بالفطرة والاجتهاد والخصوصية منذ يوم القدر وكذلك الشأن في مداواة .



قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم  
يرجعون ﴾

إذا سُدَّتْ (١) عيونُ البصائر فما ينفع وضوحُ الحجَّةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه  
آياتنا فالسلخ منها فأتبعه الشيطانُ  
فكان من الغاوين ﴾

الحقُّ — سبحانه — يظهر الأعداء في صدار الخُلَّة ثم يردُّهم إلى سابق القسمة ، ويُبرزُ  
الأولياء بنعتِ الخلاف والزُّلَّة ، ثم يغلب عليهم مقسومات الوصلة .  
ويقال أقامه في محل القربة ، ثم أبرز له من مكامن المكر ما أعدَّ له من سابق التقدير ؛  
فأصبح والكلُّ دونه رتبة ، وأمسى والكلب فوقه — مع خساسته : وفي معناه  
أشدوا :

فبينما بخيرِ والدتي مطمئنة وأصبح يوماً — والزمان تَقَلَّبَا

ويقال ليست العبرة بما يلوح في الحال ، إنما العبرة بما يتول إليه في المآل .

قوله جل ذكره : ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾

لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تَلَحُفْهُ الشقاوةُ الأبدية ، ولكن من قصته  
الهوايق لم تنعشه اللواحق .

قوله جل ذكره : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾

إذا كانت مساكنةُ آدمَ للجنةٍ وطعمه في الخلود فيها أوجباً خروجَه عنها ، فالركونُ  
إلى الدنيا — متى يوجب البقاء فيها ؟

قوله جل ذكره : ﴿ واتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

مواقفة الهوى مُنْزِلُ صاحبها من سماء العِزِّ إلى تراب الذلِّ ، وتلقيه في وهدة الهوان ؛  
ومن لم يُصَدِّقْ عِلْماً فغن قريبٍ يقاسيه وجوداً .

---

(١) وودت ( شدت ) والمعنى يرفضها ويبدو أن الناسخ قد حسب ضمة السين ثلاث نقط  
انظر ( ولولا انسداد البصائر ص ٥٨٩ من هذا المجلد ) .

قوله جل ذكره : ﴿ فَثَلَّ كَثَلٌ الْكَلْب ﴾

من أخلاق الكلب التعرضُ لِمَنْ لَمْ يُخَفِّهِ على جهة الابتداء ، ثم الرضاء عنه بلقمة ..  
كذلك الذى ارتدَّ عن طريق الإرادة يصير ضيق الصدر ، سيء الخلق ، يبدأ بالجفاء  
كُلُّ برئء ، ثم يبدأ طياشه بنيل كُلِّ عَرَضٍ خسيس .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَحِيلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ

يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ  
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

المحجوب عن الحقيقة عنده الإمادة والإحسان (سيان) <sup>(١)</sup> ، فهو فى الحالين : إما  
صاحب ضَجَرٍ أو صاحب بَطَرٍ ؛ لا يحمل المحنة إلا على زوال الدولة ، ولا يقابل <sup>(٢)</sup> النعمة إلا  
بالنهمة ، فهو فى الحالين محجوبٌ عن الحقيقة .

ويقال الكلب نجاسته أصلية ، وخساسته كلية ، كذلك للردود فى الصفة له قصصان  
القيمة وحرمان القسمة .

قوله جل ذكره : ﴿ سَاءَ مَثَلًا <sup>(٣)</sup> الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾

أى صفته أدنى من نعت من يُبَلَى بالإعراض الأزلَى ، وأى نعتٍ أعلى من وصف مَنْ  
أَكْرِمَ بالقبول الأبدى ؟ وأى حيلة تنفع مع مَنْ يخلق الحيلة ؟ <sup>(٤)</sup> وكيف نصح الوسيلة إلا  
لمن منه الوسيلة ؟

---

(١) (سيان) زياد أضفناها ليستقيم بها والمعنى ويقوى .

(٢) وردت (ولا يقال) وهى خطأ فى النسخ والمعنى يتطلب (ولا يقابل) .

(٣) أخطأ الناسخ إذ كتبها (مثلاً) .

(٤) نعرف من مذهب القشيري أن (الحيلة) تنصرف إلى الإنسان ، وهو هنا يقرر أن الحيلة من خلق  
الحق ، وبهذا يتأكد اتجاهه الكلامي نحو جعل الله خالق كل شيء حتى أكساب العباد .

قوله جل ذكره: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى

وَمَنْ يَضِلَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

ليست الهداية من حيث السعاية ، إنما الهداية من حيث البداية ، وليست الهداية بفكر العبد ونظريه ، إنما الهداية بفضل الحق وجهيل ذكره .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ

وَالْإِنْسِ﴾

مَنْ خَلَقَهُ لْجَهَنَّمَ — متى يستوجب الجفأت ؟

وَمَنْ أَهْلَهُ لِلْسَخَطَةِ — أئني يستحق الرضوان ؟

ولولا انسداد البصائر وإلا فأى إشكال بقي بعد هذا الإيضاح ؟<sup>(١)</sup>

ويقال هم — اليوم — في جحيم الجحود ، مقرّنين في أصفاد الخلدان ، مُتَلَبِّسِينَ ثياب

الحرمان ، طعامهم ضريع الوحشة ، وشرابهم حميم الفرقة ، وغداً هم في جحيم الحرقه<sup>(٢)</sup> ..

كما فصّل في الكتاب شرع تلك الحالة .

قوله جل ذكره: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ

لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ

بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

أى لا يفقهون معانى الخطاب كما يفهم المُحدِّثُونَ<sup>(٣)</sup> ، وليس لهم تمييز بين خواطر الحق

---

(١) يفتخر التشبهي هنا بمن يقول بحرية الإنسان في اختطاط مصيره باختياره وأوداته ، ويرجع الأمر كله للنسبة .

(٢) لاحظ مفهوم الجحيم ، في تصور الصوفية ، وهو جحيم الفراق — هنا في هذه الدنيا . وبعده جحيم الاحتراق في الدار الآخرة .

(٣) يقول السراج في شرح « المحدثات » التي وردت في الحديث الشريف :  
« قد كان في الأمم محدثون ومكلمون فان سيك في هذه الأمة فعمر » المحدث أعلى درجة من درجات الصديقين ، ودلائل ذلك ظهرت عليه حين صاح في خطبه : ياساوية الجبل ، وكان سارية في نهاوند فسمع صوت عمر وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدو ( اللع ص ١٧٣ ) .

وبين هواجس النفس ووساوس الشيطان ، ولم أعيّن لا يُبْعِرُونَ بها شواهد التوحيد  
وعلامات اليقين ؛ فلا ينظرون إلا من حيث الغفلة ، ولا يسمعون إلا دواهي الفتنة ،  
ولا ينخرطون إلا مع من سلك ركوب الشهوة .

« أولئك كالأنعام بل هم أضل » : لأن الأنعام قد رُفِعَ عنها التكليف ، وإن لم يكن  
لها وفاق الشرع فليس منها أيضاً خلاف الأمر .

والأنعام لا يَهْتَبُهَا إلا الاعتلاف ، وما تدعو الحيلة من مباشرة الجنس ، فكذلك مَنْ أقيم  
بشواهد نفسه وكان من المربوطين بأحكام النفس ، وفي معناه أنشدوا :

نهارك يا مغرور سهُوٌ وغفلةٌ      وليك نومٌ والردي لك لازم  
وسميك فيها سوف تكره غيبه      كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ،  
وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ  
سَيُجْزَوْنَ <sup>(١)</sup> مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سبحان مَنْ تعرّف إلى أوليائه بنعوته وأسمائه فعرّفهم أنه مَنْ هو ، وبأى وصف هو ،  
وما الواجب وصفه ، وما الجائز في نعته ، وما الممتنع في حقه وحكمه ؛ فتجلى لقلوبهم بما يكشفهم  
به من أسمائه وصفاته ، فإن القول محجوبة عن الهجوم بذواتها لما يصح إطلاقه في وصفه ،  
وإن كانت واقعة على الواجب والجائز والممتنع في ذاته ، فالعقل العرفان بالجملة ، وبالشرع  
الإطلاق والبيان في الإخبار ، والقول فيها وردّ به التوفيق يُطلَق ، وما سكّت عنه التوفيق  
يُمْتَنَع . ويقال مَنْ كان الغالب عليه وصفٌ من صفاته ذَكَرَهُ بما يقتضيه هذا الوصف ؛  
فمن كان مكاشفاً بعبّائه <sup>(٢)</sup> ، مربوط القلب بأفضاله فالغالب على قائله الثناء عليه بأنه الوهاب  
والبار والمُعْطَى وما جرى مجراه . ومن كان مجذوباً عن شهود الإنعام ، مكاشفاً بنعت الرحمة

(١) أخطأ الناسخ إذ زاد واو قبل ( ما كانوا ) والصواب بدونها .

(٢) وردت ( بقطائمه ) بالعين والصواب أن تكون ( بعبّائه ) بدليل ( أفضاله ) و ( الإنعام ) فيما بعد  
فضلا عن الأسماء والصفات الإلهية المختارة ( الوهاب والبار والمُعْطَى ) .

فالذي يَنْسَلِبُ على ذكره وصفه بأنه الرحمن والرحيم والكريم وما في معناه . ومن سَمَّاهُ هَمَّتُهُ  
عن شهود وجوده ، واستهلك في حقائق وجوده فالغالب على لسانه الحق . ولذلك فأكثر  
أقوال العلماء في الإخبار عنه : « الباري » لأنهم في الترقى في شهود الفعل إلى شهود الفاعل .  
وأما أهل المعرفة فالغالب على لسانهم « الحق » لأنهم <sup>(١)</sup> مُخْتَلِفُونَ عن شهود الآثار، متحققون  
بحقائق الوجود .

ويقال إنَّ الله — سبحانه — وقف الخلق بأسمائه فهم يذكرونها قائلًا ، وتمرَّز بذاته ،  
والعقول — وإن صَفَتْ — لا تهجم على حقائق الإشراف ، إذ الإدراك لا يجوز على الحق ؛  
فالعقول عند بواده الحقائق متقنعة بنقاب الحيرة عند التعرض للإحاطة ، والمعارف تائهة عند  
قصد الإشراف على حقيقة الذات ، والأبصار حسيرة عند طلب الإدراك في أحوال الرؤية ،  
والحق سبحانه عزيز ، وباستحقاق نعوت التعالى مُتَفَرِّدٌ <sup>(٢)</sup> .

قوله « وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » : الإلحاد هو الميل  
عن القصد ، وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان ؛ فأهل التمثيل زادوا فألحدوا ، وأهل التعطيل  
نقصوا فألحدوا <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ خَلْقِنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ  
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

أجرى الحق — سبحانه — سُنَّتَهُ بِالْأَلَا يُخْلِي الْبَسِيطَةَ مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْغِيَاثُ وَبِهِمْ دَوَامُ  
الحق في الظهور ، وفي معناه قالوا :

إِذَا لَمْ يَكُنْ قُطْبٌ فَمِنْ ذَا يَدِيرُهَا ؟

فهذايتهم بالحق أنهم يدعون إلى الحق ، ويدلون على الحق ، ويتحركون بالحق ، ويسكنون

---

(١) وردت ( إلهيهم ) ولا معنى لها في السياق والصواب أن تكون ( لأنهم ) ،  
(٢) يلح التشيرى على هذا المعنى دائماً فيقول في تحديد العرفان ( تنزه عن الدرك والوصول ، ليس بين  
الخلق إلا عرفان الحقائق بنعمت التعالى في شهود أفعاله ، فاما الوقوف على حقيقة إنبيته فجئت الصمدية عن  
شراف عرفان عليه ) الطائف ( م ) ص ٣٩٨ .  
(٣) ( لا تمثيل ولا تعطيل ) هذا أصل من أصول المذهب الكلامي عند هذا الإمام .

للحق بالحق ، وهم قائمون بالحق ؛ يصرفهم الحق بالحق أولئك هم غياث الخلق ؛ بهم يُسقون  
إذا قحطوا ، ويُعطّرون إذا أجذبوا ، ويُجابون إذا دَعَوْا <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستخرجهم  
من حيث لا يعلمون \* وأُملى لهم  
إن كيدى متين﴾

الاستدراج أن يلقى في أوهامهم أنهم من أهل الوصلة ، وفي الحقيقة : السابق لهم من القصة  
حقائق الفرقة .

— ويقال الاستدراجُ انتشار العيب بالخير في الخلق ، والانطواء على الشر — في السر —  
مع الحق .

ويقال الاستدراج ألا يزداد في المستقبل محبةً إلا ازداد في الاستحقاق نقصان رتبة .

ويقال الاستدراج الرجوع من قوم صفاء الحال إلى دكوب قبيح الأعمال ، ولو كان صادقاً  
في حاله لكان معصوماً في أعماله .

ويقال الاستدراج دَعَاوى عريضة صدرت عن معانٍ مريضة .

ويقال الاستدراج إفاضة البر مع ( . . . . ) <sup>(٢)</sup> الشكر .

قوله جل ذكره : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ  
إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مَبِينٌ﴾

أو لم يتأملوا بأنوار البصائر ليشهدوا أخلاق آثار التقريب بجملة أحواله — عليه السلام —  
ليعلموا أن ذلك الشاهد ليس بشاهد متخرص .

ويقال إن برود <sup>(٣)</sup> الواسطة — صلوات الله عليه وعلى آله — كانت بنسيم القرية

---

(١) هذه نظرة القشيري الى الولاية والأولياء ومعنى القطب وأهميته .

(٢) مشبهة .

(٣) جمع مُبرود

معطرة<sup>(١)</sup> ، ولكن لا يُدْرِكُ ذلك النَّشْرُ إِلَّا بِشَمِّ العِرفان ، فمنَ فَقَدَ ذلكَ — فأى خبر<sup>(٢)</sup> له عن حقيقة حاله — صلوات الله عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾  
أطلع الله — سبحانه — أقدار الآيات ، وأماط عن ضيائها سحاب الشبهات ؛ فمن استضاء  
بها ترقى إلى شهود القدرة .

ويقال ألح الله تعالى — لقلوب الناظرين بعيون الفكر — حقائق التحصيل ؛ فمن لم  
يعرج في أوطان التقصير أنزلته مراكب السرِّ بساحات التحقق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ  
أَجَلُهُمْ فَبَئِىٓ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾  
الناس في مغاليط آمالم ناسون لو شيك آجالهم ، فكم من ناسجٍ لا كفانه ! وكم من بانٍ  
لأعدائه ! وكم من زارعٍ لم يحصد زرعه !  
هيهات ! الكباش يعتلف والقصابُ مُسْتَعِدٌّ له !  
ويقال سرعة الأجل تنغص لذة الأمل .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ  
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾  
من حرمه أنوار التحقيق فهو في ضباب الجهل ، فهو يزلُّ عيناً ويسقط شمالاً .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا  
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا  
لَوْ قَهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ ، يَسْأَلُونَكَ

---

(١) وردت ( مطرة ) بدون عين ، والسياق يتطلب ( معطرة ) لتناسب النسيم والشم والنشر  
(٢) وردت ( خبر ) والمقصود فأى ( خبر ) أى فأى علم له عن حقيقة المصطفى ( ص ) .



كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ،  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

السائلُ عن الساعةِ رجلان ؛ مُسَكِّرٌ يَتَفَجَّبُ لِمَرَّطِ جَهْلِهِ ، وعَارِفٌ مُشْتَاقٌ يَسْتَعْجِلُ لِمَرَّطِ شَوْقِهِ ، والمتحقق بوجوده سَاكِنٌ فِي جِلَالِهِ ؛ فسيان عنده قيام القيامة ودوام السلامة .  
ويقال الحق — سبحانه — استأثر بعلم الساعة ؛ فلم يُطْلَعْ عَلَى وَقْعِهَا نَبِيًّا وَلَا صَفِيًّا ،  
فَالْإِيمَانُ بِهَا غَيْبِي ، وَيَقِينُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ صَادِقٌ <sup>(١)</sup> عَنْ شَوَائِبِ الرَّيْبِ . ثُمَّ مُعَجَّلُ قِيَامَتِهِمْ  
يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِمُؤَجَّلِهَا <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا  
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ  
الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ،  
وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ  
وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

أَمْرُهُ بِتَصْرِيحِ الْإِقْرَارِ بِالتَّبَهُّرِ عَنْ حَوْلِهِ وَمُنْتَهَى ، وَأَنْ قِيَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَظَامَهُ بِطَوَّلِ رَبِّهِ  
وَمُنْتَهَى ، وَلِذَلِكَ تَجَنَّسُ عَلَى الْأَحْوَالِ ، وَتَخْتَلِفُ الْأَطْوَارُ ؛ فَمِنْ عُسْرِ <sup>(٣)</sup> يَمَسُّنِي ، وَمِنْ  
يُسْرٍ <sup>(٤)</sup> يَخْصِنِي ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِمَرَادِي ، وَلَمْ يَكُنْ يَبْدُو غَيْرِي قِيَادِي لِتَشَابَهَاتِ أَحْوَالِي  
فِي الْيُسْرِ ، وَلِتَشَاكُلَاتِ أَوْقَاتِي فِي الْبَعْدِ مِنَ الْعُسْرِ .

قوله جل ذكره ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ  
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

أَخْرَجَ النَّسَمَةَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَأَخْلَقَهُمْ مُخْتَلِفَةً ، وَهَمَّهُمْ مُتَبَايِنَةً ، كَمَا أَنَّ الشَّخْصَ مِنْ

---

(١) رُبَّمَا كَانَتْ ( صَافٍ ) فِي الْأَصْلِ

(٢) الْقِيَامَةُ الْمَعْجَلَةُ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا هِيَ ( الَّتِي تَقُومُ فِي الْيَوْمِ غَيْرِ مَرَّةٍ بِالْهَجْرِ وَالنُّوَى وَالْفِرَاقِ ) الطَّائِفُ

(٣) ٣٥١ ، فَالْقَصْدُ مِنَ الْعِبَارَةِ إِذَا كَانَ أَهْلُ الْخُصُوصِ يُؤْمِنُونَ بِإِيمَانٍ يَقِينٍ بِالْقِيَامَةِ الْمُؤَجَّلَةِ لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ  
وَيَذُوقُونَ الْقِيَامَةَ لِلْمَعْجَلَةِ ، وَقَدْ صَدَّقَ الْقَشِيرِيُّ إِذْ يَقُولُ فِي رِسَالَتِهِ : ( فَالْإِنْسَانُ هَيْبٌ قَلْبُهُمْ ظُهُورُ )  
الرِّسَالَةُ ص ١٩٨ .

(٤) وَرَدَتْ ( هُصْر ) . (٤) وَرَدَتْ ( يَسْر ) وَقَدْ صَوَّبْنَا مَا ( عُسْرٍ وَيَسْرٍ ) فِي ضَوْءِ مَا قَالَاهُمَا .

نطفة واحدة وأعضاؤه وأجزاءه مختلفة . فمن قدير على تنويع النطفة المتشاكلة أجزاؤها  
فهو القادر على تنويع أخلاق الخلق الذين أخرجهم من نفس واحدة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ كُنْ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَشَّتْهَا جَلَّتْ  
حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ  
دَعَا اللَّهَ رَبُّهَا لَنِ آتَيْنَا صَالِحًا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

ردُّ المِثْلِ إلى المِثْلِ ، وربط الشَّكْلِ بالشَّكْلِ ، ليعلمَ العالمون أن سكون الخلق مع الحق  
لا إلى الحق ، وكذلك أنسل الخلق من الخلق لا من الحق ، فالخلق تعالى قدوس ؛ منه كل حظ  
للخلق خلقا ، منزه عن رجوع شيء إلى حقيقته حقاً

قوله جل ذكره ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ  
فِيهَا إِنَّمَا اتَّخَذَا لِنَفْسِهِمَا آلِهَةً ﴾

شرُّ الناس من يبتهل إلى الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء ، وشدة التضرع والبكاء ،  
فإذا أزيلت شكائته ، ودُفِعت — بيمينته — آفاته ضيعَ الوفاء ، ونسيَ البلاء ، وقابل الرُّفْدَ<sup>(١)</sup>  
بنقضِ العهد ، وأبدل العقد برفض الود ، أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم ، وخرطهم  
في سلك أهل الرد<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ أَأَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾  
كما لا يجوز أن يكون الربُّ مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقاً ، فمن وصف الحقَّ  
بخصائص وصف الخلق فقد ألحدَّ ، ومن نعت الخلق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحدَّ .  
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِمِ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ  
يَنْصُرُونَ ﴾

من حَكَمَ بأنه ليس في مقدور الحق شيء ( لو فعله اسم الجاهل طوعاً إلا فعله<sup>(٣)</sup> ) فقد

(١) ( الرد ) هو العطاء .

(٢) وردت ( الود ) وهي خطأ في النسخ

(٣) ما بين القوسين جاء في النسخة المصورة هكذا ، وفيه غموض ربما نشأ عن خطأ في النسخ .

وصف بأنه لا يقدر على نصره فمضاه الذي يعبد الجهاد ، ونعوذ بالله من الضلالة عن الرشاد .  
 قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾

المعبود هو القادر على هداية داعيه ، وعلم العبد بقدرة معبوده يوجب تبرّيه عن حوله وقوته ، وإفراد الحق — سبحانه — بالقدرة على قضاء حاجته ، وإزالة ضرورته فتقتصر عن قصد الخلق خطاه (١) ، وتنقطع آماله عن غير مولاه

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمْنَانٍ ، فادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

إذا قرئت الضرورة بالضرورة تضاعف البلاء ، وترادف العناء ؛ فالخلق إذا استعان بمخلوق مثله ازداد بعد مراده من النجح . وكيف تشكو لمن هو ذو شكاية ؟ هيات ١ إن ذلك خطأ من الظن ، وباطل من الحسبان .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعِينُ يُبْصِرُونَ بِهَا ، أَمْ لَمْ آذَنْ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾

بيّن بهذه الآيات أن الأصنام التي عبدوها دونهم فيما اعتقدوا فيه صفة المدح ، ثم لم يعبد بعضهم بعضاً فكيف استجازوا عبادة ما فاقهم (٢) في النقص ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴾

(١) وودت (خطاؤه) والصواب أن تكون (خطاه)

(٢) وودت (فوقهم) والأرجح أنها ما (فاقهم) في النقص لأن الأصنام أقل قدراً من الإنسان ، حيث لا تملك يداً أو عيناً أو أذناً ، ولا تمشي ولا تعقل ولا تفكر ولا تنفع ، فإذا كان الإنسان مع ذلك موصوفاً بالنقص فالصنم أشد نقصاً .

صدق التوكل على الله يوجب ترك المبالاة بغير الله ، كيف لا .. والمتفرّد بالقدره —  
على النفع والضرر ، والخير والشر — الله ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ  
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ والذين تدعون  
من دونه لا يستطيعون نصرَكم  
ولا أنفُسهم ينصرون ﴿

مَنْ قام بحق الله تولى أموره على وجه الكفاية ، فلا يخرج به إلى أمثاله ، ولا يدع  
شيئاً من أحواله إلا أجراه على ما يريد به يحسن أفضاله ، فإن لم يفعل ما يريد جعل العبد  
راضياً بما يفعل ، وروح الرضا على الأسرار أتم من راحة العطاء على القلوب

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى  
لَا يَسْمَعُوا ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ  
وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

شاهدوه بأبصارهم لكنهم حجبوا عن رؤيته ببصائر أسرارهم وقلوبهم فلم يعتد  
برؤيتهم .

ويقال رؤية الأكبر ليست بشهود أشخاصهم ، لكن بما يحصل للقلوب من مكاشفات  
الغيب ، وذلك على مقادير الاحترام وحصول الإيمان .

قوله جل ذكره : ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ  
عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

من خصائص سنة الله في الكرم أنه أمر نبيه — صلوات الله عليه وعلى آله —  
بالأخذ به ، إذ الخبر ورد بأن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً . وكلما كان الجرم أكبر  
كان العفو عنه أجلاً وأكمل ، وعلى قدر عظم رتبة العبد في الكرم يتوقف العفو

عن الأصغر والخادم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الجراحات <sup>(١)</sup> التي أصابته في حرب أحد :  
« اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

قوله « وَأُمِرُ بِالْعُرْفِ » : أفضل العرف أن يكون أكل العطاء لأكثر أهل الجفاء ،  
وبذلك عامل الرسول - صلى الله عليه وعلى آله - الناس .

قوله : « وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » : الإعراض عن الأغيار بالإقبال على من <sup>(٢)</sup>  
لم يزل ولا يزال ، وفي ذلك النجاة من الحجاب ، والتحقق بما يتقاصر عن شرحه  
الخطاب :

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ  
تَزْغٍ ، فاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ ﴾

إن سَنَحَ في باطنك من الوماس أثرٌ فاستعِذْ بالله يدركك بحسن التوفيق ، وإن  
هَجَسَ في صدرك من الحظوظ خاطر فاستعِذْ بالله يدركك بإزالة كل نصيب ، وإن  
كَيْفَقَتْكَ في بذل الجهد فَتْرَةٌ فاستعِذْ بالله يدركك بإدامة آلائه ، وإن اعْتَرَتْكَ في الترقى  
إلى محل الوصول وقفة فاستعِذْ بالله يدركك بإدامة التحقيق ، وإن تقاصر عنك شيء  
من خصائص القرب — صيانة لك عن شهود المحل — فاستعِذْ بالله يُشِينِكَ له بدلاً  
مِنْ لَكَ بِكَ <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ  
طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا  
هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

إنما يمس المتقين طيفُ الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر الله ، ولو أنهم استداموا

(١) وردت ( الجراحات ) بالهاء وهي خطأ في النسخ

(٢) وردت ( ما لم يزل ) وقد آثرنا ( من لم يزل ) لأن ( من ) للعاقل

(٣) تصلح هذه الفقرة وصية للمريد ، وتبين عن أسلوب التشيرى في الوصية من التاجين  
الصوفية والأدبية .

ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طائف الشيطان ، فإن الشيطان لا يقرب قلباً في حال شهوده الله ؛ لأنه ينخس عند ذلك . ولكن لكل صارم نبوة ، ولكل عالم هفوة ، ولكل عابد شدة ، ولكل قاصد قرة ، ولكل سائر وقفة ، ولكل عارف حجة ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليغان على قلبي . . . »<sup>(١)</sup> أخبر أنه يعتريه ما يعتري غيره ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الحدة تعتري خيار أمتي »<sup>(٢)</sup> ، فأخبر أن خيار الأمة — وإن جلت رتبته — لا يتخلصون عن حدة تعتريهم في بعض أحوالهم ، فتخرجهم عن دوام الحلم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإخوانهم يمدّونهم في النى ﴾  
ثم لا يفصرون ﴿

إخوان الشيطان أرباب دوام الغيبة ؛ فهم في كمال الغفلة تدوم بهم الحجة ؛ فمنهم بالزلة من لم يعلم ، أو ألم ولكن لم يصير فهم خياره<sup>(٣)</sup> ، ومنهم من غفل واغتر ، وعلى دوام الغيبة أصر — فهم المحبوبون قطعاً ، والبعدون<sup>(٤)</sup> — عن محل القرب — صدأ<sup>(٥)</sup> ورداً .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا لم تأنهم بآية قالوا لولا اجتبتنا ﴾ ، قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي ، هذا بصائر من

(١) « إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ، وفي رواية لمسلم : « توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة » ويقول صاحب اللع : الذين الذين كان يتوب منه الرسول مثله مثل المرأة إذا تنفس فيها الناظر فينفس من ضوئها ثم تعود إلى حالة ضوئها ( اللع ص ١٥١ ) .

(٢) قال (ص) ( أني بشر أغضب كما يقضب البشر ) الشيخان عن أبي هريرة وأحمد ومسلم عن جابر

(٣) من هذا يضح مدى انقراح الأمل أمام المصيبة ، وكيف أن باب التوبة يتسع لآمالهم .

(٤) وردت المعبودون وهي خطأ في النسخ

(٥) وردت ( صمد ) وهي خطأ في النسخ وقد تقدم معنى الصمد والرد

رَبُّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

مَنْ شَهِدَ الْحَقَّ مِنْ حَيْثُ الْخَلْقُ سَقَطَ فِي مَهْوَاةٍ لِلْغَالِيطِ ، فَهُوَ فِي مَنَاحِلِ الشُّكِّ يُجِيبُ  
مَنَازِلَ الرَّيِّبِ ، وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا عَمًى عَلَى عَمًى . وَمَنْ طَالَعَ الْخَلْقَ بَعَيْنَ تَصْرِيفِ الْقُدْرَةِ  
لِيَأْمَ تَحَقُّقَ بَأْنِهِمْ لَا يَظْهَرُونَ إِلَّا فِي مَعْرِضِ اخْتِيَارِ الْحَقِّ لَمْ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ ،  
وَيَسْتَدِيمُ شُهُودَ التَّصْرِيفِ بِوَصْفِ السَّكِينَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ  
وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

اسْتَمِعُوا بِسَمْعِ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، وَأَنْصِتُوا ( بِصَوْنٍ ) الْخَوَاطِرَ عَنْ مَعَارِضَاتِ  
الْإِعْتِرَاضِ ، وَمَطَالِبَاتِ الْاِسْتِكْشَافِ . وَمَنْ بَاشَرَ التَّحْقِيقَ سِرَّهُ لَازِمَ التَّصَدِيقِ قَلْبِيهِ .  
وَالْإِنْصَاتِ — فِي الظَّاهِرِ — مِنْ آدَابِ أَهْلِ الْبَابِ ، وَالْإِنْصَاتِ — بِالسَّرَائِرِ —  
مِنْ آدَابِ أَهْلِ الْبَسَاطَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نِعْمَتِ تَوَاصِي الْجَنِّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ شُهُودِ  
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا » <sup>(١)</sup> ؛ فَإِذَا كَانَ الْحُضُورُ إِلَى  
الْوَاسِطَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوْجِبُ هَذِهِ الْهَيْبَةَ فَلَزُومُ الْهَيْبَةِ وَحِفْظُ الْأَدَبِ عِنْدَ حُضُورِ الْقَلْبِ بِشُهُودِ  
الرَّبِّ أَوْلَى وَأَحَقُّ ، قَالَ تَعَالَى : « وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا  
وَرَحِيقَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ  
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ  
الْغَافِلِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

التَضَرُّعُ إِذَا كُوْشِفَ الْعَبْدُ بِوَصْفِ الْجَمَالِ فِي أَوَانِ الْبَسْطِ ، وَالرَّحِيقَةُ إِذَا كُوْشِفَ بِنِعْمَتِ  
الْجَلَالِ فِي أَحْوَالِ الْهَيْبَةِ ، وَهَذَا لِلْأَكْبَرِ .

(١) آية ٢٩ سورة الأحقاف .

(٢) آية ١٠٨ سورة طه .

(٣) أخطأ الناسخ اذ كتبها ( الغافلون )



فَأَمَّا مَنْ دُونَهُمْ فَتَنَوْعُ أحوالهم من حيث الخوف والرجاء ، والرغبة والرهبة . ومن فوق الجميع فأصحاب البقاء والفناء ، والصحو والمحو ووراءهم أرباب الحقائق مُشَبَّهُونَ في أوطان التمكين ، فلا تَلَوْنَهُمْ ولا تَجْنِسَ لقيامهم بالحق ، وامتثالهم عن شواهدهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ

يَسْجُدُونَ ﴾ .

أثبت لهم عندية الكرامة ، وحفظ عليهم أحكام العبودية لثلاث ينفك حال جمعهم عن نعمت فرقتهم<sup>(١)</sup> ، وهذه سُنَّةُ اللَّهِ تعالى مع خواص عبادِهِ ؛ يلقاهم بخصائص عين الجمع ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق لثلاث يُخْلَوُا بِآداب العبودية في أوان وجود الحقيقة<sup>(٢)</sup> .

## السورة التي تذكر فيها الأنفال

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله إخبار عن قدرته على الإبداع والاختراع ، الرحمن الرحيم إخبار عن تصرفه بالإقناع وحسن الدِّعَاء ؛ فبقدرته أوجد ما أوجد من مراده ، وبنصرته وَحَّدَ مَنْ وَحَّدَ

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ

لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ .

الأنفال ها هنا ما آل إلى المسلمين من أموال المشركين ، وكان سؤالهم عن حكمها ، فقال الله تعالى : قُلْ لَمْ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ مَلَكَاتٍ ، ورسوله — عليه السلام — الْحُكْمُ فِيهَا بما يقضى به أمراً وشرعاً .

---

(١) وردت فوقهم بالواو والصواب (فرقتهم) بالراء ، فالكلام عن الجمع والفرق .  
(٢) لاحظ هنا كيف يلح التفسير دائماً على عدم الإخلال بأي شرط من شروط الشريعة مهما أوهل العبد في الفناء ، بل يعتبر حفظ الله لعبده في هذه المرحلة الحاسمة علامة صدق العهد وآية خصوصيته .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ .

أى أجيئوا لأمر الله ، ولا تطيعوا ذوائعى منكم والحكم بمقتضى أحوالكم ، وابتغوا إشاره الحق على مراد النفس ، وأصلحوا ذات بينكم ، وذلك بالانسلخ عن شح النفس ، وإشراق حق الغير على مآلكم من النصيب والحظ ، وتنقية القلوب عن خفايا الحسد والحقد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ :

أى فى الإجابة إلى ما يأتىكم من الإرشاد .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

أى سبيل المؤمن ألا يخالف هذه الجملة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

الوجل شدة الخوف ، ومعناه ها هنا أن يخرجهم الوجل عن أوطان الغفلة ، ويرجعهم عن مساكن الغيبة . فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة وطاروا إلى مشاهد الذكر نالوا السكون إلى الله — عز وجل ؛ فيزيدهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقاً على تصديق ، وتحقيقاً على تحقيق . فإذا طالعوا جلال قدره ، وأيقنوا قصورهم عن إدراكه ، توكلوا عليه فى إمدادهم بالرعاية فى نهايتهم ، كما استخلصهم بالعناية فى بدايتهم .

ويقال سنة الحق — سبحانه — مع أهل العرفان أن يردد دم بين كشف جلال ولطف جمال ، فإذا كشفهم بجلاله وجلت قلوبهم ، ( وإذا لطفهم بجماله سكنت قلوبهم ، قال الله تعالى : « وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ » . ويقال وجلت قلوبهم <sup>(١)</sup> بخوف فراقه ، ثم تطمئن وتسكن أسرارهم بروح وصاله . وذكر الفراق يفنيهم وذكر الوصال يضحىهم ويحييهم .

(١) ما بين القوسين مذكور فى الهامش أثبتناه فى موضعه من النص حسب العلامة المبيزة .

ويقال الطالبون في نوح رهبهم ، والواصلون في روح قربهم ، والموحدون في محو غيبتهم ؛ استولت عليهم الحقائق فلاهم تطلع لوقت مستأنف فيستفهم خوف أو يحرفهم طمع ، ولا لهم إحساس فتتلكهم لذة ؛ إذ لما<sup>(١)</sup> اضطلوا ببواديه ما ملكهم فهم عنهم محو ، والغالب عليهم سوام .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أولئك هم المؤمنون حقا  
لهم درجات عند ربهم ومغفرة  
ورزق كريم ﴿

لا يرضون في أعمالهم بإخلال ، ولا يتصفون بجمع مال من غير حلال ، ولا يعرجون في أوطان التقصير بحال ، أولئك الذين صفتهم ألا يكون للشرعية عليهم نكير ، ولا لهم عن أحكام الحقيقة مقيل .

« فهم المؤمنون حقا » أي حققوا حقا وصدقوا صدقا . ويقال حق لهم ذلك حقا .  
قوله : « لهم درجات عند ربهم » على حسب ما أهّلهم له من الرتب ؛ فيسابق قسمة لهم استوجبوها ، ثم بصادق خدمتهم — حين وفّقهم لها — بلغوها .  
ولهم مغفرة في المال ، والستر في الحال لأكبرهم ؛ فالمغفرة السر ، والحق سبحانه يستر منال العاصين ولا يفضحهم لئلا يجبروا عن مأمول أفضالهم ، ويستر مناقب العارفين عليهم لئلا يعجبوا بأعمالهم وأحوالهم ، وفرق بين ستر وستر ، وشتان ما هما !  
وأما الرزق الكريم فيحتمل أنه الذي يعطيه من حيث لا يحتسب ، ويحتمل أنه الذي لا ينقص بإجرامهم ، ويحتمل أنه مالا يشغلهم بوجوده عن شهود الرزاق ، ويحتمل أنه رزق الأسرار بما يكون استقلالها به من المكاشفات .

قوله جل ذكره : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ﴾

(١) وردت ( لم ) واليباق يفتنى ( لما ) .

بَيِّنَ — سبحانه — أن الجدالَ منهم عادةٌ وسَّجِيَّةٌ ، ففي كل شيء لم جدال واختيار ؛ فكَرهُوا خروجه إلى بدرٍ ، كما جادلوا في حديث الغنيمة ، قال تعالى : « يسألونك عن الأنفال » وما يكون من خصال العبد غير منكر ويكون على وجه الندرة كان أقرب إلى الصفح عنه والتجاوز ، فأما إذا صار ذلك عادةً فهو أصعب

ويقال ما لم تبأشر خلاصة الإيمان القلب لا يوجد كمال التسليم وترك الاختيار ، وما دام يتحرك من العبد عرق في الاختيار فهو بعيد عن راحة الإيمان .

ولقد أجرى الله سنته مع أوليائه ، وكذلك كانت سنته مع أنبيائه ألا يفتح لهم كمال النفع إلا بعد مفارقة مألوفات الأوطان ، والتجرد عن مساكنة مافيه<sup>(١)</sup> حظ ونصيب من كل معهود ويقال إن في هجرة الأنبياء — عليهم السلام — عن أوطانهم أماناً لهم من عادية الأعدى ، وإحياء لقلوب قوم تقاصرت أقدامهم عن المسير<sup>(٢)</sup> إليهم .

وكذلك هجرة الأولياء من خواصه ؛ فيها لهم خلاص من البلايا ، واستخلاص للكثيرين من البلايا .

قوله جل ذكره : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾

جحد الحق بعد وضوح برهانه علم<sup>(٣)</sup> لاستكبار صاحبه ، وهو — في الحال — في وحشة غيبه ، معاقب بالصد وتنقص العيش ، يمل حياته ويتمنى وفاته ؛ « كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون »

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكَّةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

(١) وردت ( ما لم فيه ) وربما كانت ( ما لم فيه )

(٢) وردت ( المصير ) والمصير ( مسير ) الذين لم تنح لهم فرصة الانتقال إلى أماكن الأنبياء .

(٣) ضبطنا ( علم ) هكذا لكي تؤدي معنى ( علامة ) على الاستكبار ، فهكذا يتطلب السياق .

يُحَقِّقُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعُ دَائِرَ  
الْكَافِرِينَ ❊

التعريجُ في أوطان الكسل ، ومساكنة مألوفات الراحة من خصائص أحكام النفس .  
فهي بطبعها تؤثر في كل حال نصيبها ، وتمجّل لذّة حفظها . ولا يصل أحدٌ إلى جلائل النعم  
إلا بتجرّع كأسات الشدائد ، والاسلاح عن مهبوبات النصيب . « ويريد الله أن يُحَقِّقَ الحق  
بكلماته » أي إذا أراد الله — سبحانه — تخصيصَ عبدٍ بولايته قضى على طوارق نفسه بالأفول ،  
وحكم لبعض شهواته بالذبول ، وإلى طوابع الحقائق بإشراقها ، ولجوامع اللوانع باستحقاقها .  
قوله جل ذكره : ❊ لِيُحَقِّقَ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ  
ولو كرهَ الجرمون ❊

ليحق الحق بالتوفيق فيما يحصل ببذل الجهود ، والتحقيق لما يظهر من عين الجود .  
ويقال ليُحَقِّقَ الحق بنشر أعلام الوصل ، ويُبْطِلَ الباطل بقهر أقسام الهزل .

قوله جل ذكره : ❊ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ  
أَنِّي مُّمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ  
مُرْدِفِينَ ❊ وما جعله الله إلا بُشْرَى  
ولنطمئننَّ به قلوبُكم وما النصرُ إلا من  
عند الله إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ❊

الاستغاثة على حسب شهود الفاقة وعدم المنّة والطاقة ، والتحقيق بانفراد الحق بالقدرة على  
إزالة الشكّة تيسيرٌ للمستول وتحقيقٌ للأمول . فإذا صدقت الاستغاثة بتعجّل الإجابة  
حَصَلَتْ الأمالُ وقُضِيَتْ الحاجة . . . بذلك جَرَتْ سُنَنُهُ الْكَرِيمَةُ .

ويقال بَشَّرَهم بالإمداد بالملك ، ثم رقّاهم عن هذه الحالة بإشهادهم أن الإنجاز من الملك ،  
ولم يَدْرهم في المساكنة إلى الإمداد بالملك فقال : « وما النصر إلا من عند الله » ثم قال :  
« إن الله عزيز » فالنجاة من البلاء حاصلة ، وفنون الإنجاز والإمداد بالطاقة متواصلة ،  
والدعوات مسموعة ، والإجابة غير ممنوعة ، وزوائد الإحسان متّاحة ، ولكن الله عزيز

الطالبُ واجدٌ ولكن بعطائه ، والراغب واصل ولكن إلى مباره . والسبيلُ سهلٌ  
ولكن إلى وجدان لطفه ، فأما الحقُّ فهو عزيز وراء كل وصل وفصل ، وقُربٍ وبعُد ،  
وما وُصلَ أحدٌ إلا إلى نصيبه ، وما بقي أحدٌ إلا عن حظه ، وفي معناه أنشدوا :

وَقُلْنَا لَنَا نَحْنُ الْإِلَهَةُ إِنَّمَا نَضِيءُ لِمَنْ يَسِرُ بَلِيلٍ وَلَا نُقَرِّى  
فَلَا يَذَلَّ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَظَرًا وَلَا وَصَلَ إِلَّا بِالْجَمَالِ الَّذِي يَسِرُ

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يَفْشِكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ  
عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ  
وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ  
وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ۝ ﴾

غَشِيَهُمُ النَّعَاسُ تلك الليلة فأزال عن ظواهرهم<sup>(١)</sup> ونفوسهم كدَّ الأغيار والكلال ،  
وأُنزل على قلوبهم رَوْحَ الأمان ، وأمطرت السماء فَاغْتَسَلُوا بعدما لَزِمَتْهم الطهارة الكبرى بسبب  
الاحتلام ، واشتدت الأرض بالمطر فلم ترمس الأقدام في رَمَلِهَا ، وانتفى عن قلوبهم ما كانت  
الشياطين توسوس به إليهم أنه سيصيبهم العناء بسلوك رَمَلِهَا وبالانتفاء عن الفُسل ، فلما  
( . . . )<sup>(٢)</sup> الإحساس ، واستمكن منهم النَّعَاسُ ، وتداركتهم الكفاية والنصرة  
استيقنوا بأن الإعانة من قبل الله لا يسكونهم وحركتهم ، وأشهدهم صرف التأييد  
وإتمام الكفاية

وكما طَهَّرَ ظواهرهم بماء السماء طَهَّرَ سرائرهم بماء التحقيق عن شهود كلِّ غير وكلِّ عِلَّة ،  
وصان أسرارهم عن الإصغاء إلى الوسوس ، وربط على قلوبهم بشهودهم جريان التقدير على  
حسب ما يجري الحقُّ من فنون التصريف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُنَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ ﴾ .

---

(١) وردت ( زواهرم ) والصواب أن تكون ( ظواهرم ) لتتلاءم مع ( نفوسهم )  
(٢) مشتبه وربما كانت ( زایلهم )

أقدام الظاهر في مشاهد القنال ، وأقدام السرائر على هيج الاستقامة بشهود  
مجارى التقدير .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي  
مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا <sup>(١)</sup> الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْنِي  
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ ﴾ .

عرّفنا أن الملائكة محتاجون إلى تعريف الحق إياهم قضايا التوحيد . وتثبيت الملائكة  
للمؤمنين : قيل كانوا يظهرون للمسلمين في صور الرجال يخاطبونهم بالإخبار عن قلة عدد  
المشركين واستيلاء المسلمين عليهم ، وهم لا يعرفون أنهم ملائكة .

وقيل تثبتهم إياهم بأن كانوا يلتقون في قلوبهم ذلك من جهة الخواطر ، ثم إن الله يخلق لهم  
فيها ذلك ، فكما يوصل الحق سبحانه — وساوس الشيطان إلى القلوب يوصل خواطر الملك ،  
وأيدهم بإلقاء الخوف والرعب في قلوب الكفار .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا  
مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ذلك بأنهم شاقوا  
الله ورسوله .

وذلك بأمر الله وتعريفه من جهة الوحي والكتاب ، ويكون معناه إباحة ضربهم ونيلهم  
على أى وجه كان كيفما أصابوا أسافلهم وأعاليمهم . ويحتمل فاضربوا فوق الأعناق ضرباً  
يوجب قتلهم ؛ لأنه لا حياة بعد ضرب العنق ، ولفظ فوق يكون صلة .

« واضربوا منهم كل بنان » أى ضرباً يعجزهم عن الضرب ومقاتلة المسلمين ؛ لأنه  
لامقاتلة تحصل بعد فوات الأطراف .

« ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله » بين أنهم في مغاليط حسابهم وأكاذيب ظنونهم .  
والمنشئ — بكل وجه — الله ؛ لانفراده بقدرة الإيجاد

(١) أخطأ الناسخ فكتبها (ثبت)



قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

يُمَثِّلُ الْمَجْرِمَ<sup>(١)</sup> أَبَامًا ثُمَّ لَا يَهْمِلُهُ ، بَلْ يَنْدِيْقُهُ بِأَسْفَعِهِ ، وَيَزِيلُ عَنْهُ شُبُهَةَ ظَنُّهِ

قوله جل ذكره : ﴿ذَلِكَ فَدَوْقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> ..

ذَلِكَ الْعَذَابُ فَدَوْقُوهُ — أَمَّا لِلشُّرَكَاءِ — مُعْجَلًا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُؤَجَّلًا ، فَلِلْعَاصِينَ عِقَابَانِ مُحْصَلٌ بِنَقْدٍ وَمُؤَخَّرٌ بَوَعْدٍ .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا<sup>(٣)</sup> إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ \* وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

يَقُولُ إِذَا لَقِيتُمُ الْكَافِرَ فِي الْمِرْكَةِ زَحَفًا مُجْتَمِعِينَ فَاتَّبِعُوا لِقَتَالَهُمْ ، وَلَا تَهْزِمُوا فَالشُّجَاعَةُ ثَبَاتُ الْقُلُوبِ ، وَكَأَقْبَلُ الشُّجَاعَةِ صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَفِي الْجِهَادِ مَعَ الْعَدُوِّ ، فَالْوَاجِبُ الثَّبَاتُ عِنْدَ الصُّوْلَةِ — هَذَا فِي الظَّاهِرِ ، وَفِي الْبَاطِنِ جِهَادٌ مَعَ الشَّيْطَانِ ، وَالْوَاجِبُ فِيهِ الْوُقُوفُ عَنْ دَوَاعِيهِ إِلَى الزَّالَةِ ، فَبَيْنَ وَقْفٍ عَلَى حَدِّ الْإِمْسَاكِ عَنْ إِيَابَتِهِ ، بَلَا إِنْجَازٍ لِمَا يَدْعُوهُ بِوَسَاوِسِهِ فَقَدْ وَفَّى الْجِهَادَ حَقَّهُ .

وَكَذَلِكَ فِي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ ، فَإِذَا وَقَفَ الْعَبْدُ عَنْ إِيَابَةِ النَّفْسِ فِيهَا تَدْعُوهُ بِهَوَاجِسِهَا ،

(١) وَرَدَتْ ( الْمَجْرِم ) بِالْخَاءِ وَهِيَ خَطَأٌ فِي النَّسْخِ

(٢) أَخْطَأَ النَّاسِخُ إِذْ جَعَلَهَا ( عَذَابًا أَلِيمًا ) .

(٣) سَقَطَتْ ( آمَنُوا ) مِنَ النَّاسِخِ فَاتَّبَعْنَاهَا

ولم يُطع<sup>(١)</sup> شهوته فيما تحمله النفس عليه من البلاء إلى ابتغاء حفظه فقد وفى الجهاد حقّه .

والإشارة في قوله : « إلا متحرّفاً لقتال » بإيثار بعض الرخص ليتقوى على ما هو أشدّ ، كالأكل مثلاً ما يُقيم صلبه ليقوى على السهر ، وكترفقه بنفسه بإيثار بعض الراحة من إزالة عطش ، أو نفى مقاساة جوع أو برد أو غيره لئلا يبقى عن مراعاة قلبه ، ولاستدامة اتصال قلبه به ، فإن ترك بعض أوراذه الظاهر لئلا يبقى به عن الاستقامة في أحكام واردات السرائر أخذ في حقّ الجهاد بحزم .

والإشارة في قوله : « أو متحيزاً إلى فئة » إلى اعتضاد المريد بصحبة أقرانه فيما يساعدونه في المجاهدة ، ويُبقي شهود ما هم فيه من المكابدة من إقامته على مجاهدته . ثم باستمداده من همم الشيوخ ، فإن المريد ربيب همّة شيخه ، فالأقوياء من الأغنياء ينفقون على خدّهم من نعمهم ، والأصفياء من الأولياء ينفقون على مريدهم من هممهم ؛ يجبرون<sup>(٢)</sup> كسرهم ، ويتوبون منهم ، ويساعدونهم بحسن إرشادهم . ومن أهل مريداً وهو يعرف صدقه ، أو خالف شيخاً وهو يعرف فضله وحقّه فقد بآء من الله بسخط ، والله تعالى حسبه في مكافأته على ما حصل من قبيح وصفه .

قوله جل ذكره : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾

الذى نقي عنهم من القتل هو إماتة الروح وإثبات الموت ، وهو من خصائص قدرته — سبحانه ، والذى يوصف به الخلق من القتل هو ما يفعلونه في أنفسهم ، ويحصل ذهاب الروح عقبيه .

وقائدة الآية قطع دعاوهم في قول كل واحد على جهة التفاخر قتلت فلاناً ، فقال : « فلم تقتلوهم » أى لم تكن أفعالكم مما انفردتم بإيجادها بل المنشأ والمبدى<sup>(٣)</sup> هو الله عز وجل . وصانهم بهذه الآية وصان نبيه — عليه السلام — عن ملاحظة أفعالهم وأحوالهم .

(١) وردت ( لم يطع ) وهى خطأ فى النسخ

(٢) وردت ( يجبرون ) والمناسب للكسر ( يجبرون )

(٣) وردت ( المهدى ) بالهاء وقد جعلناها ( المبدى ) لأن الكلام متجه إلى الإنشاء والإيجاد والإبداع والخلق .

وكذلك قال جل ذكره : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

رَمَى ﴾

أى ما رَمَيْتَ بنفسك ولكنك رميت بنا ، فكان منه ( صلوات الله عليه ) <sup>(١)</sup> قبضُ التراب وإرساله من يده ولكن من حيث الكسب ، وكَسَبُهُ مُوجَدٌ من الله بقدرته ، وكان التبليغ والإصابة من قِبَلِ اللَّهِ خَلْقًا وإبداعًا ، وليس الذى أثبت ما نفى ولا نفى ما أثبت إلا هو ، والفعلُ فَعَلُ واحدٍ ولكن التغاير في جهة الفعل لا في عينه .

فقوله : « إذرمت » فرقٌ ، وقوله : « ولكن الله رمى » جمع . والفرق صفة العبودية ، والجمع نعت الربوبية ، وكلُّ فرقٍ لم يكن مُضْمَّنًا بجمعٍ وكلُّ جمعٍ لم يكن — في صفة العبد — مُؤَيَّدًا بفرق فصاحبه غير شديد الوتيرة .

وإن الحق — سبحانه — يَبْكِلُ الأغيار إلى ظنونهم ، فينهبون في أودية الحساب ، ويتوهمون أنهم منفردون بإجراء ما منهم ، وذلك منه مكرٌ بهم .

قال الله تعالى : « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » <sup>(٢)</sup> وأما أرباب التوحيد فيُشْهِدُهم مطالع التقدير ، ويعرفهم جريان الحكم ، ويرِيهِمْ أَنْفُسَهُمْ في أسر التصريف ، وقهر الحكم . وأما الخواص من الأولياء وأصحاب العرفان فيُجْرِي عليهم ما يُجْرِي و ( ما ) <sup>(٣)</sup> لهم إحساس بذلك ، مأخوذون يثبتهم بشواهد النظر والتقدير ، ويتولى حفظهم عن مخالفة الشرع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾

البلاء الاختبار <sup>(٤)</sup> ، فيختبرهم مرة <sup>(٥)</sup> بالنعم ليظهر شكرهم أو كفرانهم ، ويختبرهم أخرى بالحن ليظهر صبرهم ، أو ذِكْرَهُمْ أو لسيانهم .

(١) أضفنا ( صلوات الله عليه ) ليتضح اتجاه المعنى .

(٢) آية ١٠٤ سورة الكهف .

(٣) سقطت ( ما ) من النسخ والمعنى يتطلبها إذ لا إحساس لهم بما يجري عليهم من حكم وتصريف .

(٤) وردت ( الاختبار ) بالياء وهي خطأ في النسخ .

(٥) وردت ( مر ) بدول تاء مربوطة والصواب أن تكون بها .

« البلاء الحسن » : توفيق الشكر في المنحة ، وتحقيق الصبر في المحنة ، وكل ما يفعله  
الخلق فهو حسن من الحق لأن له أن يفعله . وهذه حقيقة الحسن : وهو ما للفاعل أن يفعله <sup>(١)</sup>  
ويقال حسن البلاء لأنه منه و ( . . . ) <sup>(٢)</sup> البلاء لأنه فيه .

ويقال البلاء الحسن أن تشهد المبلي في عين البلاء .

ويقال البلاء الحسن ما لا دعوى لصاحبه إن كان نعمة ، ولا شكوى إن كان محنة .

ويقال البلاء الحسن ما ليس فيه ضجر إن كان عسراً ، ولا بطر إن كان يسراً .

ويقال بلاء كل أحد على حسب حاله ومقامه ، فأصفاهم ولأء أوفاهم بلاء ، قال عليه السلام :  
« أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمتل فالأمتل » <sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

تنفيس لقوم وتهديد لقوم ، أصحاب الرفق يقول لهم إن الله « سميع » لأنفسكم ؛ فبروح  
عليهم بهذا وقتهم ، ويحمل عنهم ولاءهم <sup>(٤)</sup> ، وأشدوا :

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحةً تمنيت أن أشكو إليك فتسمعاً

وقالوا :

قل لي بالسنة النفس كيف أنت وكيف حالك ؟

وأما الأكابر فلا يؤذن لهم في التنفيس ، وتكون المطالبة متوجهة عليهم بالصبر ،  
والوقوف تحت جريان التقدير من غير إظهار ولا شكوى ، فيقول : لو ترشح منك ما كُلفت  
بشره توجَّهت عليك الملامة ، فإن لم يكن منك بيان فإني سميع لقاتلك ، عليم بحالتك .

(١) لاحظ الفرق بين ( وهو ما للفاعل أن يفعله ) في مسألة الحسن فقد جعل فعل الحسن حقا لله  
وبين ( عليه أن يفعله ) عند المعتلة إذ جعلوه واجبا عليه .

(٢) مشتبه .

(٣) رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم من سعد بن أبي وقاص . والإمام  
أحمد واللساني وابن ماجه والدارمي من حديث عاصم . والطبراني من حديث فاطمة .

(٤) ربما كانت في الأصل ( بلاءهم ) فذلك يناسب التنفيس والترويح والرفق .

ويقال في قوله « عليهم » تسلية لأرباب البلاء ؛ لأن من علم أن مقصوده يعلم حاله سهل عليه ما يقاسيه فيه ، قال — سبحانه — لنبيه صلى الله عليه وسلم : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

موهن كيدهم : بتقوية قلوب المؤمنين بنور اليقين ، والثبات على انتظار الفضل من قبل الله ، وموهن كيدهم : بأن يأخذ الكافرين من حيث لا يشعرون ، ويظفر جند المسلمين عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ .

قال المشركون — يوم بدر — اللهم انصر أحبّ الفئتين إليك ، فاستجاب دعاءهم ونصر أحبّ الفئتين إليه . وهم المسلمون ، فسألوا بالسنتهم هلاك أنفسهم ، وذلك لانجرارهم في مغاليط ما يعلّقون من ظنونهم ، فهم توهموا استحقاق القرية ، وكانوا في عين الفرقة وحكم الشقوة ، موسومين باستيجاب اللعنة بدعائهم ، والوقوع في شقائهم ؛ فباختيارهم متوا بيواريهم . ويقال ظنوا أنهم من أهل الرحمة فزلّوا ، فلما كشف السرّ خابوا وذلّوا ، فعند ذلك علموا أنهم زاغوا في ظنهم وضلوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (٢) .

فيغفر لكم ما قد سلف من خلاف محمد صلى الله عليه وسلم .

« فهو خير لكم » ليس المراد منه المبالغة ؛ لأنه يقال هذا خير لك من هذا إذا كان الثاني ليس فيه شر ، وترك موافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم — بكل وجه — هو شرّ لهم ، ولكنه أراد به في الأحوال الدنيوية ، وعلى موجب ظنهم .

(١) آية ٩٧ سورة الحجر .

(٢) أخطأ الناسخ في كتابة الآية إذ جاءت هكذا « وَإِنْ تَنْتَهُوا يَغْفِرْ لَكُمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا ﴾ .

يعنى إنَّ عُدَّتُمْ إِلَى الْجَمِيلِ مِنَ السَّيْرِ عُدَّتْنَا عَلَيْكُمْ بِجَمِيلِ الْمِنَّةِ ، وَإِنْ عَاوَدْتُمْ الْإِقْدَامَ عَلَى الشَّرِّ أَعَدَّتْنَا عَلَيْكُمْ مَا أَذَقْنَاكُمْ مِنَ الضَّرِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

مَنْ غَلَبَتْهُ قُدْرَةُ الْأَحَدِ لَمْ تَغْنِ عَنْهُ كَثْرَةُ الْعَدَدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

الناس في طاعة الله على أقسام : فطبيعٌ خلوفٌ عقوبيته ، ومطبيعٌ طمعاً في مشوبته ، وآخر تحقّقاً بعبوديته ، وآخر تشرفاً بربوبيته .  
وكم بين مطيعٍ ومطيعٍ ! وأنشدوا :

أحبك يا شمسَ النهارِ وبَدَرَهُ      وإن لأمنى فيك الشَّها والفراقُ  
وذاك لأنَّ الفضلَ عندك زاخِرٌ      وذاك لأنَّ العيشَ عندك باردٌ

قال تعالى : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ » ولم يقل أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وفي ذلك نوع تخصيص ، وحزب تفضيل يَلْطُفُ عن العبارة وَيَبْعُدُ عن الإشارة<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

أى تسمعون دعاءه إياكم ، وتسمعون ما أنزلَ عليه من دعائى إياكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .

لا تكونوا ممن يشهد جهرًا ، ويجحد سِرًّا .

---

(١) هذا من المواضع التى يشمر فيها القارىء أن القشبرى يريد أن يقول شيئاً ولكنه يتركه لفظنة القارىء يستشف ما وراء السطور .

(٢) أخطأ الناسخ فكتبها ( ولو تولوا ) .

ويقال لا تُقرُّوا بلسانكم ، وتصرُّوا على كفرانكم .  
ويقال مَنْ نطق بتلييسه تشهد الخبرة بتكذيبه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ  
الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

دواعي الحق بحسن البيان ناطقة ، وألسنة البرهان فيها ورد به التكليف صادقة ، وخواطر  
الغيب بكشف ظلم الريب مفضحة ، وزواجر التحقيق عن متابعة التمويه للقلوب ملازمة .  
فمن ضمَّ عن إدراك ماخوطف به سره ، وعيَّ عن شهود ما كوشف به قلبه ، وخرسَ  
— عن إجابة ما أرشد إليه من حجة — فهُمَّ وعقله فدُون دُتْبَةِ البهائم قدره ، وفوق  
كل ( . . . ) (١) من حكم الله ذُّلَّهُ وصغره .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ  
وَلَوْ أَصْنَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ .  
من أقصته سوابق القسمة لم تُدِّهِ لواحق الخدمة ، ومن عليه الله بنعت الشقوة حرمة  
ما يوجب عفوّه .

ويقال لو كانوا في متناولات الرحمة لألبسهم صدار العصمة ؛ ولكن سبق بالحرمان  
حكمهم ، فُخِّم بالضلالة أمرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ  
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ .

أجاب واستجاب بمعنى مثل أوقد واستوقد ، وقيل للاستجابة مزية وخصوصية (٢)  
بأنها تكون طوعاً لا كرهاً ، وفرق بين من يجيب لخوفٍ أو طمعٍ وبين من يستجيب  
لا بعوضٍ ولا على ملاحظة غرضٍ . وحق الاستجابة أن تجيب بالكلية من غير أن تذكر من  
المستطاع بقية .

(١) مشبهة .

(٢) لاحظ كيف يتفق مذهب القشيري في المصطلح مع القاعدة اللغوية : زيادة المبنى فيها زيادة المعنى .



والمستجيبُ لربه محوٌّ عن كلِّه باستيلاء الحقيقة ، والمستجيب للرسول — صلى الله عليه وسلم وعلى آله — قائمٌ بشريعته من غير إخلال بشيء من أحكامها . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاستجابة له — سبحانه ، وبلاستجابة للرسول ؛ فالعبدُ المستجيبُ — على الحقيقة — من قام بالله سرّاً ، واتصف بالشرع جهراً ، فيُفرد الحقُّ — سبحانه — بحقائق الجمع و ( . . . )<sup>(١)</sup> في مشاهدة الفرق ، فلا يكون للحدثان في مشرب حقائقه تكدير ، ولا لمطالبات الشرع على أحواله تكير .

قوله جل ذكره : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .

إذْ لَمَّا أَفْنَاهُمْ عَنْهُمْ أَحْيَاهُمْ بِهِ .

ويقال العابدون أحياهم بطاعته بعد ما أفنَاهُمْ عن مخالفته ، وأما العالميون فأحياهم بدلائل ربهيته ، بعد ما أفنَاهُمْ عن الجهل وظلمته . وأما المؤمنون فأحياهم بنور موافقته بعد ما أفنَاهُمْ بسيف مجاهدتهم . وأما الموحِّدون فأحياهم بنور توحيده بعد ما أفنَاهُمْ عن الإحساس بكل غير ، والملاحظة لكل حدثان .

قوله جل ذكره : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

يصون القلوب عن تقلب أربابها فيقلبها كما يشاء هو ، من بيان هداية وضلال ، وغيبة ووصال ، وحُبَّة وقُرْبَة ، ويقين ومرية ، وأنسٍ ووحشة .

ويقال صان قلوب العباد عن الجنوح إلى الكسل ، فجذبوا في معاملاتهم ، وصان قلوب المريدين عن التعرُّج في أوطان الفشل فصدقوا في منازلهم ، وصان قلوب العارفين — على حد الاستقامة — عن الميل فتحققوا بدوام مواسلاتهم .

ويقال حال بينهم وبين قلوبهم لئلا يكون لهم رجوعٌ إلا إلى الله ، فإذا سَنَحَ لهم أمر فليس لهم إلى الأغيار سبيل ، ولا على قلوبهم تعويل . وكَمَ بين من يرجع عند سوانحه إلى قلبه وبين من لا يهتدي إلى شيء إلا إلى ربه ، كما قيل :

(١) مثبته ، ولكن حسبنا نعلم في مواضع سبقت أن المتصود أن الحق ( يتولى ) العبد أثناء الفرق الثاني . حيث يعود بالعبد الأخوذ ليقوم بفرائض الشرع ، حتى لا يكون في تحقُّقه مقصراً في شيء من مطالبات الشريعة ، ولذا ترجح أن الكلمة الناقصة هي : ( ولا ينزكه ) أو ما في معناها .

لا يهتدى قلبي إلى غيركم لأنه سُدَّ عليه الطريق  
ويقال العلماء هم الذين وجدوا قلوبهم ، قال تعالى : «إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» .  
والعارفون هم الذين فقدوا قلوبهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

احذروا أن ترتكبوا زلةً توجب لكم عقوبة لا تخص مرتكبها ، بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن لم يتعاطها .

وغير المجرم لا يؤخذ بجُرْم من أذنب ، ولكن قد ينفرد أحدٌ بجرمٍ فيحمل أقوامٌ من المختصين بفاعل هذا الجرم ، كأن يتعصبوا له إذا أُخذَ بحكم ذلك الجرم فبعد أن لم يكونوا ظالمين يصيرون ظالمين بمعاونتهم وتعصبهم لهذا الظالم ؛ فتكون فتنة لا تخص بمن كان ظالماً في الحال بل إنها تصيب أيضاً ظالماً في المستقبل بسبب تعصبه لهذا الظالم ومطابقته معه ، ورضاه به ، وهذا معنى التفسير من حيث الظاهر . فأما من جهة الإشارة : فإن العبد إذا باشر رلةً بنفسه عادت إلى القلب منها الفتنة وهي العقوبة المسجلة ، وتصيب النفس منها العقوبة المؤجلة ، والقلب إذا حصلت منه فتنة الزلة — عندما يهيم بما لا يجوز — تعدت فتنته إلى السر وهي الحسبة .

والمقدم في شأنه إذا فعل ما لا يجوز انقطعت البركات التي كانت تتعدى منه إلى متبعيه وتلاميذه ، وكان لهم نصيبهم من الفتنة وهم لم يعملوا ذنباً . ويقال إن الأكبر إذا سكتوا عن التنكير على الأصاغر عند تركهم الأذكار أصابتهم فتنة ما فعلوه ؛ فلقد قيل إن السفينة<sup>(١)</sup> إذا لم يته مأمور . فعلى هذا تصيب فتنة الزلة مرتكبها ومن ترك النهي عن المنكر — مثل من ترك الأمر بالمعروف — يؤخذ بجُرْمه .<sup>(٢)</sup>

(١) وردت ( السفينة ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت هذه العبارة حافلة بالكثير من الأخطاء التي سببت في غموض المعنى فقومناها حسبما يقتضى السياق — دون أن يكون اقتحامنا خطيراً على النص .

ويقال إنَّ الزاهد إذا انحط إلى رخص الشرع في أخذ الزيادة من الدنيا مما فوق الكفاية — وإن كان من وجهٍ حلال — تؤدي فتنته إلى من يخرج به من المبتدئين ، فبجملته ما أبدى من الرغبة في الدنيا ، وتركِ التقليل يؤدي إلى الانهماك في أودية الغفلة والأشغال الدنيوية .  
والعابد إذا جَنَحَ عن الأَشَقِّ وتركَ الأولى<sup>(١)</sup> نَعْدَى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة ؛ فيستوطنون الكسل ، ثم يحملهم الفراغ وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصيرون كما قيل:  
إن الشبابَ والفراغَ والجدة مَفْسَدَةٌ للمرءِ أي مفسدة  
وهكذا يكون نصيبهم من الفتنة .

والعارف إذا رجع إلى ما فيه حَظُّه ، نَظَرَ إليه المريدُ ، فتندخله فترة فيها هو به من صدق المنازلة ، ويكون ذلك نصيبه من فتنة العارف .  
وفي الجملة إذا غفل المَلِكُ ، وتَشَاغَلَ عن سياسة رعيته تعطلَّ الجندُ والرعية ، وعَظُمَ فيهم الخللُ والبليَّةُ ، وفي معناه أشدوا :

رُعَاتُكَ ضَيَّعُوا — بالجهل منهم — غَنِيَمَاتٍ فَاسَسْنَاهَا ذِئَابُ  
« والله شديد العقاب » بتمجيئه ذلك ، ومن شدة عقوبته أنه إذا أخذ عبداً لِعَاقِبِهِ لا يُمَكِّنُهُ من تلافى موجب تلك العقوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا إذا أنتم قليلٌ مُستَضْعَفُونَ  
في الأرضِ نخافون أن يتخطفكم  
الناسُ فأَوتواكم وأَيَّدَكم بِنَصْرِهِ ﴾

يَذَكِّرُهُمْ ما كانوا فيه من القِلَّةِ والذَّلَّةِ وصنوف ( ... )<sup>(٢)</sup> ثم ما نقلهم إليه من الإمكان والبُسْطَةِ ، ووجوه الأمان والحِيطَةِ ، وقرَّبَهُمْ إلى إقامة الشكر على جزيل تلك القِسَمِ ،

(١) وردت (الأولاد) وهي خطأ في النسخ ، والجَنُوحُ عن الأَشَقِّ وترك الأولى تعبيران مألوفان عندما يتحدث القشيري عن إشار الصوفي للرخص .  
(٢) مشبهة وربما كانت (الحِيطَةُ) أي نقصان المنزلة ، فإنها قريبة للسياق ، ومنسجمة مع الموسيقى اللفظية .

وإدانة الحمد على جهيل تلك النعم ، فهتد لهم في ظل أبوابه مقبلاً ، ولم يجعل للعدو إليهم  
— بيمَن رعايته — سيلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴾

رَزَقَ الأشباحَ والظواهرَ من طيبات الغذاء ، ورزق الأرواح والسرائر من صنوف  
الضياء . وحقيقة الشكر على هذه النعم الغيبة عنها بالاستغراق في شهود النعم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ  
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴾

الخيانة الاستبطان بخلاف ما يؤملُ منك بحق التعويل ، فخيانة الله بتضييع ما ائتمنتك  
عليه ، وذلك بمخالفة النصيح في دينه ، وخیانة الرسول بالانصاف بمخالفة ما تبدى من مشايعته .  
والخیانة في الأمانات بترك الإنصاف ، والانصاف بغير الصدق .

وخیانة كل أحد على حسب ما وضع عنده من الأمانة ، فمن أوثمن في مالٍ فتصرف فيه  
بغير إذن صاحبه — خیانة ، ومن أوثمن على الحرم فلاحظته إياهن — خیانة . فعلى هذا :  
الخیانة في الأعمال الدعوى فيها بأنها من قبلك دون التحقيق بأن منشئها الله .

والخیانة في الأحوال ملاحظتك لها دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق .  
إن لم يكن استهلاكك في وجود الحق . وإذا أخللتِ بسنة من السنن أو أدب من آداب  
الشرع فتلك خیانة الرسول صلى الله عليه وسلم .

والخیانة في الأمانات — بينك وبين الخلق — تكون بإيثار نصيب نفسك على نصيب  
المسلمين ، بإرادة القلب فضلاً عن المعاملة بالفعل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ  
وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

أموالكم وأولادكم سبب فتنكم لأن المرء — لأجل جمع ماله ولأجل أولاده — يرتكب ما هو خلاف الأمر ، فيورثه فتنة العقوبة .

ويقال الفتنَةُ الاختبارُ ؛ فيختبرك بالأموال .. هل تؤثرها على حق الله ؟

وبالأولاد .. هل تترك لأجلهم ما فيه رضاء الله ؟

فإن آثرتم حقه على حقكم ظهرت به فضيلتكم ، وإن اتصتم بضده عوملتكم بما يوجب العكس من محبوبكم .

ويقال للمالُ فتنةٌ إذا كان عن الله يشغلكم ، والأولادُ فتنةٌ إذا لأجلهم قصرتم في حق الله أو قرءتم .

ويقال للمال — ما للكفاف والعفاف<sup>(١)</sup> — نعمةٌ ، وما للتقاصر والتفاخر فتنةٌ ، وفي الجملة ما يشغلك عن الله فهو فتنة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ <sup>(٢)</sup> ۝ .

الفرقان ما به يفرق بين الحق والباطل من علم وافر وإلهام قاهر ، فالعلماء فرقانهم مجلوب برهانيهم ، والعارفون فرقانهم موهوب<sup>(٣)</sup> عرفانهم ؛ فأولئك مع مجهود أنفسهم ، وهؤلاء بمقتضى جود ربهم .

العرفان تعريف من الله ، والتكفير<sup>(٤)</sup> تخفيف من الله ، والعفوان تشریف للعبد من الله .

---

(١) وردت ( والعفاف ) وهي خطأ من الناسخ إذ لا تؤدي المراد ، ونظن أن ( العفاف ) تنسجم مع السياق ، ومع التركيب الداخلي للأسلوب .

(٢) أخطأ الناسخ إذ جمل خاتمة الآية ( والله مبيع علم ) .

(٣) وردت ( موهوم ) وهي خطأ من الناسخ ، والصواب أن تكون ( موهوب ) فهكذا يتطلب السياق .

(٤) ( التكفير ) هنا تشير إلى ما ورد في الآية : « ويكفر عنكم سيئاتكم » .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ  
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ  
خَبِيرٌ لِلكَارِئِينَ ﴾

ذكره عظيم منيته عليه حيث خلّصه من أعدائه حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ،  
وهوّا بقتله ، وحاولوا أن يَمْكُرُوا به في السر ، فأعلمه الله ذلك .

والمكر إظهار الإحسان مع قصد الإساءة في السر ، والمكر من الله الجزاء على المكر ،  
ويكون المكر بهم أن يُلقَى في قلوبهم أنه مُحْسِنٌ إليهم ثم — في التحقيق — يُعَذِّبُهُمْ ، وإذا  
شغل قوماً بالدنيا صرف همومهم إليها حتى يَنْسُوا أمر الآخرة ، وذلك مكر بهم ، إذ يُوطئُون  
نفوسهم عليها ، فيتيح لهم من مآمنهم سوءاً ، ويأخذهم بفتنة

ومن جملة مكره اغترار قوم بما يرزقهم من الصيت الجليل بين الناس ، وإجراء كثير  
من الطاعات عليهم ، فأسرارهم تكون بالأغيار منوطة ، وهم عن الله غافلون ، وعند الناس أنهم  
مُكْرَمُونَ ، وفي معناه قيل :

وقد حسدوني في قرب داري منكم وكمن قريب الدار وهو بعيد

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا  
لَوْ لَشَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا  
إِلَّا أَصَاثِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾

فرط جهالهم ، وشؤم جحدهم ستر على عقولهم قبح دعاويهم في القدرة على معارضة القرآن  
فانتضخوا عند الامتحان بعدم البرهان ، والعجز عما وصفوا به أنفسهم من الفصاحة والبيان ،  
وقديماً قيل :

مَنْ تَحَلَّى بَغِيرَ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَّ الْامْتِحَانُ<sup>(١)</sup> مَا يَدَّعِيهِ

(١) وردت ( الامتحان ) بالهاء والصواب أن تكون بالحاء .

ويقال لما لاحظوا القرآن بعين الاستصغار حرموا بركات الفهم فعدوه من جملة أساطير الأولين ، وكذلك من لا يراعى حرمة الأولياء ، يماقِبُ بأن تُستَرَّ عليه أحوالهم ، فيظنهم مثله في استحقاق مثالبه ، فيطلق فيهم لسان الوقعة ، وهو بذلك أحقُّ ، كما قيل :  
« رَمَتْنِي بِدَارِهَا وَانْسَلَّتْ »

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِيْنَا بِعَذَابٍ آلِيمٍ ﴾

دَلَّ سؤالهم العذابَ على تصميم عقدهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستيقنوا عند أنفسهم بأنه لا يُستجابُ فيهم ما يدعونه على أنفسهم .  
وفي هذا أظهر دليل على أن سكون النفس إلى الشيء ليس بعلم ؛ لأنه كما يوجد مع العلم يوجد مع الجهل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

ما كان الله يعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله ليُعَذِّبَ أسلافهم وأنت في أصلابهم ، وليس يعذبهم اليوم وأنت فيما بينهم إجلالاً لِقَدْرِكَ ، وإكراماً لِحِلَّتِكَ ، وإذا خرجت من بينهم فلا يعذبهم وفيهم خدمتك الذين يستغفرون ، فالآية تدل على تشريف قَدْرِ الرسول — صلى الله عليه وسلم .

ويقال للجوارِ حرمةٌ ، فَجَارُ السَّكَامِ في ظل إناهم ؛ فَالْكَفَارُ إِن لَمْ يَنْعَمُوا<sup>(١)</sup> بقرب الرسول — صلى الله عليه وسلم — منهم فقد اندفع للعذاب — بمجاورته — عنهم :

وَأَحِبُّهَا وَأَحِبُّ مَنْزِلَهَا الَّذِي نَزَلَتْ بِهِ وَأَحِبُّ أَهْلَ الْمَنْزِلِ

(١) وردت ( ينعوا ) والملائم للمعنى ( ينعوا ) لترتبط بالإمام الذي جاء ذكره في الجملة السابقة ، ويؤكد اختيارنا أيضاً وجود ( الباء ) في ( بقرب الرسول ) إذ يقال ( نعم بكذا ) ولا يقال ( منع بكذا ) .



ويقال إذا كان كون الرسول — صلى الله عليه وسلم — في الكفار يمنع العذاب عنهم  
فكون المعرفة في القلوب أولى بدفع العذاب عنها .

ويقال إن العذاب — وإن تأخر عنهم مدة مقامهم في الدنيا مادام هو عليه السلام فيهم —  
فلا محالة يصيبهم العذاب في الآخرة ، إذ الاعتبار بالمواقب لا بالأوقات والطوارق .

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾

علم أنه — عليه السلام — لا يتأبد مكثه في أمة إذ قال له : « وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد » (١) ، فقال إني لأضيق أمتي وإن قضى فيهم مدتي ، فما دامت السنن بالاستغفار  
مُتَطَّلَعَةً فصنوف العذاب عنهم مرتفعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾

وهم يصدون عن المسجد الحرام  
وما كانوا أولياءه ﴿

نفى العذاب عنهم في آية ، وأثبتته في آية ، فالنفي في الدنيا والمثبت في الآخرة .

ثم بين إيصال العذاب إليهم في الآخرة بقوله تعالى . « وهم يصدون عن المسجد الحرام »  
دليل الخطاب أن إغاثة المسلمين على ما فيه قيام بحق الدين بوجب استحقاق القربة والثواب  
وفي الآية دليل على أنه لا يعذب أولياءه بقوله : « وما كانوا أولياءه » فإذا عذب  
من لم يكونوا أولياءه دل على أنه لا يعذب من كان من جملة أوليائه . والمؤمنون كلهم أولياء  
الله لأنه قال : « والله ولي الذين آمنوا » (٢) . والمؤمن — وإن عذب بمقدار جرئه زماناً فإنه  
لا يُخلد في دار العقوبة ، فما يقاسون بالإضافة إلى تأييد الخلاص جَلَلٌ ، وقيل :

إذا سلم العهد الذي كان بيننا فودى وإن شطَّ المزار سليمٌ

قوله جل ذكره : ﴿ إن أولياؤه إلا المتقون ولكن ﴾

أكثرهم لا يعلمون ﴿

(١) آية ٣٤ سورة الأنبياء .

(٢) آية ٢٥٧ سورة البقرة .

وليس أولياؤه إلا المتقون ، وهم الذين اتقوا الشرك .

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت  
إلا مكاءً وتصديةً ﴾ .

تجردت أعمالهم بظواهرهم عن خلوص عقائدهم ، فلم يوجد — سبحانه وتعالى — لها حساباً ،  
فذكاء القالة لا يكون إلا مع صفاء الحالة ، وعناء الظاهر لا يقبل إلا مع ضياء السرائر .

قوله جل ذكره : ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾  
كان العذاب مُعْجَلاً وهو حسبانهم أنهم على شيء ، قال الله تعالى :  
« وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » ، ومؤجلاً وهو كما قال الله تعالى : ﴿ ولعذاب  
الآخرة أشق ﴾ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم  
ليَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَيُنفِقُونَهَا  
ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾  
يرومون بإفناقهم صنوف أموالهم صلاحاً ونظاماً لأحوالهم ، ثم لا يحظون إلا بخسران ،  
ولا يحصلون إلا على نقصان . خسروا وهم لا يشعرون ، وخابوا وسوف يعلمون :  
سوف ترى إذا انجلى الغبارُ أفرسُ نحتك أم حمارُ ؟  
قوله : « والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » إنهم وإن ألتهتهم أموالهم فألى الهوان والذلة  
مآلهم ، لم تغن عنهم أموالهم ، ولم تنفعهم أعمالهم ، بل ختيت بالشقاوة أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ  
وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ  
فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ  
أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

---

(١) آية ٣٤ سورة الرعد .

الخبيث ما لا يصلح لله ، والطيب ما يصلح لله .  
 الخبيث ما حكم الشرع بقبحه وفساده ، والطيب ما شهد العلم بحسنه وصلاحه .  
 ويقال الخبيث الكافر ، والطيب المؤمن .  
 الخبيث ما شغل صاحبه عن الله ، والطيب ما أوصل صاحبه إلى الله .  
 الخبيث ما يأخذه المرء وينفقه لحظ نفسه ، والطيب ما ينفقه بأمر ربه .  
 الخبيث عمل الكافر يُصور له ويُعَذَّبُ بإلقائه عليه ، والطيب عمل المؤمن يُصور له  
 في صورة جميلة فيحمل المؤمن عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ ﴾ .

إن كبحوا لجام التمرد ، وأقلعوا عن الركض في ميدان العناد والتجبر أزلنا عنهم صغار الهوان ، وأوجبنا لهم رَوْحَ الأمان .

ويقال إن حلُّوا نطاق العناد أطلقنا عنهم عقال البعاد .  
 ويقال إن أبصروا قُبْحَ فِعَالِهِمْ جُدْنَا عَلَيْهِمْ بِإِصْلَاحِ أحوالهم .  
 ويقال إن جنحوا للاعتذار ألقينا عليهم حالة الاعتذار .  
 ويقال إن عادوا إلى التَّصَلُّ (١) أبجنا لهم حُسْنَ التَّفَضُّل :

أَنَاسُ . أَعْرَضُوا عَنَّا      بَلَا جُرْإِمٍ وَلَا مَعْنَى  
 أَسَاءُوا ظَنَّهُمْ فِينَا      فَهَلَّا أَحْسَنُوا الظَّنَّ  
 فَإِنْ كَانُوا لَنَا — كُنَّا ،      وَإِنْ عَادُوا لَنَا عُدْنَا  
 وَإِنْ كَانُوا قَدْ اسْتَغْفَرُوا      فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ

(١) تنصّل من ذنبه أى تَبَرَّأ

الدين كله لله فان انتهوا فان الله

بما يعملون بصير ﴿

أمرهم بمقاتلة الكفار والإبلاغ فيها حتى تستأصل شأقتهم بحيث يأمن المسلمون مضرّتهم ،  
ويكفون بالكلية فتنهم . . . وحيّة الوادي لا تؤمن ما دامت تبقى فيها حركة ؛ كذلك العدو  
إذا قهره فقه أن تقتلع جميع عروقه ، وتنفذ بأع الإسلام من كل شجرة (١) تنبت من الشرك .  
قوله جل ذكره : ﴿ وإن تولّوا فاعلموا أن الله مولاكم

نعم المولى ونعم النصير ﴾

فإن أبوا إلا عتوا ، وعن الإيمان إلا نبوا ، فلا على قلوبكم ظل مخافة منهم ؛ فان الله  
— سبحانه — ولي نصرتكم ، ومتولى كفائتكم ؛ إن لم تكونوا بحيث نعم العبيد  
فهو نعم المولى لكم ونعم الناصر لكم .

ويقال نعم المولى لكم يوم قسمة العرفان ، ونعم الناصر لكم يوم نعمة الغفران .

ويقال نعم المولى لك حين لم تكن ، ونعم الناصر لك حين كنت .

ويقال نعم للمولى بالتعريف قبل التكليف ، ونعم الناصر لكم بالتخفيف والتضعيف ؛  
يخفف عنكم السيئات ويضاعف الحسنات ؛

وهو اك أول ما عرفت من الهوى والقلب لا ينسى الحبيب الأول

قوله جل ذكره : ﴿ واعلموا أن ما غنمتم من شيء  
فإن الله خمسته والرسول ولذي  
القربى واليتامى والمساكين وابن  
السبيل إن كنتم آمنتم بالله  
وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان  
يوم التقى الجمعان ، والله على  
كل شيء قدير ﴾

(١) شجرة الشجرة أى خرجت منها الشجرة وهى ما ينبت حولها من أصلها .

الغنيمة ما أخذهُ المؤمنون من أموال الكفار إذا ظفروا عند المجاهدة والقتال معهم .  
فإذا لم يكن قتال — أو ما في معناه — فهو في .

والجهاد قسمان : جهاد الظاهر مع الكفار ، وجهاد الباطن مع النفس والشيطان وهو  
الجهاد الأكبر — كما في الخبر<sup>(١)</sup>

وكما أن في الجهاد الأصغر غنيمةً عند الظفر ، ففي الجهاد الأكبر غنيمة ، وهو أن  
يملك العبد نفسه التي كانت في يد العدو : الهوى والشيطان . فبعد ما كانت ظواهره مقررًا  
للأعمال الذميمة ، وباطنه مستقرًا للأحوال الدنيئة يصير محلُّ الهوى مسكن الرضا ،  
ومقر الشهوات والمشي مُسَلِّمًا لما يردُّ عليه من مطالبات المولى وتصير النفسُ  
مُسْتَكْبَةً مِنْ أَسْرِ<sup>(٢)</sup> الشهوات ، والقلبُ مُخْتَطَفًا من وصف الغفلات ، والروحُ مُنْتَزَعَةً  
من أيدى العلاقات ، والسُّرُّ مُصُونًا عن الملاحظات . وتصبح غَاغَةُ النفسِ مُنْهَرَمَةً ،  
ورياسَةُ الحقوقِ بالاستجابة لله خَافِقَةً .

وكما أن من جملة الغنيمة سهمًا لله وللرسول ، وهو الحُسْنُ فما هو غنيمة — على لسان  
الإشارة — سهمٌ خالصٌ لله ؛ وهو ما لا يكون للعبد فيه نصيب ، لا من كرائم العقبي ،  
ولا من ثمرات التقريب ، ولا من خصائص الإقبال ، فيكون العبدُ عند ذلك مُحَرَّرًا  
عن رِقِّ كل نصيب ، خالصًا لله بالله ، يمحو ما سوى الله ، كما قيل :

مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ قَانِيًا عَنْ حِظِّهِ وَعَنِ الْهَوَى وَالْإِنْسِ وَالْأَحْبَابِ  
فَكَأَنَّهُ - بَيْنَ الْمَرَاتِبِ - وَاقِفٌ لِمَنَالٍ حِظٌّ أَوْ لِحُسْنِ ثَوَابٍ

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ  
بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلُ  
مِنْكُمْ ، وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَقْتُمْ

(١) إشارة إلى ما قاله الرسول بعد إحدى الفزوات : « رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر  
جهاد النفس » .

(٢) وردت ( أسرار ) وهي خطأ في النسخ .

في الميعاد ، ولكن ليقضى الله  
أمراً كان مفعولاً \*

يخبر — سبحانه — أن ما جرى يوم بدر من القتال ، وما حصل من قنون الأحوال  
كان بحكم التقدير ، لا بما يحصل من الخلق من التدبير ، أو بحكم تقضيه روية  
التفكير . بل لو كان ذلك على اختيار وتواعد ، كنتم عن تلك الجملة على استكراه  
وتباعد ، فجرى على ما جرى ليقضى الله أمراً كان مقضياً ، وحصل من الأمور ما سبق  
به التقدير .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ  
وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ  
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

أى لفيض من زاغ عن الحق بعد لزومه الحجة ، ويهتدى من أقام على الحق بعد  
وضوح الحجة .

ويقال الحق أوضح السبيل ونصب الدليل ، ولكن سد بصائر قوم عن شهود  
الرشد ، وفتح بصائر آخرين لإدراك طرق الحق .

المالك من وقع في أودية التفرقة ، والحي من حي بنور التعريف .  
ويقال المالك من كان يحظه مربوطاً ، والحي من كان من أسر كل نصيب  
مستكباً مجذوباً (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا  
وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا قَلْبُكُمُ  
وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ  
سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \*  
وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذِ التَّقِيَمَ فِي أَعْيُنِكُمْ  
قَلِيلًا وَيَقْلُلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَىٰ

---

(١) كلمة ( مجذوب ) بهذا الاستعمال قد تؤدي المعنى الذي تطلق به في أوساط الصوفية اليوم

اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ

تَرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿

قِيلَ أَرَأَاهُمْ فِي نَوْمِهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يُوَصِّفُ الْقِلَّةَ ، وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ فَازْدَادُوا جَسَارَةً عَلَيْهِمْ .

وقيل أَرَاهُمْ فِي مَنْامِهِ أَيْ فِي مَحَلِّ نَوْمِهِ أَيْ فِي عَيْنِيهِ ، فَمَنَاهُ قَلَلَهُمْ فِي عَيْنِيهِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ امْتَكَثَرُوا لَمَشَلُوا فِي قِتَالِهِمْ ، وَلَانْكَسَرَتْ بِذَلِكَ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ .

وَفِي الْجُمْلَةِ أَرَادَ اللَّهُ جَرِيَانًا مَا حَصَلَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ يَوْمَ بَدْرَ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا هَيِّئًا أَسْبَابَهُ ؛ فَقَلَّلَ الْكُفَّارَ فِي أَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ فَزَادُوا جَسَارَةً ، وَقَلَّلَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيُنِ الْكُفَّارِ فَزَادُوا — عِنْدَ لُشَاطِهِمْ إِلَى الْقِتَالِ — صَفْرًا فِي حَكْمِ اللَّهِ وَخُسَارَةً .

« وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » : وَكَيْفَ لَا ؟ وَمِنْهُ تَصَدُّرُ الْمَقَادِيرِ ، وَإِلَيْهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ . وَيُقَالُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَةَ عَبْدٍ فَلَوْ كَادَ لَهُ جَمِيعُ الْبَشَرِ ، وَأَرَادَهُ السَّكَافَةُ بِكُلِّ ضَرَرٍ ، لَا يَنْفَعُ مَنْ شَاءَ مَضَرَّتَهُ كَدًّا ، وَيَحْصُلُ بَيْنَهُ (١) وَبَيْنَ مَتَاعٍ لَطْفُهُ بِهِ مَدًّا .

وَإِذَا أَرَادَ بَعِيدٌ سَوَاءً فَلَيْسَ لَهُ رَدٌّ ، وَلَا يَنْفَعُهُ كَدُّ ، وَلَا يَنْعَشُهُ بَعْدَ مَا سَقَطَ فِي حَكْمِهِ جَهْدٌ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

فَاتَّبِعُوهَا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿

أَرَادَ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَاتَّبِعُوهَا . وَالثَّبَاتُ إِنَّمَا يَكُونُ بِقُوَّةِ الْقَلْبِ وَشِدَّةِ الْيَقِينِ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِنَفَازِ الصَّبْرِ ، وَالتَّحَقُّقِ بِاللَّهِ ، وَشُهُودِ الْحَادِثَاتِ كُلِّهَا مِنْهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَسْلِمُ اللَّهُ ، وَيَرْضَى بِحُكْمِهِ ، وَيَتَوَقَّعُ مِنْهُ حُسْنَ الْإِعَاةَةِ ، وَلِهَذَا أَحَالَهُمْ عَلَى الذِّكْرِ قَالًا : « وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا » .

وَيُقَالُ إِنَّ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ فِي ثَبَاتِ الْقَلْبِ ، وَبِهِ تَبَيُّنُ أَقْدَارِ الرِّجَالِ ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَى الْإِنْسَانِ خَاطَرٌ يَزْعِجُهُ أَوْ هَاجِسٌ فِي نَفْسِهِ يَهَيِّجُهُ .. فَمَنْ كَانَ صَاحِبَ بَصِيرَةٍ تَوَقَّفَ رِيثًا

(١) الضمير في ( بينه ) يعود على الضرر أو من شاء الضرر ، والضمير في ( به ) يعود على المبدئ المنصور .



تَبَيَّنَ لَهُ حَقِيقَةُ الْوَارِدِ ، فَيَنْبَغُ لِكَوْنِهِ رَابِطَ الْجَاشِ ، مَا كُنَّ الْقُلُوبُ ، صَافِيَةً . .  
وهذا نعت الأكابر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا  
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا  
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

الموافقة بين المسلمين أصل الدين . وأول الفساد ورأس الزلزال الاختلاف . وكما يجب  
الموافقة في الدين والعقيدة يجب الموافقة في الرأي والعزيمة<sup>(١)</sup> .

قال تعالى في صفة الكفار : « نَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى » ، وإنما تتحد عزائم المسلمين  
لأنهم كلهم يجمعهم التبرؤ من جورهم وقوتهم ، ويتمحضون في رجوعهم إلى الله ، وشهودهم  
التقدير ، فيتحدون في هذه الحالة الواحدة .

وأما الذين تَوَهَّمُوا الحَادِثَاتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَضَلُّوا فِي سَاحَاتِ حِسَابِهِمْ ، وَأَجْرُوا الْأُمُورَ  
عَلَى مَا يَسْنَحُ لِرَأْيِهِمْ ، فَكُلُّ يَدِينِي عَلَى مَا يَنْقُصُ لَهُ وَيَخْتَارُ ، فَإِذَا تَنَازَعُوا تَشَعَّبَتْ بِهِمُ الْأَرَاءُ ،  
وَاقْتَرَقَتْ بِهِمُ الطَّرِيقُ ، فَيُضْعِفُونَ ، وَتُخْتَلَفُ طُرُقُهُمْ . وكما يجب في الدين طاعة رسول الله  
— صلى الله عليه وسلم — يجب طاعة أولى الأمر ، ولهذا يجب في كل وقت نصب إمام  
للمسلمين ، ثم لا يجوز مخالفته ، قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : « أَطِيعُوهُ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا  
مَجْدَعًا »<sup>(٢)</sup> وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَمَرَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ أَمِيرًا  
وَقَالَ : « عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ » .

وإجماع المسلمين حجة ، وصلاة الجماعة سنة مؤكدة ، والاتباع محمود والابتداع ضلالة .  
قوله « وَاصْبِرُوا » الصبر حبس النفس على الشيء ، والمأمور به من الصبر ما يكون  
على خلاف هواك .

---

(١) وردت ( العزيمة ) والملائم للرأي ولما جاء بعد قليل تتحد : ( عزائم المسلمين ) كلمة ( العزيمة )  
(٢) في رواية مسلم وابن ماجه عن ام الحصين : « إِنْ أَمَرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ مَجْدَعٌ أَسْوَدُ يَقُودُكَ بِكِتَابِ اللَّهِ  
فَاسْمُوا لَهُ وَأَطِيعُوا » ص ١٤٦ - ٢ من منتخب كثر المال .  
(٣) وردت ( اثر ) والصواب ( إسمرة ) أميراً ، وربما اشتبهت علامة التضعيف على الناسخ لحسبها  
تطاً لئلا .

« إن الله مع الصابرين » يتولى بالكفاية إذا حصل منهم الثبات وحسن التفويض .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

يريد أن أهل مكة لما خرجوا من مكة عام بدر لنصرة العير ملكتهم العزة ، واستمكن منهم البطر ، وداخلهم رياء الناس ، فارتبكوا في شباك غلظهم ، وحصلوا على ما لم يحتسبوه . وأما المؤمنون فنصرهم نصراً عزيزاً ، وأزال عن نبيهم — عليه السلام — ما أظله من الخوف وبصديق تربيته عن حوله ومنته — حين قال : ( لا تكلن إلى نفسى )<sup>(١)</sup> — كفاه بحسن التولي فقال ( ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ) .

قوله جل ذكره : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » .

الشيطان إذا زين للإنسان بوساوسه أمراً ، والنفس إذا سوت له شيئاً عميت بصائر أرباب الغفلة عن شهود صواب الرشد ، فيبقى الغافل<sup>(٢)</sup> في قياد وساوسه ، ثم تلحقه هواجم

(١) « لا تكلن إلى نفسى طرفة عين »

الحاكم من حديث أنس قال صحیح علی شرط الشيخین . وهو في اليوم والليل ، وعله صلى الله عليه وسلم لا يلبث الزهراء رضي الله عنها .

(٢) وردت ( العاقل ) وهي خطأ في النسخ قال كلام عن أرباب الغفلة .

التقدير من كوامن المكر<sup>(١)</sup> من حيث لا يرتقب ، فلا الشيطان يفي<sup>(٢)</sup> بما يعدّه ، ولا النفس شيئاً مما تمنّاه نجاه ، وكما قال القائل :

أحسنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ      وَلَمْ تَخَفْ سَوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ  
وَسَالَتْكَ اللَّيَالِي فَافْتَرَرْتَ بِهَا      وَعِنْدَ صَفْرِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاءٌ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

إن أصحاب الغفلة وأرباب الغرّة إذا هبت رياح صوّلتهم في زمان غفلتهم يلاحظون أهل الحقيقة بعين الاستحقار ، ويحكمون عليهم بضمف الحال ، وينسبونهم إلى الضلال ، ويمدونهم من جملة الجهال ، وذلك في زمان الفترة ومدة مهلة أهل الغيبة .

والذين لهم قوة اليقين ونور البصيرة ساكنون تحت جريان الحكم ، يرون الغائبات من الخواص بعيون البصيرة من وراء ستر رقيق ؛ فلا الطوارق تهزمهم ، ولا هواجم<sup>(٣)</sup> الوقت تستفزهم<sup>(٤)</sup> ، وعن قريب يلوح علم البشر ، وتنجلي سحائب العسر ، ويمحق الله كيد الكائدين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا  
الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ  
وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

يُسَلِّمُهُمْ<sup>(٥)</sup> عندما يُقَاسُونَ من اخبارات التقدير بما يذكّرهم زوال المحنة ، وشك روح

(١) هكذا في المتن ، وفي الهامش ( كوامن المنكر ) ولكن الصواب ما جاء بالمتن إذ المقصود ما يهجم على الفافل من ( مكر ) إله — سبحانه .

(٢) وردت ( يفي ) وللاّثم لما ( يعدّه ) كلمة ( يفي ) .

(٣) وردت ( هوام ) .

(٤) وردت ( تستفزم ) ويكون معنى الجملة بعد هذين التصويين هو ما جاء في الرسالة ( ص ٤٤ ) [ المهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت ، وسادات الوقت لا تصرفهم الهواجم ]

(٥) وردت ( يسليهم ) والمقصود ( تسليته ) المؤمنين في أوقات الاختبار .

اليسر ، وسرعة حصول النصر ، وحلول النقم بمرتكبي الظلم . والمؤمن كثير الظفر ، فإذا شاهد بأدباب الجرائم حلول الانتقام رقق قلبه لهم ، فلا ينخرط في سلك الشبهة ، إذ ينجلو قلبه من شهوة الانتقام ، بل يجب أن يكون كل أحد بحسن الصفة ، وكما قيل .

قومٌ إذا ظفروا بنا جادوا بعنق رقابنا

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

يُعرفهم أن ما أصابهم من شدة الوطأة جزاء لهم على ما أسلفوه من قبيح الزلة ، كما قيل :

سَنَنْتَ فِينَا سَنًا قَتَفَ الْبَلَايَا عُقْبَهُ  
يَصْبِرُ عَلَى أَهْوَالِهَا مَنْ بَرَّ يَوْمًا رَبَّهُ (١)

« وأن الله ليس بظلام للعبيد » أى كيفما يعاملهم في السراء والضراء فذلك منه حسن وعدل ، إذ الملك مُلكه ، والخلق خلقه ، والحكم حكمه .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ  
كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ  
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

لما سلكوا مسلك أهل فرعون في الضلال ، سلكنا بهم مسلكهم فيما أذقناهم من العذاب وسوء الحال ، وسنة الله ألا تغير في الإ نعم ، وعادته ألا تبدل في الانتقام ، ومن لم يقتبر بما يشهد (٢) اعتبر بما يصنعه به .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمًا  
أُنْعِمَ بِهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا  
بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(١) فى الشعر اضطراب ، وترجح أن هناك خطأ فى النقل .  
(٢) أى بما يشهده بمحدث لغيره .

إذا أنعم الحق — سبحانه — على قوم نعمة وأراد إهمالهم أكرمهم بتوفيق الشكر ،  
فإذا شكروا نعمته فبقدر الشكر دامت فيهم .

وإذا أراد — سبحانه — إزالة نعمة عن عبد أذله بخذلان الكفر ، فإذا حال<sup>(١)</sup> عن  
طريق الشكر عرض النعمة للزوال . فإدام العبد يشكر النعمة مقبلاً كان الحق في إنعامه عليه  
مُدبماً ، فإذا قابل النعمة بالكفران انتثر سلك نظامه ، فبقدر ما يزيد في إصراره يزول الأمر  
عن قراره .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ  
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ  
كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

تنوعت من آل فرعون الذنوب فنوعت لهم العقوبة ، وكذلك هؤلاء : عُوقِبُوا بأنواع  
من العقوبة لما ارتكبوا أنواعاً من الزلة .

وقاعدة تكرار ذكركم تأكيد في التعريف أنه لا يهمل المكلّف أصلاً ، وإن أهمله  
حيناً ودهرآ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

« عند الله » : في سابق علمه وصادق حكمه ؛ فإذا كانوا في عليه شرّ المخلوقات فكيف  
يسعدون باختلاف السعایات وصنوف الطوارق ؟

هیهات أن تبدل الحقائق !

وإذا قال : « فهم لا يؤمنون » — وكلامه صدق وقوله حق — فلم يبق للرجاء فيهم مساع ،  
ولا ينجع فيهم نصيح وإبلاغ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ  
عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرْقَوْهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾

(١) ( حال ) أى تغير مقبولة فى المعنى ، ولكن لا نستبعد أنها ( حاد ) فى الأصل .

أى الذين صار تقضى العهد لهم سجية ؛ فلم يذروا من استفراغ الوسع فى جهلهم بقية .  
 وإن من الكبائر التى لا غفران لها فى هذه الطريق أن ينقض العبدُ عهداً ، أو يترك عقداً  
 التزمه بقلبه مع الله . أولئك الذين سقطوا عن ( . . . ) (١) الله ، فرغ عنهم ظلُّ  
 العناية والعصمة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِمَّا تَثَقَّفْتُمْ فى الحرب فَشَرُّدْ بِهِمْ  
 مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

يريد إن صادفتَ واحداً من هؤلاء الذين دأبهم تقضى العهد فاجعلهم عبرة لمن يأتى بعدهم  
 لئلا يسلكوا طريقهم فيستوجبوا عقوبتهم .

كذلك مَنْ فسخَ عقده مع (٢) الله بقلبه برجوعه إلى رخصِ التأويلات ، ونزوله إلى السكون  
 مع العادات (٣) يجعله الله نكالا لمن بعده ، بحرمانه ما كان خوِّله ، وتنغيصه عليه ما من حفظه  
 أمِّله ، فيفوته حق الله ، ولا يكون له امتناع عما آثره على حق الله :

تبدلت وتبدلنا واحسرتا لمن ابغى عوضاً لليلى فلم يجد

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِمَّا يَنْتَحِفْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَاَنْذِرْ  
 إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

يريد إذا تحققت بخيانة قومٍ منهم قصرُح بأنه لا عهدَ بينك وبينهم ، فإذا حصلت  
 الخيانة زال تمتُّ الأمانة ، وخيانةُ كلِّ أحدٍ على ما يليق بحالده ، ومنَّ صنُّ (٤) بمسوره  
 فقد خانَ فى عهده ، وزاغ عن جده ، وعقوبته مُعَجَّلَةٌ ، فهو لا يحبُّه الله ، وتكون عقوبته  
 باذلاله وإهاتته .

(١) مشبهة .

(٢) وردت ( من ) والصواب عقده ( مع ) الله .

(٣) وردت ( المدالات ) والصواب ( العادات )

(٤) وردت ( ظن ) وهى خطأ فى النص .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَبَقُّوْا  
أَنَّهُمْ لَا يُفْجِرُونَ﴾

كيف يعارض الحق أو ينازعه من في قبضته قلبه ، وبقدرة تصرفه ، وبتصرفه إياه  
عدمه وثبوته .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ  
وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾

أعدوا لقتال الأعداء ما يبلغ وسعكم فلك من قوة ، وأتمها قوة القلب بالله ، والناس فيها  
مختلفون : فواحد يقوى قلبه بموعد نصره ، وآخر يقوى قلبه بأن الحق عالم بحاله ،  
وآخر يقوى قلبه لتحقيقه بأن يشهد من ربه ، قال تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك  
بأعيننا » (١) ، وآخر يقوى قلبه بإيثار رضا الله تعالى على مراد نفسه ، وآخر يقوى قلبه  
برضا بما يفعله مولاه به .

ويقال أقوى محبة للعبد في مجاهدة العبد وتبريه عن حوله وقوته .

قوله جل ذكره : ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ  
وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ،  
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ  
لَا تُظْلَمُونَ﴾

الإشارة فيه أنه لا يجاهد على رجاء غنيمة ينالها ، أو لاشتفاء صدره من قضية حقد ،  
بل قصده أن تكون كلمة الله هي العليا .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ جَاحَتُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا  
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

---

(١) آية ٤٨ سورة الطور .



بعث الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بالرحمة والشفقة على الخلق ، وبمسألة<sup>(١)</sup> الكفار رجاء أن يؤمنوا في المتأنف فإن أبوا فليس يخرج أحد عن قبضة العزة .

ويقال العبودية الوقوف حينما وقفت ؛ إن أمرت بالقتال فلا تقصّر ، وإن أمرت بالمواعدة فرحبا بالمسألة ، « وتوكل على الله » في الحالين فإنه يختار لك ما فيه الخيرة ، فيوفقك لما فيه الأولى ، ويختار لك ما فيه من قيسى الأمر — في الحرب وفي الصلح — ما هو الأعلى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أى إن لبسوا عليك ، وراموا خداعك بطلب الصلح منك — وهم يستبطنون لك بخلاف ما يظهرونه — فإن الله كافيك ، فلا تشغل قلبك بغفلتك عن شر ما يكيدونك ؛ فإنى أعلم ما لا تعلم ، وأقدر على ما لا تقدر .

هو الذى بنصره أفردك ، وبلطيفه أيدك ، وعن كل سوء ونصيب طهرك ، وعن رق الأشياء جردك<sup>(٢)</sup> ، وفي جميع الأحوال كان لك .

هو الذى أيدك بمن آمن بك من المؤمنين ، وهو الذى ألف بين قلوبهم المختلفة فجمعها على الدين ، وإينار رضاء الحق . ولو كان ذلك بحيل<sup>(٣)</sup> الخلق ما انتظمت هذه الجملة ، ولو أبلغت بكل ميسور من الأفعال ، وبذلت كل مستطاع من المال — لما وصلت إليه .

(١) وردت ( بمسألة ) وهى خطأ فى اللسخ .

(٢) وردت ( حررك ) بالهاء وهى خطأ فى اللسخ والصواب أن تكون بالجيم .

(٣) وردت ( بحيل ) بياء وهى خطأ فى اللسخ فهى ( حيل ) جمع حيلة .

قوله جل ذكره . ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أحسنُ التَّأْوِيلَاتِ في هذه الآية أن تكون « مَنْ » في محل النصب ؛ أي وَمَنِ اتَّبَعَكَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يكفيهم الله .

ومن التَّأْوِيلَاتِ في العربية أن تكون « مَنْ » في محل الرفع أي حَسْبُكَ مَنْ اتَّبَعَكَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وقد عَلِمَ أن استقلال الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان بالله لا بمن سوى الله ،  
وكلُّ مَنْ هو سوى الله فاحتاجُ إلى نصرة الله ، كما أن رسول الله محتاج إلى نصرة الله <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾  
المؤمن لا يزداد بنفسه ضعفاً إلاَّ ازداد بقلبه قوةً ، لأن الاستقلال بقوة النفس نتيجةُ  
الغفلة ، وقوة القلب بالله — سبحانه — على الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ

يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ  
يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ  
قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ \* الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ  
عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ  
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا  
مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا  
أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

هذا لم ، فأما النبي — صلى الله عليه وسلم — فهو بتوحيده كان مؤملاً بأن يَنْبُتَ  
لجميع الكفار لكمال قوته بالله تعالى ، قال عليه السلام : « بِلِكَ أُولُ » <sup>(٢)</sup> ، وفي تحريضه للمؤمنين

(١) لاحظ كيف تؤثر النزعة الصوفية في اختيار الفكرة النحوية .

(٢) « اللَّهُمَّ بِكَ أُولُ وَبِكَ أُولُ وَبِكَ أُولُ » .

كان هذا من دعائه صلوات الله عليه — إذا أراد سراً (الإمام أحمد والبزار عن علي كرم الله وجهه ،  
وقال الحافظ البيهقي : رجاله ثقات) .

على القتال كانت لهم قوة ، وبأمر الله كانت لهم قوة ؛ ففوة الصحابة كانت بالنبي — عليه الصلاة والسلام ، وتحريضه إياهم وقوتهم بذلك كانت بالله وبأمره إياه . . . وشتان ماها !

قوله : « الآن خففَ الله عنكم وعلمَ أن فيكم ضعفاً » : والضعفُ الذي علمَ فيهم كان ضعفَ الأشباح فحُفَّت عنهم ، أما القلوب فلم يتدخلها الضعف فحِيلَ من ممارسة القتال بالعدو للذكر في الكتاب .

والعوام يحملون للشاق بنفوسهم وجسومهم ، والخواص بقلوبهم وهمهم ، وقالوا : « والقلبُ يحْمِلُ مالا يحْمِلُ البدنُ » وقال آخر .

وإن تروني أعادها فلا عجبٌ على النفوس جنائياتُ من الهمم

قوله جل ذكره : ﴿ ما كان لِنبيٍّ أن يكونَ له أسرى ﴾

حتى يُشخِنَ في الأرضِ يريدون عَرَضَ

الدنيا والله يريدُ الآخرة والله

عزيزٌ حكيمٌ ﴿

أى لا ينبغي لنبي من الأنبياء — عليهم السلام — أن يأخذ أسارى من أعدائه ثم يرضى بأن يأخذ منهم الفداء ، بل الواجب عليه أن يُشخِنَ في الأرض أى يبالغ في قتل أعدائه — إذ يُقال أتخذه المرضُ إذا اشتدَّ عليه . وقد أخذ النبي — صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ منهم الفداء ، وكان ذلك جائزاً لوجوب القول بعصته ، ولكن لو قاتلتم كان أولى . وأراد « برضى الدنيا » أخذ الفداء ، والله جعل الفداء ، والله جعل رضاء في أن يقاتلهم ، وحرمة<sup>(١)</sup> الشرع خلاف رحمة الطبع ؛ فشرطُ العبودية أن يؤثر العبدُ الله ، وإذا كان الأمر بالغلظة فكما قال تعالى : « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله »<sup>(٢)</sup> .

---

(١) وردت ( ورحمة ) الشرع والصواب ( وحرمة الشرع ) والمعنى إن اتباع الأمر أولى من تحكيم عاطفة الرحمة بهم .  
(٢) آية ٢ سورة النور .

« والله عزيز » : بالانتقام من أعدائه ، « حكيم » : في جميع ما يصنع من التملك والإملاك ، والتيسير والتدبير .

قوله جل ذكره : ﴿ لولا كتابٌ من الله سبقَ لمَسْكُمُ فيها أخذتُمْ عذابٌ عظيمٌ ﴾

لولا أن الله حكم في آزاله بإحلال الغنيمة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمنه لمَسْكُمُ — لأجل ما أخذتُمْ من الفداء منهم يومَ بدر — عذابٌ عظيمٌ ، ولكن الله أباح لكم الغنيمة فأزال عنكم العقوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ فكلوا مما غَنِيْتُمْ حَلالاً طيباً واتقوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الحلال ما كان مأذوناً فيه ، والحلال الطيب أن تعلم أن ذلك من قبل الله فضلاً ، وليس لك من قبلك استحقاقاً .

ويقال الحلال الصافي ما لم ينسَ صاحبه فيه معبوده .

ويقال هو الذي لا يكون صاحبه عن شهود ربّه — عند أخذه — غافلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُم مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خيراً يُؤْتِيَكُمُ خيراً مما أُخِذَ مِنْكُم وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الذي يعطونه خيراً مما أُخِذَ منهم . ويحتمل أن يكون ما في الآخرة من حسن الثواب ، ويحتمل أن يكون ما في الدنيا من جميل العوض . ويقال هو ما بوصلهم إليه من توفيق الطاعات ، وحلاوة الإيمان ، وهو خير مما أُخِذَ منهم .

ويقال ما أعطاهم من الرضاء بما هم فيه من الفقر ، بعدما كانوا أغنياء في حال الشرك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ

مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

يريد إن عادوا إلى قتالك بعدما مننت عليهم بالإطلاق وخانوا عهدك ، فانخيانة لم دأب  
وطريقة ، ثم إننا نمكّنك منهم ثانياً كما أمكّنّاك من أسرهم أولاً ، وقيل :

إِنْ عَادَتِ الْعُقُوبُ عُودُنَا لَهَا وَكَانَتِ التُّغُلُ لَهَا حَاضِرَةً

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ  
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا  
مَا لَكُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ وَلَا يَتَمَنَّوْنَ مِنْ شَيْءٍ  
حَتَّى يَهِاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي  
الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ﴿١١﴾

ذَكَرَ صِفَةَ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَصِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ هَاجَرُوا  
مَعَ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ ، ثُمَّ « جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ » هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُهَاجِرُونَ .  
أَمَّا الَّذِينَ آوَوْا فَهُمْ الْأَنْصَارُ ، آوَوْا الرَّسُولَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَالْمُؤْمِنِينَ .

فهذان الفريقان بعضهم أولياء بعض في النصرة والدين .

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ لَمْ يَهِاجِرُوا فَلَيْسَتْ لَهُمْ هَذِهِ الْمَوَالَاةُ إِلَى أَنْ يَهِاجِرُوا ، وَإِنْ اسْتَعَانُوا  
بَكُمْ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ .

« إِلَّا عَلَى قَوْمٍ » وَهُمْ الْمُعَاهِدُونَ مَعَكُمْ .

وَكَيْلُ الْمُهْجَرَةِ مَفَارِقَةُ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، وَهَجْرَانُ النَّفْسِ فِي تَرْكِ إِجَابَتِهَا إِلَى مَا تَدْعُو

إليه من شهواتها. ومن ذلك هجران إخوان السوء ، والتباعد عن الأوطان التي باشر العبد فيها الزلة ، ثم الهجرة من أوطان الحظوظ إلى أوطان رضا الحق .<sup>(١)</sup>

وأما قوله « والذين آووا ونصروا » فهم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، عوَّاه هؤلاء في الأمور الدنيوية ، وخواصهم في السكائن في الآخرة ، وخاص الخاص في كل ما يصح به الإثبات من سنى الأحوال إلى ما لا يدرك الوهم .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعضٍ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبيرٌ ﴾ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ﴿

قطع العصاة بينهم وبين المؤمنين ، فالؤمن للأجانب مجانب ، وللأقارب مقارب . والكفار بعضهم لبعضهم ، كما قيل : « طير السماء على الأفها تقع »

قوله جل ذكره : ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾

يريد من سلك مسلكهم في الحال ، ومن سيلحق بهم في الاستقبال وآتى الأحوال فالألفة تجمعهم ، والولاية تشملهم ، فلهم من الله في العقبى جزيل الثواب ، والنجاة من العذاب . ولهم في الدنيا الولاية والتناصر ، والمودة والتقارب ، والله أعلم

---

(١) القشيري من الشيوخ القائلين بأهمية السفر إذا دعت الضرورة  
يشترط أن يصحب السفر عن المسكن سفر عن النفس ( انظر الرسالة ص ٢٠٠ ) .





## « تنبيه »

ذكر السيد المحقق في الصحيفة ٢٠ موقفه من أخطاء الناسخ بأنه اتخذ منها ثلاثة مواقف (١) موقفا نجد فيه الخطأ مؤكدا ، ويتجلى ذلك عند كتابة بعض الآيات الكريمة حيث تسقط كلمة أو حرف أو تزيد كلمة أو حرف ، فنصلح هذا الخطأ .

ولما كانت الطبعة الأولى كثيرة الأخطاء خاصة في الآيات القرآنية ، فقد قمت بتصويبها وتصحيحها قبل هذه الطبعة الثانية (أفست) ..  
أما ماورد في ب . ج ، فقد تركته كما هو حسب منهج السيد المحقق وسأقوم بمشقة الله تعالى بتصويب المجلدين : الثاني ، الثالث ، على هذا النحو ، وأرجوا الله التوفيق والعون .

متولى خليل.عوض الله  
الباحث الأول - مركز تحقيق التراث



# فهرس

الصفحة

- ملنخل ... .. ٣
- صورة لورقة من المخطوطة السوفيتية ... .. ٣٩
- سورة فاتحة الكتاب ... .. ٤٢
- سورة البقرة ... .. ٥٢
- سورة آل عمران ... .. ٢١٧
- سورة النساء ... .. ٣١٠
- سورة المائدة ... .. ٣٩٦
- سورة الأنعام ... .. ١٥٩
- سورة الأعراف ... .. ٥١٦
- سورة الأنفال ... .. ٦٠١

تم المجلد الأول ويليه المجلد الثاني  
وأوله سورة التوبة

مطابع  
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٢٥ / ٢٠٠٠

---

I.S.B.N. 977 - 01 - 6594 - 8





يسر إدارة التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب أن تعيد  
تقديم هذا التفسير الصوفى الكبير للإمام القشيرى بتحقيق العالم  
الدكتور إبراهيم بسيونى.. وهذا كتاب تشعر خلال قراءته أن  
كل صغيرة وكبيرة فى علوم الصوفية لها أصل من القرآن،  
ويتجلى ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفى صريحا  
فى النص القرآنى كالذكر، والثوكل، والرضا، والولى، والولاية،  
والحق، والظاهر، والباطن، والقبض والبسط... وغير ذلك. فلا  
تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من  
كتاب الله الكريم، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة كما  
يحلو لبعض الباحثين حين يهتمون التصوف الإسلامى بالتأثر  
بالتيارات الأجنبية - وإلى الجزء الثانى.